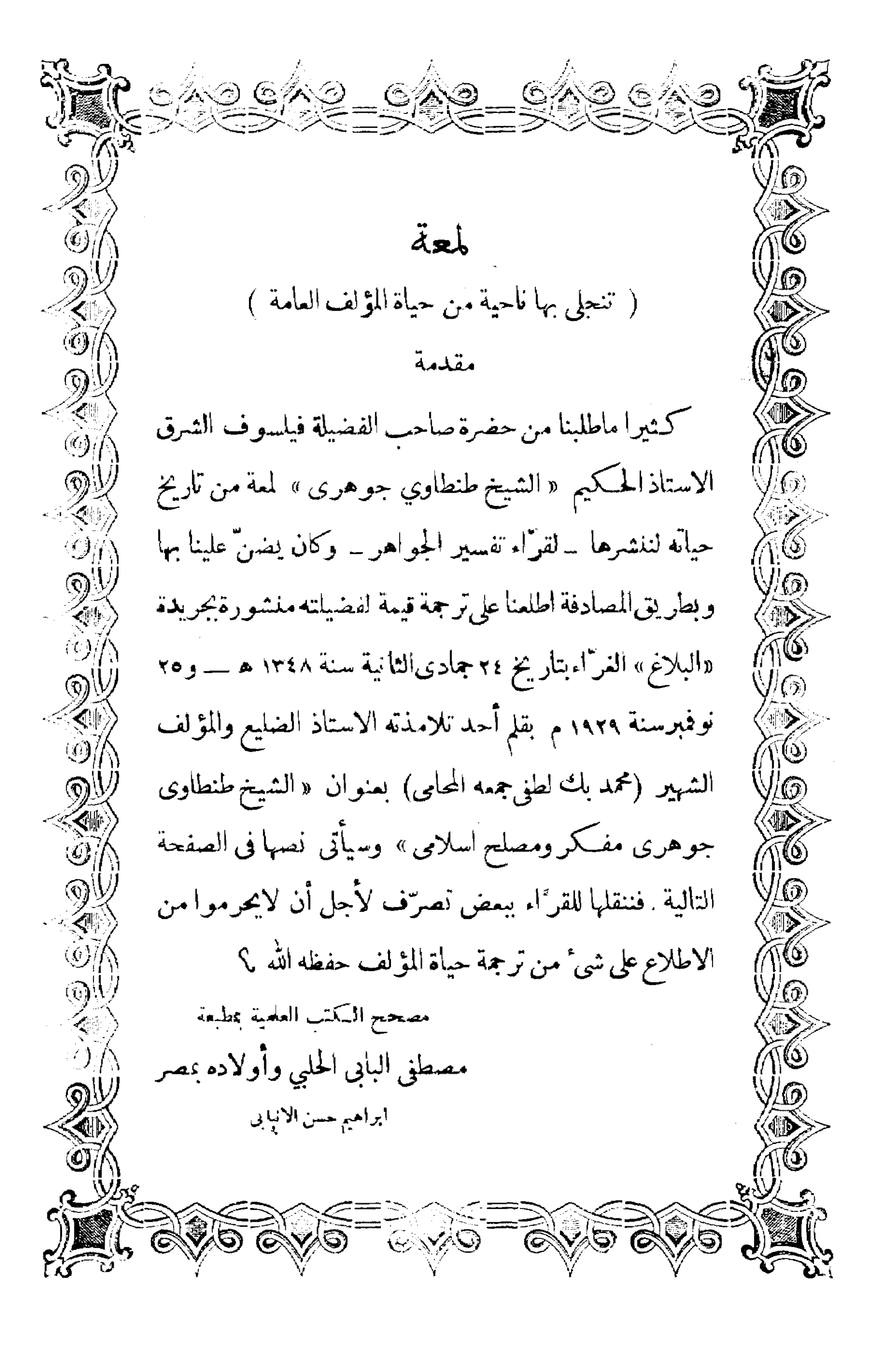


لمعة

(تنجلى بها ناحية من حياة المؤلف العامة)

مقدمة

كثيرا ماطلبنا من حضرة صاحب الفضيلة فيلسوف الشرق الاستاذ الحكيم « الشيخ طنطاوي جوهرى » لمعة من تاريخ حياته لننشرها - لقرّاء تفسير الجواهر - وكان يضنّ علينا بها وبطريق المصادفة اطلعنا على ترجمة قيمة لفضيلته منشورة بجريدة «البلاغ» الغرّاء بتاريخ ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨ هـ - و٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م بقلم أحد تلامذته الاستاذ الضليع والمؤلف الشهير (محمد بك لطفى جمعه المحامى) بعنوان « الشيخ طنطاوى جوهرى مفكر ومصلح اسلامى » وسيأتى نصها فى الصفحة التالية . فننقلها للقرّاء ببعض تصرّف لأجل أن لايحرموا من الاطلاع على شئ من ترجمة حياة المؤلف حفظه الله ؟

مصحح الكتب العلمية بمطبعة

مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر

ابراهيم حسن الانبابى

الشيخ طنطاوى جوهرى

مفكر ومصلح اسلامى

لقد جمعتنا مصادفات الحياة ونحن فى أعوام الدراسة الوسطى برجل فاضل متخرج من دارالعلوم وكان إذ ذاك عام (١٩٠١ م) فى العقد الرابع من عمره ، أسمراللون عالى الجبهة ، ذا لحية سوداء ، رقيق الصوت مهذب النفس ، محبا للعلم والاصلاح ، وكان خطيبا ، وكان كاتبا . وقد لفتنا اليه وهو أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الخديوية الثانوية بدرب الجماميز انه كان يعرض عن النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع ، ويصرف معظم وقت الدرس فى المحاضرة العلمية والأدبية . وغايته تنمية ملكة التفكير والانشاء فى نفوس تلاميذه وعقولهم

وكان الرجل يدخل الدرس وقد ملئت نفسه علما من أثر مطالعاته الغريزة فيتدفق كالاناء الملان الذى زاد امتلاؤه عن حجمه ففاض فيضانا صالحا يتلقاه تلاميذه المشوقون للأفكار الحديثة . وكان معظم كلامه فى أوّل أمره مقتبسا من كتب الامام الغزالى وحياة الحيوان وتفسير آيات القرآن التى فيها ذكر لجمال الطبيعة ووجوب التأمّل فى خلق الله والتفكر فى عجائب السماء والأرض . وكان يناقش (مذهب داروين) ويقرأ عنه ما كتبه كتاب العرب فى (المجلة العلمية) ولا يرفض البحث فيه محتجا بأن الحقيقة بنت البحث . فكان لهذه الحرّية فى الرأى أثر نافع جدا فى جميع تلاميذه . وكان أوّل شغفه بالكتب الافرنجية مانقله اليه أحد تلاميذه من كتب (جمال الطبيعة) و (مسرات الحياة) للورد أفبرى . فشغف الاستاذ بآراء هذا الحكيم . وتعلم اللغة الانجليزية حتى استطاع القراءة بها . وكان يترسم خطوات المغفور له (الشيخ محمد عبده) ولكنه كانت تنقصه الحنكة السياسية والغريزة الاجتماعية التى تسهل له الاختلاط بالناس فى الأوساط السياسية . فلم يتعرّف الى صحفى ولا أديب ولا سياسى . ولهذا قضى حياته فى دائرة ضيقة هى دائرة التعليم فى وزارة المعارف . ولعله لو أنه اختلط بأشخاص من ذوى المكانة فى الدولة لكان له شأن آخر على أنه تقلب فى مناصب التعليم وانتقل من التدريس بالمدارس التجهيزية الى (الجامعة المصرية) فدارالعلوم . ومن هناك أحيل الى المعاش لدى بلوغه سنّ الستين . وكان ذلك منذ خمس سنين فهو الآن فى منتصف العقد السابع من عمره . ولم يستطع هذا الفاضل أن يرحل الى أحد الأقطار الأجنبية فلم يكن له نصيب مما يفيده العالم الدينى والعالم الاجتماعى من الاغتراب ومشاهدة الأمم الأجنبية والممالك الاوروبية فان لهذه الرحلات فوائد كبرى لاسيما لعقلية الرجل الذى قضى شبابه فى طلب العلم بالمجاورة فى الأزهر الشريف

وكان الشيخ يجد منفذا من حين لآخر على منابر ﴿ جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية ﴾ فى عهدها الأوّل مذ كان رئيسها ومؤسسها المرحوم (الشيخ محمد زكىّ الدين سند) فكان يخطب الشيخ طنطاوى فى عجائب المخلوقات من الحيوان والحشرات كالنحل ويدقق فى وصف خلاياه ونظام معيشته وفوائده للانسان . طبعا لم يكن هذا المجهود ليزيد عن درس عادى فى التاريخ الطبيعى . ولكن الشيخ طنطاوى كان سابقا لاثنين من علماء أوروبا أوّلهما (جان فابر) الفرنسى الذى نال شهرة عظيمة بمؤلفاته فى حياة الحشرات وزاره رئيس جمهورية فرنسا لدى مرضه وأجرت عليه حكومة فرنسا أرزاقا واسعة جدا وأقامت له مدينته تمثالا فخما وكتبه كثيرة . وثانيهما (موريس مترلينك) البلجيكى مؤلف كتاب ﴿ حياة النحل ﴾ وقد حاز به صيتا رفيعا ومالا رفيعا . ولكن (الشيخ طنطاوى جوهرى شغف) بهذه المباحث قبل ظهور كتب هذين العالمين وطبقها على نظريات التفكير فى الدين الاسلامى مع انه لم يكن عالما أخصائيا لا فى النبات ولا فى الحيوان . وكذلك لم يكن لديه معمل للتحليل والتجربة بل كان معمله كتابه ومخه . فانتقل بحذق من دروس النحو وكتب سيبويه

والصبيان والقراء الى فلسفة الكون وعجائب الخلق وعبرة الحياة ومواعظ الوجود المستفادة من الطبيعة الحية النامية . انتقل من النظر فى فتح المنصوب وضم المرفوع الى مذهب النشوء والارتقاء وتطبيق نظرية التطوّر على الكائنات ، وكان يكمل معلوماته بمحادثة الأساتذة الأجانب من زملائه ، وقد نقل تعليم تلاميذه من دائرة ضيقة عقيمة هى التى بقى فيها أساتذة اللغة العربية الآخرين الى دائرة أوسع وأفسح وأكثر نورا وضياء وحركة ، نقلهم من الجمود والسكون الى الحركة والحياة ، ولكن هذا الرجل بقى حياته كلها غريبا فى وطنه بين أهله وأصدقائه وتلاميذه ورؤسائه ومرؤسيه (أستغفرالله لم يكن له مرؤسون لأنه ليس للاستاذ مرؤسون وهو لم يتعدّ حدود هذه الوظيفة) ولولا عذوبة خلقه ولين عريكته وتسامحه وبساطة نفسه الطاهرة التى تشبه نفوس الأطفال فى عظمتها وقناعته وعدم تعلقه بأعراض الدنيا لحصلت بينه وبين جميع العناصر التى ذكرتها معارك كتلك المعارك التى تحدث بين المدركين وأضدادهم وحاسديهم والحاقدين عليهم

ولم يكن اشتغاله بالتعليم ليعوقه عن تأليف الكتب العلمية التى تؤيد نظرياته فى الدين والعقل والأخلاق ولكنه لم يكن كغيره من رجال المعارف الذين يؤلفون الكتب ليستفيدوا منها فوائد مادّية ، فيؤلفون فى النحو والترجمة والأدبيات (ما أفظع هذه الكلمة فانها ليست عربية) ويستغلون التلاميذ والوزارة ويدورون وراء كتبهم كالجراد المنتشر فى كل واد ، يوزعونها ويبيعونها فى مجالس المديريات والمجالس الحسبية والمجالس الملغاة . كلا . لم تكن طبيعة السيد الجوهرى طبيعة جشع أوطبيعة الذى يسخر العلم فى سبيل المال ويبيع كرامته لأجل الثروة ، فألف ولكنه ألف كتبا تنفع الأمّة . وكان أوّل كتبه ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٣١٨ ﻫ وطبع بالمطبعة المتوسطة على نفقة الشيخ على أبى النور الجربى السكندرى ووصف السيد الجوهرى نفسه على غلاف هذا الكتاب بأنه من متخرجى الأزهر الشريف ومدرسة دار العلوم

وهذا الكتاب الأوّل من مؤلفات الشيخ هو بشائر مطالعاته وتأملاته ، وينطوى على غاية من الدرس والتفكير وهى التوفيق بين الحكمة والشريعة والتقريب بين أفكار علماء أوروبا ونظريات الدين الاسلامى ليستنتج من ذلك أن الاسلام دين ومدنية صالحان لكل زمان ومكان . واليك بيان بعض موضوعاته

﴿ جمال العلماء وأرباب السياسة ﴾

قال « ترى علماء الأخلاق يعظمون أمر النظافة ظاهرا وباطنا ، وبالغ أرباب النفوس السامية من الحكماء فى تطهير نفوسهم من الرذائل ، وجعلوا نظافة الثياب مقدّمة لها فكان نظرهم لها عرضيا لاذاتيا . وعكس ذلك أرباب السياسة والملوك وعظماء الدول . فلذلك ترى النظافة والجمال والبهاء والرونق والحسن باديا على ملابسهم وسرج خيولهم وعرباتهم (لم نكن وصلنا الى السيارات من ماركة رولزرويس) وفرش منازلهم وبساتينهم فجعلوا لذلك المقام الأوّل عندهم . ثم اعتبروا أمور النفس عرضية وقلّ التفاتهم لها »

ومن مباحثه الطلية التى عالجها الرجل منذ ثلاثين عاما ما يأتى ﴿ الكلام فى مبدأ العالم ومذهب لابلاس الفلكى الفرنسى . مذهب داروين . شبهة لابلاس وداروين . الكلام فى أن أبحاث العقل لاتناقض الدين . المطابقة بين كلام فلاسفة أوروبا وعلماء الاسلام فى الصنعة والصانع . وسم الدين بما ليس فيه جهل بالعلوم الحديثة . تطبيق الآيات والأحاديث الواردة فى السحاب على أبحاث الطبيعيين . ضرب مثل لحال علماء الطبيعة مع علماء الفلسفة العالية فى الالهيات . بيان أن الوقوف عند حدّ فى العلم وانكار ماوراءه جمود فى القريحة ﴾

ولم ينقض عام على نشر هذا الكتاب القيم حتى نشر الاستاذ كتابه الثانى وهو المسمى ﴿ جواهر العلوم ﴾ ومغزاه ﴿ النظر فى الكون . بهجة الحكماء وعبادة الأذكياء ﴾ وقد طبع الطبعة الأولى بمطبعة الترقى بشارع عبد العزيز سنة (١٣١٩ ﻫ ـ ١٩٠١ م) على نفقة الشيخ الجربى ومحمد توفيق كاشف . وكان المؤلف قد عين مدرسا للغة العربية بالمدرسة الخديوية . وقدقال فى المقدمة ان هذا الكتاب ألف قبل (ميزان الجواهر)

ولكنه طبع بعده

وقد جعله فى قالب قصة خيالية بطلها شاب اسمه ابراهيم سافر فى طلب (الفتاة) ولعله يقصد بالفتاة الحقيقة وقد رأى فى أثناء تلك السياحة ماجعله المؤلف موضوعا لكتابه على نسق المؤلفات الفلسفية القديمة مثل « رسالة حى بن يقظان » ومؤلفات سير (توماس مور) الفيلسوف الانجليزى وكتاب أميل لجان جاك روسو وغيرهم ، وعلاء الدين تأليف على مبارك باشا وكان الشيخ معجبا به ، وقد ألفه المرحوم على مبارك باشا لانارة الأزهريين خاصة . واليك أهم فصول « جواهر العلوم »

﴿ عجائب الأرض وفيه سبعة عشر فصلا . سبعة أنواع من عجائب النبات . فى ذكر المغناطيس . النبات الذى يشارك الحيوان فى الاحساس (وهذه نظرية أثبت صحتها العالم الهندى سير بوز فى سنة ١٩٢٦ م وفى معمله بكلكتا الآن طالبان مصريان على مانظن) فى النحل وعجائبه . دودة الحرير وحكمة قلته وتحريمه على الرجال . حكمة خلق الحشرات . لم لهج المغنون بقولهم ياليل . ذكر معجزات النبوّة فى العلوم المستكشفة حديثا وهى ثلاثون مابين آيات وأحاديث . عجائب العناصر والحروف ﴾

ومازال الشيخ يترقى فى وسطه حسب مقدوره حتى انتخب لتعليم الأخلاق والفلسفة العربية فألف كتبا فى ذلك ، ثم وضع كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ وهو نوع من تقليد (هوكسلى) فى كتاب ﴿ مكان الانسان من الطبيعة ﴾ ثم ألف كتابا فى الروح ومصيرها وعنصرها ، وألف غير ذلك كثيرا ، وانتهى بالاهتداء الى وضع تفسير حديث للقرآن الشريف سماه ﴿ تفسير الجواهر ﴾ طبع منه نحو خمسة عشر جزأ

والذى يسرّنا كثيرا أن مؤلفات (الشيخ طنطاوى) راجت رواجا كبيرا فى عموم الشرق وخصوصا هذا التفسير فان قراءه فى العالم الاسلامى ينتظرون أجزاءه بشغف زائد ، وقد نقلت بعض مؤلفاته الى لغات الأمم الاسلامية الخارجة عن مصر مثل القوقازية والاوردية والفارسية وراجت فى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وجزر الفيليبين ، وقد علمت من علماء من أهل تلك أن لهذا الرجل فيها شأنا عظيما . أما تفسير القرآن الذى يقوم به الشيخ بمفرده فهو بمثابة دائرة معارف جامعة

على أن (الشيخ طنطاوى) الذى يفرح لترك الغربيين لمذهب المادّة لايأنف أن يفرد لتمجيد المادّة فصلا فى كتابه ﴿ ميزان الجواهر ﴾ صفحة ١٢١ وهذا نصه

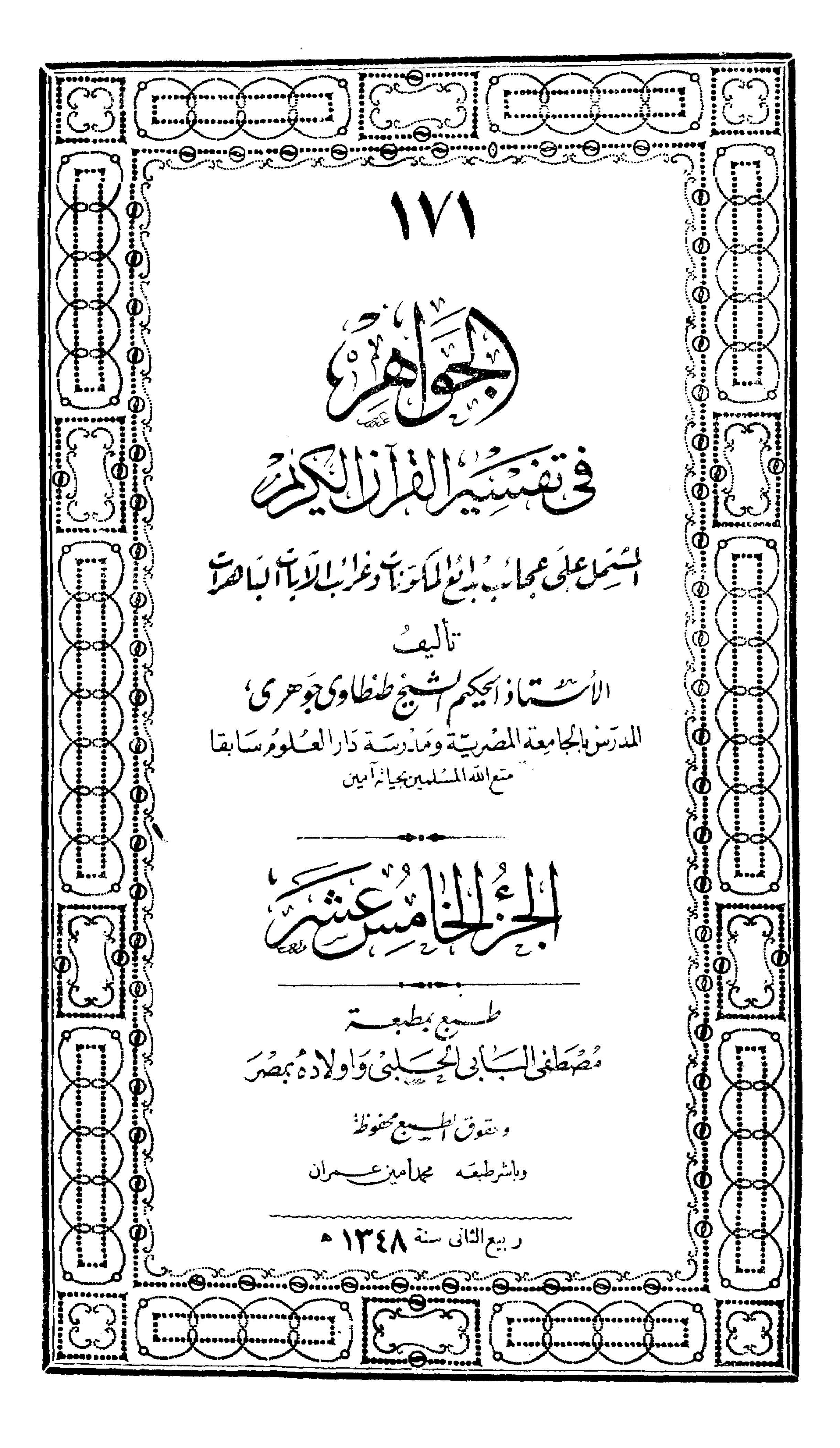
﴿ بيان أن المادّة تغذى العقل بالتفكير فيها كما تغذى الجسم بتعاطيها ﴾

« وكأنى بك تقول أراك تذكر كثيرا أن القرآن يجعل لهذه الأشياء ﴿ وجهتين ﴾ دينية ودنيوية ، فهل لهذا من دليل واضح ؟ أقول نعم قال تعالى فى ﴿ سورة ق ﴾ - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ✲ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - فانظر هنا كيف جعل المادّة تبصرة وذكرى لبعض العباد وهم المنيبون وحدهم ولم يعمم هذا الحكم ، وانظر كيف أردفها بقوله - ونزّلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ✲ والنخل باسقات لها طلع نضيد ✲ رزقا للعباد - فكيف جعلها رزقا وعمم هنا فى الرزق وخصص هناك والمادة واحدة والفطر تختلف والعلوم تتكيف فى النفس على حسب استعدادها

وفى الفكر نيران وفى الفكر جنة ✲ وما أكثر الآلام إلا من الفكر

وكل من يتأمّل فى كتب (الشيخ طنطاوى) يحكم حتما بأنه كان يسير بخطا ثابتة فى سبيل تفسير القرآن على الطريقة التى يفهم بها الكون والعلوم ويتخيل عليها الحقائق المعنوية والمادّية

فللأستاذ منا جميل الثناء والاعجاب والتكريم بما ضحى به فى سبيل العلم والوطن والمعتقد . أكثر الله من أمثاله لينفعوا مصر وجميع الامم ؟



١٧١

الجواهر
في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

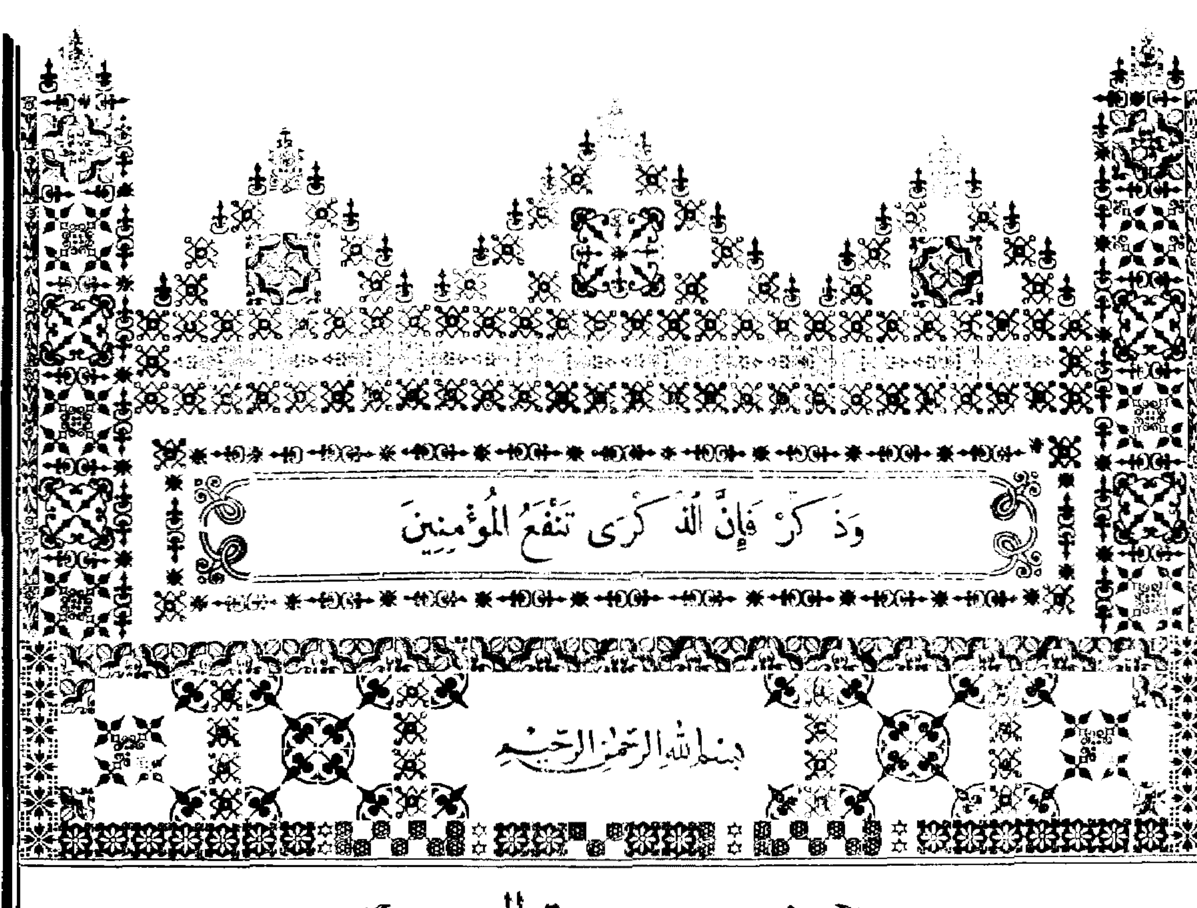
تأليف
الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء الخامس عشر

طبع بمطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

وباشر طبعه محمد أمين عمران

ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ هـ



تفسير سورة الروم

(وهى مكية إلا قوله تعالى ـ وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ـ فمدنية)

(وآياتها ستون ـ نزلت بعد الانشقاق)

﴿ مقدّمة ﴾

(مناسبة هذه السورة لما قبلها)

اعلم أن السورة المتقدمة قد بدئت بالجهاد وختمت به فردّ عجزها على صدرها ، بدأها بأن الناس لم يخلقوا فى الأرض ليناموا على بساط الراحة وانما خلقوا ليجاهدوا حتى يلاقوا ربهم وانهم يلاقون مصاعب ومصائب من الأهل والأصحاب والأمم التى يكونون فيها ، وأخذ يقصّ ماجرى لنوح وابراهيم ولوط وهود وصالح وموسى وما كان من صبر الأنبياء وخذلان الكافرين وضرب لهم مثلا بالعنكبوت و بيتها و بين لهم أن المدار على العقل والحكمة والفهم فى القرآن الخ وزهدهم فى الدنيا وأمرهم بالصبر والتوكل فان الرزق على الله كما رزق الدواب

فأما « سورة الروم » فقد بدأها بأن محمداً ﷺ تابع للأنبياء فانه محسن كما أحسنوا ، فاذا كان الأنبياء قد جاهدوا وصبروا ثم نصروا فان محمداً ﷺ قد جاهد وصبر ففاز ، فاذا كان آخر السورة هو ملخص مافيها أى ان قوله تعالى ـ والذين جاهدوا فينا ـ الخ هو ملخص ما جاء فى السورة فان أوّل الروم يفيد أن محمداً ﷺ مثلهم . ألاترى انه أخبر بأن الروم سيغلبون بعد أن غلبهم الفرس وأيضا أمته ستغلب الفرس فى تلك الجهة . فهذان (نصران) نصر نبوى علمى ونصر حربى بالفتح فأصبحت هذه السورة متممة لما قبلها .

ولما كان محمد ﷺ على دين ابراهيم أخذ يقرّر و يفصل ما ذكره ابراهيم فى سورة العنكبوت ـ فانظروا كيف بدأ الخلق ـ الخ فههنا أخذ يبين ذلك فقال ـ أولم يسيروا فى الأرض ـ الخ وقال ـ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ـ الخ وفصل ذلك أبهج وأجمل تفصيل فقال ـ ومن آياته أن خلقكم من تراب ـ الخ إذن سورة

الروم مفصلة لبعض ما أجمل فى سورة العنكبوت تارة ومكملة لتاريخ الأنبياء بذكر خاتمهم ونصره تارة أخرى اه

﴿ تقسيم السورة الى أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأوّل ﴾ فى تفسير البسملة

﴿ القسم الثانى ﴾ فى بعض سر — الم —

﴿ القسم الثالث ﴾ فى إثبات النبوّة بالاخبار بالغيب وفى العجائب الدالة على الوحدانية من أوّل السورة الى قوله تعالى — وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم —

﴿ القسم الرابع ﴾ فى تذكير الناس بالنعم و بالنقم ليشكروا الله على الأولى و يخافوه على الثانية وآيات أخرى لمحاجة الجاحدين من قوله — ضرب لكم مثلا من أنفسكم — الى آخر السورة

﴿ القسم الأوّل فى تفسير — بسم الله الرحمن الرحيم — ﴾

استيقظت قبيل الفجر ليلة الجمعة (٦) من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٩ ونظرت بهجة النجوم وجمالها وهنّ عوانس أوانس يقلن لأرواح أهل الأرض (هلم الينا) وفيهنّ الثريا ونجوم الجبار والجوّ ساكن والدنيا هادئة فأعجبنى منظرها و بهرنى حسنها وأدهشنى جمالها وصرت أقول فى نفسى إن المناظر الجميلة تسأمها النفس اذا طال أمدها واعتيد نظرها ولكن هذه الأوانس العوانس والخنس الجوارى الكنس بهجات الطلعة للناظرين وان كثر النظر ووافق المبتدأ الخبر . إن كل مبذول متروك وكل ممتنع محبوب ولكن هذه الحور المقصورات فى السماء تعرض كل ليلة على الناظرين وتتجلى للعاقلين وهم منها لا يسأمون وكلما ازدادوا لها نظرا ازدادوا لها حبا

إن حجرة نومى فوق الدور العلوى من المنزل وأمامها فناء لا سقف له وقد اعتدت فى زمن الصيف أن أنام فى هذا الفناء لأقابل الهواء الجوّى الخالص ولأشاهد الكواكب الجميلة البديعة ، ففى هذه الليالى كلما استيقظت قبيل الفجر شاهدت أربع مجموعات منها تسير من الشرق الى الغرب . ولا جرم أن للنجوم أسماء اصطلاحية ذكرتها فى الأجزاء السابقة وهذه الأسماء تختلف باختلاف الأمم من أهل الصين والهند والبابليين والعرب بحسب ما تتخيله كل أمة من شؤنها وما يغلب على خيالها مما لا محل للافاضة فيه كما تسمى عندنا النجوم المجتمعة كعنقود العنب بالثريا و يسميها قوم (الدجاجة وأفراخها) كما تقدّم ، فلما كان الأمر كذلك ظهرت لى هذه الكواكب فى هذه الليالى بهيئة صحائف كتاب أمسك به صاحبه وطواه فى يده وأنا وأهل الأرض فى داخل ذلك المطوى وهو يديره حوالينا من المشرق الى المغرب ، فأوّلا تمرّ الثريا و يتبعها من جهة الشرق مجموعة كواكب كوّنت ما يشبه الزاوية الحادة وملتقى الخطين جهة الغرب وسطح الزاوية جهة الشرق ، ثم يلى هذه الزاوية مجموعة جميلة من النجوم تظهر بهيئة خط منحن ظريف بديع كقلادة الحسناء أكثر نجومه تشبه (كوكب السها) فى قلة ضوئه ، و يتبع هذا الخط من جهة الشرق على بعد يساوى المسافة التى بينه و بين الثريا نجوم شديدة اللمعان من القدر الأوّل من نجوم الجبار و يسميها العامّة فى بلادنا بالميزان ، ذلك لأنها مكوّنة من ثلاث نجوم على هيئة خط مستقيم وثلاث أخرى تكوّن خطا مستقيما مائلا على الأوّل ، فهذان الخطان يعطيان للخيال صورة ميزان الباعة فى بلادنا فهو مكوّن من قضيب يمسكه البائع بيده (فى داخله لسان الميزان) وقد علق فيه قضيب آخر من وسطه يحمل الكفتين ، فهذه أربع مجموعات متتابعات أراها كل ليلة تمرّ فوق رأسى من الشرق الى الغرب وأنا ألاحظها وكلما استيقظت كنت أراقب الثريا التى هى قائدتها جميعا فكنت أعرف الوقت تقريبا بها وان كانت كل ليلة تتقدّم جهة الغرب قليلا وكنت ألاحظ نهر المجرّة بقرب هذه المجموعات فى أكناف السماء ، فهؤلاء وهؤلاء جميعا يظهرن كل ليلة و يسرن فوق رأسى من الشرق الى الغرب ، فقلت يا سبحان الله هذا كتاب كأنه يشير الى آية — والسموات مطويات بيمينه — فهذه السماء من السموات مكوّنة من عوالم

الأثير التي لاترى وعدم رؤيتها لايخرمها اسم الوجود . فهذه العوالم السماوية الموجودة فعلا بحسب ما اتفق عليه الناس قد برزت فيها اللوامع والبدائع المسماة نجوما وهي متلألئة منتظمة ، وهنا يعجب الانسان من سقف مرفوع بديع أزرق رصع بالجواهر ولم ير الناس سقفا مرصعا إلا اذا كان من مادة جامدة صلبة . أما السقف الذي لاتراه العيون ولا تتخيله الأفهام وانما هو أمر أشبه بالخيال فكيف يرصع بالجواهر وكيف يثبت مئات الملايين من السنين . إن سقوف منازلنا كلها تتداعى الى السقوط (وهي متينة البناء قوية المادة) فكيف رأينا هذا السقف الذي هو أرق من الهواء وألطف من الضياء لايعتريه السقوط ولايحوم حوله الانحلال . إن هذه من معجزات الطبيعة وآياتها البديعة . إن من شأن السقوف أن تثبت وتسكن من يوم وضعها الى يوم سقوطها . أما هذا السقف فهو فضلا عن دوامه آمادا وآمادا لايهدأ ليلا ولانهارا فهو معجز من ﴿وجهين﴾ ثباته مع لطف مادته ودورانه حولنا . وهناك آية ثالثة وهو انه لوح منقوش بسطور من نور فهو رق منشور . ومن أبدع البدائع أن الورق عادة أبيض اللون والكتابة بالمداد الأسود فالصحائف بيض والسطور سود أما هذه الصحيفة فهي زرقاء ونقوشها بيضاء زاهرة إذن هذه الصحائف أبدع وعلمها مكتوب بقطع من الألماس ومنظرها أبدع من منظر الحبر وأي نسبة بين جمال الجواهر وسواد الحبر . فأين الثريا وأين الثرى . ذلك يحاكي الحقيقة لأن ماتعيه الكتب انما هي نقوش دالة على ألفاظ دالة على معان يتخيلها الناس من خلال ذلك السواد الذي يتخلل بياض الورق ولذلك نرى علوم الناس فيها الحقيقة والخيال والمقطوع به والمظنون . أما مناظر هذه الصحائف السماوية فان جمالها يحكي حقائقها من حيث البهجة والجمال ويشير الى ما وراءه من أقدار عظيمة وأبعاد هائلة . فهذه الكواكب التي رأيتها الليلة كلها ثابتة ثم انى فكرت في دورانها حولي كل ليلة وقلت انى أصبحت موقنا بأن كل جسم أو وصف أو حركة في هذه الدنيا الجميلة له غاية . فاذا كان جمال الزهرات وروائحها العطرية لم تخلق إلا لغاية وهي أن تجلب الحشرات بحسن منظرها وعاطر رائحتها لتشرب الرحيق المختوم والعسل المختبئ في أسفل الزهرات ومتى نالت بغيتها فقد أتمت عملها وهو إلقاح الاناث بواسطة ذرات الإلقاح من الذكور ويكون ذلك العمل مفيدا لنفس النبات ولنفس الحشرات . فاذا كان هذا شأن هذه الدنيا فلاحركة ولاجوهر ولاعرض إلا لفائدة وغاية حميدة ، فماغاية مرور هذه الصحائف الزرقاء المرصعة بالجواهر الثمينة المختلفة الأشكال كل ليلة فوق رأسي في فناء حجرتي ؟ لم يضع في هذا الكون منظر ولاحركة لغير فائدة فكيف تضيع ثمرات هذه الحركات حولي ، ولم أكد أتم هذا الخاطر حتى وقع في نفسي أن الصحائف على ﴿قسمين﴾ صحائف صغيرة يحركها الناس بأيديهم ليقرؤها وصحائف كبيرة وهي هذه السموات المطويات بيمين كاتبها القدير الذي يعلم أن الناس لايقدرون على تحريكها كما قدروا هم على تحريك صحائفهم ليقرؤها فحركها بيده هو فدارت حولهم فلذلك تمر على كل ليلة لجدير بنا أن نقرأها . إن الانسان لضعفه لايدرى إلا ما يكتبه آدمي مثله ، أما كتاب السموات فهو (وان كان مبذولا) لم يدرسه إلا قليل هم صفوة الانسان في الأرض ، ولهذا الكتاب مزية أخرى وهو انه منبع الهدى ومصدر الرزق ، أما تآليف الناس فهو هدى ومصدر الرزق آت من غيره فتأليف الله جمع غذاء العقل وغذاء الجسم وهذا من أبدع الاقتصاد في العمل والاحكام . اللهم انى أخجل أن أرى كتابك مبذولا لي وأنت تديره فوق رأسي كل ليلة وأنا عنه معرض ، كتابك المسطر بالحروف الكبيرة تلك الحروف التي يعجز عن درسها صغار العقول ويفرح بها المفكرون ، هذا الكتاب الذي تشرق سطوره ليلا وتضيء نهارا فاذا قلبته أمامي وأنا عنه ساه فلي الويل كل الويل

فويل لمن نشر الله له صحائفه فأعرض عنها وهو يقول — والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون — ويقول — وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون — ويقول — إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة — الخ وكيف تفتح أبواب السماء لمن تمر صحائفها عليه كل ليلة وهو

معرض عن جمالها غارق فى بحار الأحوال المادّية لاشعور له بما يراه ولا لذة له فيما يلقاه ، حبس فى المسائل الجزئية والأعمال الحيوية فهو نائم والدهر يقظان ، وماهذه الكواكب إلا حدائق تشاهد الأرواح بعد الموت جمالها وتبتهج بمنظرها ، وليست كل روح أهلا لمرآها ، ولا كل نفس بقادرة على الابتهاج بمنظر حلاها . كلا . فأكثر النفوس الأرضية عنها لاهية ساهية ولاترى النفوس بعد الموت إلا ماعشقته فى الحياة

* إنّ الطيور على أشكالها تقع * — قل كل يعمل على شاكلته — ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا —

هذه نظراتى فى تلك الليلة ثم ان الفكر عارضه ماقطعه وأخذت النفس تذكر شؤونا أخرى فنظرت للنجوم كرة أخرى فلم ألحظ ذلك الجمال ولم أشعر بذلك الكمال فعلمت أن هذه حال جميع الغافلين . إن هذه النجوم لايظهر جمالها وبهجتها إلا لنفوس صفت وعقول خلت أما النفوس التى لم تعرف ماهو الجمال ولم تدرك ذلك الكمال واختصّ عشقها بظاهر الشهوات فهذه نفوس محبوسة وقيل فى أمثالها — فما بكت عليهم السماء والأرض — ويقال لهم على سبيل الاعتبار — إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة — الخ فمن أراد أن تفتح له أبواب السماء فى الآخرة فليعلم أن مفتاحها اليوم معه فليقرأ قوله تعالى — وزيناها للناظرين — ولينظر اليوم هذا الجمال . وهل شعر بالحسن والجمال وفكر فى هذه العجائب واشتاق الى معرفة الحقائق وبحث فى هذا الوجود وأصله وما المقصود منه وكيف نظامه وهل الرحمة عامة فيه ؟ ولم كان العذاب فى الدنيا والآخرة حتم على قوم ؟ واذا كان الله مبدئ الأكوان هو الذى خلق هذه العوالم الجميلة ونسقها وأبدعها وجعلها غاية فى الابداع والحسن والاشراق . فكيف يعقل أنه هو نفسه يذيق نفوسنا العدم ويوقعنا فى الندم ويقدّر علينا الحسرات تتلوها الحسرات . أفليس هو الفاعل المختار . هذه الخواطر تلتها خواطر ثم أخذتنى سنة من النوم فخيل لى كأنى فى روضة فيحاء جميلة المنظر بهجة فيها من كل فاكهة زوجان ، وبينما أنا أتمتع بمنظرها فى النوم كما كنت أبتهج بمناظر النجوم فى اليقظة إذ تمثل لى شخصان من نور أحدهما أكبر من الآخر منظرهما بديع بهيج وهما على هيئة الانسان فأخذت أفكر فى هذا المنظر ونسيت جمال الحديقة الغناء وأخذت أفكر فى أمرهما ولم ظهرا لى ؟ وما القصد من هذا ؟ فأخذت أصغى لهما لعلى أسمع لهما قولا فأصيب منه حكمة ، فما خطر لى هذا الخاطر حتى سمعت الأصغر يقول لصاحبه « سيدى علمنى مما علمك الله » فقال سل مابدا لك ، فقال إننا ونحن على هذه الأرض مع الناس كنا نسمعهم يذكرون الله بالرحمة والرأفة اللذين لاحدّ لهما ، ولكن لماذا نرى الموت والمرض والآلام المختلفة تعترى هذه النفوس الأرضية ، القرآن مبدوء فى كل سورة — بسم الله الرحمن الرحيم — وهكذا الفاتحة فيها — الرحمن الرحيم — إن الرحمة مكررة فى جميع ركعات الصلاة وفى أوّل كل سورة والله تعالى يقول — ورحمتى وسعت كل شئ — أليس الأطفال الذين يمرضون ولاذنب لهم والبهائم التى ترعى فى مراعيها تمرض ، أليس هؤلاء من جملة الأشياء فاذا كانت الرحمة وسعت كل شئ فكيف لم تسع هؤلاء ؟ بل مارأينا أحدا فى الأرض إلا شكا وبكى وأنّ وقال « أين الرحمة ؟ » ولذلك قال المتنبى شاعرهم

كل من فى الكون يشكو دهره * ليت شعرى هذه الدنيا لمن

إنى لو أردت ياسيدى أن أوفى المقام حقه لأعوزنى لبيانه أيام وليال لأن الرحمة وضدها قصتهما قصة الوجود كله ، فاذا استوعبت القول فيهما وجب علىّ أن أستوعب علوم الأمم والأفلاك والأرضين فلأكتف بهذا الايجاز وأنت العالم ولقد أوجب الله على الجهلاء أن يسألوا كما أوجب على العلماء أن يعلموا وأنا الجاهل وأنت العالم ، فها أناذا اليك مصغ والله لايضيع أجر المحسنين

فلما سمعت هذا القول دهشت من حسن المصادفة وصرت أقول فى نفسى ياعجبا أنا الساعة أفكر فى معنى

(بسم الله الرحمن الرحيم) فى أوّل (سورة الروم) ولم كررت فى سور القرآن ، ولم ملأ الله السموات بالجمال وهكذا الأرضين ، ولكن الألم والنصب منصبان على كل حيّ فى هذه الأرض ، فهذا السؤال يواتى فكرتى ويقرب من مطابى ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فسأصغى لقولهما ومتى رأيت فى القول حكمة حفظته وتلوت — وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النارهدى — فعسى أن أقتبس من هذا القول حكمة تفهمنى معنى (بسم الله الرحمن الرحيم) التى حرت فى تفسيرها لما تأملت نجوم السماء . هنالك أخذ العالم يفيض من علمه على فتاه فقال له اسمع يابنىّ أنت تعلم أن الرحمة مبذولة لكل شئ ولولاها لم يكن موجود لأن الرحمة بها الوجود وضد الرحمة به العدم وكثرة البذل توجب الغفلة . فالناس لما عمتهم الرحمة من كل جانب حتى غمرتهم أصبحوا لايشعرون بها . ألم تر الى الناس والأنعام والى السمك فهؤلاء فى الهواء وهؤلاء فى الماء ولايخطر لأحد منهم أنه يعيش فى مادة تحيط به إلا المتعلمين . إن الجهال من بنى آدم لايعقلون أن الهواء جسم من الأجسام مع أن حياتهم متوقفة عليه ولايعرف الهواء غالبا إلا بلفت النظر وتوجيه الفكر . فأما العامّة فلايكادون يعرفون أن أنفاسهم التى تصل رئاتهم من جسم موجود بل هى عادة اعتادوها . بل هذه الأرواح التى تعلقت بهذه الأشباح فى الأرض وعقلت وأدركت بعض المتعلمين من بنى آدم لايرون لها وجودا مستقلا عن الجسم بل يزعمون أنها صفة من الصفات الملحقات به تفنى بفنائه فلا وجود لها مستقل . الرحمة عمت الهواء والماء والأرض والأثير والكواكب . الرحمة أحاطت بالناس فى داخلهم وخارجهم فنسيها أكثر الناس وليس يعقل الرحمة الحقيقية إلا الحكماء وحدهم وأكثر الناس جاهلون . فقال الفتى ولم لم يعقلها أكثر الناس . قال الاستاذ أنا أبين لك السبب إن الرحيم الجاهل تكون رحمته خطرا . فالرحمة إن لم تكن مصحوبة بعلم لم تفد إلا الضرر . ألا ترى رعاك الله أن المرأة تودّ أن تكون ابنتها متمتعة بأنواع الملاذ والشهوات وبمن تحب وهى من شدّة رحمتها بابنها تودّ لوترك الدرس والطرس وأرخى لنفسه العنان فى باحات اللعب والمسرات ، أما العلم والدرس فانهما فى نظرها القصير أمران ثانويان ، وكل مؤدّب أوملك أوأمير ترك حبل الامور على غاربها ولم يضع الامور مواضعها اختلّ نظام رحمته وأصبحت تلك الرحمة عذابا واصبا . ألاترى الى ماقرّره العلماء « ان الناس اذا غمرتهم النعم ولم تؤدّبهم النوازل أصبحت تلك الرحمات عارا عليهم وخزيا مبينا وانحطت قواهم وملكتهم البطنة وأصبحوا فريسة لغيرهم

فعلى هذا لامناص لصاحب الرحمة من أن يكون عليما بمن يرحمهم حتى لا تكون الرحمة سببا للخسران والهلاك اذا لم تكن بحساب والحساب لا يكون إلا بالعلم . فالرحيم العالم هو الذى لايعطى إلا بحساب ليكون عدلا فى عطائه عدلا فى منعه ويكون العطاء إذ ذاك مع المنع أشبه بالنهار مع الليل ، النهار والليل والصيف والشتاء لولا الحساب لكان نظام الأرض خطلا وخطرا ، ولكن تعاقب الضياء والظلمة والحر والبرد جعل أحوال أهل الأرض مساعدة على بقاء الحياة ، فلولم يكن نهار لم تكن حياة ، ولولم يكن ليل لاختلّ نظام الحياة وهلكت النفوس . إذن الرحمة لاتتم إلا بعلم والعلم به يكون البذل والمنع وهناك يكون العدل . إن هذا العدل هو الميزان الذى توزن به الموجودات ، والرحمة اذا انفردت بنفسها عن العدل الذى يوجبه العلم كانت لاخير فيها وانقلبت عذابا أليما وهلاكا مبينا قال تعالى — ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما — فانظر لهذا العطف العجيب

فقال الفتى وهل معرفة العدل يعوزها شدّ الرحال واقتحام الأهوال وتجشم الأخطار حتى لايعرفه إلا الفضلاء الأخيار . فقلت إى وربى انه لحق كما تقول واليك البيان

قد علمت أن الرحمة شاملة لكل شئ ولكنها محجوبة عن أكثر النفوس ، ولاظهور لهذه الرحمة ظهورا حقيقيا إلا للعالم الحكيم وانه لابد لها من العدل ورحمة بلاعدل كجسم بلاروح . واذن لايعقل الناس الرحمة إلا اذا عقلوا العدل والعدل حارت فيه العقول وتاهت الأذهان . ألم تر الى ماجاء فى جمهورية أفلاطون وقد

تباحث (سقراط) مع تلاميذه وأدلى كل منهم بحجته فى معنى العدل فمن قائل « إن العدل أن تعطى كل ذى حق حقه » فردّ عليه قائلا « وهل يعطى السيف لصاحبه الذى لا يعقل » ومن قائل « إن العدل هو ما اتفق عليه ذوو القوّة والجاه وأرباب النفوذ فهؤلاء كل ما قالوه ينفذ والناس له مطيعون » فردّ عليه قائلا « ليس الحاكم الذى يسخر الجمهور لمصلحته ويتلاعب بهم أميرا بل هو لص » وهكذا ولو أن جماعة اللصوص لم يستعملوا نوعا من العدل لانفرط جمعهم وتفرّقوا شذر مذر وهم خاسرون

وهنا ذكر له ما تقدم فى (سورة النحل) فى تفسير قوله تعالى - ان الله يأمر بالعدل والاحسان - فقد جاء هناك ذكر العدل وانه لا يكون باعطاء الانسان حقه فربما أضرّ به وليس يجوز للانسان أن يعطى السيف لمالكه الذى اختلّ عقله ولا أن يقول للذى أشرف على الهلاك الحق لئلا يكون هلاكه ، وهنا ذكر أن حاكم الجمهور اذا لم يعدل فيهم وظلم فلسنا نسميه أميرا بل هو لص واللذة التى كان يتوهمها فى ذلك لا ينالها لأن سعادة كل مخلوق بما اختص به واختصاص الانسان أن تكون نفسه قائمة بما يجب عليها مقوّمة لجميع صفاتها الخ

ثم ختم المقال بأن العدل فى الأمة بأن تكون كل طائفة قائمة بما وجب عليها ، فالصناع والزراع يخضعون للجنود والجنود يخضعون لرجال السياسة وهكذا الفرد الواحد تكون قواه العقلية محفوظة بنسب خاصة فلا تطغى إحداها على الأخرى فيكون عفيفا شجاعا مفكرا وهنالك يكون العدل ، فالعدل هو الاتزان الذى يكون بين أفراد الأمة وبين قوى الفرد الواحد فكما أن القوّة الشهوية لا تطغى على الغضبية بل تخضع لها والقوّة الغضبية تخضع للقوّة العاقلة فى الفرد هكذا يخضع الزراع والصناع للجند والجند يخضعون لرجال السياسة وهم الفلاسفة

هذا ما جاء فى كلام أفلاطون يا بنىّ وكل هذا فى تعريف العدل الذى لا تكون الرحمة بدونه إلا وبالا فلو أن ماء النيل فاض على أرض مصر ولم يحط بالجسور والقناطر لأغرق البلاد فهو نعمة انقلبت نقمة لعدم الحواجز والنظام وما النظام إلا العدل ، فاذا كان العدل قد استحق هذا الاهتمام من الفلاسفة وقد شغل عقلاء الأمم جميعا فى الأرض والى الآن لم يتموا دراسته فما بالك بالعدل الإلهى ﴿و بعبارة أخرى﴾ اذا كان أهل الأرض قاطبة لا يزالون يدأبون فى البحث عن العدل حتى تنتظم الامور السياسية فيها وهم الى الآن لم يهتدوا فكيف تصل العقول الى العدل الإلهى الذى به تعرف الرحمة وتستقر فى العقول ، إن أهل الأرض قد صرفوا كل قوى عقول عظمائهم الى تعرّف العدل ولم ينجحوا الى الآن تمام النجاح والأرض ذرّة صغيرة طائرة فى الجوّ من عوالم عظيمة لا تحصر ، فهؤلاء أنفسهم أى الذين فوق هذه الذرة الصغيرة وهى الأرض لم تكف مدارسهم ولا حكوماتهم لمعرفة العدل الآن فى هذه الأرض الصغيرة إذ رأوه معقدا صعب المنال كثير القيود كثير الشرّ فما بالك بالعدل العام فى السموات والأرض ، أفلا يكون أشدّ تعقيدا وأكثر صعوبة فى الفهم ؟ وهل أتاك نبأ الحرب الكبرى ؟ ألم تقم بعدها أمم أوروبا كلها فقالوا بابطال الحروب ومع ذلك تجد الأمة الانجليزية أعطت اليهود وطنا قوميا فى بيت المقدس إذلالا للعرب وازاحة لهم فهذا عندهم هو العدل ، وفى هذه الأيام قام اليهود فبدؤا بالهجوم على العرب فلما قاوموهم وعاملوهم بالمثل أخذوا يعاقبونهم فهذا عدل عند أمة فى أوروبا لأن هذا رأى القوى والقوى لا رادّ لما يقضيه عند أهل الأرض وهذا أحد الآراء التى ردّها (سقراط) فى محاوراته الأفلاطونية ، فردّ الفتى على أستاذه قائلا ياسيدى انى أعلم أن هذه الأمم الاسلامية لم تقم بما وجب عليها فى استخراج ثمرات أرضها وثمرات عقولها ، فمن العدل أن يعمر الأقوياء تلك الأرضين ، فقال الاستاذ ولكن استعمار الأرضين ليس موقوفا على إهلاك أهل البلاد فلابد من اقامة العدل بأن يرقى أهل تونس والجزائر ومراكش وسوريا وفلسطين لا أن يقف المستعمرون لهم بالمرصاد ويمنعوهم العلم . على أننا الآن لسنا فى مقام شرح مسألة العدل فى الأمم الأرضية ، فاذا كنت أنا وأنت قد تناقشنا فى عدل أهل الأرض وكل منا له غرض يرمى اليه فهم إذن من باب أولى ، وهذا اثبات لقولى ان أهل الأرض الى الآن لم يتموا أمر العدل ولم تقو

عقولهم على استكناه كنهه بل نحن أخذنا نتجاهل لأجلهم . فكيف إذن يصل عقل الانسان وعقول كثير من الملائكة والأرواح الشريفة الى حلّ مشكلة العدل فى العوالم كلها وهوعدل الله . واذا رأينا الطبيب يقلع ضرس المريض ويؤلمه أشدّ الألم ويقطع عضوا من أعضائه والناس والمريض وذويه راضون مستبشرون . واذا رأينا الأمم يحارب بعضها بعضا فيموت الالوف وألوف الالوف فلماذا هـذا ؟ لأن سفير احدى الدولتين أهين بكلمة فتقول دولتـه لابد انى أغسل العار وكيف تغسل العار ؟ تغسله بارسال آلاف من الجيوش يقتل منهم مئات ومن العدوّ مئات فيقول الهاجون نحن عادلون لأن سفيرنا أهين فحياتنا وهى من الرحمة لابقاء لها إلا بأن يجندل فى ساحات الحرب منها رجال ويقول أعداؤهم هؤلاء ظلمونا فلندافع عن أنفسنا والدفاع عدل إذن الحياة التى لاوجود لها إلا بالرحمة توقفت على قتل بعض الرجال كما توقفت حياة المريض على قطع عضو من أعضائه إذن قطع بعض أعضاء الجسم عند ظهورسببه وقيام الحرب عند حصول سببها وقتل بعض الرجال من تمام الرحمة فى نظرهذا النوع الانسانى سواء أأخطأ القوّاد والأطباء أم أصابوا . فالجروح إذن ونفس الموت من تمام الرحمة والرحمة بغير هذين ضارّة مؤلمة كما يضرّ النيل اذا لم يحفظ بالقناطر وبالجسور

هذه كلها آراء الناس فى العدل . ومما يدلك على أن آراء الناس فى العدل تتغير من وقت لآخر ومن حال الى أخرى ﴿ أمران * أوّلا ﴾ معاملة أهـل الغرب لأهل الشرق التى سنذكرها قريبا ﴿ ثانيا ﴾ ماظهر من الميل الى ترك الحرب فى هذه السنين بعد الحرب الكبرى . ففى هذا الشهر (٥) سبتمبر سنة ١٩٢٩ ألقى المسيو (بريان) خطابا طويلا فى الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ صباحا فى جمعية الأمم قوبل بالهتاف والاستحسان فما قاله

« إن جمعية الأمم قد قامت بالواجب عليها وانها جاهدت سنة فسنة لازالة الحوائل العتية التى كانت قائمة فى وجهها فاليوم لايحتقرها العالم ولكنه يعطف عليها على أننا نتساءل ماذا عساها تعمل بهـذه الثقة التى وضعها العالم فيها ، إن هناك مسائل كبيرة ذات أهمية عظيمة لا يمكن التفادى عنها دون أن تمس الجمعيـة مسا أدبيا شديدا وانه ليسرنى كممثل للحكومة الفرنسوية أن أتعاون مع زملائى الألمان . ولقد توصلنا الآن الى أن نعتبرالحرب جريمة تستحق الاستنكارمن جميع الأمم والشعوب فاذا لم تتوصل جمعية الأمم الى التذرّع بالوسائل التى تمحوالحروب لا تكون قد قامت بما يجب عليهاالقيام به . والذى يجب أن نتساءل عنه ماذا نحن فاعلون اذا أفضى التحرّش والتمسك الى اشتعال الحرب . إن ماتم فى (مؤتمر الهاى) كان دليل الارادة الصادقة فى صيانة السلم »

ثم انتقل الى الكلام عن نزع السلاح فقال « إنا قد خطونا فى هذا السبيل خطوة واسعة ولاأظننا نتوصل الى الاتفاق والوئام بتحرير الرسائل التلغرافية بل الواجب أن ننظر الى المسائل وجها لوجه لنجد مخرجا لنا من كل مأزق ، واذا أردنا نزع السلاح فلانكتفى من ذلك بالنظر الى المسائل الفنية بل يجب أن نحل جميع المسائل السياسية بحسن الارادة المتبادلة بين جميع الدول . والواجب فوق ماتقدّم أن نلقن الشبيبة كره الحرب وفظائعه وانى لأتجه بنوع خاص الى النساء فأقول للأرامل دافعن عن منازلكنّ وأسركنّ ، والواجب على النساء عامة أن يروين ميدان السلام بدموعهنّ لاميدان القتال ، علمن أبناءكنّ حب السلام ، وعلمن أبناءكنّ احـترام الأمم الأخرى غير أمّتكنّ ، ذلك هوالواجب الذى يؤدّى فى تعليم الناشئة »

وذكر الخطيب (مؤتمرلاهاى) فقال « إنا كنا جميعانضع فكرة المصالحة فوق المسائل المالية » ثم تكلم عن الاتحاد الاقتصادى الأدبى فقال « إن هذه المسألة السياسية لاتتم إلا تحت رعاية جمعية الأمم حتى يكون بين جميع الأمم والشعوب الأوروبية صـلات وروابط تسهل اتخاذ القرارات الحاسمة بالاجماع إزاء الحوادث الخطيرة على أن هذه الروابط لاتمس بسيادة أمة من الأمم ، وانى أطلب من زملائى أن يعرضوا هذه المسألة على حكوماتهم حتى يصل الجميع الى حلها فى الجمعية القادمة »

ثم ذكر حادثة الباخرة (لوتس) في الاستانة فقال « إن فرنسا لم تجد على نفسها غضاضة في عرض هذه المسألة على محكمة (لاهاى) فعلى الأمم أن تقيم لأنفسها قضاة لتتفادى عن معارك القتال . وعلى الأمم أن توجه أنظارها الى حل كل مسألة حلا سلميا »

وختم كلامه بقوله « إننا يوم نعلم النشئة حب السلام نوحد بين الأمم ولا نبقى وجها لتفريق والانقسام وفى ذلك اليوم تسود المحبة ويسود الأمان بين الأمم جميعا » وبعد هذا الخطاب وقف جميع من فى القاعة يهتفون للمسيو (بريان) ويحيونه

وقد خطب (المستر مكدونالد) اليوم فى مأدبة الغداء التى أدبها الصحفيون لأعضاء مجلس جمعية الأمم فأشار الى المفاوضات بشأن نزع السلاح البحرى بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة فقال « لاريب أن هناك مصاعب فى سبيلنا وأمامنا مسائل من أشد المسائل تعقيدا يجب أن نحلها ولكن مشيئة الشعوب هى القادرة على كل شئ وهى التى يجب أن تقول الكلمة الأخيرة . وعلى كل حال فان مسألة السلم الخطيرة ينظر فيها رجال من رجال السياسة المخلصين »

و بعد أن أتم ماتقدم أخذ يقول « يابنى هذه هى آراء أهل الأرض المساكين فهاهم أولاء عاشوا آلاف السنين ومئات الآلاف وهم يرون الحرب عدلا وهاهم الآن يقولون « إن الحرب ليست عدلا » فالحياة لا تتوقف على الحرب . إذن أمر العدل عند بنى آدم أمر مشكل لاتزال العقول فى أشد الحرج فى حله والعقل الانسانى لابد أنه سيجد كل الجد فى هذه القضية العظيمة عقدة العقد مشكلة المشاكل . إذن العدل عند الناس دخل فيه الحرب والسلم على حد سواء . فالقتل عدل وابقاء الأرواح عدل عند أهل الأرض . هكذا الجراحات والآلام فى الحروب عدل فى موطن وسلامة الأعضاء وعدم الجروح عدل فى موطن آخر إذن العقول الانسانية قضت أن الحياة يعوزها آلام تنتابها إذ لولا الحروب لم تحفظ الدول ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان رحمة الأمم ببقاء حياتها قد تتوقف على موت أوجرح آلاف منها فأصبحت الآلام إذن من شروط الرحمة ، إذن الرحمة قد تتناول الآلام فنقول إن ألم الصناع والعمال من حبس الجند لهم عند العقاب وأخذ الضرائب منهم لأجل الجباية وكظم غيظ العاقل وضبط نفسه عند احتدام الغيظ . فكل هذه آلام وجبت فى السياسة تارة وفى علم الأخلاق تارة أخرى وهذه كلها آلام . ثم قال فاذا كان هذا كله معروفا عند الناس مع قلة علمهم وقصور ادراكهم لأن عقولهم لاتصل إلا الى مرافقها المناسب للكوكب الذى تعيش عليه فما بالك بالعدل العام والرحمة العامة . فقال الفتى إذن أنت تقول إن الله جعل نفس الآلام رحمة مستدلا بأن الناس مع قصر عقولهم بالنسبة للعوالم الأخرى استحسنوا فى مواطن كثيرة العذاب والآلام ، فهى إذن جزء من الرحمة . فقال الاستاذ نعم فقال أريد أن تشرح لى هذا المقام شرحا مستفيضا لأجل أن أجمع بين قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) و بين آلام بنى آدم والحيوان بحيث تستنير بصيرتى ولا يكفينى أن أقيس رحمة الله على رحمة أهل الأرض . فقال الاستاذ اعلم يابنى أن هذه الأرواح التى خلقت فى هذه الأجسام شريفة فى أنفسها عزيزة وقد أنزلت الى هذه الأجسام لتستوفيها وتقوى وهذه الأجسام من الهيولى والهيولى ناقصة ليست كعالم الأنوار والأرواح فكان لزاما لهذه الأرواح أن تقاسى تلك الآلام . فقال الفتى ولماذا لم تبق تلك الأرواح فى برازخها لتستبعد عن تلك الشرور ؟ فقال له لولم تنزل فى هذه الاجسام ولم تقاس تلك المشاق لبقيت جاهلة فالآلام هنا لترقيها فهذه دروس ترقى الأرواح . فقال الفتى فاذكر لى هذه الآلام التى تعترى أنواع الحيوان . فقال هى ﴿ ثلاثة أنواع * الأول ﴾ الجوع والعطش عند حاجة الأجساد الى المادة والغذاء ﴿ الثانى ﴾ ألم الضرب والصدم والكسر المضر بأجسادها المتلف لها كلها ﴿ الثالث ﴾ الأمراض والأسقام المفسدة لمزاج أجسادها واخلاط أبدانها

﴿ الفصل الأول فى الكلام على الآلام التى تعرض لأبدان الحيوان ﴾

قد قدّمنا أن هذه الآلام تنتابها كالجوع والعطش ونقول الآن إن هذه الأجسام الحيوانية مركبات من جسم وروح والجسم مركب من أخلاط كثيرة وتلك الأخلاط سريعة الذوبان والسيلان فلابد فى بقائها من حصولها على المادة والغذاء لذلك جعلت لنفوسها آلام عند حاجتها الى الغذاء والمادة لتكون تلك الآلام باعثة لنفوسها لتنهض بأجسامها فى طلب الغذاء . ولوأن الجوع لم يسلط عليها ولاالعطش وأخذنا بظاهر الآراء وقلنا إن الآلام ضد الرحمة وليست منها وعليه لاحاجة الى آلام الجوع وآلام العطش للزم ذلك أن لايتغذى الحيوان فيهلك فيكون عدم الألم فى هذا المقام سببا فى الهلاك وهو ضد الرحمة فثبت إذن أن الرحمة تتوقف على الألم و بزواله تنقلب قسوة واهلاكا . واذن تبقى هذه إما بلا أجساد تتكمل فيها فتبقى ناقصة واما بأجسام ناقصة مريضة الى أجل مّا ثم يعتريها الفناء . ثم اذا تناول الحيوان الغذاء فلابد له من لذة كما أنه لابد له من آلام الجوع السابقة وهذه اللذة مقصودة ليأكل مايلائمه مادامت اللذة فاذا أخذ ما يكفيه هنالك تقول له تلك اللذة أنا أغادرك وأفارقك . هنالك يترك الطعام وعدم اللذة هوالذى نسميه الشبع . فالألم أوّلا بالجوع لطلب الطعام واللذة ثانيا لتكون كالمستشار لتعاطى أنواع الطعام ثم ذهاب اللذة بالشبع وذلك لايقاف الآكل عن أكله لئلا يستضرّ بازدياد تعاطى الطعام

﴿ الفصل الثانى فى الكلام على الضرب والكسر والصدم والجرح والحرّ والبرد والأمراض والأسقام وكل مايضرّ الجسد و يفسده ﴾

ثم قال . اعلم أن هذه وضعت فى الأجسام لتحثها تلك الآلام على حفظ أجسادها . إن الاجساد فاقدة الحيلة فهى والحجر والمدرسواء عاجزة عن جلب المنافع ودفع المضار . فاذا رأينا الحجر والمدر رابضة فى أماكنها ساكنة خاضعة لما يعتريها من الكسر والتفتيت وحوادث الايام والليالى فاننا نرى هذه الاجسام الحيوانية تستيقظ من حال الغفلة وتحسّ وتشعر بما يضرّ بأجسادها وتتوقاه تارة بالفرار والانقباض وأخرى بالمجاهدة أوالحيلة ولولم تفعل ذلك لهلكت الأجساد فى أقرب زمان وانما فعلت ذلك النفوس لأجسادها وحافظت عليها لما ركز فيها من حب البقاء والوجود على أتم ما يكون لأن هذا هوالخير ومن كراهية الفناء الذى يترتب على هذا النقص والفناء شرّ . ومعلوم أنه لاعدم للأجسام ولا للنفوس مادام هذا العالم موجودا ، فثبت إذن أن الحكمة قضت أن الألم مخلوق فى الحيوان لقصد وحكمة ــ وربك يخلق مايشاء ويختار * ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ــ

ومن لطف الحكمة العجيبة ماتقدّم فى (سورة المؤمنين) من رسم يد الانسان وأن لها (١٢) طبقة فى كل ناحية (٦) طبقات ، فالطبقة التى تلامس الهواء من الجانبين هى الجلد وهذا الجلد لا إحساس له وقد كثر أعداؤه من الخارج ، فالنار تحرقه والسكين تقطعه والحرّ والبرد يهلكانه ، هناك قيضت له طبقة تليه من الجانبين تحته وهذه الطبقة عبارة عن شبكة من الأعصاب فهؤلاء هم الجواسيس والعيون والبرد فتى لامست نار الجلد أوكسر أوضرب تسلمت ذلك الاحساس تلك الأعصاب ووصلتها الى المخ فأمر فى أسرع من لمح البصر أعضاء الحركة بالمسارعة الى دفع هذا الأذى

فلما سمع الفتى ذلك من أستاذه قال هذه علوم عجيبة وآيات غريبة ، عجبت كيف أصبح الاحساس بالضرب والكسر والمرض والجوع والعطش سواء فى انها رحمة كلها

واذا ثبت هذا ثبوتا يقينيا فاننا نصبح سعداء سعادة لاحدّ لها وأىّ سعادة لحى أكبر وأجلّ وأعظم من سعادة امرئ أيقن بأن حياته فى يد رحيم أعطاه الخيرات وجعل الشرور مكملات لها ولولاها لم يكن للخير بقاء ، ولكنى أريد أن أسألك عما دار بيننا فى أمر أهل الغرب وأهل الشرق ، إنك ياسيدى حكمت على

أهل أوروبا بأنهم ظلموا المسلمين باحتلال ديارهم فى شمال افريقيا وادخال اليهود بلادهم فى فلسطين وأنا أجبتك بأن المسلمين أهملوا فاذا أفهمتنى ذلك كنت أنا من الموقنين حقا ، فقال له يابنى احتلال البلاد المختل نظامها عدل على شرط أن تقوّم عقول أهل البلاد كما تقوّم أرضها ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ يجب أن يرقوا أهل البلاد ليكونوا اخوانهم و يصلحونهم و يصلحون أرضهم وهؤلاء قوم مخطؤن لأنهم يجعلون الانسان أشبه بالحيوان المسخر ، فقال الفتى لقد حكمت أن الضرب والكسر والجرح والمرض أمور اقتضتها صفات هذا العالم الذى نحن فيه والاحساس بها عدل من الله ولولا هذا الاحساس لهلكت ، فقال إن المقام ﴿ ذو وجهين * الوجه الأوّل ﴾ فعل الله وهذا عدل فانه اذا ساق أمة قوية لتحتل البلاد الضعيفة فمعناه انه فعل فيهم ما فعله بالحيوان من جوع وعطش وكسر وضرب فهؤلاء يجب عليهم أن يستيقظوا بهذا والله عزّ وجل اذا لم يرسل لهم تلك الأمم نزلوا الى الحضيض فهذا كالكسر والجرح والجوع ، فهذا الايلام باذلال الأمم لهم يراد به جمع كلمتهم ﴿ الوجه الثانى ﴾ معاملة هذه الأمم لمن دخلوا بلادهم ، فهذه الأمم الأرضية أكثرها ظالمة فظالمها لأنها ظنت أن هذه غنيمة لهم . إذن الله عدل فى ارسال الأمم الضعيفة والأمم القوية ظالمة لأنهم ممن قال الله فيهم ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ

قال الفتى فهمت ، وما أحسن العلم ، وقد بقى لى سؤال واحد وهو هل الفرنجة الذين احتلوا بلاد الشام وشمال افريقيا وغيرها من بلاد الاسلام يطول أمدهم ، فقال كلا ثم كلا . إن الله عزّ وجل قد أيقظ المسلمين وهذا الايقاظ سيظهر أثره قريبا ، فقال الفتى لقد تبين لى الآن أن من الناس من سعدوا سعادة دائمة بسبب هذا الايقان ، واذا انتابتهم نوائب غشت على عقولهم زمنا مّا فانهم يتذكرون هذه السعادة الدائمة التى لاتفارقهم أمد الحياة بل هم فى حياتهم الدنيا كأنهم فى جنة عرضها السموات والأرض ، فقال الاستاذ الحمد لله رب العالمين لقد فهمت يابنى بسم الله الرحمن الرحيم لم كررت فى أوّل كل سورة من القرآن والحمد لله رب العالمين

وما كاد التلميذ يقبل يد أستاذه النورية حتى استيقظت وكتبت مارأيت . انتهى صباح يوم الأحد (٨) شهر سبتمبر سنة ١٨٢٩ وبهذا تم الكلام على القسم الأوّل

﴿ القسم الثانى فى تفسير ـ الم ـ ﴾

لقد تقدّم فى سور كثيرة مبدوءة بهذه الحروف ذكر بعض الأسرار التى أبرزها الله فى هذا التفسير لأمم الاسلام تلك الأمم التى حملت أمانة كتابنا المقدّس وحفظته حفظا حتى وصلت بها الينا سالمة فرعى الله هذه الأمم هؤلاء الذين قاموا بحفظ الأمانة وأكثرهم كانوا فى العصور المتأخرة فى ضنك مشين

وصلت الينا الأمانة فقرأنا القرآن فسمعنا الله يقول فى أوّل البقرة ـ الم ـ فلم يفتح على كاتب هذا بشئ فى ذلك وما كان ليخيل لى أنى أكتب حرفا واحدا فى أسرار هذه الحروف لأن هناك اتفاقا بل اجماعا عاما أنه لايعرف هذه الأسرار إلا أناس مختصون وهؤلاء اذا ذكروها للناس فالناس لايعقلون مايقولون لعلوّها على الأذهان ، وما كاد تفسير (البقرة) ينتشر بين الأمم الاسلامية حتى رأيت اقبالا عظيما فانشرح صدرى وأيقنت أن الله عزّ وجل يريد بالأمم الاسلامية مقاما أعلى ومكانا أسمى فأخذت أجمع ماذكره العلماء فى سر الحروف ونظمته فى ﴿ ثلاثة أسماط ﴾

(١) الأوّل ماقاله الصحابة كابن عباس رضى الله عنهما وذلك راجع الى العبادة بأن يجعل هذه الحروف مذكرات بأسماء الله تعالى ونحو ذلك ، فإذن هذا الرأى وجه هذه الحروف الى وجهة الذكر فهو راجع الى العبادة

(٢) وجاء قوم بعدهم فقالوا ﴿ إن هذه الحروف من حيث صفاتها وأحوالها قد ظهر للعلماء انها ذات أمر عجيب ، ذلك انها هى نصف الحروف الهجائية ، ولقد وجدنا انها قد اشتملت على أنصاف الصفات والأحوال

وهذا عجب ، فاذا رأينا أن الحروف منها مجهورة ومهموسة مثلا فاننا نجد نصف المهموسة فى هـذه الحروف تماما وهكذا بقية الصفات ، ألاترى أن المجهورة فى الحروف كلها (١٨) وقد وجدنا نصفها وهو (٩) فى هذه الحروف ، ومعلوم أن الحروف كلها (٢٨) وهذه الحروف التى فى أوائل السور (١٤) إذن هذه الأربعة عشر قد أخذت قسطها تماما من الحروف المجهورة والحروف الشديدة ثمانية منها (٤) فى فواتح السور وهكذا الرخوة والمطبقة

و بالجملة فهذه الحروف فى أوائل السور وجدنا انها أخذت النصف من كل قسم من أقسام صفات الحروف وهذا أمر فوق طاقة البشر، فكيف يكون هذا التنصيف فى أحوال كثيرة لولم تكن هناك عناية خاصة فهذا يعد معجزة فوق ما يتصوره العقلاء

(٣) وهناك قوم ارتقوا عن هؤلاء فقالوا إن هذه الحروف فيها أسرار فوق ماتقدم فاننا نرى أن مفاصل اليدين فيهما (٢٨) مفصلا وكل يد فيها (١٤) مفصلا وهكذا أخذوا يذكرون تشريح الحيوان و يطبقون عليه مثل فقرات الظهر ونحوها ، وهكذا ذكروا أن لغة العرب فيها (٢٨) حرفا منها (١٤) تدغم فى اللام و(١٤) لاتدغم وهى المسماة (الحروف القمرية والشمسية) وهى معروفة عند القراء وهكذا منازل القمر (٢٨) منها (١٤) فوق الأفق و (١٤) تحت الأفق الى آخر ماسبق لك هنالك

هذا نموذج (الأنواع الثلاثة) من الآراء التى تقدمت فى أول (سورة آل عمران) وهناك أقوام ذكروا حساب الجمل وأخذوا يستنتجون أمورا لاسبيل لذكرها الآن

فلما كتبت هذا فى أول (سورة آل عمران) فاجأنى فكر لم يسعنى كتمانه فكتبته فان الم ذكرت فى أول ـ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ـ الخ ومعلوم أن هذه الآيات جاءت لمسألة اليهود فهم اتكلوا على شفاعة آبائهم وعلى أن الله لايعذب أبناء يعقوب إلاتحلة القسم وعلى انهم لن تمسهم النار إلا أربعين يوما وعلى أن آباءهم يشفعون لهم فأوعدهم الله عز وجل وسجل عليهم الخزى والعار والبوار وقال فيهم ـ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ـ ثم انتزع الملك منهم وأسلمه الى الأمم الاسلامية فكأن ـ الم ـ فى أول السورة مذكرة لنا الآن نحن المسلمين بألا نتكل إلا على الله ونجد نحن بأنفسنا فى العلم والعمل والرقى والا وقعنا فيما وقع فيه اليهود إذ ظنوا أن هذه الأمانى تنفعهم بلاعمل وهم نائمون ، ومعنى هذا كله أن (الم) جاءت فى أول السورة مذكرة بأمر اليهود وذهاب مجدهم المسبب عن التوانى والكسل وعدم العمل ، فالمسلمون اذا بقوا على ماهم عليه من الجهالة فليعلموا أن الله لا يبالى بالقوم الجاهلين النائمين . هذا ملخص ماتقدم هناك فاقرأه فانه أوضح وأبين . ولما فكرت فى (سورة البقرة) وجدت انها كلها جهاد لأن أولها محاجة مع اليهود وتقريع لهم وتو بيخ وفيها الصلاة والصيام والحج وتحريم الخمر والميسر وأحكام الزواج والطلاق وهكذا . فهذه السورة فيها أهم علوم الفقه الاسلامى وفيها آية ـ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ـ وآية ـ ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ـ الخ

ولاجرم أن الجهاد إما ببذل النفس ، واما ببذل المال ، واما بالعلم ، واما بالعبادات وهكذا ، فالمذكور فى حيز (الم) جهاد الأعداء والجهاد بالعلم ، فانظر هناك تجد مسألة العزير وحماره وكيف يقول الله له ـ وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير ـ

فلما رأيت ذلك هالنى الأمر وعجبت وقلت لقد تبين لى أن هذه الفواتح أشبه بالمفاتيح فاذا أدير المفتاح فى القفل فتح الباب بدليل اننا نجد الآيات التى فى حيز (الم) هى التى نام عنها المسلمون فى القرون المتأخرة وكل هذه الآراء لم أكن لأفكر فيها ولا لأجد أولأبحث لأنها أمور ميؤس منها كما قدمت ولكنها كانت تنقدح فى

نفسى

نفسي ولاتفارقها بلاعناية مني ولاسابقية طلب ، ووجدت هذه المفاتيح تشير الى العلوم التي نام عنها المسلمون ، فالمسلمون اليوم يعوزهم الجد في معرفة التشريح وغيره كما في قصة العزير وابراهيم فاقرأه هناك و يعوزهم أن يتركوا الاتكال على الشيوخ وعلى أنهم مسلمون ثم ينامون وذلك في (سورة آل عمران) ثم فتح الله بأكثر فواتح السور بعد ذلك فاقرأه في أول (هود) و (يونس) و (الرعد) و (ابراهيم) و (الحجر) ولم يكن لي عند طبع (سورة مريم) علم بما تشير اليه حروف — كهيعص — وكان الفتوح بها في سورة أخرى فكتبتها فيها ثم ترى الطاء والهاء في (طه) ومانشيران اليه من العلوم التي تحتاج اليها هذه الأمة المسكينة وهكذا (طسم) و (طس) فارجع اليها في (الشعراء) و (النمل) و (القصص) فهناك ترى مثلا الطاء والسين في النمل تشيران الى الطائر وسليمان وهناك ترى الطيور وأشكالها وعجائبها ومامناسبتها لهذا المقام ثم تقرأ (الم) في سورة العنكبوت فتراها تحرّض على معرفة كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ، فنظرنا في بدء الخلق فرأيناه مدهشا لأنا وجدنا العناصر بينها نسب عجيبة في الجدول المرسوم فيما تقدم في السورة وقد كشفه (منداليف) الروسي ولقد وضح هناك قريبا غاية الايضاح فوقفنا على سر تقطع دونه الأعناق ، وهانحن الآن في (سورة الروم) فوجدناها مبدوءة بنفس (الم) فياللعجب (الم) و (الر) كرركل منهما في سور وعند البحث وجدنا المعاني تختلف باختلاف السور ، فكل سورة فيها معان غير المعاني التي في السورة الأخرى حتى إن الطاء والسين في الشعراء وفي النمل وفي القصص تختلف اشاراتها باختلاف السور فاقرأها هناك ، وههنا نجد آية — أولم يتفكروا في أنفسهم — الخ وآية — أولم يسيروا في الأرض — وآية — أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر —

فحروف (الم) تذكرنا بأن نبحث في حقائق المخلوقات وأسبابها ونتائجها ونظامها كالمبحث المذكور في تفسير البسملة آنفا فانك تجد ألم الضرب وألم الجوع وألم المرض لم تخلق لاذلالنا بل خلقت لمنفعتنا ورحمتنا لأن الله خلق السموات والأرض بالحق ولوكان خلق هذه العوالم لمجرد إيلام المخلوقات ولم تكن هذه الآلام موصلة الى سعادات المتألمين لكان هذا العالم مخلوقا بالباطل لا بالحق لأن خلق الحيوان لقصد الإيلام لاتتوجه اليه العناية . ومن عجب أن يكون تفسير البسملة هنا قد كفانا مؤنة شرحه مرة أخرى وذكرنا أيضا بالتفكر في أحوال الانسان من فقر وغنى فهي دالة على حكمة الحكيم . ومقصود هذا أن يكون للناس في أحوال أنفسهم عبرة كما لهم عبرة فيما حولهم ، وستقرأ في (سورة لقمان) آية — ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة — وآية — ألم تر أن الله يولج — الخ وآية — ألم تر أن الفلك تجري في البحر — واشارة (الم) ترجع الى التفكر في النعم من حيث وصولها الينا وكثرتها وتخصيص طائفة منها بالذكر وهي الشمس والقمر والليل والنهار وتعاقبهما ونظيرها الفلك في البحر ، فهذه نعم عامة ذكرنا الله بها لندرسها وننتفع بها نفعا جسميا وعقليا لقوله في أول السورة — وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة — ولاجرم أن هذه هي العلوم المفقودة في بلاد الاسلام وهاهي ذه اليوم تحيا حياة جديدة في نفس الزمان الذي ظهرت فيه معاني هذه الفواتح بل المفاتيح كما قدمنا سابقا . وأما (الم) في أول (سورة السجدة) فقد أشارت الى ﴿ علمين ﴾ علم التاريخ القديم ودراسة الأمم التي ملك أرضها المسلمون فانا نجد أهل مصر والشام والعراق واليمن ونجد وشمال افريقيا وأهل السودان المسلمين ، كل هؤلاء يجهلون الأمم التي سكنوا بلادها ، فانا في هذه الأيام لانعرف علوم قدماء المصريين إلا بتعليم الاوروبيين ومعلوم أن (شامبليون) العالم الفرنسي هو الذي كشف حروف لغة قدماء المصريين إذن أهل مصر بلادي لم يعرفوا تاريخ قدماء المصريين إلا من أهل أوروبا معرفة ضئيلة ولكن الله يقول — أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم — فنحن نمشي في مساكن الفراعنة ونجهل علومهم إلا النزر اليسير وهكذا أهل اليمن لاعلم لهم بعلوم سبأ والتبابعة والأمم التي سكنت تلك البلاد وهكذا أهل الشام وأهل نجد وغيرهم ، فكل هذه الأمم واجب عليها وجوبا كفائيا أن يدرسوا تاريخ الأمم التي كانت في

بلادها لتنتفع بما جرّبت تلك الأمم ولتحترس مما وقع لها والافلماذا يعيش الناس على الأرض ، إن الجهل أكبر العار ـ قل هـل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ فهذه الاشارة فى (سورة السجدة) جاءت لأجل قوله تعالى ـ أولم يهد لهم ـ الخ وهناك اشارة أخرى وهى الاعتبار بسوق الماء الى الأرض الجرز وهـذا الاعتبار لايتم الانتفاع به إلا بدراسة علم النبات وسائر علوم الطبيعة ومنها الماء وهكذا علم الكيمياء العضوية لأنها تبحث عن العناصر التى دخلت فى تركيب الاحياء النباتية والحيوانية

هذا مافتح الله به الليلة مساء (١٠) سبتمبر سنة ١٩٢٩ وأنا على شاطئ النيل بجوار مصر القديمة والحمد لله ربّ العالمين

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

لما اطلع على هذا أخى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير قال هذه الفواتح فى هذا التفسير قد ظهر بعض عجائبها ولقد جاء اليوم ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولكن ماوقعت عينى على صفحة من صفحات هذا التفسير فى أى جزء اوسورة إلا وجدت الكلام فى العلوم والمعارف وحث المسلمين عليها ، فهذا نوع من التكرار حتى ان بعض الناس قال لى إن هذا الكتاب كله ماهو إلا تكرار . فقلت حياك الله إن هذا الاعتراض جعلته أنت سلما لفهم الجهال فأما أنت فلا . قال هـذا مقصدى . فقلت إن الناس على قسمين جهال وعلماء فأما الجهال فانهـم لايجدون لهذه الاقوال لذة ولاطعما بل يأنفون أن يقرؤها وذلك لأنها ليست من طباعهم ولاتوافق أذواقهم ، فاذا قرؤا موضوعا ثم اطلعوا على نظائره فى الكتاب قالوا إن الكتاب مكرّر

(١) ولوكان الامر كما زعموا لكان النخل والعنب والرمان والتين والبرتقال والتفاح والمشمش والبرقوق وأمثالها مخلوقة عبثا وهكذا القمح والذرة والعدس والفول . وبالجملة ان الفواكه والحبوب والخضر أنواع كثيرة وكل نوع يستغنى به قوم عن البقية ، فإذن البقية مكرّرة لاقيمة لها

(٢) ولوكان الامر كما زعموا لكان القرآن كله مكررا فاننا نجد فيه (٧٥٠) آية كلها فى الكلام على خلق العوالم العلوية والسفلية ، فيقول الله تعالى فى (سورة البقرة) ـ إن فى خلق السموات والأرض ـ الخ وفى سورة (آل عمران) كذلك مع تنويع فى التعبير وهذه القصص القرآنية مكرر كثير منها فلوكان الأمر كما قالوا لم يسحر القرآن عقول الأمم ولم يعجزهم ولم يكن هو المعجزة الحقيقية فى العالمين

(٣) ولوكان الأمر كما زعموا لكانت جميع الأمم شرقا وغربا هازئة فى جرائدها ومجلاتها فان الأمة المصرية الآن تطلب من انكلترا استقلالا وهاهم أولاء منذ نحو (٢٠) سنة يكتبون كل يوم فى الجرائد المختلفة والمجلات التى تعدّ بالعشرات « الاحتلال . الجلاء . السودان . نحن والانجليز . المعاهدة بيننا و بين الانجليز » وهكذا ويكتب الموضوع الواحد فى عشرات الجرائد سنين وسنين والناس يقرؤن ويفهمون ولم يقل عاقل إن هذا تكرار . كلا . ثم كلا . وانما هذه فكرة يمليها الجهل ويحقرها العلم لأن البلاغة تقتضى القدرة على ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة كالاطناب تارة والايجاز أخرى والمساواة آونة ، فاقرأ قوله تعالى ـ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد ـ

فهاأنت ذا تراه تعالى ذكر قصة عاد وثمود وفرعون فى آيات قليلة و بموازنة هذا بما تقدّم فى سورة القصص تجد قصص موسى وفرعون جاء على سبيل الاطناب أما هنا فجاء على سبيل الايجاز وكلاهما جيل فالاطناب للفهم والايجاز للاعتبار والتذكرة كأنه يقول أنتم عرفتم هذه القصص فاعتبروا بها فانى فعلت بهم كذا وكذا ثم قلت . واعلم أيها الأخ أن هذه الأساليب القرآنية لايدركها إلا أولئك الذين درسوا علوم البلغاء وقرؤا

كلام العرب ومارسوا النظم والنثر

ماالناس سوى قوم عرفوا * وسواهم همج الهمج

غيره

عليّ نحت القوافى من معادنها * وما عليّ اذا لم تفهم البقر

ولاجرم أن الكلام يختصر ليحفظ و يطنب ليفهم ، ولقد قالوا إن الخطب يستعمل فيها الاطناب بحيث يكون الأسلوب مقبولا محبوبا فيشوق السامعين . وانظرالى قصص الانبياء كيف ترى كل واحدة منها لم تخل من ذكر الايمان بالله واليوم الآخر . ذلك لتصل مقاصد الدين من طرق مختلفة لترسخ فى الأذهان وكلما كانت الطرق أكثر عددا كان ثبات المعنى فى النفس أطول وأقوى وأرسخ . و يقرب من هذا الدعاية فى الأمم ونشر التجارة أوالسياسة فيها فلاشئ من هذا يتم إلا بنشره وتكراره بطرق مختلفة حتى يظهر أثره . وانظرالى ذكر خلق السموات والأرض فانه مذكور فى مواضع كثيرة جدا وله فى كل موضع مقام غيرمافى الآخر . وانظرالى فواتح السور والمعانى التى انكشف سرّها اليوم على قدر طاقتنا وما تحتمله فطرنا من المعانى . أليس ذلك أسلوبا جديدا لترقية العلوم فى الأمم الاسلامية

علم الله عزّوجل أن أمم الاسلام ستنام عن العلوم أجيالا وأجيالا وتحقرعلوم الجمال والكمال فى السماء والارض وتنبذ العلماء القائلين بها كابن رشد والغزالى أوتجلهم ولكنها لاتقرأ علومهم فألهم أمم الغرب أن يحتلوا بلادهم تارة ويحاربوهم أخرى وأظهر لهم فى هذا التفسير هذا الاسلوب العجيب أسلوب فواتح السور المشير كله أوأكثره الى علوم الكائنات وعلوم الأمم فهذا أسلوب رمزيّ والرمز له شأن ليس للتصريح بالحقيقة لأن الرمز مشوّق للمرموزله . ومتى اطلع المسلمون على هذه المعانى التى ظهرت فى هذه الفواتح لايستقرّلهم قرار ولا يصبرون على العار والجهل والذل المخيم فى بقاع الاسلام ويقولون إن الله جعل هذه الرموزالتى ظهرت لنا الآن مفتاحا لعلوم الأمم فلنفتح بها ولندخل من بابها ولندرسها ولم يبق بعد هذا للمسلمين من عذراذا جهلوا ولامن سلوة اذا كسلوا . وانى أقول انهم سيكونون خير أمّة أخرجت للناس

وهذا الرمز مألوف عند الأمم قديما كما قدّمته لك فى سورة (آل عمران) وقلت لك ماملخصه

« إن النصرانية لما انتشرت فى (مدينة الاسكندرية) كانت باللغة اليونانية وهى اللغة الرسمية والسمكة فى تلك اللغة اسمها (اكثيث) وهذه الحروف رمز لخمس كلمات يونانية يتركب منها جملة « يسوع المسيح ابن الله المخلص »

اللفظ اليونانى	الترجمة بالعربية
اكثيث	سمكة
(١) ايسوس	يسوع
(٢) (كريستوس)	مسيح
(٣) ثيو	إله
(٤) يوث	ابن
(٥) نوتير	مخلص

فكلمة (اكثيث) أى سمكة مركبة من خمسة أحرف يونانية ، فحرفها الأوّل من كلمة (ايسوس) أى يسوع ، وحرفها الثانى (كريستوس) أى المسيح ، وحرفها الثالث هوالحرف الأوّل من كلمة (ثيو) أى الله وحرفها الرابع هوالحرف الأوّل من كلمة (يوث) أى ابن ، وحرفها الخامس هوالحرف الأوّل من كلمة (نوتير) أى المخلص فكانت كلمة السمكة باليونانية تذكارا عندهم ليسوع المسيح ابن الله المخلص وكان المسيحيون يحملون

صور السمك الصغير المصنوع من الخشب العظم للتعارف فيما بينهم خوفا من الوثنيين الذين كانوا يضطهدونهم ويقتلونهم » انتهى ملخصا من كتاب (الأدب والدين عند قدماء المصريين)

اللهم إنك أنت المنعم المعلم الملهم ، اللهم إنك أنت ألهمت الأمم قبلنا أن يكون الرمز أسلوبا من أسلوب العلم ورمزت بهذه الفواتح وألهمت أمثال ابن عباس رضي الله عنهما أن يجعل هذه الحروف رموزا لأسماء الله تعالى بحيث يكون كل حرف رمزا لاسم . إذن الرمز مقبول عند الأمم قديما وحديثا . إذن ماجاء في هذا التفسير من بعض أسرار هذه الفواتح له نظائر في الأمم القديمة وأمم الاسلام . اللهم لك الحمد على نعـمة العلم وعلى نعمة التوفيق . فقال صاحبي ، ياسبحان الله * إن من البيان لسحرا * وان هـذا البيان قد سرّني وعرفت أن من يظنون هذا تكرارا فانهم قوم ليس لهم في هذه العلوم نصيب فهم إما فقهاء جامدون أونحويون وأدباء قاصرون وهذا الكتاب انما يعقله أولوا الألباب * وقيل

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يفهمه أولوا الألباب

فقلت الحمد لله الذي وفقني لتبيان هذا المقام وأقنعتك بما ذكرته فيه والحمد لله رب العالمين وبهذا تم الكلام على القسم الثاني من السورة

(القِسْمُ الثَّالِثُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ

فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

اعلم أن فارسا غزوا الروم فوافوهم باذرعات و بصرى أو بالجزيرة وهى أدنى أى أقرب أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم و بلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرنّ عليكم فنزلت ، فقال أبو بكر رضى الله عنه لايقرّنّ الله أعينكم فوالله لتظهرنّ الروم على فارس بعد بضع سنين . فقال له أبيّ بن خلف كذبت اجعل بيننا الأجل الى ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبيّ من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أحد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فى السنة السابعة من نزول الآية فأخذ (أبو بكر) الخطر من ورثة أبيّ وجاء به الى رسول الله ﷺ فقال تصدّق به ، وقد استدلّ الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأجاب غيرهم بأنه كان قبل تحريم القمار * و يقال إن سبب غلب الروم فارس إذ ذاك أن (شهرمان) وهو القائد الفارسى كان قد أثخن فى الروم قتلا واهلاكا ، و بينما أخوه (فرحان) يوما يشرب إذ قال لأصحابه رأيت كأنى على سرير كسرى فبلغ الخبر كسرى فكتب الى (شهرمان) أن يقتل أخاه فأبى وراجعه ثلاثا فعزله وجعل الأمر لأخيه (فرحان) وأمره بقتل أخيه (شهرمان) فلما قدّمه للقتل قال له اصبر وأراه كتب كسرى اليه ومراجعته إياه فتنازل عن الملك وأرجعه الى أخيه (شهرمان) وأرسل إذن (شهرمان) الى ملك الروم فتقابلا سرا وحاربا معا كسرى فغلبت الروم فى تلك البلاد وانكسرت فارس ، ثم إن الروم كانت تملك ريف الشام فغزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم فى السنة التاسعة من نزول الآية

﴿ ملخص هذا التاريخ ﴾

إن الروم غلبتها فارس فى أقرب الأرض اليها ثم غلبتها الروم بعد ذلك بعد سبع سنين وأن الروم المالكة لتلك البلاد قد غلبها المسلمون بعد نزول الآية بتسع سنين ، ولاجرم أن الأمرين معجزة ولاينافى أحدهما الآخر

فان الروم غلبوا الفرس وغلبهم المسلمون ولذلك قرئت الآية بوجهين

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) سيأتى أن ـ الم ـ تشير الى التحقق من علم الحكمة وذلك لأن قوله تعالى ـ واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ـ فيها هذه الحروف مفرّقة تارة ومجتمعة أخرى ، انظر فيما سيأتى وفيما سبق آنفا (غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين) فعلى الأوّل يقرأ الفعل الأوّل بالبناء للمجهول والثانى للمعلوم وعلى الثانى بالعكس ولامنافاة بين القراءتين والقرآن أنزل على سبعة أحرف ، فهنا حرفان كل منهما لمعنى لاينافى الآخر ، ثم إن فى ذكر الروم وعدم التعرّض لفارس حكمة بالغة وهى ان دولة الروم لاتزال قائمة للآن تناوئ الاسلام فسمى الله هذه السورة باسمها ليكون تذكرة للمسلمين بأنهم لايزالون يقاتلونكم ويذكرهم بأعمالهم ، وهاهم أولاء الآن رجعوا الى الشام كرة أخرى والى العراق التى هى أقرب الأرض الى فارس وعسى الله أن يخرجهم منها كما أخرجهم سابقا ، هذا ماتشير له الآية (لله الأمر من قبل ومن بعد) من قبل غلب دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره أومن قبل أن يغلب المسلمون الروم ومن بعد أن يغلبوهم بأخذ بعض مدائنهم لأن الله عزّوجل يداول الأيام بين الناس (ويومئذ) أى ويوم تغلب الروم الفرس أو يوم يغلب المسلمون الروم (يفرح المؤمنون * بنصر الله) من له كتاب على من لاكتاب له أو بنصر المسلمين على أهل الكتاب من الروم ، ومن النصر ظهور المعجزة النبوية بتحقيق هذا الخبر وزيادة اليقين (ينصر من يشاء) نصره على مقتضى الحكمة والنواميس التى سنها الله فى نظام الخليقة (وهو العزيز) ينتقم ممن يستحقون الانتقام بالنصر عليهم (الرحيم) بالمؤمنين رحمة خاصة وان كانت رحمته تعم كل مخلوق (وعد الله) أى وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس أو بظهور المسلمين على الروم (لايخلف الله وعده ولكنّ أكثر الناس لايعلمون) أن الله لايخلف وعده وانما كان الناس لايعلمون أن الله لايخلف الميعاد لأن ذلك من الامور التى تحتاج الى دقة نظر وبحث وعلم وهذه بواطن الحياة الدنيا . إن الحياة الدنيا لها ظاهر كما يرى الناس من أن دولة تغلب دولة فينتصر الفارسى تارة والرومى أخرى والمسلمون آونة وأن يأكل الناس ويلبسوا وما أشبه ذلك من الامور الجزئية ، أما القواعد العامّة التى يسير عليها نظام العالم فان الناس لايعرفونه لأن حواسهم لاتدرك أمثال ذلك وانما تدركه العقول والبصائر ، ومن القواعد العامّة أن الله لايخلف وعده ومنها انه مامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها وهكذا ، أما القاعدة الأولى فهى ظاهرة جلية واضحة فى أن النبات والحيوان كل منهما يخرج منه شئ اذا وضع وضعا مخصوصا خلق منه نظيره لايخطئ البتة فالورد والنخل والحنظل يخرج منها حب ونوى متى وضعت فى الأرض خرج نظير أصلها ولم يحصل خطأ فى ذلك البتة ولو اختلّ هذا النظام لكان العالم الذى نحن فيه لاتطاق سكناه ، وأما القاعدة الثانية فهى داخلة فى الأولى لأنه لما خلق الحيوان فى الأرض كان له رزق والافلا معنى للخلق ، فيجد الحيوان عند ظهوره فى الأرض وخروجه من بيضته أومن الرحم لبنا معدّا لغذائه أو أغذية مناسبة له ثم يترقى بالتدريج فى هذه الدنيا حالا بعد حال ولم يخلف الله وعده مع حيوانه ، فكما سلط عليه الجوع والعطش خلق له الطعام والماء ، واذا لم يكن فى الارض ماء فى نهر أو بركة خلق له نباتا يقوم مقامهما معا كما جاء فى إحدى جرائدنا المصرية بتاريخ (٥) مارس سنة ١٩٢٥ م الموافق (١٠) شعبان سنة ١٣٤٣ هـ تحت العنوان التالى

﴿ بقر لايشرب ﴾

فى جزر (هاواى) قطعان عظيمة من البقر والثيران يصدر جانب كبير منها الى الخارج أو يرسل لحمها مثلجا الى البلدان التى تستورد اللحم ، غير أن هذه المواشى لم تعتد شرب الماء لعدم وجود أنهر أو برك فى تلك الجزر

فهى

فهي تعيش على ماتأكل من الـكلأ الأخضر وتعتاض عن الماء بأكل نبات الصبير وهوكثيرالسائلات شديد الرطوبة اهـ

هذه البهائم لما خلقت فى تلك الجزيرة التى لا ماء فيها كان نفس خلقها على هذا النمط وعدا من الله لها بأنه يغذيها و يسقيها ، ولما لم يخلق لها أنهرا هناك خلق لها شجر الصبير وشجر الصبير يعيش على الندى وهو موجود فى بلادنا المصرية ولـكن أكثر الناس يجهلون أنه هو الذى يستخرج منه الصـبر المشهور فى علم الطب وهو مهمل عندنا يزرعونه على المقابر ويكتفى فى أكثر حياته بالندى والهواء ، ولـكن فى تلك الجزيرة جعـله الله قائما مقام الأنهار والبرك وأرشد البقر اليه ليتم وعده الذى وعده لأن غريزة الحيوان تطلب حياة والحياة تطلب قوتا وماء فأتم الوعد بذلك للبقر المذكور ، ولعلك تقول ان كل امرئ منا يودّ أن يبقى الى الأبد واذا كان الله وفى وعده لبقر تلك الجزيرة فلماذا لم يوفّ وعده لذلك البقر ولنا أن نعيش الى الأبد وأن تـكون حياتنا دائمة ؟ وهلا جعلها دائمة ؟ أقول . هذا هو قوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) لأن الآخرة هى باطن الحياة الدنيا فالناس يعرفون مالديهم من أمور الحياة الدنيا أما ان نفوسهم لها بقاء بعد الموت وانهم هناك لايموتون فهذا غائب عنهم مع انه باطن الحياة الدنيا ، فهذه الحياة لولم تـكن وراءها حياة أخرى لم تـكن لها فائدة بل عدمها خير من وجودها وترى الناس عاكفين عليها وهم لايحسون بالأخرى لأنها لاتقع تحت حواسهم ولذلك وبخهم فقال (أولم يتفـكروا فى أنفسهم) أى أولم يتفـكروا فى أمر أنفسهم فليعلموا (ماخلق الله السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق وأجل مسمى) تنتهى عنده ولاتبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لـكافرون) لأنهم لم يتفـكروا فى أنفسهم ولو تفـكروا فيها ودرسوا عجائبها لأدركوا انها غير الجسم وأن هذا الجسم سيزول وانها باقية وهكذا السموات والأرض وجميع الأجسام انما هى ظواهر تزول ويبقى باطنها وسرها وهى العوالم المدبرة لها كما تدبر أجسامنا بأرواحنا ، فـكفر الناس بلقاء ربهم ناشئ من جهلهم أنفسهم ، فاذا علموا أنفسهم وحقائقها أيقنوا بلقائه تعالى والعلم إما بطريق تصفية النفس واما بطريق الفلسفة واما بطريق تحضير الأرواح ، وقد مرّ فى هذا التفسير كثير من ذلك ومنه الذى ذكر فى سورة البقرة عند ذكر حمار العزير وطير الخليل ، ولـكن لابد أن أريك صورة من نفوسنا فيما يلى

﴿ لطيفة فى قوله تعالى ــ أولم يتفـكروا فى أنفسهم ــ ﴾

لقد مضى ذكر تحضير الأرواح فى سورة البقرة كما قدّمنا وقد قلت لك هناك ان هذا العلم فيه الحق والباطل والصدق والـكذب وقلت ان المسلمين مقصرون لأنهم أولى بهذا العلم ، فلأدع هـذا ولأذكر ماجاء فى جرائدنا المصرية من علم الأرواح لتعجب من الحـكمة والعلم وكيف تظهر الحقائق اليوم وتأتى الأرواح وتـكلم الناس وهذا ماجاء فى جريدة السياسة يوم الأحد ٦ ربيع الأوّل سنة ١٣٤٣ هـ و١٥ اكتوبر سنة ١٩٢٤ م تحت العنوان التالى

(علم الأرواح)

(مقدمة)

لايخفى على الانسان انه مكوّن من ﴿ عنصرين ﴾ الجسد والروح ، والأوّل فان والثانى باق ، وقد اهتمّ العلماء بالروح وجدّوا لـكشف أسرارها واجتهدوا لمناجاتها فى عالمها الثانى فلاقوا معاناة كثيرة فى ذلك ومنهم من نجح ومنهم من أخفق ، ولـكنهم توصلوا أخيرا الى غرضهم ، وانى لمورد شيأ عن الأرواح وعلمهاوا كتشافها

(تاريخها)

أوّل من اكتشف سرّ الارواح هو الدكتور (هايسلوب) وقدقال فى كتابه مايأتى ﴿ انه فى سنة ١٨٤٨

كان يعيش فى مدينة روكستر فى انجلترا رجل يسمى الدكتورفوكس وكان له ستة أولاد أكبرهم ابنتان تسمى إحداهما (كيت) والثانية (مارجريت) وفى صيف ذلك العام خرج هو وزوجه وأطفاله وترك فى المنزل البنتين المذكورتين ، ففى الساعة الثامنة مساء سمع هاتان البنتان صوت أوان تتكسر وأمتعة تنقلب فاستولى عليهما الذعر وأخذت الكبرى مسدس والدها من تحت وسادة فراشه وأخذت فى البحث عن مصدر هذا الصوت المزعج فرأت فى الدور الأعلى أوانى المطبخ مكسرة وكذلك بعض الكراسى ، ولكن أدهش الأختين أنهما وجدا بعض الأثاث ناقصا وفى الصباح وجدوه فى الدور الأعلى ، ولما كان مساء الغد زاد الصوت وتهشم بعض زجاج المنزل فاضطرت هذه العائلة الى مغادرة مسكنهم ، و بعد بضعة أيام سمع (السيرفوكس) أن هذا المنزل كان مقرا لعصبة لصوص وكثيرا ما قتل فيه رجال ونساء ولكنه لم يدرك السر فى حدوث هذه الأصوات ﴾

(عملية تحضيرها)

من أكبر علماء هذا العلم (السيرأوليفرلودج) الذى اخترع الطريقة التى بها تحضر أرواح الأموات ﴿ بينما كان جالسا فى (اسكوتلنده) مع صديقين له حول مائدة خشبية وكان يتكلم فى علم الأرواح ارتفعت إحدى أرجل المائدة فجأة فلم يهتموا بالأمر ثم أخذت ترتفع وتعود الى مكانها محدثة صوتا كصوت آلة التلغراف ففطن (السيرأوليفر) الى أن الأرواح هى السبب فى رفعها فأخذ يخاطبها بإشارة مخصوصة علمها لها وكانت ترد عليه بإجابات صحيحة ، وفى سنة ١٨٥٠ اخترع طريقة أخرى لمحادثة الأرواح وهى عبارة عن صحيفة من الورق مكتوبة عليها الحروف الابجدية على شكل نصف دائرة وتحتها أعداد من واحد الى عشرة وفوقها مثلث خشبى محمول على ثلاثة أرجل (مائدة صغيرة) وأخذ يعلم الأرواح طريقة استعمال اختراعه هذا فنجح نجاحا باهرا مع العلم بأن المائدتين الكبيرة والصغيرة خاليتان من المسامير ﴾

(تحضيرها فى فرنسا)

يوجد الآن فى فرنسا فى مدينة ليون امرأة عجوز اشتهرت فى جميع أنحاء البلاد بتحضير الأرواح والتكلم معها ، وكثيرا ما كتبت الجرائد الفرنسية عنها وسردت بعض حوادثها . واليك واحدة منها

﴿ فى يوم ١٤ يوليه (عيد الجمهورية الفرنسية) سنة ١٩١٦ أتى لزيارتها جم غفير من وجهاء القوم من مدينتى (ليل وباريس) واحتفت بهم احتفاء عظيما وقدمت لهم فواكه فصل الشتاء فسألها بعضهم من أين الفاكهة ؟ فأجابته من جنوب افريقيا . فقال لا يمكننى تصديق ذلك لأن طول المسافة كاف لاتلافها . فقالت إنى أحضرتها فى مدة ثانية أوأقل . فقال هذا محال . عند ذلك قامت ودعت ضيوفها الى غرفة ذات نافذة واحدة خالية من الاثاث سوى بعض كراسى خشبية فى أركانها وأحضرت روحا من الأرواح وطلبت منها احضار فاكهة من جنوب افريقيا كالتى أحضرتها فى الصباح وكان الحاضرون فقط يسمعون صوت العجوز ولا يسمعون الرد عليه ، ففى الحال وجدوا أمامهم على المائدة فاكهة على أغصانها ، ولكى يصدقوا أنهم ليسوا فى حلم قدمت لهم بعضها وأكلوا منها فخرجوا معجبين بمهارة العجوز دهشين مما رأوه . وأسرد أيضا بمناسبة ذكرها ما يأتى

﴿ انه فى سنة ١٩١١ زارها أحد وزرائنا السابقين هو وقريب له فطلب منها تحضير روح قريب له مات منذ زمن ليس ببعيد وكان يقصد فى الحقيقة تحضير روح النبى ﷺ فبدأت عملية التحضير إلا انها وجدت صعوبة كبيرة وعجزت أخيرا عن إحضارها بعد زمن يزيد عن نصف ساعة وقالت لمعاليه « إن الروح التى تطلبها ليست بروح رجل عادى بل هى روح علوية قد يتعذر على أعظم عالم روحانى تحضيرها ، فلتطلب روحا أخرى فلعلى أحضرها لك » ولما كان هذا الوزير وللأسف يشك فى نبوة سيدنا محمد ﷺ صمم على إحضارها فحاولت ثانية وثالثة أخيرا وقالت « يغلب على ظنى أن الروح التى تطلبها عالية جدا فلا يمكنى أبدا إحضارها وفى الغالب انها روح رجل مقرب من الله جدا أونبى أرسل فى جزيرة العرب فاطلب غيرها » فتبسم وأخبرها بالحقيقة

وطلب

وطلب إحضار روح والده ، ومن تاريخ تلك الحادثة آمن ذلك الوزير وحسن إيمانه ﴾

(تحضيرها فى أمريكا)

نشرت (جريدة الاهرام) فى (٧) نوفبرسنة ١٩٢٣ قصة وسيطة تعيش فى نيويورك وقد تناقلتها أيضا التلغرافات اللاسلكية فى أنحاء المعمورة فقالت مانصه

« اشتهرت (مسزتومسون) فى أمريكا كلها بأنها وسيطة لمناجاة الأرواح وقد أقبل عليها الناس من كل فج وصوب فرأوا منها العجائب ، وآخرماجرى لها وتناقلته الأسلاك البرقية انها وعدت (المسترجلاجر) بأن تظهرله روح والدته لحضر فى اليوم الذى عينته له ومعه ثلاثون من أصدقائه رجالا ونساء وكان أول مافعلوه انهم فتشوا الوسيطة تفتيشا دقيقا وكلفوها بأن تنزع ثيابها وترتدى رداء بسيطا لاجيب فيه ، ولما تحققوا انها فعلت ذلك ساروا الى الغرفة المعدّة لمناجاة الأرواح ولم يلبثوا إلا قليلا حتى ظهرأمامهم شبح وسار توا الى (المسترجلاجر) الذى استولى عليه الرعب ولم يعد يقوى على دفعه عنه ، ودارت حينئذ معركة شديدة بين الشبح والمسترجلاجرفخاف الحاضرون العاقبة فأناروا المصابيح الكهربائية ، وماكان أشد دهشتهم لما رأوا فى فم المستر (جلاجر) قطعة من قماش أحمر تنبعث عنها رائحة طيبة ، أما الوسيطة فقد جعلت تصيح بملء فيها ثم أسرعت الى ترك الغرفة »

تبين لنا من هذه القصة مقدرة الأرواح وعدم استحالة رؤيتها ولاتعجب أيها القارىء من رؤية الأرواح بالنظر المجرّد مع انها ليست بمادّة بل هى خلقة من نوركما وصفها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم . ولكن لكى تظهرالروح لك قدرتها تتخذ شكلها الأوّل الذى يعلق بمخيلة الطالب حضورها وذلك لتثبت وجودها وحضورها أمام المحضر والمتفرّجين وقد حدث ويحدث مرارا وقوع مثل هذه الحادثة

وقد وقعت فى مدينة (بارمن) الحادثة الآتية ﴿ انه فى سنة ١٨٩٥ حدث فى تلك المدينة أن رجلا من أثرياء القوم يدعى المسيو (فكتوركاشارل) كانت له ابنة جميلة توفيت فجأة يوم قرانها و بعد وفاتها بثلاثة أيام سمع والدها دقا على الباب الخارجى لغرفة الاستقبال ففتح فاذا بطفلة صغيرة تحمل له خطابا له رائحة جميلة فتناوله منها وانصرفت فدخل غرفة مكتبه وفض الظرف وقرأ الكتاب وماكان أشد تعجبه لما وجد الخط خط ابنته المتوفاة وامضاءها ، والكتاب يحتوى على تحياتها القلبية له ولأمها وتوصيتها لهما بالصبر والسلوان ووصف حالتها بعد موتها والنعيم الحالّ بها وقد ذهب (المسيوشارل) فى اليوم الثانى الى المجمع العلمى الفرنسى وعرض على أعضائه الكتاب وسرد لهم الحكاية فقال البعض انه مجنون والبعض الآخر داخله الريب والشك فى صدق هذه الرواية . أما الآن وقد تعددت مثل هذه القصة فلا يبعد وقوعها وستظهرفى القريب العاجل أشياء تختص بهذا العلم مما يدهش العقول ويحير الألباب . انتهى ماجاء فى الجريدة المذكورة

هذا قل من كل مما جاء فى العصر الحاضر من علم الأرواح الذى امتلأت به الدنيا إلا بلاد الاسلام فانها هى وحدها الغافلة النائمة الساهية . وان أردت المزيد فاقرأ ﴿ كتاب الأرواح ﴾ تأليفى فهو يوضح هذا العلم إيضاحا تاما و يبين مافى هذا المقام من النقص

فهذا العلم نوع من التفكر فى الأنفس بل هوأهمّ فكرفيها ، ومتى عرف الناس ذلك وأيقنوا بأن لهم حياة بعد الموت عرفوا سرّ هذا الوجود وعلموا أن هذه العوالم مخلوقة لمقاصد سامية ونهايات شريفة وحكمة حقة ، وأن الأرواح بعد هذه الدار تكون على ماكانت عليه فى هذه الدنيا شرفا وضعة وعلما وجهلا وصدقا وكذبا فيكون الجزاء على مقتضى سابق العمل ، فان لم يفقهوا هذه الحقائق أفلاينظرون آثارالأمم التى قبلهم كيف هلكوا لما كذّبوا رسلهم ، فليعتبروا بما يرون من عواقب الأمم المكذبة فاننا أهلكناهم لما كذّبوا

فهنا ﴿ دليلان ﴾ دليل تعرفه العقول بالتفكرفى النفس . ودليل أقرب منه وهوالتفكرفى عواقب

الأمم المكذبة ، فهذا لايحتاج الى علم النفس ولاالى تحضير الأرواح ولاالى الفلسفة وانما يعوزه النظر فى عواقب الأمم المكذبين ، فمن عجز عن الأول فكيف يعجز عن الثانى ودلائله مشاهدة فى ضرائب الأمم الهالكة يراه الأحياء وهم غافلون وهذا هو قوله تعالى (أولم يسيروا فى الأرض) اذا عجزوا عن السير فى علم النفس (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هذا تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم القاهرة الغالبة ، ثم وصفهم فقال (كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الأرض) وحرثوها (وعمروها) أى المدمرون عمارة (أكثر مما عمروها) أى أكثر من عمارة عمرها أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الواضحات فلم يؤمنوا وأهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) فيدمرهم من غير جرم ولاتذكير (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ عملوا ما أدّى الى تدميرهم فى الدنيا (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أعمالهم فى الدنيا الخصلة (السوآى) أى العاقبة التى هى أسوأ العواقب فى الآخرة وهى النار التى أعدّت للكافرين ، والمعنى ثم كان عاقبتهم الى آخره ولكن وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن الجزاء من جنس العمل ولم يجلب للانسان شئ آخر من خارج نفسه والا كان ظلما فهؤلاء عاقبتهم الخصلة السوآى (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) أى ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها . فلخص ماتقدّم ﴿ برهانان ﴾ برهان علم النفس ومنه تحضير الارواح . و برهان النظر فى آثار الأمم . ونتيجة البرهانين قوله تعالى (الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) أى ينشئهم ثم يحييهم بعد الموت (ثم اليه ترجعون) للجزاء والعدل .

ولقد تقدم فى ﴿ سورة العنكبوت ﴾ عجائب خالق العوالم فى قوله ـ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ـ أى ليستدلوا بالنشأة الأولى على الأخرى وقد سار الناس فى الأرض وقرؤا العلوم وفهموها واطلعوا على علم الأرواح وفهموا منه بصيصا من عالم الآخرة ، فاقتران النشأة الآخرة بالنشأة الأولى لتلاحقهما واتصال كل منهما بالأخرى . وقد علم الناس فى الدنيا أن الوعد لايخلف كما تقدّم . فمواعيد الأيام والشهور والسنين والخسوف والكسوف صارت مفهومة عند علماء الفلك بحيث يمكن الانسان أن يعرف أول السنة وأول الشهر وموعد كسوف الشمس وخسوف القمر بعد مئات الملايين من السنين وهكذا عرف الناس كما أوضحناه فى ﴿ سورة العنكبوت ﴾ كيف نظمت العناصر ورتبت فى جداول بحسب ذرّاتها وكان بين كل عنصر ومافوقه وماتحته وماوراءه وما أمامه نسب هندسية ونسب عددية كالنسب التى فى علم الشعر وفى علم الموسيقى وصفات مشتركة مع الصف الرأسى وأخرى مع الصف الأفقى كما أريتكه فى الجدول هناك بحيث يعرف علماء الكيمياء صفات العنصر المفقود قبل وجوده و يعرفون مكانه من الجدول المذكور . إنه لافرق بين الأزمنة المستقبلة و بين الامور المفقودة فى أن كلا يعرف قبل وجوده وذلك لحسن النظام والابداع ، واذا كان هذا العالم بهذا الاتقان والنسق فهو منظم له نتائج صادقة معلومة قبل حصولها ومن النتائج رجوعنا بعد موتنا على حسب المقدّمات فى هذه الحياة وهو قوله تعالى (و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) ييأسون و يتحيرون كما تقول ناظرته فأبلس اذا لم ينبس و يئس من أن يحتج (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) أى ممن أشركوهم بالله شافعين يجيرونهم من عذاب الله (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم أوكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم ، واعلم انه قد كتب فى المصحف شفعوا وعلموا بنى اسرائيل بالواو والسوآى بالألف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ، ثم فصل حال الطائفتين المؤمنين والكافرين فقال سبحانه (و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون) أى المؤمنون والكافرون (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) أى فى أرض ذات أزهار وأنهار يسرّون سرورا تهللت له وجوههم و ينعمون و يكرمون بالتحف (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لايغيبون عنه ولايخفف عنهم ، واعلم أن ملخص ماتقدّم أن الأمم يغلب بعضها بعضا ولكل وقت محدود على نظام القانون

العام

العام وهو أن الله لا يخلف الميعاد ، ومن القانون العام المذكور أن الحياة الآخرة تعقب الحياة الدنيا . ثم أعقبه ﴿ بدليلين ﴾ دليل الأنفس والبحث فيها . ودليل التأمل فى أحوال الأمم . وههنا رجع الى مسألة إن الله لا يخلف الميعاد فذكر ذلك فى ﴿ ثلاثة مواضع ﴾ تعاقب الليل والنهار وانه لا يخلف الوعد فى ذلك . واخراج الحى من الميت والميت من الحى وأن الأرض تحيا بالنبات بعد موتها باليبس والقحط . وهذه الأدلة الثلاثة ترجع لعدم الاخلاف فى وعد الله . فكما يستدل الناس بأنفسهم وبآثار الأمم على الآخرة يستدلون عليها بعدم اخلاف الميعاد وذلك بهذه الامور الثلاثة الآتية وقد قدمت لك فى ﴿ سورة الأنعام ﴾ أن هذا الدليل هو الذى ذكره سقراط لتلاميذه عند الموت إذ استدل على الآخرة أن الضد يعقبه ضده فالمرض والجهل والفقر والذل يعقبها الصحة والعلم والغنى والعز فهكذا يكون بعد الموت حياة فذكرها الله سبحانه هنا فى مقام إبانة الطريق الموصلة الى النجاة فى الآخرة بالعبادة فى الأوقات الآتية مع الفكر فى تلك الأوقات وتعاقبها . فههنا ضرب الطيرين بحجر ، فالآية فيها التسبيح والصلاة ومع ذلك يفكر المؤمن فى تعاقب هذه الأشياء وهذا هو قوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) أى فسبحوا الله والتسبيح تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى الصلاة وغيرها * وقد سأل نافع بن الأزرق ابن عباس قائلا « هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن ؟ قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها » قال العلماء وذلك أن قوله ـ تمسون ـ صلاة المغرب والعشاء وقوله ـ تصبحون ـ صلاة الفجر (وعشيا) صلاة العصر (وحين تظهرون) صلاة الظهر وهذه الأوقات تتبدل فيها أحوال النور ، فمن عدمه بالظلمة وقت المغرب والعشاء الى ظهوره بالفجر الى نهاية اشراقه وقت الظهر الى قرب اضمحلاله وقت العصر ليكون الانسان متذكرا ربه فى كل ظاهرة من ظواهر الحركات الفلكية ليرى عدم اختلاف الميعاد فيستدل على الآخرة وانما جعلت الركعات سبعة عشر ليكون لكل ساعة من ساعات الليل والنهار ركعة فكأنه يسبح الله فى كل ساعة وبقيت سبع ساعات هى متوسط ما ينامه الانسان كل (٢٤) ساعة ، وانما قرنت الصلاة بأحوال الأنوار الشمسية لأن هذه الأنوار مبدأ كل حياة على الأرض . فالرياح تهب بحرارتها والبخار يثور بآثارها من البحار والسحاب تساق فى الجو بهذين العملين الناجين من الحرارة والنبات والحيوان والانسان كلها نواتج لذلك . والألوان الذى يفرح بها الناس ويميزونها بنفس الضوء . فلا فلك تجرى فى البحر ولا سحاب فى البر ولا حب نأكله ولا فاكهة نتفكه بها ولا ثوب نلبسه ولا حرير نتزين به إلا وحرارة الشمس كانت سببه ولا هداية لطريق إلا بضوء الشمس ولا نظام للطرق فى البحار وفى البر إلا بملاحظة الكواكب المحيطة بكرتنا . إن عبادة أمتنا الاسلامية عبادة نتائجها الفلسفة نتائجها الحكمة

فانظر كيف استبان فى السورة المتقدمة أن ملخص الأدعية الحث على جميع العلوم وانظر كيف كانت أوقات الصلوات مفتاحا لاصولها ومبدأ لأوائلها ونبراسا لطرقها ومهيعا لعجائبها تلك وحدة ثابتة . الشمس واحدة والحرارة والنور منها انبعثا ومنهما تشعبت أنواع الحيوان والنبات مع نظام العناصر السابق بحيث دارت الافلاك وأرسلت الأشعة الى هذه العناصر . وما أشبه الحرارة والنور بالنفس الانسانية والعقل الانسانى . فلنا نفوس بها نشتهى وبها نحس وبها نتحرك . فالنفس مبدأ الحس والحركة . ولنا عقول بها ندرك الكليات هكذا للشمس حرارة بها هذه الحركات . وبها ضوء به يهتدى الناس فى الطرقات ويعرفون الصور والاشكال ولذلك تسمع قول الفلاسفة « النفس والعقل » فقالوا إن العالم المدبر لنا فيه نفوس وعقول فالعقول مدبرة والنفوس محركة أشبه بما رأينا فى الشمس وفى نفوسنا . فما أجل الحكمة وما أبدع العلم وذلك بلسان الشريعة الملائكة وهم درجات بعضها فوق بعض ومنهم الأرضيون والسماويون . وقد ذكر بعض هذا فى ﴿ سورة البقرة ﴾ وهذا كله مستفاد من هذه الآية ـ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ـ أى تدخلون فى الظهيرة . وقوله ـ وعشيا ـ معطوف على قوله ـ حين تمسون ـ

وأما قوله ــ وله الحمد فى السموات والأرض ــ فهى جملة اعتراضية . ومعناه يحمده أهل السموات والارض ولقد علمت أن أمتنا الاسلامية هى التى اختصّ نبيها ﷺ بأن له مقام الحمد وانه رافع لواء الحمد وقد أمر بالحمد و بشر بأن أمته ستعرف آيات الله كما تقدم فى ﴿ سورة النمل ﴾ ولامعنى للحمد إلا بعد معرفة المحمود عليه فتكون نتيجة ذلك أن أمة الاسلام سيريها الله آياته فتعرفها والآيات هى سائر العلوم . انظر كيف جعل الصلوات تبع الإضاءة والاظلام وكان يمكن أن تكون تلك الاوقات مطلقة يصلى الانسان كما يشاء فلما قيدها علم أن الضوء والظلمة لهما مزية وما مزيتهما إلا انهما مبادئ الحوادث ومبادئ العلوم و بهما يعرف أنهما تابعان للشمس وحركتها فيعرف وحدانية الله وحسن نظامه فى خلقه ، و يعرف أيضا انه لايخلف الميعاد لافى الأنوار والظلمات ولافى نسق العناصر المتقدمة فى الجدول المذكور فى ﴿ سورة العنكبوت ﴾ ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ فلاتفاوت بين حوادث الانوار والظلمات من حيث تناسبها وصدق موعدها ولافى نظام العناصر من حيث وضعها المنتظم الذى اخترعه « منديليف الروسى » وان كان لم يزل نظامه غير تام لقصور الناس عن الاحاطة به ومع ذلك أمكن أن يعرف ما غاب من العناصر بما حضر منها كما تقدم ، وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة (ويخرج الميت من الحىّ) كالنطفة والبيضة (ويحيى الأرض بعد موتها) بيبسها وهذا يدل كما تقدم عن سقراط دلالة اقناعية على الحياة الأخرى ولذلك قال (وكذلك تخرجون) من قبوركم على قاعدة أن الضد يتبع ضده ، ولما ذكر سبحانه أنه يحيى الأرض بالنبات ويحيى الناس والحيوان وأن الضد يعقب ضده ناسب أن يشرح ﴿ أحوال الانسان الاربعة ﴾ وهى حال نشوئه وتنوّعه الى ذكور واناث بينهما محبة ووئام والى أمم مختلفة اللغات والأحوال كلها من لون وغيره والى تنوّع أحوال الارواح مع الأجسام من حيث اليقظة والنوم ، ثم أتبعه بذكر ما يحيط به وهما ﴿ حالان * الأوّل ﴾ أحوال الجوّ من مطر وبرد وثلج وصحو وحرّ وبرد وأشارلها بالبرق وانزال المطر ﴿ الثانى ﴾ أحوال العالم كله فانه كجسم واحد منظم يخدم بعضه بعضا . يفهم ذلك من نظرالى أحوال الجوّ وأحوال الأنفس فى نشوئها وتناسلها ونومها و يقظتها واختلاف لغاتها وألوانها . فالخمسة التى قبل السادس لمعرفته سبحانه وتعالى ثم أعقبه بالسابع وهو أن من فى السموات والأرض منقادون له لأن هذا الانقياد لايفهم إلا بفهم المباحث السابقة عند التحقق منها وهذا قوله تعالى

(١) (ومن آياته أن خلقكم من تراب) فى أصل الانشاء أوفى هذه الحال بتغذيتكم من النبات والنبات يتغذى من التراب والهواء والماء وأكثر المواد المركبة فيكم مخلوط مركب من التراب والماء وعناصر أخرى (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) تنبسطون فى الأرض أى ثم فاجأكم وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض

(٢) (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) لأن النساء خلقن من جنس الرجال أى من شكل أنفسكم وجنسها (لتسكنوا اليها) يقال سكن اليه اذا مال اليه وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون ومابين الجنسين المختلفين من التنافر (وجعل بينكم مودّة ورحمة) أى جعل بينكم التوادّ بسبب الزواج فيحصل الألف بين الزوجين ويكون الشبق فى حال القوّة مدعاة لميل كل منهما الى الآخر سواء أكان ذلك وقت ارادة النسل أوفى غيره لتدوم الحياة المنزلية على أتمّ نظام . ولما كان الشباب يتوارى تدريجا والجمال يتبعه تحقيقا . كان كلما ولى الشباب توارى معه الجمال . فلايزال الشباب فى إدبار والجمال فى تغير حتى تجىء الشيخوخة وقد نفدت القوّة فى الرجال والجمال فى النساء واستبدل الضعف وتجعد الوجه بهما . أقول لما كان ذلك قانونا مسنونا خلق الله منهما الذرية ذكورا واناثا ليحصل بينهما التفاهم والتحابّ والمودّة للأمر الأشرف وهو التربية والمحافظة على الذرّية وحينئذ تظهر أنوار الرحمة التى كانت متوارية وراء ظلمة الشبق والشهوة فلاتزال الرحمة تظهر والشهوة تختفى حتى تظهر شمس الحقيقة الواضحة وهى الرحمة الخالصة بين الزوجين بعد زوال ذلك

الظلام الحالك الذى غشى عليهما . وايضاحه أن محبة الزوج لزوجه أوّلا تكون لمجرّد الشهوة . ألاترى أنهما يقتتلان اذا لم يصيباها و يتخاصمان و يفترقان فاذا وجدها مريضة أوقبيحة أورأته هوكذلك حصل النفور بدل المودّة فأما اذا كبرالاسيما اذا كان لهما ذرّية فانه يحبها وتحبه ولوكان بهما مرض وقد تحقق كل منهما أن صاحبه لاجمال فيه ولاقوّة ، فهذا هوالحكمة فى التعبير بالرحمة بعدالمودّة . إن هذه الحياة جعلت لتمرّ ينا على الأخلاق العالية . ومن أحسن الطرق أن يحسّ الرجل بحاجة الى المرأة تمسه هو وتقضى وطره فليس فى أكثرالناس من يتزوّج امرأة إلا لقضاء وطره وقليل منهم من يكون أوّل مقاصده الولدأوالمساعدة المنزلية ، فالشهوات إذن كالحبّ يوضع للطير فيصاديه هكذا هـذه الشهوات توضع للذكور والاناث ليجتمعوا فتكون الذرّية والنظام المنزلى فالنتيجة الحقيقية هى الذرّية وبهذه الذرية يتعلمون علم الرحمة والشفقة فلا يكون لهما مقصد إلا ترقية هؤلاء الذكور وهؤلاء الاناث وهـذا ليس فيه شئ يرجع الى نظام أجسامهما كما لم يكن للحيوان منفعة من ذرّيته . إن نظام هذا العالم راجع فى نهايته الى أن نتعلم علم الرحمة أى أن تكون نتائج أعمالنا المنفعة العامّة وأوّل المنفعة العامّة تربية الذرية . ولقد أودع فى عقول الآباء أن أبناءهم ينفعونهم فى كبرهم . وهذا أثر من آثار الضعف الانسانى . فنحن ملزمون أن نربى الأبناء سواء أكانوا ذخرا لنا فى الكبر أم لا . والسائق الذى جعل فى نفوسنا هى الرحمة بهذه الذرّية ، وضعها الله فى الآباء لتسوقهم الى تربية أبنائهم وهذه مزية شريفة وضعها الله فى الأرض فقد تدرّج الانسان من طفل يكفله أبواه الى قوّام على امرأة لمجرّد شهواته لأنه ليس أهلا أن يتصف بأن يكون قوّاما على غيره لأنه لايزال حديث عهد بالحضانة والتربية فانتقل الى من يقضى معه شهوته النفسية ثم ارتقى الى تربية غيره وكفالته بلا أجر إلا ماتخيله فى نفسه من أن الولد ذكر له أو يقوم بما يحتاج اليه فى الكبر

إن دراسة هذه النظم مرقية لنوع الانسان ، فليدرس المسلمون نظام الله فى أرضه فهم مخلوقون فى عالم كله جمال ونظام وحكمة فان لم يفكروا فلا آخرة ولا دنيا . ولذلك ترى أن الأنبياء والحكماء الذين جاؤا الى هذه الأرض لاصلاح أهلها قليلون جدا وانما قلوا لأن هذه الأرض من العوالم المتأخرة فلاتأتى اليها إلاأرواح جاهلة عبية لاتعرف إلا أنفسها وقد غفلت عن نظام العالم العام . فهذه الأرواح الأرضية لما وردت هذا العالم جرت على طباعها وأخذ الله يعلمها الرحمة العامة والمحبة الكلية تارة بنفس النظام الذى يعيشون فيه بأن يظهر للانسان أنه لاسعادة له بدون أمته وأن أمته لاسعادة لها إلا بالأمم ولاسعادة للأمم إلا بالعوالم كلها التى نراها والتى لانراها وتارة بكلام الأنبياء والحكماء وطلبهم محبة الجميع والاحسان للجميع والتوجه لله الذى هوفوق الجميع ليكون نظره الى سائرالناس والحيوان نظرحكمة ورحمة عامّة . فعلى هذا يكون الأنبياء والحكماء أشرف هذا النوع الانسانى لأنهم عاشوا فيها لاسعاد الجميع واكتفوا من الدنيا بما هو ضرورى . فهؤلاء يرون فى أنفسهم عطفا على جميع النوع الانسانى وعلى الحيوان كما يرى الأب والأم حبا لأبنائهما ولذلك يقول الله تعالى ــ النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمّهاتهم ــ فالأنبياء آباء والأمم أبناء . هذا هو ايضاح معنى الرحمة فى قوله ــ مودّة ورحمة ــ فكن أيها الذكى أبا علميا ولاتقف عند الابوة الجسمية . كن تابعا للأنبياء والحكماء ولاتقف عند الدرجة الدنيا

واعلم أن أمة الاسلام يعوزها مرشدون وأنت لم تقرأ هذا التفسير إلا لما فى نفسك من حكمة وعلم وشرف والالصددت عنه وكرهته لأن الانسان لايعشق إلاما كان من طباعه ، واذا كان ذلك كذلك فانى أسألك بالله الذى أبدع هـذا النظام وسوّاك وعلمك أن تكون رحمة لهذه الأمة المسكينة الأمة الاسلامية التى تألبت عليها أمم أوروبا وأن تهديها وأن ترشدها فان مثل هذا التفسير لايقرؤه إلا أكابرها وهؤلاء الاكابر يحرم عليهم أن يناموا فشمرعن ساعد الجدّ وانشرالحكمة بينهم على قدرعقولهم فخذ نبذا من هذا التفسيرأومن غيره أوعما

تعرف أنت وانشرها بينهم وحببهم فى العلم والصناعات . ولتعلم انى قابلت العلماء من سائر أقطار الاسلام فألفيتهم جميعا يبكون على هذه الأمة فان القائمين بأمر الدين منعوها العلم وجميع الأمم حولها يقرؤن بعض نظام الله فى الأرض وفى السماء . إن أعداء هذه الأمة ومرشديها قداتفقوا على إذلالها فأعداؤها بالحرب ومرشدوها بصدّ الناس عن العلوم ، واعلم أن الله أذن للاسلام بالارتقاء والسعادة ، ومن بوادر ذلك نشرهذا التفسير وأنا بذلك موقن وسيكون فى هذه الأمة حكماء وعلماء وعارفون

ولتعلم أن الله لم يرسل الى هذه الأرض من الأرواح العالية إلاقليلا ليوقظوها لايريدون جزاء ولاشكورا كما أن الشمس ترسل أشعتها بلاجزاء من الأرض لها هكذا الأنبياء والصديقون قليل ، وانما قلل الله منهم لأنهم يخلقون فى الأرض فينصبوا و يتعبوا لأن نظامها مبنى على الشهوات وهم أقرب الى البراءة منها فلذلك يكونون فى ألم وتعب مدّة حياتهم ليؤدوا الأمانة التى حملوها قبل مغادرتهم عالم الأرواح وهم فى عالم الذّر ، وليس يفهم هذا إلا بأحد أمرين إما بصفاء النفس واما بقراءة علم الأرواح ودراسته دراسة تامة

(٣) (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) لغاتكم وأجناس نطقكم وأشكاله (وألوانكم) كالسواد فى السودان والصفرة فى الصين واليابان والبياض فى أوروبا وأكثر بلاد الشرق واللون النحاسى كأهل أمريكا الأصليين وذلك فى العموم ، والحقيقة التى لامرية فيها انه لا رجل ولا امرأة فى الشرق والغرب يشبه لونه لون الآخر ولانطقه نطق الآخر ، فترى اللغة واحدة واللون واحدا كالعربية والبياض ولكن لاترى وجهين يتحدان بياضا ولا لسانين يتحدان منطقا هكذا سمة الوجوه وشكل الأعضاء كلها كما سيأتى ايضاحه

(٤) (إنّ فى ذلك لآيات للعالمين) جمع عالم بكسر اللام ولقد نبغ العلماء فى فنّ علم اللغات ومعرفة الحيوان وأصناف الانسان ، وان يدرك عجائب ذلك ونتائجه حق ادراكه ومعرفته إلا العلماء به و بالاستنتاج منه بحيث يذوقون جمال هذه النظم وتتأثر به نفوسهم فيرون وراء هذا الجمال والنظام والابداع اشراقا به أبدعت هذه العجائب و يرون مادة واحدة أصلها الأثير تنوّعت بحركات فكانت هذه المواليد ثم اختص كل مخلوق بصفات بحيث يمتاز عن سواه ثم يدهشون إذ يرون هذا التمايز والتغاير الجزئى جعل لأجل أن نميز الأفراد بعضها من بعض ، فالاختلاف انما جاء لهدايتنا للمعرفة وفصل الأشياء بعضها من بعض ، فالنتيجة من ذلك هداية عقولنا لمعرفة الأشياء وكذلك الحيوان

(٥) (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) فى النهار بمزاولة أسباب المعاش غالبا فيهما (إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم واستبصار

(٦) (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) أى إراءتكم البرق كما يقولون تسمع بالمعيدى أى سماعك خوفا من الصاعقة وطمعا فى الغيث أى حال كونكم خائفين طامعين (و ينزّل من السماء ماء) مطرا (فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتفكرون بعقولهم (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى تثبت بلاعمد باقامته وتدبيره وحكمته لأن عوالمنا التى نسكنها ليست فى مكان واحد بل هى تجرى فى الفضاء فالارض جارية والسحاب يجرى حولها والهواء تبع لها والشجر دائما حولها وهى والقمر والسيارات التى تماثلها يجرين حول الشمس والشمس ولواحقها تجرى حول كوكب آخر يظن انه هونجم فى الجاثى على ركبتيه وهو وأمثاله يجرين حول كواكب أخرى وهكذا الى حيث تنقطع الفكر ونحن على الارض لا ندرى إلا هذه الآثار العلمية الضئيلة ، فامساك هذه العوالم واقامتها وتدبيرها واحكامها من الآيات الدالة على إله دبرها (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) معطوف على قوله – أن تقوم – أى ومن آياته قيام السموات والأرض ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا وذلك كقوله تعالى – كن فيكون –

(٧) (وله من فى السموات والأرض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عنه

ولما كانت هذه العلوم السبعة توضح ــ كيف بدأ الله الخلق ــ وهكذا يعيده وجيء بها كالايضاح أو الاستدلال على قوله تعالى قبلها بقليل ــ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ــ الخ أتبعها بما هو كالنتيجة لها فقال (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) أى يخلقهم أوّلا ثم يعيدهم بعد الموت وهو هين عليه أوهو أيسر عليه على حسب مايرسخ فى عقول المخاطبين أن من فعل شيأ مرة كان أسهل عليه اعادته (وله المثل) أى الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة (الأعلى) الذى لايساويه فيه غيره ولايدانيه (فى السموات والأرض وهو) فى ملكه (العزيز الحكيم) أى فى خلقه . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة .

وههنا ﴿ خمس لطائف ﴾

(١) فى قوله تعالى ــ ومن آياته أن خلقكم من تراب ــ الخ

(٢) فى قوله تعالى ــ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ــ

(٣) فى قوله تعالى ــ ومن آياته منامكم بالليل والنهار ــ الخ

(٤) فى قوله تعالى ــ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ــ

(٥) فى قوله تعالى ــ وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده ــ الخ

أما ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ فلتقرأها فى ﴿ سورة الرعد ﴾ فهناك شرح الرعد والبرق وهذه الحوادث الطبيعية

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ــ ومن آياته أن خلقكم من تراب ــ الخ ﴾

لقد تقدّم فى (سورة القصص) ذكر منشأ العالم ومنشأ الانسان و بيان الثواب والعقاب والذى ظنه حكماء اليونان بعقولهم وأن ذلك معجزة للقرآن لأنهم طابقوا القرآن قبل نزوله وغاية الأمر أنهم أخطؤا المرمى فى بعض التفاصيل كقولهم « إن المجرم من الناس يكون حيوانا ويكون هذا عذابا له » ذلك لأنهم ليسوا أنبياء وقد أقرّوا بأنهم عاجزون عن احقاق الحق فى مثل هذه المسائل وذلك فى المحاورة التى ذكرها أفلاطون على لسان (طيماوس) من اتباع فيثاغورس مع سقراط أستاذ أفلاطون وسيأتى ملخص أكثرها فى قوله تعالى ــ فطرة الله التى فطر الناس عليها ــ فأريد أن أذكر هنا ماقاله ذلك الفيلسوف فى أمر الانسان وخلقه وصحته ومرضه ذلك لأن مثل هذه الآراء تورث القارئ لهذا التفسير يقينا لايشوبه شك لأن القرآن بهذه الآراء يصبح مطابقا لآراء أكابر حكماء الأمم كسقراط وأفلاطون ، وقد تقدّم انى نقلت لك عن علماء أوروبا فى عصرنا أن أهم علوم الفلسفة وهى الامور العامة كالمادة والنفس والله وهكذا لم يصل فيها الاوروبيون الحاليون الى مرتبة علماء اليونان هذا هو نص كلام سبنسر الفيلسوف الانجليزى الذى ذكرته فى رسالتى المسماة ﴿ بمرآة الفلسفة ﴾ فانه أعلن على رؤس الأشهاد أن علماء أوروبا جميعهم عالة على علماء اليونان فى هذه المباحث وأن علماء أوروبا لم يرتقوا إلا فى العلوم الجزئية . ويقول الفيلسوف (سنتلانه) المعاصر لنا « إن الدهريين من أوروبا فى زماننا لم يزالوا فى رتبة ديمقراطيس من فلاسفة اليونان » وأقول وهو فى مرتبة وسطى لم يصل لدرجة أفلاطون المحترم رأيه عند فلاسفة أوروبا وعند النصارى والمسلمين وعلماء الاسكندرية الأقدمين قبل الاسلام

فلأسمعك إذن ما قاله (طيماوس) المذكور لسقراط فى خلق الانسان . ابتدأ فذكر أن الأرض والماء والهواء والنار يستحيل بعضها الى بعض ، وأنت تعلم أن هذه هى العناصر القديمة ، ومن عجب أن تكون العناصر التى عرفت فى عصرنا ووصلت الى (٨١) عنصرا أصبحت اليوم يرجع بعضها الى بعض بعد كشف عنصر الراديوم فاعجب لنظام هذا العالم ولتطابق العلوم قديما وحديثا ثم قال إن المادة لها صور كثيرة فلا يصح أن نعتبر هذه الصور لأننا اذا أخذنا قطعة من ذهب مصوّرة أشكالا مختلفة لايصح لنا أن نقول هى مثلث أو مربع عند الاجابة عمن سأل عنها . كلا . بل نقول هى ذهب ، فأما الاجابة بشكل من الاشكال فليست حقا

هكذا المادة فهي لا تستقر على حال ولاشكل فلنقل هي مادة وهي أصل الموجودات وهـذه الأشكال صور موجودات أزلية وهذه مصورة على صورتها والمادة لاصورة لها وهي نوع من الوجود عديم الصورة غيرمدرك بالبصر مستعد لأن يقبـل كل شئ له نسبة ما الى الوجود المعقول وهي نسبة مبهـمة عديمة الادراك . انتهى كلام أفلاطون

ثم قال (سنتلانه) ناقلا عن (طيماوس) انه جعـل تـكوينها من أجزاء مختلفة مثلثة مفرطة ومن تركيب المثلثات بعضها ببعض نشأ المكعب ومن تركيب هذه الأجسام نشأت العناصر الأربعة . قال (سنتلانه) قلت وهذا القول يطابق بماعليه الطبيعيون فى عصرنا هذا وهوأن أوّل ماتركب عليه المادّة من بلور وما يشاكله يتركب على أشكال هندسية بسيطة يختص كل جسم بشكل معين وهى أصـل يجتمع منها الأجسام الأخرى من معدن ونبات ، ثم ذكرالاحساس وكيف ينشأ عن تأثيرتلك المثلثات وغيرها فى أجسامنا وشرح اختلاف الاحساس من خشن ولين وبارد وحار ومؤلم وملذ وقال ان الاختلاف فى شكل الأجسام هو سبب اختلاف التأثير فى أجسامنا . وقال « إن الألم انما ينشأ اذا كان التأثيرمفرط القوّة ووجدت ممانعة من جهة الآلة وكان التأثير مضادا لطبيعتها فباجتماع هذه الأحوال يحصل الألم ، واذا كان التأثير ملائما للطبيعة تحصل منه لذة » ثم قال « ثم الاحساس اذا وقع بسهولة فهو إذن ليس بملذ ولا بمؤلم » وتـكلم عن الحواس بعد ذلك

ثم تـكلم بعـد ذلك فى تصوير الانسان على يد الملائكة فقال انهم تسلموا النفس الأزليـة التى خلقها الله للانسان وألحقوا بها نفسا مائتة جعلوا مركزها فى الصدر ، أما الجزء الغضبى منها ففى أعلى الصدر وأما الجزء الشهوى ففى أسفل البطن (يقول مؤلف التفسير ومن عجب انى منذ (٣٠ سنة) ألفت كتاب «جواهر العلوم» وفيه مقالة فى تصوير الانسان وشرح عقله وجسمه وانه ملك فى الدماغ له جنود فى القلب وعمـال فى البطن ولم أكن اطلعت على أمثال هذا وعسى أن أضعها يوما ما فى هذا التفسير) ولهذا الـكلام بقية تقدمت فى هذا التفسير مثل الـكلام على الأمراض والأدوية ، ومثل ان أمراض النفس تتبع أمراض الجسم وأن الرياضة البدنية والنفسية يورثان الصحة

وقد ذكر أن الحيوانات كانوا آدميين نزلوا الى مراتبهم بسبب شهواتهـم وأن النساء كانوا رجالا جاروا وظلموا أوجبنوا فانحطوا الى مرتبـة النساء فان هـذه الأقوال معذورون فيها لأنهم لم يكن عندهـم أنبياء فذكروها بخيالهم قائلين إن أصحاب الشهوات يصيرون بهائم وأصحاب القسوة أوالخوف يصيرون نساء ليقسموا العذاب على الأخلاق فهذا ليس إلا ضرب أمثال وظنون وهم يصرّحون بذلك وماعدا هذا فهذا المقال فى تفسيرالآية نعمة عظيمة وآية من الله لنا ودلائل على الجمال الإلهى وعلى الاتقان فى الصنع

اللهم إنك أنعمت علينا بالعلم والفهم وانى أحمدك حمدا كثيرا على هذه النعمة وعلى أن شرحت صدرى ووفقتنى وأبرزت هـذه العلوم التى كانت مخبوءة فى بطون الـكتب وسيقف عليها المسلمون وسيكون هناك أجيال وأجيال يرتقون ويرقون العلوم والأمم الاسلامية

أيها الذكي . إنى أرى بقلبى كثيرا من شبان الأمم الشرقية ستكون لهم صولة فى العلم وقدم صدق وسيكون فى الشرق وفى الاسلام حركة لايعرف مداها إلا الله وعظماء المسلمين بعـد الآن قوم إلهيون حكماء نابغون فى العلوم والفنون يرقون شعوبهم ماديا وأدبيا ، فمن ذا الذى يقرأ هـذا الموضوع ثم يترك جسمه بلا حركة ورياضة أو يترك عقله بلا تهذيب ولا تعليم . اللهم انك أنت المنعم وظنى فيك جميل أن ترقى هذه الأمم الآن ولك الحمد فى الأولى والآخرة ولك المرجع والمآب . انتهى صباح يوم آخر رمضان المعظم سنة ١٣٤٧ هـ

﴿ نظرة فى موازنة محاورة طيماوس وسقراط مع ما ورد فى الصلاة فى دين الاسلام ﴾

لقد ابتدأ المحاورة بالـكلام على السموات ومبدأ العالم ثم تـكلما عن الروح الانسانية وما معها من الحيوانات

اجمالا ثم أشارا الى علم الأخلاق والى جزاء الناس على التفريط فيها وجعل العقاب بالتناسخ الذى يأباه العلامة (ابن سينا) عقلا والاسلام نقلا ، ولكن هذا ماوصل اليه علم القوم إذ ذاك كما تقدم ، انما الذى يعنى الآن أن أنظر نظرة فى الصلاة

يبتدئ المسلم صلاته قائلا ﴿ـ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وماأنا من المشركين ـ إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ـ﴾ ثم يقول بعد الركوع ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ماشئت من شئ بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولاراد لما قضيت ولاينفع ذا الجد منك الجد ﴾ هذه هى الأدعية التى يقولها المسلم قبل قراءة الفاتحة و بعد الركوع ، كل ذلك وهو واقف

يقف المسلم فيوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض الخ ثم انه بعد الركوع يقول إن حمدى لك يملأ العالم العلوى والسفلى ، فالمسلم إذن فى وقوفه فى الصلاة يفعل ﴿ أمرين ﴾ توجها للذى فطر العالم العلوى والسفلى و بعد التوجه يكون الحمد ، فهولما توجه فهم أى درس هذا الوجود كما درسه (سقراط) و (طيماوس) ولما درسه علمه والعلم ينتج الحب والحب ينتج تسخير الجوارح بالطاعة واللسان بالثناء ، لذلك نراه بعد التوجه فى أول الصلاة يقول ﴿ لك الحمد الخ ﴾ وهذا الحمد تابع للعلم والعلم تابع للمعلوم والمعلوم هو مافى السموات ومافى الأرض الخ فهو يحمد الله على ماعلمه من عظمته لاعلى ماوصل اليه وحده . كلا . لأن الحمد يكون على نعمة وصلت للحامد ولغير الحامد ولذلك كان الحمد ملء السموات وملء الأرض

فقال صاحبى المصلى يحمد ربه على العوالم كلها لأنه علمها وعلمها أوجب الحب وتسخير الجوارح ولكن ليس كل مسلم يعلم ماعلمه (طيماوس وسقراط) فكيف يكون ذلك ، فقلت إن الصلاة نوع من العلم لأن فيها تذكرة والتذكرة أشبه بالتنويم فالانسان بكثرة التكرار ترسخ المعانى فى نفسه و برسوخها تنقلب الى عواطف فيكون الحمد إذن على معان فى النفس أشبه بالعواطف التى اتصفت بها النفس ، إذن المصلون ﴿ قسمان ﴾ قسم علم كما يعلم سقراط فهذا حمده حمد حقيقى ، وقسم لايعلم ولكنه حصلت له حال من تكرار هذه الأدعية فهذا حمده شبه الحقيقى وهذا قوله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ فالعالم بهذه المعانى الموقن بها يكون من الصديقين والصديقون يتبعون الأنبياء والأنبياء عاينوا وهؤلاء أيقنوا لأنهم درسوا أما الآخرون وهم العامة فهم آخر الأقسام فكفاهم الايمان ، فهؤلاء الصديقون هم الذين قال الله فيهم ـ شهد الله أنه لاإله إلاهو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ـ وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ـ الى قوله ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ فهؤلاء هم العلماء المذكورون فى الآية ، وهؤلاء سيكثرون فى أمة الاسلام بعد انتشار هذا التفسير ، وسيقوم فيهم شبان أذكياء و يقولون انه من الجبن والعار والجهل أن نرى (طيماوس) و (سقراط) يهجمان على الحقائق العلوية والسفلية هجوما ولم يسمعوا ماسمعنا من قوله تعالى ـ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ـ ولاقوله تعالى ـ وزيناها للناظرين ـ و يقولون أيضا « عجبا كيف يقول طيماوس إن العين انما خلقت لننظر الكواكب ونعرف الليل والنهار ونزيد علما وندرس الفلسفة وهى أجل نعمة أنعم الله بها على الناس ، فنحن أحرى وأحق بدرس هذا العالم ، ولابد من نبذ طرق آبائنا المتأخرين العقيمة والسير فى الطرق القويمة والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »

هذا مايقوله المسلم فى صلاته وهو فى حال وقوفه ، فاذا جلس المسلم بين السجدتين فماذا يقول ؟ نسمعه يقول ﴿ رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى وعافنى ﴾ هذا قول المسلم بين السجدتين ، ومعلوم أن الجلوس بعد الوقوف . يطلب المسلم الغفران أى غفران الذنوب ، ولاجرم أن هذا راجع للتقصير فى الأخلاق وذلك بعد أن

أ كل الامور العلميـة وهو واقف ، فهو فى حال وقوفه بدرس العوالم العلوية والسفلية كأنه يدرس السموات والأرض فلما أن أتمّ الدراسة ترك عالم السموات ورجع الى نفسه كما أن الله خلق العوالم العلوية والسفلية ثم خلق الانسان ، فدعاء الجلوس بين السجدتين راجع لأحوال الانسان خاصة بعدالفراغ من دروس العوالم كلها . هذا هوالذى جاء فى المحاورة . فهما ابتدآ بدراسة العوالم ثم ختما الموضوع بالبحث فى أخلاق الانسان وعقابه وثوابه . إذن مايقوله المسلم فى الوقوف ومايقوله فى الجلوس هوملخص العلوم العلمية والعلوم العملية

أليس من عجب أن تكون صلاة المسلم هى ملخص علم الفلسفة ، أليس من عجب أن تكون الفاتحة فى أوّلها هى نفس ماجاء فى أوّل هذه المحاورة من الكلام على السموات والأرض ونفس ما جاء فى قول المصلى قبل قراءة الفاتحة وهو ﴿ وجهت وجهى الخ ﴾ وأن يكون آخرالفاتحة هو العبادة والاستعانة والهداية وهو أقرب الى ما جاء فى الجلوس بين السجدتين من طلب المغفرة على التقصير فى تلك العبادة وفى الانحراف عن صراط الذين أنعم عليهم والاقتراب من صراط غير المنعم عليهم والضالين . إذن هذا الدين الاسلامى انما تظهر ثمراته فى أمم بعدنا وهذا يكون بأحد أمرين إما أن يرتقى أبناء المسلمين متى قرؤا أمثال هذا التفسير ، واما أن ينشرفى أمم أرقى من هذه الأمم ، فدين الاسلام لن يبقى كما هوالآن ، وانما هودين أمم ذوى عقول غير هذه العقول ، هودين أمم يجلون الحكمة ويفرحون بالعلم وتكون هذه الدنيا كلها كتابا يقرؤنه

هذا مافهمته فى صلاة العصر يوم الأربعاء ثانى يوم من شهرشوّال سنة ١٣٤٧ هـ الموافق (١٣) مارس سنة ١٩٢٩ م وكتبته عقب الصلاة وقد جاء فى « مجلة الجديد » مانصه

﴿ الانسان آلة ميكانيكية عجيبة ﴾

(إحصاء حركة أجزاء الجسم)

ليس فى الأمر غلوّ ولامبالغة فان هذه البيانات التى تقدّمها لك هنا ستدلك على القوّة الهائلة التى ينطوى عليها الجسم البشرى ، فجسم الانسان يحتوى على (٥٠٠) عضل وهذه العضلات تقوم بتسيير ١٥ كيلو جراما من الدم لتغذية هذه الآلة ومحركها الرئيسى أى (القلب)

والقلب ، وقطره لايزيد على (١٥) سنتيمترا ، ينبض فى الدقيقة الواحدة (٧٠) مرة و (٤٢٠٠) مرة فى الساعة و (٣٦٧٩٢٠٠٠) مرة فى السنة ، وفى كل مرة من هذه المرات يقذف القلب فى الشرايين الصغيرة (٤٤) جراما من الدم أى مايبلغ فى اليوم الواحد (٤٤٣٥) كيلوجراما ، ومجموع هذا الدم يمرّ (٣) مرات فى الدقيقة . وتحتوى الرئة فى الحالة العادية على خمسة لترات من الماء ، ويتنفس الانسان بها (١٢٠٠) مرّة فى الساعة وهى تنقى فى أثناء هذه الفترة (٦٠٠٠) لترا من الهواء فتغذى بها الكرات الحمراء الموجودة فى الدم وتمدّه بالفيتامين . أماالبشرة أوالجلدالذى يغطى اللحم والعضلات والأعضاء الخارجية فتتألف من ثلاث طبقات يتراوح سمكها بين (٣) و (٦) مليمترات وكل سنتيمتر مربع منها يحتوى على (١٢٠٠٠) من المسام التى تفرزالعرق الناشئ عن تأثير حرارة الجوّ . تمّ الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ــ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ فى ذلك لآيات للعالمين ــ ﴾

جاء فى هذه الآية خلق السموات والأرض ثم تخصيص ﴿أمرين﴾ الألسنة والألوان بالذكر ، إن الذى يسمع هذه الآية لأوّل وهلة يقول لاحاجة فى معرفة اختلاف الألسن والألوان الى علم ، فما الداعى إذن لتخصيص العلماء ؟ مع أن ظواهرالألوان معروفة للجاهل والعالم بل الدواب تعرف اختلاف الألوان وتميزالأشجار والزروع بعضها من بعض . فهذه المعرفة إذن ليست خاصة بالعلماء بل هى عامة لجميع المخلوقات فهى آيات للعالمين بفتح اللام وليست خاصة بالعالمين بكسرها

هذا مايتبادرللذهن ولكن عند النظر والفهم يرى الانسان أن العامة فى نظرهم الى هذه الألوان لايجدون فيها حكمة ولاعلما فهم ينظرون لاختلاف الألوان نظرهم لاختلاف مذاق الأغذية من حلوة ومرة وحارة وباردة ، وهذه وتلك لاتهيج فيهم هم ولاعلماءهم معرفة الله ولاحب العالم الأعلى . إن معرفة الجاهل باختلاف الألوان معرفة جاهلة بدليل انها لا أثرفيها للتذكرة ولا العبرة ولا الحكمة فان الجهلاء فى كل أمة يعيشون ويموتون ولهم ألوان ولزروعهم ولأمتعتهم وهم يرون نورالكواكب ساطعا عليهم ونورالشموس والأقمار وهم أموات فى نهر الحياة عمى أمام أبهج الجمال ، صم أمام أجمل النغمات ، هؤلاء هم الجهلاء وصغار العلماء فى الامم كلها مسلمين وغير مسلمين نبحث إذن عن سر هذه الآية من باب آخر عسى أن نجد مخرجا ونعرف بعض سرها ، وههنا أذكرك أيها الذكى بما مر فى (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ فانظر هناك عجائب اختلاف الألوان وانها موضوعة بحكمة والذى عرف الحكمة هم علماء خلقهم الله فى أرضنا صرفوا أعمارهم فى بحث هذه الألوان هل هى مخلوقة لمجرد المصادفة العمياء أم هى موضوعة لغايات محققة ؟ فهناك ترى

(١) الحيوان الذى رآه بعض العلماء الغربيين فى حديقته لما أخذ يسقطه بالمبراة فى جرة مملوءة ماء وملحا وأخذت تلك الحشرات تتساقط وتنقبض وتتقلص بشكل بيضاوى وتصبح أشبه بالحصوات المبتلة وكلما تقلصت واحدة منها صارت فى أقرب من لمح البصر كحصاة سوداء من الصوان منشقة نصفين صفراء من الداخل كالحصوات هناك فصار هذا العالم لايفرق بين الحصوات فى حديقته و بين تلك الحشرات إلا بشق الأنفس بحيث يحتاج الى أن يجربها بطريقة اللمس ، أما حاسة النظر فانها لاتميز وانما اللمس بالمبراة هو الذى كان الطريق الموصل لتمييز الحشرات من الحصوات فأخذ يبحث فما كان ليعثر فى تلك الحصوات إلا على القليل من تلك الحشرات ، فهنالك وثق ذلك العالم بأن هذه الألوان مقصودة لإضلال الطيور الآكلة لهذه الحشرات لأنها اذا قدرت أن تغشه هو فهى على غش الطيور الآكلات لها أقدر

(٢) ثم انظر هناك (حشرة العصا) فهى بتشبهها بالعصا أمنت من الخطر

(٣) وهكذا (السوس) الذى أعطى قوة الانكماش عند مسه فلايفرق الانسان بينه و بين كتل الطين والحجارة فى الأرض

(٤) وهكذا الخنافس التى تشبه حب نبات خاص

(٥) وهكذا الفراش الذى يقع على الشجر وقد نشر جناحيه الأسمرين الكبيرين اللذين يشبهان الورق الجاف فى شكله ولونه (انظر شكل ١٣) من صور المجلد الحادى عشر

(٦) وهكذا تلك الحشرة التى تقبض أجنحتها حينما تقع على الشجرة فترى كأنها هى نفسها قطعة من عصا مكسورة وفى نهاية الجناحين رقعة صفراء مشابهة لطرف عصا مكسورة حديثا (انظر شكل ١٤) من صور المجلد المذكور

(٧) وهكذا ترى فى (شكل ١٥) من تلك الأشكال هناك فى نفس السورة صورة دود الفراش الذى خلق مزوقا بتزويق غير جميل وهو ظاهر ممتاز تتبينه الطيور الآكلة للدود ولكنها لاتأكله ، ذلك لان الذى منعها عن أكله انما هو كراهة طعمه فهو لما كان طعمه مكروها حفظ من الهلاك واستبان وظهر بهيئته لأعداء الدود وماحفظه إلا علمها بأن طعمه غير مقبول فلو كان طعمه غير كريه لاقتضت الحكمة أن يحفظ بحافظ آخر وهكذا من الأمثلة المذكورة هناك التى بلغت (٣٠) عدا وآخرها صورة حشرة أبى دقيق التى تقع على شجر البقدونس (انظر شكل ١٦) هناك فانك لاتجد فرقا بين ظواهر شجر البقدونس و بين تلك الحشرات . هذا ماتقدم هناك فاقرأه لتفهم قوله تعالى ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ وتفهم ماهنا وهو قوله ـ إن فى ذلك لآيات للعالمين ـ

بكسر اللام ، ومن هذا يستبين لك أيها الذكى أن هذه الآيات لا يعقلها ولا يتأثر بها بحيث تصبح يقينا عنده إلا العلماء الدارسون لها أما غيرهم فانه لا يكون دليلا عنده لأنه لم يدرس الحقائق . ولا تظن أيها الذكى انى أقف بك عند ما كتبته هناك منقولا عن الكتب الانجليزية . كلا . وانما ذكرت ماتقدم لأجعله كالمقدمة لما ستراه هنا من العجب العجاب والسحر الحلال والجمال والنور والعرفان والبهجة

وستشعر بعد ما أسمعك ما أكتبه الآن بأن العلم لا حد له وأن هذه العجائب هى مقصود القرآن الشريف وستعجب من القرآن وكيف يذكر الله فيه العلماء ويخصهم بمعرفة الآيات فى الألوان ثم لا يظهر ذلك إلا فى زماننا هذا وستبتهج كما ابتهجت أنا وينشرح صدرك بالعلم والمعرفة التى لا لذة تفوقها فى هذه الحياة . إن كل مخلوق لا كمال له إلا فيما هو خاص به وكمال الفرس فى الجرى والكر والفر وكمال السيف أن يكون مرهفا فان نزلا عن مستواهما استعمل الأول استعمال الأتان فى حمل الأثقال واستعمل الثانى استعمال السكين ، هكذا الانسان لا كمال له إلا بالعلم وفيه لذته الخاصة به ، ومتى علم أدرك جمال نفسه وهناك يرى قبل الموت انه هو من عالم جميل مشرق وأن هذه الدنيا نفسها ليست هى تلك الدار المملوءة بالأكدار والأحزان بل يرى الحكمة متجلية فى الجليل منها والحقير وتتوارى أمامه أنواع النحوس ويشرق هذا الكون له وتبسم له الكواكب والشمس والقمر وهناك يرى فى كل ورقة وزهرة وحشرة جمالا ونورا ويصبح هذا الوجود فى نظره جنة عرفان ونور وبهاء إذ تحس نفسه بجمال يجهله الناس حوله وهم غافلون وهذا قوله تعالى — قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون —

وههنا حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يسألنى فى أمثال هذا المقام فقال . ماذا أعددت لهذا المقام غير ماتقدم فى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ ولم أجدلك إلا مقالا أشبه بالغزل واظهار السرور بالعلم ؟ فما الذى عندك فوق ما تقدم هناك . لقد ازداد اشتياقى لسماعه وهل فيه صور أجمل وأبهى مما تقدم . فقلت إى وربى انه لحق . فقال

أسرع بردجواب ما أنا باحث * عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت لقد علمت فيما تقدم أن الحيوانات حفظت من الهلاك بمشابهتها لما حولها من ورق وزهر . قال نعم قلت فههنا سترى أعجب وأبدع ماعرفه العقلاء فى حسن تخلص الحيوان من الهلاك بنفس الألوان . فههنا تقرأ كلام العلامة (الفرد رسل ولاس) فى مقاله المذكور فى المجلد الثانى فى كتاب ﴿ علوم للجميع ﴾

فقد أخذ يبحث فى حيوانات الأقطار الاستوائية فدله اختباره أن فى ألوان الحيوان عجبا لم يكن ليخطر ببال العقلاء . ذلك أن منها ماله صفة تلازمه وبها تتحاماه المهلكات ويتخطاه الردى ويعيش قرير العين فى الغابات . وفى نفس الأمكنة التى يعيش فيها ذلك الحيوان يعيش معه حيوان آخر لا يتصف بصفته التى بها تهابه الحيوانات الآكلة ولكنه يكون محفوظا من الهلاك مثله لأنه يخلق مشاكلا له فى ظواهر الشكل واللون وبهذا يحصل اقتصاد فى هذه المخلوقات وهذه تسمى ﴿ الحماية بالتقليد ﴾

فقال ظهر من هذا القول أن الحيوان من حيث التقليد على ﴿ قسمين ﴾ حيوان له سلاح يحميه وحيوان آخر لا سلاح له يعيش معه ولكنه يشبهه فى اللون أو غيره ويحمى من الهلاك بهذه المشابهة . فقلت نعم هذا ملخصه . فقال نريد أن نعرف نوع الحيوان الذى له سلاح والحيوان الذى حمى بمشابهته له . فقلت الحيوان الذى يحفظ من الهلاك بسلاحه وغيره يحفظ بسبب مشابهته له فى الصورة أهمه حشرة (أبى دقيق) وقد يكون ذلك فى (الخنافس) وحشرات أخرى وفى الزواحف والطيور . فلنبدأ بالكلام على حشرة (أبى دقيق)

﴿ حشرة أبى دقيق ﴾

يقول الكاتب . إن فى غابات خط الاستواء كثيرا من حشرة (أبى دقيق) وهى مختلفات أشد الاختلاف فى الحجم والصورة واللون وفى طريق الطيران ، فبعضها يطير بسرعة مدهشة وبعضها يطير على طريق التعريج

والتلوى إذ يرسم فى طيرانه فى الهواء خطوطا متكسرة وكثيرمنها قد ظهر بألوان بهجة بديعة تسر الناظرين وجمهور كبيرمنها يكون دائما قريبا من الأرض ولايعلو فى الجوّ وهو بطىء الطيران ، ومنها أنواع مزينة بزينة الألوان البديعة فى غيرظاهرها وقد لوّن ظاهرها بلون الرخام الاسود بحيث لايميزها من رآها وقعت على ورقة أوغصن من أغصان الأشجار ثم خص أنواعا ثلاثة بالذكر من حشرة أبى دقيق وهى (دانيدا) و (هيليكونيدا) و (اكريدا) ولنرمز لهذه الثلاثة بهذه الحروف (د) و (ه) و (ك) فهذه الأنواع المسماة بهذه الأسماء تظهر فى كل مكان فتظهر أنواعها وأصنافها لاتخفى وهى ظاهرة الجمال واضحة فلا لونها خفى لتحفظ من الهلاك ولاطيرانها سريع حتى ينجيها من الخطر ، بل جمالها الباهر ولونها الظاهر يصحبهما الكسل فى الطيران وعدم الارتفاع الى الجوّ وعدم السرعة ولم يظهرها أى صفة من الصفات التى تخفى بها الحيوانات عن العيون وألوان أجنحتها السفلى مشابهة تمام المشابهة لألوان أجنحتها العليا ، وبالجملة لم يظهر فيها أى دليل يدل على قصد الاختفاء وهذه الأنواع الثلاثة كأن بينها تحالفا عجيبا أوكأنها أصناف لنوع واحد من حيث الصفات . وأهمّ صفاتها التى سقنا الكلام لأجله هى رائحتها التى تسلطها على أعدائها ، فهذه الرائحة مطردة فى هــذه الأصناف الثلاثة ومتى وقع واحد منها بين أصابع صائده يلقى عليه حالا سائلا أصفر قذرا له ريح كريهة حادّة حريفة فتلوّث جلد صائده بأقبح المستقذرات ، وهــذه الحال قد علمت فيما عاش منها فى جنوب أمريكا وهوالذى رمزنا له بحرف (ه) وفيما عاش منها فى أفريقيا وهوالمرموز له بحرف (ك) وفيما عاش منها فى قارّة آسيا واستراليا وهو المرموز له بحرف (د) فيما تقدّم

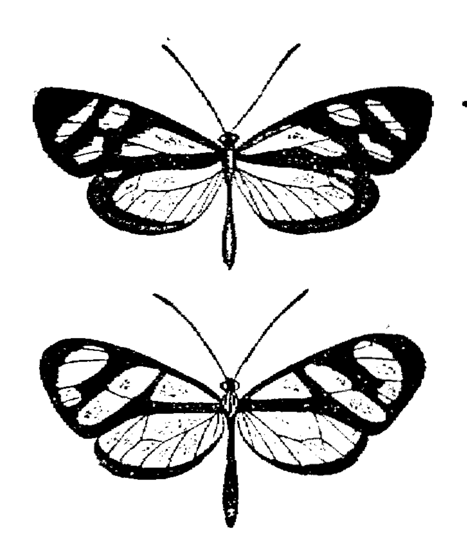
فهذه الأنواع الثلاثة فى هذه القارّات الأمريكية والافريقية والأسيوية والاسترالية كلها ذات صفة واحدة فلذلك سميناها متحالفة ، فهذا السائل الأصفر الحريف الحادّ كريه ومؤذ للطيور ولكل حيوان يصيد الحشرات وعلى ذلك تكون هذه الأنواع الثلاثة من حشرة (أبى دقيق) فى مأمن من هجوم المهلكات عليها بخلاف غيرها من سائر أصناف حشرة (أبى دقيق) الأخرى

ومن العجيب أن هذا السائل الحريف الكريه الرائحة لايختص بالحشرة التامّة بل يكون فى دودها الصغير فلايقربه قانص كما لايقربها . إذن هــذه الأنواع الثلاثة فى أمان وقد أصبحت معلومة لكل ماحولها من الحيوان فأمنت المهاجمة وظهورها علم يراه من بعيــد مايريد مهاجمتها فلايقدم عليها وذلك العلم هوصورتها الظاهرة ولونها البهج ونوع طيرانها الذى يدل على عدم الاكتراث بما حولها ولذلك تزدحم بها الغابات ويقل من حشرات أبى دقيق الأخرى

ثم إن النوع المعنون له بحرف (ه) فى جنوب أمريكا والمعنون له بحرف (د) فى جزائر الملايو نراه فى كل مكان هناك ويندرسواه من حشرات (أبى دقيق) وفى بعض الجهات لا يكون سواه . ومن أعجب العجب أن هذه الأنواع فى تلك القارّات لما أصبحت حشرة طليقة تملأ الأمكنة لايخلو منها مكان اتخذت العناية الإلهية تلك الأسلحة التى تستعملها تلك ذريعة لحفظ حشرات من أنواع أخرى من (أبى دقيق) بأن تجعلها على هيئتها فتتحاماها المهلكات وتتوارى عنها المزعجات وتخافها المهاجمات

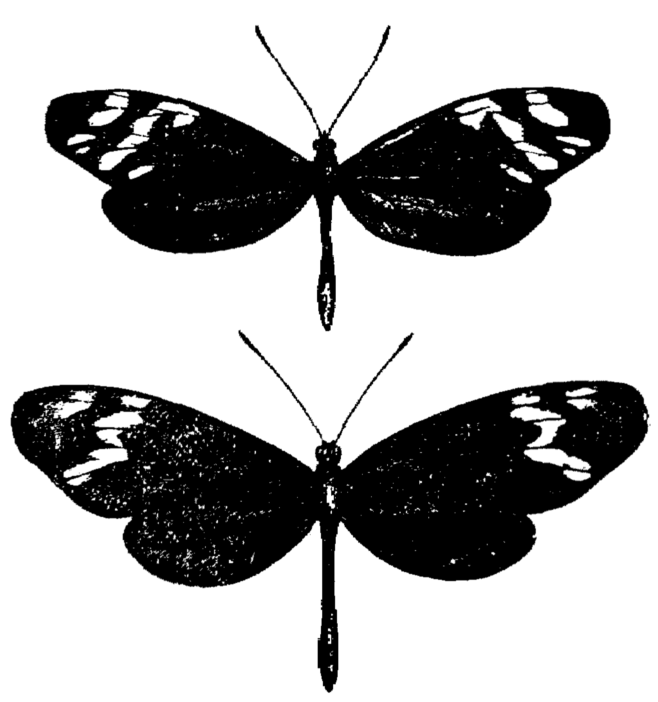
قد قلنا فيما تقدّم ان (ه) تكثرفى قارّة أمريكا وقد كان الذى علم من أصنافها سنة ١٨٧١ م (٤٠٠) صنف وبعدها بسنين بلغ ماعرف منها (٥٠٠) وهذه كما قلنا آمنة من المهاجم فكثرت جدا وهى مختلفات فى اللون ، فنها الاسود ، ومنها الأزرق ، ومنها المحلى بالصفرة والبياض ، ومنها ما زوّق بحمرة وصفرة ، ومنها ماهو أسمر منقط بالصفرة وهكذا من بدائع الألوان ، ولكن الأمر الذى يدهش اللب أن يرى العلماء أن صنفا من حشرة أبى دقيق يسمى (ليبتليز) ونرمز له (ل) يرى فى مظهره أشبه بما رمزنا له بحرف (ه) ولا يشابه من هــذا الصنف إلا ما كان معه فى مكان واحــد بحيث يتشابهان وهما طائران تشابها تاما وذلك عنــد نهر

(تباجوس) (أنظر شكل ١)



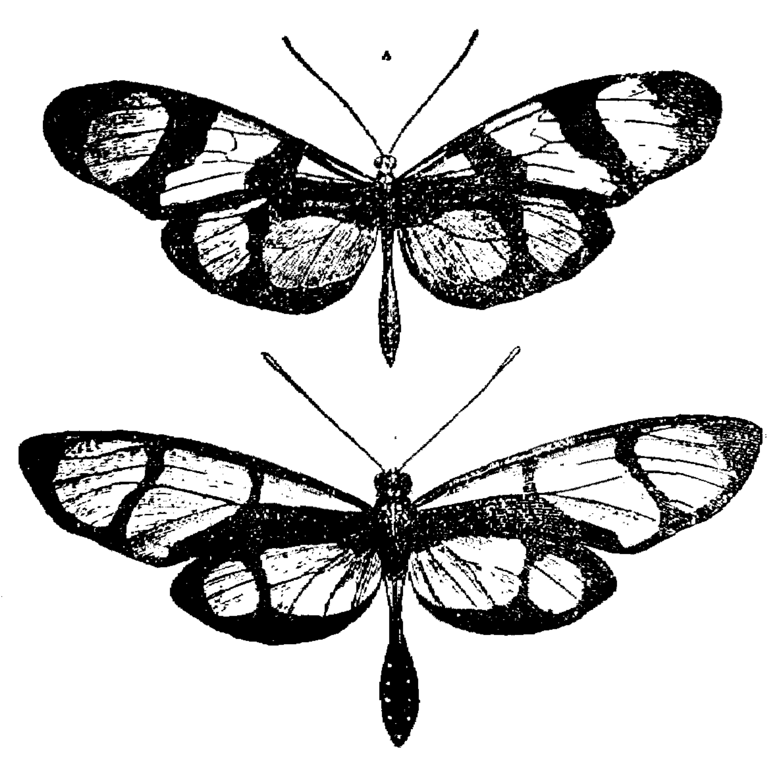
(شكل ١ ـ حشرة أبي دقيق المسماة « ليبتليز » التي عند (نهر تباجوس) الأعلى هو الوزير لاسلاح له ، والأسفل هو الأمير ذوسلاح)

وهـذه بخلاف الحشرة المرموز لها بحرف (ل) التي عندأعلى (وادى الامزون) فان الحشرة (هـ) ذات الخطوط والنقط الجرالبرتقاليـة قد اتصفت بنفس وصفها الحشرة التابعـة لها المرموزلها بحرف (ل) وفى أعلى الامزون ترى الحشرة المرموزلهـا بحرف (هـ) التى تحمل السائل الاصفر ذات لون أسود بسمرة مع خطوط صفر تبعها نوع من الحشرة المرموز لها بحرف (ل) الخالية من تلك المادة وقد تشابها فى الجسم واللون والخطوط (انظر شكل ٢)



(شكل ٢ ـ حشرة أبي دقيق التى تعيش فى أعلى (الامزون) لاسلاح له والأعلى هو الوزير والأسفل هو الأمير ذوسلاح)

فهذان الشكلان الطائر الأسفل فى كل منهما نلقبه باسم المتبوع أوالأمير والأعلى منهما نلقبه باسم التابع أوالوزير ، فالأول يملك السلاح فى كل منهما والثانى لايملك ولكن بالمشابهة حفظ من الهلاك . ثم إن الحشرة المرموز لها بحرف (ه) وهو المتبوع أوالملك الكبير الجحم الملوّن بالسواد والصفرة مع بهجة الجمال فى المظهر يصحبه فى الهيئة المذكورة واللون الحشرة المرموز لها بحرف (ل) أيضا وفى كل من المقامين يتبع الوزير أميره فى مظاهره بلافرق (انظر شكل ٣)



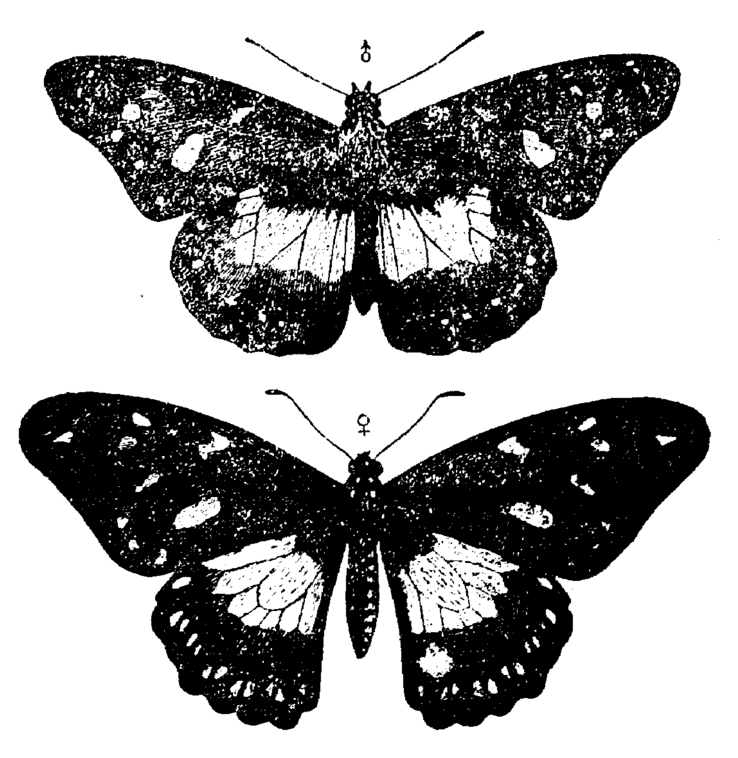
(شكل ٣ ـ حشرة أبى دقيق فى بلاد أمريكا أيضا ، الأمير أسفل والوزير أعلى)

هذا ماعلم فى بلاد أمريكا ، أما بلاد أفريقيا فان فيها النوع المرموز له بحرف (ك) فيما تقدم بكثرة أصنافا وأفرادا والنوع الآخر أفرادا ولكن أصنافه قليلة . فهذا النوع قام فى افريقيا مقام المرموز له بحرف (ه) فى جنوب أمريكا ، فتى وضعت أحد أفراد هذا النوع بين أصابعك سلح تلك المادة الصفراء الحادّة الحريفة المنتنة فلوّث الجلد فترميه حالا من يدك وعلى ذلك يكثر فى تلك الأقطار وله تابع أووزير كالذى حصل فى المرموز له بحرف (ه) فى أمريكا وهذه صورته (شكل ٤ فى الصفحة التالية)



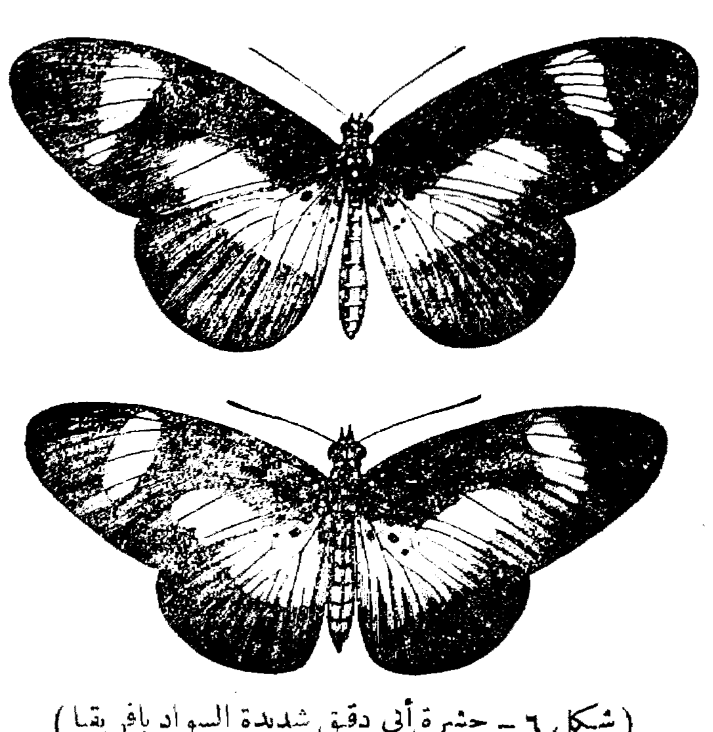
(شكل ٤ – حشرة أى دقيق التى تعيش فى افريقيا وهى تكاثر بعصابة السائل الأصفر الذى تلوث به من يمسكها فالأعلى هو الوزير والأسفل هو الأمير)

فالأول من أسفل هو الأمير والثانى من أعلى هو الوزير أوهما التبوع والتابع والمتبوع هنا هو المرموز له بحرف (ك) كما تقدم وهذا النوع يعيش فى شرق افريقيا . وأعجب ماعلم فى افريقيا حشرة تسمى (پيليو) إذ قلدت الحشرة المسماة (دانز) (انظر شكل ٥)



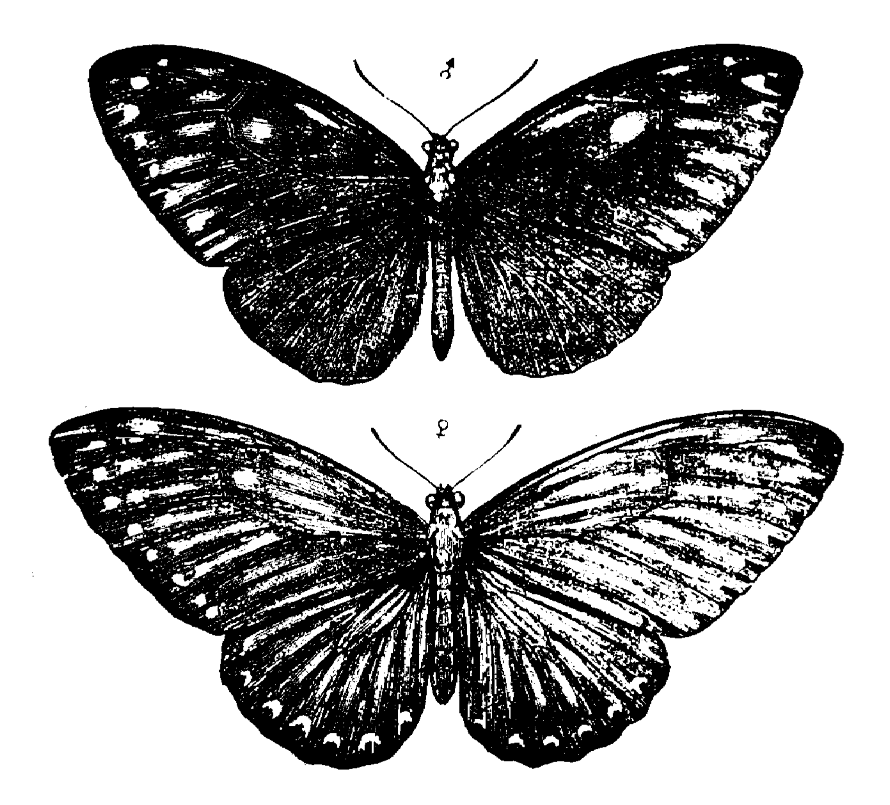
(شكل ٥ – حشرة « پيليو » التى قلدت الحشرة (دانز) بقارة افريقيا)

فترى الجناحين مستطيلين مسودين فيهما نقط كثيرة إما زيتية واما بيضاء فى مقدم الجناحين أماموخرهما فقد زين بنطاقين عريضين زيتيين . وترى فى جنوب افريقيا نوعا آخر شديد السواد يعيش فى أماكن مختلفة هناك (انظر شكل ٦)



(شكل ٦ ـ حشرة أبى دقيق شديدة السواد بافريقيا)

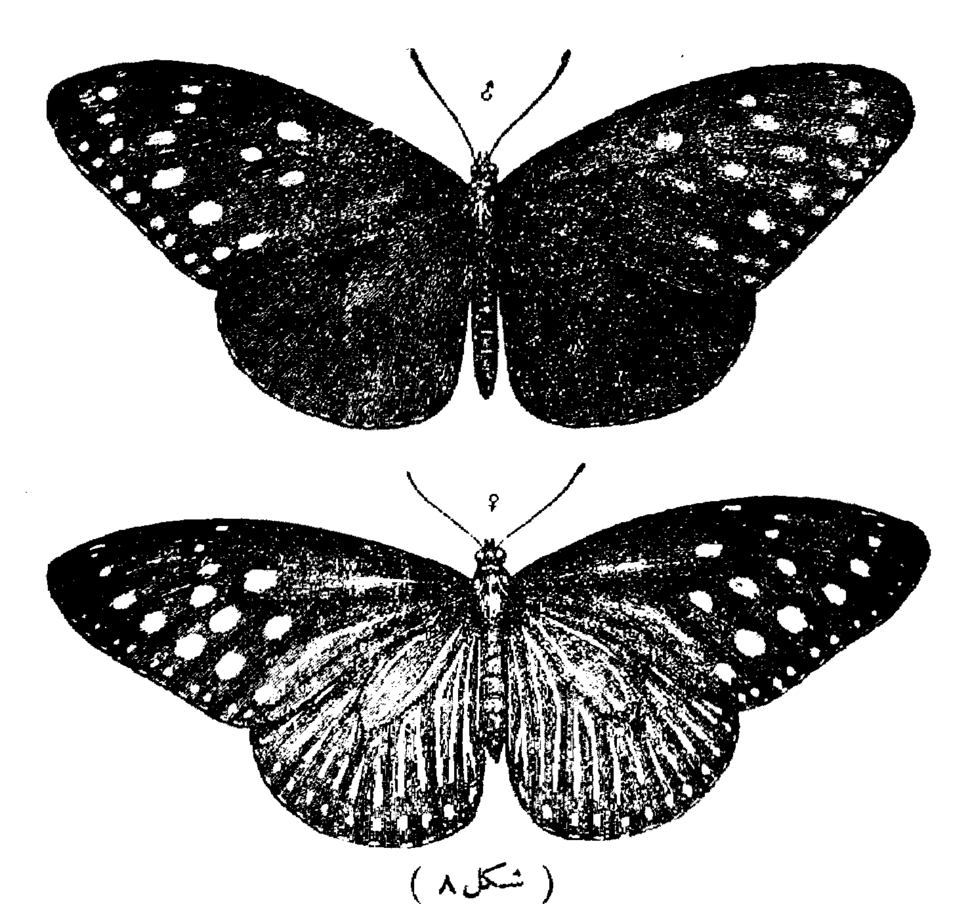
وهذا أكبر شكلا وأبهى وأبهر وأشد سوادا محلى ببقعتين كبيرتين جدا شديدتى البياض تشغلان أكثر من نصفى الجناحين والأعلى هو الأمير أو المتبوع والأسفل هو التابع الذى لا يكلف حمل السلاح والأمير يملك تلك المادة الصفراء القذرة الرائحة الخ وهنا أمر أعجب وذلك أنك سترى فى الشكل السابع والشكل الثامن أمرا عجبا ، فأما الشكل السابع فان الأعلى منه هو الذكر والأسفل هو الأنثى من الحشرة المسماة بابليو (انظر شكل ٧ فى الصفحة التالية)



(شكل ٧ ـ الأعلى هو الذكر والأسفل هي الأنثى وهما فى صفاتهما محميان بمشابهتهما للذكر والأنثى فى (شكل ٨) الأعلى هو الذكر والأسفل هي الأنثى يعيشان فى ملقا وفى بورنيو)

ومتى تأملت شكل الذكر وشكل الأنثى وجدت فى مقدم جناحى الذكر بهجة اللون الأزرق اللامع المعدنى المحلى بالنقط البيض الضاربة للزرقة . أما مؤخر جناحيه فانهما سوداوان يضربان الى السمرة . أما الانثى فانها تخالف الذكر كثيرا فانك ترى مؤخر جناحيها محلى بخطوط بيض ضيقة لامعة من الجسم ويقاطعها صف منظم من النقط البيض اهـ

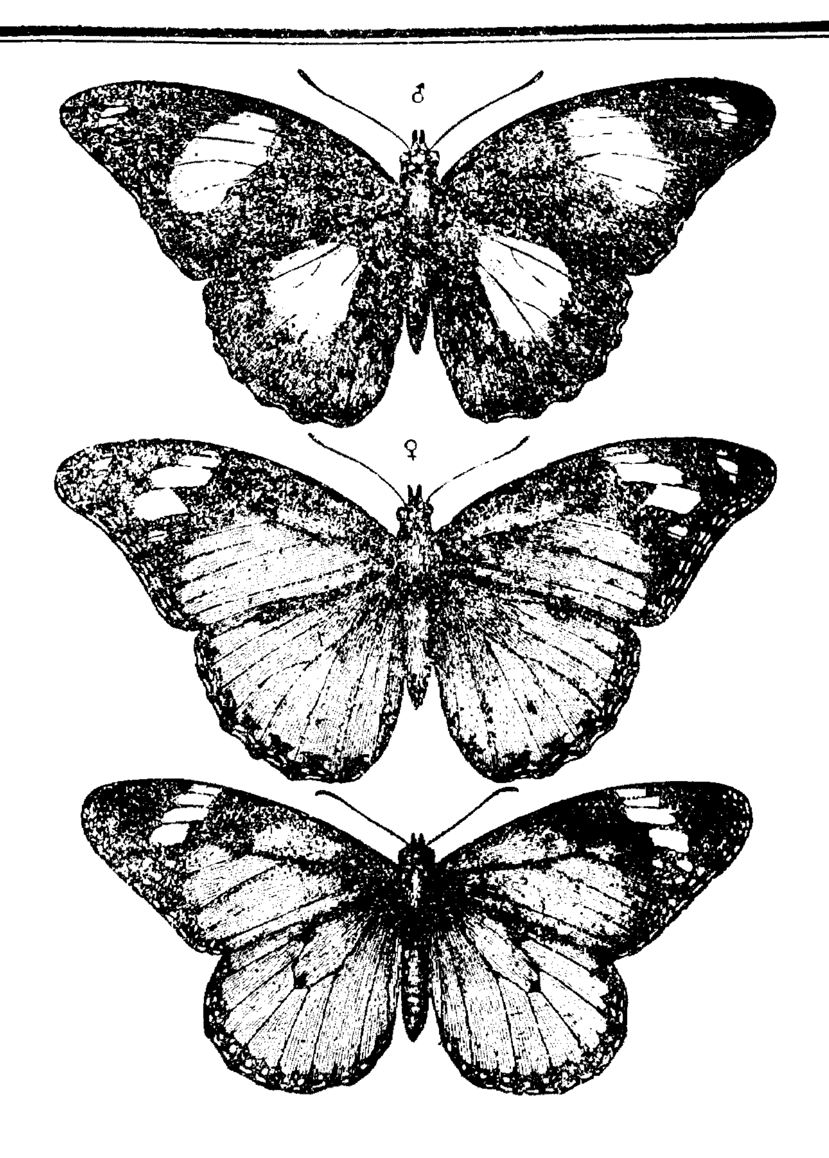
هذا وصف الذكر والأنثى فى هـذا الشكل اللذان عريا من السلاح الذى يطردان به مايريد اهلاكهما وقد أشـبها فى ذلك ما له سلاح يطرد به الأعداء وذلك هو السائل الحاد الأصفر ذو الرائحة الكريهة كما تقدم وهو ما فى هذا الشكل الثامن (انظر شكل ٨ فى الصفحة التالية)



(شكل ٨)

فهذا ذكر وأنثى فى الشكل الثامن منحا هذا السائل القذر فأخافا كل حيوان يريد بهما سوأ فأعطى الذكر والأنثى فى الشكل السابع كل الصفات الظاهرة فى الذكر وفى الأنثى هنا حتى يكون ذلك سببا فى بقائهما تبعا لما له سلاح وهذا عجب عجاب أن يكون شأن الألوان والاشكال محكما بهذه العناية البديعة العجيبة

الذكر والأنثى فى الشكل السابع لا قوة لهما على دفع الأعداء أوالهرب فلذلك أعطيا معا هذه المشابهة اللونية ليفرا من الهلاك . كل ذلك كنت أكتبه وصاحبي العالم ينظر اليه ، فلما قرأ هذا قال أتقول بلادليل، أفرأيت اذا كان فى المخلوقات ذكر ذوقوة و بطش وله قدرة على الهرب ولكن أنثاه ضعيفة لا قدرة لها على الهرب من الأعداء فهل كانت هذه المشابهة تختص بها دون الذكر ؟ اذا رأينا ذلك أيقنا أن العناية التى نظمت هذه الأجسام ترعى دقائق الامور كما ترعى جلائلها و يتساوى عندها العظيم والحقير . نعم ان فى مشابهة الزوجين فى الشكل السابع للزوجين فى الشكل الثامن دليلا ظاهرا و بها عاشا قريرى العين كثيرى النسل سعيدين فى (بورنيو) و (ملقا) وغيرهما ولكن مخالفة هذه القاعدة فى المشابهة وقصرها على ما يحتاج اليها يكون أوفى وأتم واذ ذاك نعرف معنى كون هذه العجائب آيات للعلماء بها لمعرفة الصانع و بدائع حكمته . فقلت له قد كان ماقلته حاصلا . قال وكيف ذلك . قلت (انظر الشكل التاسع)

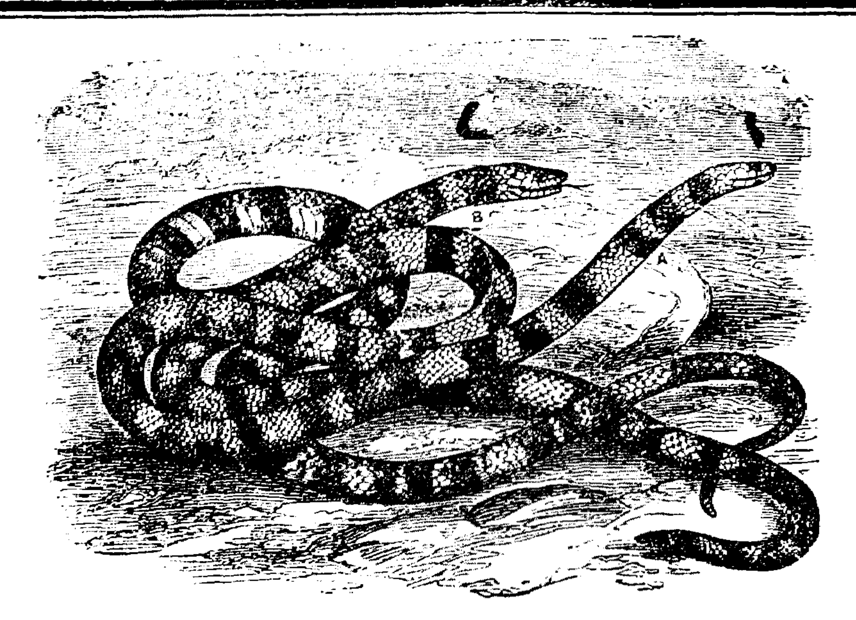


(شكل ٩ ـ الأعلى هو الذكر والأوسط هى الانثى وتحت الانثى (حشرة دانيز) وهى ذات السلاح وبمشابهة الوسطى لها صارت محمية من الفتك بها)

فانظر الى صورة الذكر فهى سوداء محلاة بأربع بقع بيضاوية الشكل بيضاء واضحة محلاة حاشيتها بزرقة زجاجية تسر الناظرين . أما الانثى فهى مخالفة له من حيث انها ملونة بالسمرة البرتقالية المحلاة فى حواشيها بالسواد والبياض وبحزام أبيض يعترض القمة السوداء من داخل الجناح ، فهذه الانثى خالفت الذكر من نوعها ووافقت فى لونها حشرة أخرى من غير صنفها . والسبب فى ذلك أن الذكر سريع الطيران وهو دائما يعلو فى الهواء مرتفعا . أما الأنثى فانها بطيئة الطيران بل هى فى أكثر الاوقات لاتبرح مكانها من الارض الى الهواء ولما كانت هذه الاصناف تعيش فى الارض العراء بعيدا عن الغابات وكانت الأنثى منها لابد لها من أن تضع بيضها على ورق الاشجار كان ذلك مع ماتقدم معرضها للخطر لذلك اقتضت الحكمة أن تلون الأنثى بلون الحشرة الثالثة التى أعطيت السلاح المخيف فصار ذلك السلاح حماية لحامله وهيبة لما يشاكله ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ

فقال صديقى العالم . إن هذا لعجب عجاب . لقد أقنعنى هذا البيان وأنا به من المعجبين . وبهذا انتهى الكلام على حشرة أبى دقيق . فلنشرع فى الكلام على الزواحف فنقول (انظر شكل ١٠)

شكل



(شكل ١٠ ــ هذان ثعبانان من ثعابين بلاد أمريكا والمرموز له برقم (١) هو السام والمرموز له برقم (٢) هوالذى لاسم له وقد نجا من الهلاك بالمشابهة)

فهذا الشكل يحوى ﴿ ثعبانين * أحدهما ﴾ وهوالمرموزله بعدد (١) ثعبان من ثعابين بلاد أمريكا السامة والثانى هو (٢) مقلد له ولاسم له فنجا بالمشابهة . وهذه الثعابين رؤسها بيضاوية الشكل اهليلجية وأجسامها محلاة بخواتم أوحلقات تحيط بها من رأسها الى ذيلها . وهذه الحلقات منهاالسود ومنها الحمرأوالصفر و بها يكون الثعبان بديعا بهجا و يمتازعن غيره من الثعابين وهذا أشبه بعلم يحمله الثعبان منذرا كل حيوان يهاجمه أن ارجع فانى أنا صاحب السم . واذن تكون تلك الزينة حافظة لنفس هذا الثعبان ولما يريد قصده بسوء . و يتبع ذلك أن ماقلده فى ذلك وهوثعبان عدد (٢) صارحكمه كحكمه فلايهاجمه مهاجم وهو يأمن الهلاك . فنمرة (١) هوالملك ونمرة (٢) هوالوزير وهذا الثعبان الذى سميناه وزيرا لاسم له فى فكه فأمانمرة واحد فهوصاحب السم القاتل لحفظه من الهلاك وحفظ مشابهه فى تلك الهيئة العجيبة ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ

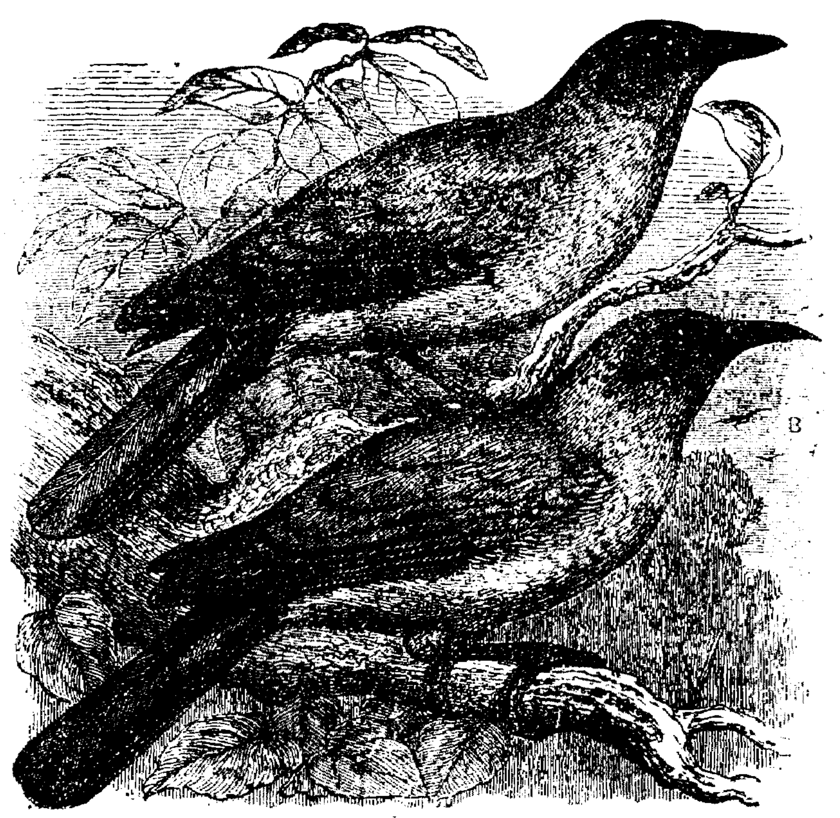
يقول الكاتب الانجليزى . وكما أن حشرة (أبى دقيق) التى خلت من سلاح المقاومة وهوالسائل القذر ذوالرائحة الحادّة بمشابهتها فى شكلها لما أعطى هذا السلاح ، هكذا نجا هـذا الثعبان الذى لاسم له بمشابهته للثعبان الذى عرف بأنه سام . إن فى (أمريكا) نوعين أوثلاثة أنواع من الثعابين التى لاسم لها وقد نجت بمشابهتها بما له سم منها . وتلك المشابهة لها طرق مختلفة وقدعرف منها نحوثمانية أنواع بها تقلدالاتى خلت من السم الثعبان الذى له سم

وهـذا الذى فى (شكل ١٠) المتقدّم نوع منها فالثعبان نمرة (١) يعيش فى بلاد المكسيك محلى بمناطق عريضة سود فوق لون الحمرة وكل منطقة منها مقسمة الى ثلاثة أقسام بخواتم صفرضيقة وهذه الأوصاف كلها قد تحلى بها الثعبان الذى لاسم له نمرة (٢)

ثم قال ﴿ نحن ليس فى قدرتنا أن نورد ماهوأكثرغرابةوعجبا(من حيث الألوان المنذرة للأعداء بظهورها ودلالتها على الخطر الذى بجانبها وحمايتها مايقلدها ولاسلاح له) من الذى أوردناه من الكلام على الثعابين الأمريكية فى هذا المقام ﴾ وبهذا انتهى الكلام على الزواحف وتقليدها اتقاء الخطر

﴿ الكلام على الطيور المقلدات لتتقي الخطر وهي خاتمة الأقسام ﴾

(انظر شكل ١١) فالطير الأعلى على صورة الطير الأسفل وهذا الأخير يسمى (فيليدن) عادة له جماعة كثيرة العدد قوية البأس فاذا اعتدى على واحد منها معتد اجتمعت تلك الجموع العظيمة وأوردته المهالك ولو كان المهاجم هو الصقر فمابالك بالغراب (انظر شكل ١١)



(شكل ١١ ـ الطير الأعلى هو الوزير والأسفل هو الأمير الذى سلاحه أن له جماعة عظيمة تفتك بمن يقصده بأذى فحفظ الأعلى بمشاكلته)

هذا ما أردت تلخيصه من كتاب ﴿علوم للجميع﴾ المؤلف باللغة الانجليزية فى تفسير قوله تعالى ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ـ بكسر اللام

هاهوذا أيها المسلمون هو السر الذى ظهر اليوم فى الأرض وعرفه الناس فى اختلاف الألوان

﴿ خطاب للمسلمين ﴾

أيها المسلمون . هذه الطيور وهذه الزواحف وهذه الحشرات التى رأيتم الأعاجيب فيها قد نقشها الله وزوّقها تزويقا يظنه الجاهل لمجرّد الزخرف والزينة ولكن العلماء هم الذين بحثوا حتى عرفوا أن الأنواع الثلاثة الممتازة من حشرة (أبى دقيق) قد وهب الله لها هذا السائل القذر الكريه الرائحة لتعمر الغابات فى افريقيا وآسيا واستراليا وأمريكا وقال لها تمتعى برياضى وارتقى فى جناتى أيتها المخلوقات . ثم خلق أصنافا أخرى وجعلها فى كنفها وتحت حمايتها ولكنها هى لاتعلم انها حامية ولا الأخرى تعلم انها تحت حمايتها . ههنا يعرف العقلاء تخصيص الذكر بالعلماء

هنالك قال لى صديقى العالم ، ههنا حقّ لى أن أناقشك ﴿ أوّلا ﴾ كيف ضاقت الأرض بما رحبت فلم تجد فى تفسير الآية إلا كلام الفرنجة ﴿ ثانيا ﴾ ما الفارق بين عجائب الألوان فى (سورة المؤمنين) عند آية

ـ وما

ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ و بين عجائبها هنا ﴿ ثالثا ﴾ ما الفوائد العلمية المترتبة على فهم هذه العجائب ﴿ رابعا ﴾ ما الفوائد العملية للمسلمين ؟

فقلت له . إن هـذه الأسئلة التي أوردتها يظهر لى انك أردت بذلك ايضاح المقام لأهل العلم فى الاسلام والا فما معنى قولك فى السؤال الأول «كيف ضاقت الأرض بما رحبت الخ» إنى موقن انك عالم أن العلم أمر مشاع بين الأمم ، فانه الذى عمهم بالماء والهواء وضوء الشمس والغـذاء ورحمهم جميعا هو الذى علم من يشاء العلم منهـم ولم يقل أحد من علماء الاسلام أن العلماء مختصون بالمسلمين ، وأنت تعلم أن المسلم أبيحت له الغنائم من مال ومن نساء وغيرهما ، ولاجرم أن مال الكتابى حلال اذا جاءنا فى الغنائم ومثـل المال التمتع بملك اليمين من هـذه الطائفة ، لاخلاف بين المسلمين فى ذلك . فقال هـذا حق . فقلت فهل يبيح الله لنا الأموال والأعراض فى الغنائم من القوم ويحرّم علينا العلم ، العلم علوّ للنفس وشرف لها ، والمال واللذات من مال اليها وفتنته ذلّ وهلك ، والقرآن كله يذم ذلك ، أما العـلم فهو مرغوب ممدوح ، فكيف نستبيح المال ونحرّم العلم والنبى ﷺ حذرنا من الفتنة والوقوع فى المهالك من أجل الغنائم والافتتان بها كما تقدم فى سور كثيرة فاقرأه فى (سورة النمل) عند آية ـ إن الملوك ـ الخ ونحوها . إن هذه العلوم قد استثارها آباؤنا فى القرون الأولى ومنهم أخذ أهل أوروبا ، فاذا رأينا القوم قد كسوا تلك الأمانة بحلل جيلة وأمكننا أن نرجعها جاز لنا ذلك بل وجب علينا ونقول ـ هذه بضاعتنا ردت الينا ـ هانحن أولاء فى القرن العشرين نظرنا فوجدنا أممنا الاسلامية فى مجموعها قد انحرفت مئات السنين ونامت ، أفلايجب علىّ أنا وعلى جميع من هـم مغرمون بأمثال ماتكتب الآن أن يبينوا للناس مزايا ديننا . فقال لى أهذا واجب عليك وجوبا عينيا . فقلت نعم . قال وما البرهان له . قلت إن هذه العلوم كلها واجبة وجوبا كفائيا والأمة اذا لم يكن فيها أناس يكفونها ماتحتاج اليه وجب عليها أن تربى من تحتاج اليه بمقدار ماتحتاجه ، ومتى قصرت نزل بها الذل والهوان وهذا هو الحاصل الآن ، فالذل يحيق بالأمم التى أهملت أىّ علم أو أىّ صناعة تحتاج اليها ، والمسلمون حاق بهـم الهوان لإهمالهم ذلك ولقد قال علماؤنا «من وجد فى نفسه استعدادا لعلم كعلم الفقه وجب عليه أن يتقنه» يريدون وجوبا عينيا ، فالعينية هنا جاءت من الاستعداد ، فكل من عرفوا ما أكتبه فى هـذا التفسير وكانوا قادرين على أى علم أو أى صناعة ثم ناموا عن ذلك عوقبوا لأنهم يعلمون . فقال إذن صار ذلك كالحج فقلت . كلا . الحج واجب عينى على كل من استطاع اليه سبيلا ، أما هذه العلوم والصناعات فالأمة مكلفة أن تعين جماعة تراهـم أهلا لها والا عوقبت الأمة كلها ، ولذلك قال إمام الحرمين كما قلناه مرارا ﴿ إن فرض الكفاية أفضـل من فرض العـين لعموم نفعه اذا كان وعموم ضرره اذا لم يكن ﴾ وعلى ذلك يجب على المسلمين أن يقرؤا علوم الأمم كلها . إن الله عزّ وجل قد أحاط المسلمين بالمنذرات من جهة و بالعلوم من جهة أخرى وسهل لهم سبلها فاذا أعرضوا عنها فهم غير شاكرين وهذا هو كفر النعمة وكافر النعمة ممقوت . إن الله فتح أبواب العلم للمسلمين اليوم فليلجوها . وأما قولك «ما الفارق بين عجائب الألوان فى سورة المؤمنين و بين عجائبها هنا» فأقول العجائب هناك قد أشرت لها فى أوّل هذا المقال ترجع الى أن الحيوان يشاكل ما حوله من شجرة أو ورقة أو زهرة أو يكون كعصا مكسورة ، فالحيوان بهذه المشاكلة يغش ما يفترسه فيعيش بهذا الابهام ، أما الذى هنا فان الحيوان يشاكل حيوانا آخر لانباتا ولا ورقا ، هـذا هو الفرق بينهما وكلاهما ابداع فى التصوير واغراب فى الابداع واحسان فى النقش وتفنن فى ضروب الجمال والسحر الحلال ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ

أما السؤال الثالث وهو «ما الفوائد العلمية المترتبـة على ذلك» فهذه الفوائد غير خافية عليك ، فانظر رعاك الله الى علم لم يكن عند الأمم فأصبحنا ندرس علم التوحيد دراسة لم يحلم بها السابقون . الله أكبر . هل يبقى عند أحد شك فى أحسن الابداع والنظام ، فما هذا التفنن والتصنيف والاغراب فى الخلق وضروب الحكم

هل يبقى بعدهذا زيادة لمستزيد ؟ ألم تر نقوشا سودا وحمرا وصفرا فى الثعبان وقد شاكل الأعزل من السلاح صاحب السلاح فنجا من الهلاك ، ألم تر الطير الذى لا أقارب له تساعده على القتال قد لوّن بلون ماله أولئك الأقارب فنجا بنفس هذه المشاكلة ، ثم كيف تلوّن الأنثى من حشرة (أبى دقيق) بتلك الألوان البديعة التى تشبه أثواب أغنى الغانيات فى بلادنا المصرية من حيث التطريز والاتقان أما ذكرها فلا لأن هذا اللون وضع لها ليحفظها بمشاكلتها لما له سلاح وهو السائل الكريه الرائحة ، ثم كيف رأينا الذكر والأنثى اللذين لاقوّة لهما على قهرعدوّهما من تلك الحشرات قد شابها الذكر والأنثى مما له سلاح وقد حفظا بتلك المشابهة وهل يعرف المسلمون معنى قوله تعالى ـ أفمن يعلم أن ماأنزل اليك من ربك الحق كمن هوأعمى ـ إلا بأمثال هذا ، لم يقل الله أفمن يؤمن بل قال ـ أفمن يعلم ـ أليس هذا هوالعلم ؟ نعم العلم أفضل من الايمان وأعلى ، يقول الله تعالى ـ وقال الذين أوتوا العلم والايمان ـ الخ وقال تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ وهذا هوالزمان الذى يتحتم فيه العلم

إن المسلمين الذين يكتفون بالايمان مغرورون ، أليس هذا هو العلم ؟ نعم بمثل هذا يوقن المسلم ايقانا لايعتوره شك

أما قولك « ما الفوائد العملية » فأقول . إن العلم دائما يمدّ العمل ، والأمة التى لاعلم عندها لاعمل لها اعلم أن الله عزّوجل جعل هذه الأرض من العوالم التى ليست متقدّمة ومع هذا قدجعل فيها نفوسنا من عالم أعلى فهذه النفوس فى الأرض أشبه بضوء الشمس يختلط بالتراب فهو إذن بين ﴿ عاملين ﴾ عامل الشرف وعامل الخسة ، ولكن لما كان الله حكيما ورحيما كان من الحكمة أن يزعج هذه النفوس بعظائم الامور وهذا الازعاج جاء لها على مقدار نقصها ، والدليل على نقصها ارسالها لهذه الارض ، فالناس يحسون بالآلام من الحرّ والبرد والصواعق والزلازل والحشرات الآكلات لزرعنا والشاربات دماءنا فى فراشنا والأمراض الظاهرة والباطنة . ولما كانت هذه كلها يتلقاها الناس كانوا تارة يحزنون وتارة يصبرون وألقى بينهم العداوة والبغضاء وأثار بعضهم على بعض أمما وأفرادا وأقارب فى النسب وأشباها فى الصناعات والأعمال والصفات والمساكن وانما فعل ذلك لتكون العداوة الموجبة لغليان الدم فلا يهدأ لهم بال مع ان المصائب الطبيعية أكثر من هذه . كل ذلك ليبلو بعضهم ببعض وهذا الابتلاء ليستخرج قواهم و يستفزهم من الأرض ليعرفوا الحقائق ولوكانوا أعلى من ذلك أخلاقا لقلّ البلاء ولكن البلاء والاختبار عظيم على مقدار نقص هذه النفوس وانما جاءت هذه المزعجات ليرتقوا الى العالم الأعلى فانهم منه جاؤا واليه يرجعون

فلما كانت هذه حال هذا الانسان خلق فى هذه الأرض التى جعلت الحيوانات فيها على هذا النمط فان أرضنا من طبعها أن ماعليها من الحيوان ألقى بينها العداوة والبغضاء فمنها الآكل ومنها المأكول ، كل ذلك لحكم تقدّمت فى هذا التفسير . إذن هذا الانسان عنصره شريف وقد أثيرت عزائمه بالمزعجات مشاكلة لأنواع الحيوان . وههنا للانسان ﴿ منهجان ﴾ منهج شريف ومنهج خسيس ، فأما المنهج الخسيس فهو أن يبقى كالحيوان الذى وجد فى الارض معه قاتل ومقتول وحاسد ومحسود وهكذا وهذه المرتبة قال الله له فيها ـ وخذوا حذركم ـ ومعنى هذا أن النوع الانسانى اليوم لايزال طفلا غرا ، فلن ترى دولة من دول الشرق أوالغرب إلا والنفاق هوالمنهج السارى بينهم ، فالوزيران يجلسان معا وتضرب لهما الموسيقى وهناك الجواسيس تبحث عن الحقائق ، فما من أمة إلا ولها جواسيس تتزيا بزى الأمم وتأتى بأخبارها ، فهذه الأمم الآن لم تزد قيد شعرة عن الحيوان فى أخلاقه وعاداته ، فهاهى ذه أنواع الطيور والزواحف والحشرات قد رسمت أمامك ورأيت أن الضعيف نجا بسبب مشاكلته للقوى وقد كثر هذا جدا والانسان لم يزد عن هذه قيد شبر فأعظم دولة ترسل من لدنها أناسا مخبرين يتزيون بزى غيرهم ملبسا ولغة وأخلاقا ويتم لهم مايريدون

وقد ذكرت فى هذا التفسير أن اليابان فى حرب الروس لونوا السفن بلون ماء البحر فلم يهتد اليها الروس فكانوا من الهالكين . إذن الانسان فى أعلى مراتبه اليوم لم يعمل فى سياسته أكثر مما صنع للزواحف والطيور والحشرات ، فهؤلاء قوم قلدوا الحيوان فيما منح من هذه الصفات المنجية له . أما المنهج الأعلى فذلك أن هذا الانسان يعلو عن الحيوانية و يرتقى الى عادات وأخلاق أرقى فيكون الناس كلهم عاملين فى الأرض مجدّين فى منفعة المجموع بحيث لاتذر أمة من الأمم فردا من أفرادها بلاعمل ولا أرضا بلازرع وتصبح الانسانية أرقى من سابقتها . فقال صاحبى وهل الله ذكر ذلك فى القرآن ثم انك تكتب هذا للمسلمين ؟ وهل المسلمون فى يدهم ذلك . فقلت إن الله يقول ـ ظهر الفساد فى البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ـ فالانسانية كلها اليوم فى الدركات السفلى وكلهم متحاسدون منافقون ، كل دولة تنافق للأخرى وتظهر غير ماتخفى . والله عامل الأمم بهذه المزعجات لعلهم يرجعون عن هذه الأخلاق أى فى هذه الحياة الدنيا وهذا دليل على أن هذه الانسانية لها يوم فى نفس الأرض تكون أرقى منها الآن ويكونون أقرب الى الاصلاح وذلك هو الزمن الذى ينزل فيه المسيح وذلك بالصفاء و يزول الدجالون من هذه الدنيا والدجالون اليوم فى كل الأمم . فقال ولكن يقول الله تعالى ـ خذوا حذركم ـ . فقلت هذا الحذر لامفرّ منه فى الأمم الحالية فقال ولكن المسلمون لايبالون بأولئك الجواسيس غالبا . فقلت إن الأمة الاسلامية التى لاتفقه أحوال الأمم حولها تكون عاصية فلابد من معرفتها كل علم وكل صناعة وكل سياسة ولتلبس لكل حال لبوسها والأمة المسالمة النائمة لابد من هلاكها سريعا ، فليشاكلوا الأمم حولهم فى العلوم والسياسات وليبقوا على أخلاق العفة والشرف وحينئذ يرتقون

فليكن حذرهم فى كل زمان بحسبه ، والجواسيس اليوم يكونون قوما من الممتازين فى العلم والأخلاق فهم يحذرون و يكلون النتائج الى الله بعد أن يحترسوا من كل صغيرة وكبيرة كما تفعل الأمم وكما هى حال هذه الطيور والحشرات والزواحف فوافق القرآن الطبيعة والشرع الوضع

فأما ارتقاء الأمم كلها فهذا له يوم معلوم عند الله ، فليستعدّ له المسلمون من الآن والله هو الولىّ الحميد

فقال صاحبى بقى لى سؤال واحد . فقلت ماهو ؟ فقال أراك تستنتج من نفس المناظر الحيوانية والنباتية وتستخرج منها قواعد وعلما وهذا العلم يرجع موافقا للقرآن . فقلت حقا لأن هذه أعمال الله وهذا كلام الله والأمم الاسلامية التى تظنّ أن فهم ألفاظ القرآن كافية لحياتها تموت بعد قليل ولاتعيش إلا بالعصبية كما قرّره ابن خلدون والعصبية تنحل بعد قليل وتذهب . قال نعم . قلت فلابد من قراءة هذا الوجود كله فان دراسته ترقى العقول وهذه الدراسة نفسها دراسة للقرآن

إن كل ماتراه إن هو إلا شعائر الله . إن شعائر الله على ﴿قسمين﴾ شعائر للعامة والخاصة وهى كشعائر الحج وشعائر لايعقلها إلا الخاصة وهى أمثال ماتلوته عليك الآن . أفلست ترى هذه الشعائر العجيبة تسحر العقول وتدهش الألباب وسيكون فى هذه الأمم الاسلامية حكماء عاشقون مربون لها منظمون لشؤنها لما يرون من هذه الشعائر ، فكما أن الارض كلها مساجد لنا هكذا كل الارض شعائرنا ولكن هذه الشعائر لايعقلها إلا قليل ـ وقليل من عبادى الشكور ـ

وهذه الطائفة هى التى تفهم قوله تعالى ـ فأينما تولوا فثمّ وجه الله إن الله واسع عليم ـ إن الأمم اليوم آخذة فى الرقى السريع وقد ركبوا الطيارات وتقاربوا وهم يقولون بالسلام العام فلامناص للمسلمين من الاسراع فى ذلك فان وحدة الأمم هى التى أشار الله لها هنا فقال ـ فطرة الله التى فطر الناس عليها ـ وهذه الفطرة هى التى أذاعها نبينا ﷺ بأن أمر بلالا أن يؤذن فى الكعبة بين رجالات قريش وهو القائل « لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » وهو القائل « اسمعوا وأطيعوا وان ولىّ عليكم عبد حبشىّ » ويقول الله تعالى

ـ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم ـ الخ فهذا يوم سيأتى وكل آت قريب والفضل فيه للاسلام فليعلم ذلك المسلمون . انتهى مساء الاثنين (٢٤) يونيو سنة ١٩٢٩

﴿ بهجة العلم فى حشرة أبى دقيق التى تقدم ذكرها ﴾

اللهم إنك قد أودعت فى عقول الأمم والأفراد بذور العلوم وأبدعت فى استخراجها من الأرض والعوالم حولها ، فهاأناذا اليوم قصصت قصص حشرة (أبى دقيق) فيما تقدم وأن منها طوائف وطوائف متعاهدات متفقات فى افريقيا وأمريكا وآسيا ، هـذه الطوائف تشابهت فى أن لها سلاحا تحمله وذلك السلاح هو السائل الأصفر المقذر للابس وأجسام مايقصـدها بسوء من انسان وحيوان وأن هناك أصنافا من الحشرات تحفظ من الهلاك بسبب المشابهة والمماثلة فى الشكل واللون فتهابها المهاجمات وتخافها وتتحاماها فتكون هى من الباقين المحفوظين من الدمار والموت الزؤام . فهذه قد أذكرتنى بماسمعته فى قريتنا وأناتلميذ بالجامع الأزهر أيام العطلة الصيفية إذ سمعت الفلاحين يقولون إن فلانا (من أقاربى) مد يده الى حشرة (أبى دقيق) فألقت عليه مادة صفراء قذرت يده وثوبه فما أسرع أن أطلقها من يده ففرت فرحة بالنجاة وسعيدة بما لها من السلاح ، فلما أن وفقنى مجيب الدعاء وعرفت هذا أيقنت أن بذور العلم مبثوثة فى العالم كله ، فمن الناس من يجيب داعى الوجدان المنبث فى النفوس من الله ومنهم من يتولى بركنه وهم من الباحثين عن الحقائق ساخرون مستكبرون فهذه الحشرة التى ألقت سائلها الأصفر القذر على ذلك الفلاح فى قريتنا فتحت بابا للبحث فى الحشرات ودراستها ولـكن لمن فتحته ؟ فتحته فى بلدة لاعلم فيها ولاعلماء ، لايأبهون بمثل هذه المفاجآت ولا يشتاقون لبحث مايشاهدون ، ولـكن العلم فى الأمم الحية أظهر فى هذه العصور أن هذه الحشرة فرد واحد من طوائف وطوائف فى افريقيا وأمريكا وغيرهما وانها يعوزها البحث والتنقيب ولـكن الله عز وجـل لم يذر الانسان بلا تذكير فهو قد ذكر أهل بلدتى وغيرهم بهذا فـكانوا معرضين لأنهم ليس عندهم لذلك استعداد ، وهكذا نرى الناس يشاهـدون شروق الـكواكب وغروبها وجمال النجوم فلايفـكرون فيها ، ولـكن هناك أناس بحثوا فعرفوا ويشاهدون أنواع الحيوان فلايفـكرون فيها والمفـكر قوم مصطفون ويرى الرجل رؤيا فتقع كما رآها فلايفـكر فى ذلك مع ان هذا مبدأ من مبادئ علم النفس ومفتاح علم بقاء الأرواح ومفتاح معرفة عموم علم الله ولـكن لايفطن لهذه المباحث إلا قليل ، فالله جعل بذور العلوم عامة فى جميع الأقطار وعند جميع الناس ولايتفطن لها إلا المفـكرون . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ درجات العقول وبيان فهمها فى هذه العجائب ﴾

اعلم أيها الذكى أن الله لما أبدع هذا العالم وأبرزه للعقول الانسانية وللغرائز الحيوانية لم يسوّ بين العقلاء فى درجات الآراء . ذلك لأنه متـكبر متعال . انه تردّى بالـكبرياء واتزر بالعظمة فليس الجمال البديع معرضا لـكل ناظر ولامطمعا لـكل باحث وإذا أردت بيانا لذلك فارجع الى ماذكرته لك فى (سورة الفاتحة) من المثل الذى ضربته فترى هناك رجلا وابنه ودابته فى الحقل وكل من الثلاثة له غرض يريده ومقصد يتوخاه فلامقصد للدابة من الحقل إلا أن تأكل البرسيم ولاغرض للصبى إلا أن ينظر بهجة الزرع وجماله الخ وللفلاح رأى أعلى ثم المهندس فالعالم الطبيعى فالعالم الربانى . هـذا المثل قد استوفيت الـكلام عليه فى (سورة الفاتحة) ثم انظر الى مثل آخر ضربته فى (سورة المؤمنين) عند قوله تعالى ـ كل حزب بما لديهم فرحون ـ وهو مثل العميان الست الذين أخذوا يبحثون فى حقيقة الفيل وكل منهم رأى فيه رأيا لايعدو مالمسه بيديه من خرطوم أوذيل أوظهر الخ فهذان المثلان فى (سورة الفاتحة) وفى (سورة المؤمنين) يظهران لك أيها الذكى أن هـذه الدنيا معرض لـكل عقل والعقول مختلفة والصور المعروضات فيها تتجلى لـكل عقل بحسب درجته وهيئة تربيته ، فكما أن العميان الست فى مثال الفيل الذى جاء فى كتب الانجليز عن أهل الهند وذكره الغزالى أيضا من

علماء الاسلام حكم كل منهم على الفيل بما أحست به يده هكذا الكتاب فى الشرق والغرب كل يحكم على المحسوسات بما وصل اليه علمه ولا يتعدّى طوره ، وكما أن السليم البصر اذا رأى الفيل حكم حكما أعلى من حكم هؤلاء العميان وقال ان كل ماقالوه فى الفيل حق ولكنها آراء جزئية لا كلية هكذا اولئك الكتاب والمفكرون الذين يقرأ الناس كتبهم فى عصرنا الذين أشبهوا هؤلاء العميان الست فوقهم طائفة هم أولوا العلم الذين وقفوا على الحقائق واذا قرؤا كلامهم يعرفون منه درجتهم فى العلم ويحكمون عليهم بما كتبوا وكما أن الله عزّ وجل قال فى أهل الجنة والنار ـ و بينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ـ هكذا الناس فى الأرض فيهم اليوم طائفة امتازت بسموّ العقل وسداد الفكر ، فهذه الطائفة اليوم هى التى تعرف ـ كلا بسيماهم ـ وهؤلاء أنفسهم يكونون من أصحاب الأعراف يوم القيامة ، فأصحاب الأعراف يوم القيامة يكونون فى مكان عال مشرف على الطائفتين وهم الآن فى الدنيا علوا فى منزلة عالية من سموّ الفكر و بهذا يميزون الكتاب و يعرفون درجاتهم . هذا ما أردت أن أجعله مقدمة لما ستراه من عجائب الحكمة و بدائع العلم ولتكون أنت من أصحاب الاعراف فى هذه الدنيا وتكون موئلا ومرجعا ترجع اليك الأمم الاسلامية فى ظلامها الحالك فتهديها الى سبيل الرشاد

فهاك ﴿ ثلاث مراتب ﴾ من مراتب الكتاب فى عصرنا ﴿ المرتبة الأولى ﴾ اقرأ ما كتبته فى (سورة الكهف) عند قوله تعالى ـ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ـ وكيف قال العلامة (وليم) الذى ترجمت آراءه فى الالوان « إن دراسة الألوان فى الحيوان ليست سهلة الخ » وهناك ظهر العجب العجاب ، ثم انظر ما كتبته فى (سورة المؤمنين) عند قوله تعالى ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ وتأمّل الصور والأشكال هناك وكيف استدل أولئك العلماء الغربيون بهذه الصور على أن كل ألوان الحيوان انما جيء بها لحمايتها وليس ذلك تابعا للوسط ، ثم انظر ما كتبته لك هنا وهى الصور المتقدّمة مع شرحها و بها عرفنا أن الحيوان قد يشاكل حيوانا آخر أشدّ بأسا منه فينجو من الهلاك ، فاذا رأى أصحاب الأعراف من النوع الانسانى هذه الآراء أيقنوا بأن هذه الدرجة من الكتاب طبقة ممتازة لأنهم رجعوا الى الحكمة العامّة فى الوجود ودرسوه بعض الدراسة ﴿ المرتبة الثانية ﴾ أن يجعل الكاتب هذه المشاهدات مجرّد عجائب وقد غضّ النظر عن الحكمة العامة وهذه المرتبة تظهر فى أمثال ما كتبه صاحب كتاب ﴿عجائب الخلق فى الحيوان﴾ وهو المرحوم جورجى زيدان فانك حين تقرأ ما سأقصه عليك من الكلام على الحشرات الزهرية تجد انه قد توسط فى الأمر فلم يبحث البحث العلمى الذى بحثه علماء الغرب وأن هذه الألوان انما خلقت لحماية الحيوان ولم يهتد الى تعليل فهذا يدل على عدم كمال الاطلاع وهذا بيان ما قاله

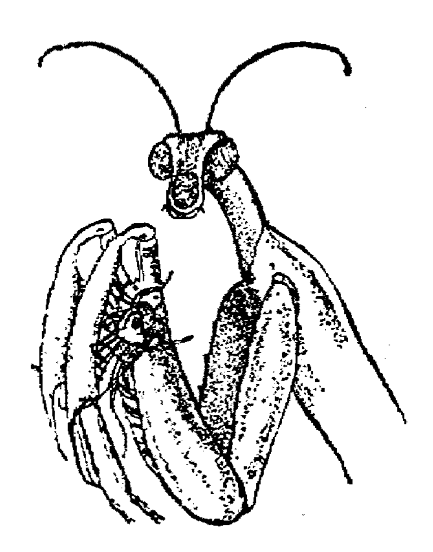
﴿ الحشرات الزهرية ﴾

وفق بعض الباحثين فى طبائع الحيوان الى اكتشاف حشرة من قبيل الجنادب اسمها العلمى فاسموما نتس كارولينا تقتات بالذباب ونحوه وتحتال فى اقتناص فريستها حيلة غريبة (انظر شكل ١٢) وذلك ان لها يدين مستطيلتين تثنيهما ثنى السجود ومنها اسمها عند الافرنج (الجندب المصلى) وكذلك يسميها أهل الترانسفال و يسميها غيرهم (فرس الشيطان) وهو الاسم اللائق بها إذ ليس فيها من ظواهر الصلاة غير السجود وفيما خلا ذلك فهى دويبة مفترسة ولها قدرة على الاحتيال بما يدهش العقل ومدار حياتها اقتدارها على التظاهر بأىّ لون أرادته فتقف على الزهرة الحمراء وتتلوّن بلونها حتى تظنها جزأ منها ، واذا وقفت على الورق الأخضر تلوّنت باللون الأخضر ، واذا كانت الزهرة من عدّة ألوان تلوّنت بها جميعا (انظر شكل ١٢)



(شكل ١٢ — صورة الجندب المصلى بشكل زهرة)

وقد تقف على الغصن بين الأوراق فتتكيف بما يشبه الزهرة بيتلها وسبلها وأسديتها فتخفى يديها وتدخل رأسها بين الأوراق وتبسط أجنحتها للخارج حتى تشبه الزهرة مشابهة كلية فتخدع الناس فضلا عن الحشرات والذباب فتقع الذبابة عليها أو بجانبها طمعا فى امتصاص الزهرة فتثب هى عليها وتلتقطها بيديها بين ثنيتى السجود كما ترى فى (الشكل الثالث عشر)



(شكل ١٣ ـ صورة الجندب المصلى وفريسته فى قبضته)

ومن غريب طبائع هذه الجنادب انها تمكث على الأغصان أو بين الأوراق ساعات أو أياما متشكلة بشكل الزهرة لا تبدى حركة تدل على الحياة الحيوانية كأنها تجعل نفسها جزأ من النبات الذى تقف عليه وتتحرك معه بحركة الريح كما تتحرك الزهور ولو كانت فى مكانها بحيث يستحيل على غير المتأمل أن يميزها عن زهور النبات ومنها تباينات عديدة تختلف طبائعها باختلاف الأقاليم أشهرها ماوجدوه أخيرا فى (سنغافوره) و (بورنيو) من جزائر المحيط واسمه عندهم در پولا تيس وهو الذى نبههم الى هذه الطبائع فى هذا النوع من الحشرات اهـ

هذا

هذا ما جاء فى كتاب ﴿ عجائب الحيوان ﴾ وأنت ترى انه لم يرتق الى درجة كتاب الاورو بين الذين بحثوا فى الحقائق واهتدوا الى أن هذه الألوان لم تكن إلا لأجل حماية نفس الحيوان . ولاجرم أن مثل هذه المباحث لاخير فيها إلا بمثل هذا الاستنتاج فاذا عريت عنه فقد أصبحت جسما خاويا فارغا ولافائدة منها إلا ما يستفيده الطفل من أعواد الكبريت يوقدها و يفرح بمنظر نارها ومايستفيده من الطيارة التى يرسلها فى الجوّ وماذلك إلالمجرّد التسلية أماالعلم وأما الحكمة فلا والناس فى كل أمة تابعون لآراءكتابهم مشغوفون بتقليدهم فمثل هـذا القول الذى انتشر فى مصر وسوريا و بلاد العرب يخرج منه القارئ وهو لم يزد حكمة ولاعلما ولا كتابا منيرا وانما تكون عنـده معارف شتى لاتجمعها حكمة عامة تكون هدى للمهتدى ، نعم مالايدرك كله لايترك كله ولكن المتنبى يقول

ولم أر فى عيوب الناس عيبا ✽ كنقص القادرين على التمام

﴿ المرتبة الثالثة ﴾

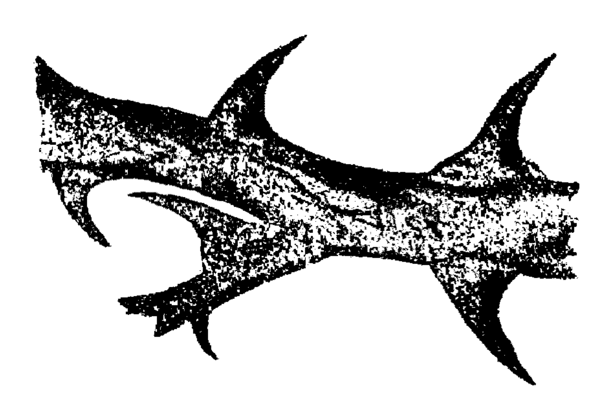
ماجاء فى مجلة «كل شئ» تحت العنوان التالى

(خداع الحيوان . أمثلة غريبة)

لوحاول أحد الفلاسفة أن يجد أصلا للآداب فى الطبيعة يجعله أساسا للأخلاق العليا لأعجزه ذلك فان فى الطبيعة من الخداع والمكر والغش مايدهش له الانسان ، فبين السمك مثلا سمكة تعيش وكأن على رأسها (طاقية الاخفاء) إذ هى شفافة لاتظهر فى الماء إلا خيالا ضعيفا وهى تستعمل هذه الشفوفة فى الاقتراب من فريستها وقتلها ثم التهامها ، والاخطبوط يخدع فريسته بأن يفرز فى الماء سائلا أسود حتى لاتراه ثم يلتف حولها وهى فى عماها فيقتلها و يأكلها ، و بعض طيور الماء يبيض على الشاطئ فلايبنى عشا لبيضه وانما يلقيه بين مدر الشاطئ وحصاه فيمتزج لون البيض بهما بحيث اذا مرّ انسان أوحيوان لمااستطاع تمييز البيض مما حوله ، ومن ضروب الغش التى تتبعها الحشرات مع العصافير وتحتمى بها منها انها فى طورها الثانى عنـد ما تخرج من البيض وتصير (دعموصة) تشبه الدودة تكون عندئذطرية مملوءة بالدهن ليس فيها عظمة والطيور عندئذ تشتهيها لقمة سائغة ولكن هذه الدعاميص تنبت لأنفسها قرونا زائفة ووجها مخيفا وأحيانا تشبه الثعابين فتخشاها الطيور وتنخدع عنها حاسبة أنها شئ آخر غـير تلك اللقمة الدسمة من الدهن (انظر شكل ١٤) و (شكل ١٥)



(شكل ١٤ ـ دعموص حشرة واقف بين الغصنين الكبيرين كأنه غصن آخر)



(شكل ١٥ ـ على هذا الغصن حشرات تبدو كأنها غصون شائكة)

والفراش الذى يتطاير فى الربيع حول الزهر يكون أحيانا كثيرة زاهى اللون فتراه العصافير فتحط عليه ولكنه سرعان مايرى ظلها و يحط على زهرة فيندغم لونه فى لونها فتروح العصفورة وتجىء وهى كالبلهاء لاتراه ووقت حصيد القمح نرى آلافا من الجنادب تنفر وتقفز فاذا حطت على الأرض اختفت لأنها غبراء مثل الأرض وأحيانا تعيش الحشرات على الأشجار فتتراءى للناظر كأنها أوراق حرشفية تغطى البراعم ، و بعض الحشرات يشبه غصنا جافا مكسورا ، وأخيرا يعرف كل منا أن الحرباء تتلوّن بلون الوسط الذى تعيش فيه كى تخفى عن أعين أعدائها فهى خضراء بين أوراق الشجر غبراء على الرمل ، وكل هذا غش وخداع يقصد منه خداع العدوّ والفريسة معا (انظر شكل ١٦) و (شكل ١٧)



(شكل ١٦ ـ حشرة تتراءى كأنها ورقة)

(فراشة قد أتقنت محاكاة الورقة حتى فى العروق)

شكل



(شكل ١٧ ـ حشرات تحاكى الزهر)

فهذه المرتبة الثالثة من الكتاب جاءت بتعليل لهذه الأشكال والصور والعجائب للقراء وان أكثر القراء فى بلاد الشرق اليوم قد فشا بينهم الإلحاد وقد نسبوا ذلك الالحاد الى علماء أوروبا فصارت هذه فكرة عامة فلذلك تجد هذا الكاتب فى المجلة بدل أن يسمو بالقراء الى آراء كتاب أوروبا ويذكر ماوصلوا اليه من سمو الفكر والعلم ويبين أن هذه الألوان خلقت لحياة الحيوان وليست مصادفة أورمية من غير رام . يقول إن هذه الألوان فى الحيوان أوالمشابهات ماهى إلا غش وخداع ، واذا أراد الانسان أن يقلد عجائب الطبيعة فى الأخلاق لم يجد إلا الغش والخداع وتكون النتيجة إذن أنه لا كمال فى الأرض إلا لرجال السياسة والمنافقين والمخادعين والكاذبين وأهل الضلال

فانظر أيها الذكى لأهل الشرق وأهل الغرب الآن واعجب لهذه المراتب الثلاث مرتبة فى الغرب تقرب من نهاية الحكمة ومرتبتان فى الشرق إحداهما لاتثبت ولاتنفى والثانية قلبت العلم جهلا والكمال نقصا وألبست الطبيعة ثوب النقيصة وتركت قراءها حيارى فى الوجود لايرون إلا ضروب الاختلاس وأفانين الأكاذيب تبعا لما تعلموا من الطبقة الكاذبة الخاطئة وهذه الطائفة يحق لها أن تقول إن المرأة التى ترضع ولدها ابتغاء نفعه لها فى المستقبل ثم فقدته فان هذه العاطفة فيها خائنة كاذبة غاشة . فانظر كيف يسمى كتاب الافرنج هذه العجائب حماية للحيوان وكيف يسميها كتاب الشرق غشا وخديعة . هذا ماأردت أن أبينه الآن فى مراتب

الكتاب فى الشرق والغرب . ومن هذا تعرف أيها الذكي لماذا تباطأ الشرقيون فى الشرق الأدنى فى درجات الرقى الى العلا ولماذا أسرع الغربيون . فالرقى اليوم قامت عنده فكرة خاطئة جاهلة وهى أن هذا الوجود كله خبط عشواء وأن هذه الفكرة فكرة الغربيين ويكذبه ماتراه فى هذا التفسير من آراء القوم ـ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلامرد له ومالهم من دونه من وال ـ

فانظر أيها الذكى فى هذه المراتب الثلاث ووازن بينها و بين أعمال القرّاء ، فالذين يقرؤن المرتبة الأولى تجدهم قوما جادّين فى أعمالهم مرقين لمدنهم لأنهم يعتقدون أن هذا الوجود مبنى على حكمة ونور ، فأما الآخرون فانهم لايرون فى هذا الوجود إلالهوا ولعبا لاعقل فيه يزنه ولا كمال ، فهؤلاء تجدهم فى مصر وسوريا والعراق وكثير من بلاد الشرق لايعملون عملا نافعا و يضيعون أوقاتهم بلاعمل و يجلسون فى مشارب القهوات ومحال الفرنجة وهذا هوالذى قعد بالشرقيين ، فكن أيها الذكى نورا لأمتك معلما لها ناشرا للحكمة ـ لمثل هذا فليعمل العاملون ـ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ـ

أندرى أيها الذكى مم أخذت هذه المراتب الثلاث ؟ أخذتها من قوله تعالى ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ـ بكسر اللام ، فجعل الله اختلاف الألوان آيات للعلماء الذين يقربون من المرتبة الأولى ، ومعنى هذا انه ليس آيات لغيرهم من الطبقة التى لم تفكر وهى الثانية ومن الطبقة التى جعلت هذه الأشكال والألوان غشا وخديعة والحمد لله رب العالمين

﴿ نور على نور فى آية ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ـ بكسر اللام ﴾

من القواعد الحكيمة فى النبات أن اختلاف لونه يصاحب دائما اختلاف شكله وورقه وثمره وزمانه ومكانه وجميع أحواله . إذن ليس العجب والابداع فى الاختلاف خاصا باللون فان كل اختلاف فيه ابداع وجمال فانظر رعاك الله كيف جعل الله ذكرا وأنثى وجعل آكلا ومأكولا كالنمر والأسد وكالثور والغزال والعنز ، ومن عجب أن هذا التقسيم الأخير لايختص بنوع مّا من الحيوان فهو فى الهواء وعلى اليابسة وفى البحر وكما يكون فى ذوات الأربع والسمك ونحوها يكون فى الحشرات ، ولست أريد الآن أن أذكر إلا ما جلت حكمه وظهر جماله فى الابداع وهوماجاء فى جريدة الاهرام فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

(الذئب فى عالم الحشرات)

أنشئ حديثا فى انكلترا مفرخ غريب للحشرات تحت اشراف بعض موظفى الحكومة الذين يقضون أوقاتهم فيه يعنون بجيوش من الجنود الصغيرة ذوات الست الأرجل ، هى حشرات تفتك بالحشرات التى تتلف المزروعات ، وترسل هذه الحشرات المقاتلة الى مختلف أنحاء الأمبراطورية البريطانية لمساعدة المزارعين على التخلص من شرّ الآفات . وتجرى تجارب من هذا القبيل فى ولاية كليفورنيا بأمريكا حيث يقوم الدكتور (ستانلى) أستاذ علم الحشرات فى جامعة (كليفورنيا) فى مهمة تفريخ ملايين الملايين من بيض الذبابات السابحة بحجم البعوضة وهى من فصيلة الزنبار و يقال الزنبير والزنبور وتضع بيضها فى بيض الحشرات الأخرى المؤذية ومتى نقف فرخها بيضته نما فى البيضة الأخرى وفتك بفرخ الحشرة الأصلية ، وقد اضطر الدكتور (ستانلى) من مدة قريبة أن يرسل مئة ألف بيضة من بيض هذه الحشرات تلبية لطلب مستعجل فى البريد الجوّى ضمن علبة صغيرة ، ومن جملة أعداء الحشرات المؤذية للزراعة حشرة تعد من أشرس الحشرات وأبرعها فى ضروب القتال وهى أشبه بقنبلة صغيرة ذات أجنحة لونها كلون الفولاذ الأزرق المصقول يتخلله بقع برتقالية اللون وتعرف بالزنبار الحفار ، ومعروف عن هذه الحشرة انها تهاجم حشرة أخرى أكبر منها نحو عشر مرات وكثيرا

مانقتحم العنكبوت الكبيرة المعروفة باسم (ترانتولا) فى الولايات الجنوبية الغربية وهذا سبب تلقيبها بصقر الترانتولا و يبلغ طول جسم هذا الزنبار (بوصة) وله خصر نحيف فى دقة الخيط هو فى الحقيقة الصديق الصدوق للفلاح لأن معظم الحشرات التى يهاجمها هى من الديدان المضرّة بالزراعة ، وقد كتب المستر (وارد) الانكليزى العالم بطبائع الحشرات يقول انه وجد فى أحد أجزاء مقاطعة (ديفونشير) ألوفا من (الزنبار الحفار) ولم يعثر بدودة واحدة وقد استدل من ذلك على أن الزنابير أفنت الديدان كلها فى العام الماضى ، وأنثى الزنبار الحفار هى التى تقوم بحفر الوكر وهى التى تقاتل الديدان وتفتك بها وتقع المعارك عادة بجوار الوكر ، وتبدأ العمل فى شهر يوليو عند اشتداد الحرّ إذ تظل طائرة حتى تهبط على ضفة جدول أو جانب طريق حيث تكون الأرض صلبة قاسية وتشرع فى الحفر كما تحفر الثعالب أوجارها أى انها تنحت التراب بيديها الأماميتين وتقذفه بعيدا بأرجلها الخلفية ويستغرق حفر الوكر الذى يمتدّ غالبا الى مدى ثلاث بوصات طول النهار تقريبا ويكون عادة متسعا من الداخل ضيق المدخل . ومتى انتهت من عملها تبحث عن حصوة تصلح سدادة لباب الوكر وقد تمضى ساعة تأتى بحصوة تلو أخرى الى أن تعثر بالحصوة الملائمة لسدّ باب الوكر سدّا محكما ، وعند ماتوفق الى غايتها هذه تجول هذه الصيادة البارعة باحثة عن طرائدها ، وحينما تشعر الدودة بدنو الزنبار منها تضطرب وتحاول المقاومة فتتقوس وتنفرد وتسرع الزحف لتلوذ بالفرار ولكن أنى لها ذلك والزنبارة تنقضّ عليها بسرعة البرق الخاطف وتقبض عليها بأرجلها فتكبلها وتداورها الى أن تتمكن من ادخال حمتها بين مفصلين وهو مركز جهازها العصبى وتلقحها بمادّة مخدّرة فتشل حركة الدودة ، وقد تلقحها بإبرتها هذه فى عدّة مواضع لتتأكد من بقائها حية غير قادرة على الحركة مدّة أسبوع أو أكثر . وقبلما تشرع فى جرّها الى الوكر تقلبها على ظهرها لكيلا تستعمل أرجلها للمقاومة . ومتى وصلت الى باب الوكر تضع بيضة أو أكثر فى جانب الدودة قبلما تجرّها الى داخل الوكر حيث تدّخرها مؤنة حية لفراخها عند ماتفقس بيضها ثم تنطلق لتأتى بدودة أخرى وهكذا حتى يفرغ بيضها و يمتلئ الوكر . وحينئذ تشرع فى سد باب الوكر بدقائق التراب التى تحيلها بمادة رطبة من جسمها . و بعد ختم الوكر بيومين أو ثلاثة أيام يفقس البيض وتخرج منه الفراخ فتأكل من جسم الديدان الى أن تبلغ أشدّها ثم تنسج لنفسها شرنقة تبقى فيها حتى شهر يونيو التالى إذ تخرج من الوكر زنبارا كاملا فتيا لتحل محل آبائها التى يقتلها صقيع الشتاء اهـ

هذا ماظهر أثناء طبع هذه السورة من العلم . فياليت شعرى ماذا يريد الله بهذه الأساليب من الحكمة ؟ وماذا نفهم من هذه العجائب ؟ نفهم انه يقول لنا . أيها الناس . أيها المسلمون إما أن تتعلموا واما أن ترحلوا من أرضى ، هل عميتم عن النظر الى حكمتى أفلا تعقلون ! سلطت الدود على زرعكم وقلت لكم — وان من شئ إلا عندنا خزائنه ومانزّله إلا بقدر معلوم — فهل سلطت الحشرات على زرعكم لإهانتكم . كلا . وحق حكمتى ورحمتى التى وسعت كل شئ ، فكيف تسع رحمتى كل شئ وتتعدّى أشرف خلق فأسلط عليهم كل هوام الأرض والحشرات كلا . كلا . وعزّتى وجلالى انما سلطتها عليكم لتدرسوا والدرس يرقى عقولكم و يجعلكم اليوم فى جنة العرفان العالية و يرفع نفوسكم عن الدنايا . وقد جاء فى الأخبار « تداووا عباد الله فان لكل داء دواء » فكما جعلت لأمراضكم أدوية جعلت لأمراض نباتكم أدوية ملائمة وماهذا وذاك إلا لاشراق نفوسكم فهى المقصودة

اذا كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وعلى بهجة الحكمة فقد علمتنا مالم نعلم ، إنك أنت العليم الحكيم

﴿ الكلام على اللطيفة الثانية المناسبة للطيفة الخامسة ﴾

فى هاتين اللطيفتين ﴿ ثلاث مقاصد * المقصد الأوّل ﴾ تنوّع المادّة الى صور كثيرة ﴿ المقصد الثانى ﴾ تنوّع الصوت الى لغات كثيرة وكيف كان الثانى نموذجا للأوّل ﴿ المقصد الثالث ﴾ كيف كان الترتيب فى الآية

يشعر بأحسن النظم فى المدارس الشرقية والغربية التى هى قائمة الآن

﴿ المقصد الأوّل تنوّع المادّة ﴾

اعلم أن هذا المقام وهو مقام العناصر والمقام الثانى وهو الحروف قد ذكرتهما فى (سورة البقرة) بطريق اجمالى ، فلنعد الكرّة الآن لنرى كيف كانت المادّة أصلها عالم رقيق لطيف هو الأثير وهذا العالم لم يره الناس وانما استدلوا عليه بأدلة طبيعية وكيماوية لا نطيل بها ، فرأوا أن هذه المادّة منه تفرّعت ، فهذا العالم المشاهد الذى يضئ والذى يستضئ كلاهما يرجعان لمبدإ واحد وهو الأثير وهذا الأثير نتجت منه المادة الأصلية والمادة الأصلية هى كل شئ بل أرجعها بعضهم الى حركات فيه ، وهذه المادة منها ما ينبعث الضوء منه وهى الشموس ، ومنها شمسنا ، ومنها ما يقبل الضوء كأرضنا والضوء ماهو إلا حركات منتظمات وبها يكون الحرّ والبرد والخ وتتنوّع الحوادث على الأرض . والأرض والهواء والماء ماهى إلا عناصر قد شرحناها فى الجدول السابق فى (سورة العنكبوت) وقد علمت أن له حسابا ونظاما كما أن سير الكواكب له حساب ، فالأنوار تأتى الى الأرض بحساب والعناصر لم تكن إلا بحركات المادة وتنوّعاتها ، فتنوّع المادّة كانت منه العناصر ولا معنى لتنوّعها إلا تحرّك ذرّاتها ، فلتعجب من الأمرين ليل ونهار بحساب . عناصر منتظمات من حيث جداولها بحساب فياليت شعرى من كان يظن أن هذا العالم على هذا النظام ، من ذا الذى كان يظنّ أن عناصر المادة بينها هذه النسب ، تلك النسب التى أوضحتها هناك ، تلك النسب التى قرنت بين عنصر وعنصر بل بين كل عنصر وسائر العناصر

إن العنصر الواحد له نسبة الى مافوقه وماتحته فى الجدول وكل صف منسوب الى مافوقه وما تحته . نعم هذا العلم وهو علم النسبة بين العناصر حديث ولكن ظهرت ثمرته فى معرفة ثلاثة عناصر كانت مفقودة وخواصها التى بلغت (١٨) ومن ذا كان يظن فى هذه المادة الميتة أن حركاتها منتظمة انتظاما أدقّ من انتظام كل ماتراه من الاوفاق ومن قطع الشطرنج كالبيدق والشاه والوزير وأمثالها . إن الدقة هنا أحكم وأبدع . فهناك حركات الكواكب وخواص العناصر ومن بينهما انشأت هذه الحوادث . ولاجرم أن من يعلم خواص هذين يعرف نتائجهما الى الأبد . إن أدوار الفلك محسوبة معروفة وصفات العناصر معلومة عند مبدعها . فنتائجها معلومة كلياتها وجزئياتها . بمثل هذا كان العلماء يقرّبون الى الناس علم الله بكل ما كان وكل ماسيكون

﴿ نتائج العناصر المركبة ﴾

أما نتائج العناصر المركبة فهى واضحة ظاهرة كما تقدّم فى أنواع النبات والحيوان وهناك ماهو دقيق لا يعرفه إلا الذين برعوا فى علوم الكيمياء وغيرها . ولأقتصر لك على مقال واحد وهو ماجاء فى الاخبار اليوم بجريدة الاهرام فى يوم الخميس (٢) ديسمبر سنة ١٩٢٦ م — (٢٧) جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ هـ تحت العنوان التالى وهذا نصه

﴿ كشف علمى جديد ﴾

(استخراج البترول من الفحم)

« أثارت الصحف الألمانية ضوضاء شديدة حول الخطبة التى ألقاها الدكتور (فريدريك برجيوس) فى مؤتمر الفحم الدولى فى (بتسبرج) و بسط فيها طريقته الجديدة المسماة ﴿ تحويل الفحم الى سائل ﴾ وملخص هذه الطريقة أن الفحم مؤلف من جزء من الهيدروجين و (١٦) جزأ من الكربون فى مقابل جزء من الهيدروجين و (١٨) جزأ من الكربون فى البترول فيكفى لتحويل الأوّل الى الثانى أن تزاد نسبة الهيدروجين الى الكربون فى الفحم (ضعفين بحيث تصبح (٢) الى (١٦) ليتحوّل الى بترول) ولما كان الفحم ليس من السهل تحويله الى سائل عمد الاستاذ (برجيوس) الى تعريض الفحم لضغط يعادل مائة ضعف للضغط الجوّى فى حرارة تختلف بين (٣٠٠) و (٣٥٠) بميزان سلسليون ، وقد حصل حينئذ على مادّة كالعجين صوّب اليها

الهيدروجين بواسطة طلمبة خاصة بعدرفع الحرارة الى (٤٥٠) درجة فرأى أن الهيدروجين قد زاد مقداره بالنسبة الى الكربون ، وأن الفحم بدأ يتحوّل الى سائل ، فمن كل طن من الفحم يستخرج بهذه الطريقة (١٥٠) كيلوغراما من الفازولين و ٢٠٠ كيلوغراما من البترول الثقيل و (٦٠) كيلوغراما من الدهون و ٨٠ كيلوغراما من البترول الصافى كما ان هناك سوائل أخرى أقل شأنا فاذن يكون نصف الفحم الذى يعالج بهذه الطريقة يتحوّل الى سوائل ، ويقال ان هذه الطريقة اذا عمت ألمانيا فان مناجم ألمانيا تزيد قيمتها ثلاثة أضعافها الآن وتستغنى عن كل ماتأخذه من الأمم فاذا عمت هذه الطريقة ألمانيا تقتصد خمسمائة مليون جنيه (نصف مليار) ويقال ان المستقبل للسوائل القابلة للاحتراق ، وهذه الطريقة ستحدث انقلابا عظيما فى أوروبا بحيث يمكن تدفئة المدن وتوزيع الماء الساخن على المنازل من المعامل التى تحوّل الفحم الى بترول بطريقة الاستاذ برجيوس » اهـ

هذا ملخص ماجاء فى الجريدة المذكورة ، وأنت ترىأنى ذكرته هنا فىالتفسير وربما تعجبت من هذه المفارقة فأقول لك . كلا . والله ماهى مفارقة بل هى موافقة أشدّ الموافقة والا فلماذا يظهرهذا الكشف اليوم سواء أتمّ أم لم يتم ، كيف ظهرهذا وأناأحضرالتفسيرللطبع ، أليس هذا أيهاالفطن عين ماذكرته ، الله أكبر انه مثل ضربه الله نفسه لما نطقت به هذه السور ، انه من أسرار أوائل السور ، أوائل السور فيها الحروف مقطعة وقلنا هنا وفى السورة قبلها ان ذلك يقصد به الرجوع الى أصول العلوم ، فكما أن الكلام مرجعه الحروف المقطعة هكذا هذه العوالم مرجعها العناصرالمختلفة ، الله أكبر ، ظهرالسر المكنون فى القرآن فى آخر الزمان وظهرأن المقصد من هذه الحروف فى أوائل السور أن ندرس هذا العالم ونحلله الى عناصره ، بل الله يشير بهذا القرآن الى ماحصل فعلا فى الدنيا ، فالله رب العالمين والعالمون منهم قوم فى الأرض وهاهم أولاء فى ألمانيا وفى غير ألمانيا حللوا المركبات فأرجعوها الى عناصرها ولما أرجعوها الى عناصرها استخرجوا منها منافع لهم ولنا ، إن الله خلق عباده وأنزل لهم آخر الأديان وجاء صاحب الشرع ﷺ أميا لايقرأ ولا يكتب فنطق بهذه الحروف ومما جاءت فى أوائله من القرآن هذه السور (العنكبوت والروم ولقمان) و (الم) فى هذه السور كما كررناه مرارا تشيرالى آيات فى السورة اشتملت على الحكمة والبحث فى هذا الوجود كماأوضحته لك فهذه الحروف للحكمة التامة التى ترجع الأشياء الى أصولها الطبيعية ، والأمم اليوم لاينتظم لها زرع ولاطب ولا حرب إلا بحساب العناصر كما يعرفه الأطباء وغيرهم . وهذه مسألة الفحم انظراليها تجد الفحم هو نفس البترول كلاهما مركب من هيدروجين وكربون واختلفت النسبة . ثم ان ماقدمناه نقلناه عن الجرائد فالظاهرانه يحتاج الى تصحيح بعض الأرقام وهذا لايضرّ أصل الموضوع ، فالفحم والبترول يرجعان لعنصرين اختلفت نسبتهما ومتى أرجعت النسبة كالمطلوب حوّل الفحم الى بترول . واذا صحّ هذا أصبح الناس فى رخاء وسعادة ، لماذا هذا ؟ لأن المركبات رجعت لأصلها وهذا هو زمان النور والعرفان الذى تشيرله الحروف فى أوائل السور . إن من أجلّ معجزات القرآن أن يظهرقوم يحللون المركبات الى عناصرها ويعرفون نسبها ويتصرّفون . وهذا هو سرّ القرآن . أما المسلمون الحقيقيون الذين وعدهم الله بالنصر فهم أولئك الذين يأتون بعدنا ويقرؤن ماكتبته الآن ونحوه فيعلمون حقّ العلم أن دين الاسلام أفضل وأشرف مما عليه المسلمون الآن وأن هذا الدين يراد به أن يكون المسلم فوق كل علم وكل حكمة

اللهم إن ديننا هوالدين الذى به تحوّل أرضك الى جنات ونعيم باجتهاد علماء هذه الأمة فى علومك التى خبأتها لهم فى أرضك واذن تعودالأرض جنة للمسلمين ولغيرالمسلمين ويكون السلام العام فى الأرض ويكون هذا السلام سببه المسلمون

هذا هوالتنوّع فى العناصر . أما التنوّع فى غيرها فلقد تبين لك فيما تقدّم فى هذا التفسير عند قوله تعالى

– وأنبتنا فيها من كل شئ موزون – وكيف كان تنوّع الزهرات فى مختلف الأشجار وقد رتبوا النبات على مقتضاه الى (٢٤) رتبة كل رتبة تحتها أجناس والأجناس تنقسم الى أجناس أقل منها وهكذا حتى بلغت مئات الالوف من الأنواع . كل ذلك بالتنوّع فى الزهر ولاتنوّع فى الزهر إلا بتنوّع فى الشجر ولاتنوّع فى الشجر إلا بما دخله من العناصر فى مواد التغذية التى لاسبيل لها إلا تلك الأنابيب الشعرية التى فى عروق الشجرة والفتحات التى فى الورقات ، فتنوّع الفتحات فى الورقات وفى العروق يتنوّع بحسبه الغذاء الداخل فى النبات و بمقتضى هذا الغذاء يكون النبات وهذا من أعجب العجب دقة فى الصنع وابداع فى الشكل ، وترى أوراق النبات وأشكالها وألوانه وفروعه وطعمه ورائحته وطوله ومدة مكثه فى الأرض ومنافعه والأرض التى يصلح فيها ومايناسبه من السماد ومايلائمه من الحيوان وما يكون منه من المنافع كالدواء والغذاء واللباس والعطر والزيت واللبن (كما تقدم ذلك) وما أشبه ذلك مما لايحصى ، كل ذلك قد اختلف فيه النبات اختلافا عظيما . وترى أن ألوان النبات على وجه العموم الخضرة ولكن المدهش أن خضرة كل نبات لاتشابه خضرة الآخر . وانظر الى نوع الحيوان قد اختلف ذلك الاختلاف وأكثر . ناهيك ماترى من أن الصنف الأبيض اللون لاترى منه اثنين يتشابه لونهما ولاشكل وجههما ولا بقية الأعضاء ومسألة خطوط الابهام معلومة فلاتشابه بين إبهامين وهكذا الكرات الدموية . ولأكتف بما جاء فى بعض المجلات العلمية بمصر تحت العنوان الآتى

﴿ تحقيق شخصية المجرم ﴾

تعددت وسائل تحقيق الشخصية التى يستعملها المحققون فى اكتشاف أسرار الجرائم العويصة حتى صار من الصعب جدا على مجرم أن يفرّ من يد البوليس الذى يقتفى أثره . فذوو السوابق لهم الآن سجلات متقنة فيها طوابع أصابعهم وطوابع مسام جلدهم . ومما هو جدير بالذكر عن طابع الأصبع انه لايتغير ولوشيط الجلد بالنار . وقد حاول بعض المجرمين أن يفعل ذلك فلم يمكنه إضاعة معالم أصبعه الثابتة فى السجل . أما مسام الجلد فقد كثر اعتماد المحققين عليها هذه الأيام لأنها أسهل فى المراجعة ويمكن أخذها من أى مكان من الكف . وطريقة المراجعة أن تكبر صورة الطابع بالفوتوغرافية ثم تطابق الخطوط أوالمسام على الأصل ولايوجد اثنان فى العالم يتفقان فى خطوط الأصبع أومسام الجلد مع ان الصورة الفوتوغرافية للوجه كثيرا ماتختلط بصورة أخرى حتى يصعب تمييزالأصل وذلك لأن الوجوه كثيرا ماتتشابه أما نظام المسام والخطوط فلاتتشابه مطلقا عند شخصين . والاوروبيون لعنايتهم بالكلاب يحققون شخصيتها الآن بطبع أنفها . فلكل كلب أنف خاص له خطوط ممتازة وكذلك الحال فى سائر الماشية . ومن وسائل التحقيق فحص الدم فان دم الانسان يختلف عن سائر دماء الحيوان اختلافا عظيما عند التحليل ولايتفق إلا مع دم القردة العليا ، فاذا وجدت لطخة دم مهما كان صغر حجمها على ثياب متهم وادّعى أنها ليست دم الشخص الذى جنى عليه أمكن عند فحصها معرفة حقيقتها وهل هى دم انسان أودم حيوان ، وأقرب الدماء الى الانسان فى التحليل الكيماوى هى دماء (القردة العليا) و بوليس (نيويورك) يستعمل الآن جملة طرق فى تحقيق شخصية المقتول فان بعض المجرمين اذا قتلوا أحد الناس أزالوا اللحم عن الوجه وهشموا العظام حتى لاتعرف شخصية المجنى عليه فيضلّ المحققون فى الاهتداء الى القاتل ، ولكن فى بوليس (نيويورك) اختصاصيين يضعون على العظم نوعا من المصيص اللين و يدهنونه بألوان البشرة الطبيعية فيعود الشخص الى هيئته الأولى و يمكن بذلك معرفته . أما الاهتداء الى التزوير فقد كثرت الآن وسائله ، فمن ذلك انه يوضع تحت المكرسكوب فيعرف اختلاف الحبر أوقوّة ضغط القلم أومقدار خدشه للورق ، ثم تؤخذ صورة الخط بالفوتوغرافية وتكبر فيعرف عندئذ اختلاف الطريقة فى الكتابة لأنه مهما قلد الانسان خط أحد الناس فان طريقته لاتزال ظاهرة فى الكتابة المقلدة . وأيضا يمكن فحص الحبر

بتسليط الأحماض عليه فالحبر القديم لا يؤثر فيه الحمض كالحبر الجديد وهلم جرا انتهى ولأكتف بهذا القدر فى العناصر

﴿ عجيبة ﴾

انظر اختلافا لاحد له فى الأشخاص من الانسان ومن كل حيوان وكيف أصبحنا نرى أن كل انسان مثلا يستحيل أن يشارك غيره فى صفاته الجسمية فتصور بنى آدم من مبدأ الخليقة الى يوم فناء العالم كيف اختلفوا فى هذه الصفات والخطوط والأشكال وقس على ذلك علومهم وعقائدهم وإيمانهم وكفرهم وسعدهم ونحسهم فإذن كل امرئ يكون علمه منوعا تنوع جسمه كما تنوع لونه وصوته ومسامه . ههنا تجلت وحدانية الله إذ جعل الوحدة سارية فى سائر المخلوقات . فكل منا واحد فى نفسه جسما وصوتا ولونا وعلما وخلقا . فاذا أنا كنت واحدا أفلا يكون خالق العالم واحدا . انتهى المقصد الأول

﴿ المقصد الثانى . الكلام على الحروف ﴾

الحروف الهجائية عبارة عن تنوعات الصوت فى الهواء والصوت انما حدث من التنفس والتنفس لغرض التغذية . فهو فى النبات لمجرد الغذاء وفى الحيوان له ولبعض الأغراض بتنوعه وفى الانسان تكون لغات شتى على مقتضى الأمم . وهنا وصل الصوت الى أقصى منتهاه . فنه الشعر والنثر فى اللغات المختلفة المتفرعة من اللغات (السامية والطورانية والسنسكريتية) وهذه لها فروع فى الشرق والغرب مثل السريانية والعبرية والحبشية والعربية والآرامية فى اللغة السامية وغير ذلك . فانظر كيف تنوع الصوت الذى لم يدخل فى الرئة إلا لاصلاح الدم الى مالايعد من الكلمات باللغات المختلفة وهذه الكلمات بازاء الموجودات وفى نظيرها صور فى النفوس الانسانية لمعانيها . فانظر وتعجب من صوت فى الشهيق والزفير يقوم مقام المادة فى احداث صور الموجودات فالمادة قبلت صور الأشياء فى ذاتها والصوت أحدث هذه الصور فى نفوسنا . إن الصوت قام مقام المادة فكان منه الشعر اللطيف والغزل الرقيق والخطب المؤثرة والقصائد المحررة والأقوال الشارحة والكتب المصنفة والديانات المنزلة والفلسفة الرائعة وكان به نظام الدولة واقامة العدل والمدن ومحاسن الآداب وتاريخ الأمم وحفظ الذمم وصيانة الحقوق وتعليم الجاهلين وشكر العالمين

وكما أن للمادة مروجا واسعات وثغور زهر باسمات وحدائق وجنات وأثمارا بهجات هكذا للصوت من القصائد حدائق ومن النثر شقائق ومن الخطب قصور ومن الشعر زهور ومن الحكم ثمار ومن الأمثال فاكهة ورمان ومن الغزل مروج ومن الآيات البينات بروج . فى المادة شعر رقيق وفى الصوت زهر أنيق . ـ فيهما من كل فاكهة زوجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ـ وللناس فى حدائقهما مقاعد ـ وجنا الجنتين دان ـ

واعلم أن الله عز وجل جعل العالم (المادى والمعنوى واللفظى) بينها تناسب واشتقاق وتفرع وانتظام فى ذلك كله ، فاذا رأينا أن الجسم ينقسم الى نام وغير نام ، والنامى الى ما له حس وحركة والى ماليس كذلك والذى له حس وحركة إما ناطق واما غير ناطق ، فغير النامى هو المعدن وماله حس وحركة هو الحيوان وماليس كذلك هو النبات والناطق هو الانسان فيكون هكذا (جسم نام حساس ناطق) فهكذا نرى العلم والحكمة معرفة الشئ على ماهو عليه بقدر الطاقة البشرية ، والشئ ينقسم الى العلوم كلها ويتبعها الصناعات فيقال هكذا (الشئ إما علمى واما عملى) فالعلمى إما علم أعلى كمعرفة الله والأرواح وتقسيم العلوم . واما علم طبيعى ورياضى فالرياضى يشمل الأرثماطيقى والهندسة والفلك والموسيقى . والأرثماطيقى من هذه الأربعة يشمل الحساب المفتوح وحساب الخطأين والجبر والمقابلة والتخت والميل والدرهم والدينار . والطبيعى يشمل سماع الكيان والكون والفساد والسماء والعالم والآثار العلوية والمعدن والنبات والحيوان والانسان . هذا هو القسم العلمى أما القسم العملى فهو سياسة النفس وسياسة المنزل وسياسة المدينة . وسيأتى ايضاح ذلك كله وشرحه فى

﴿ سورة لقمان ﴾ مفصلا تفصيلا تاما

فانظر كيف ترى أن الانسان والحيوان والنبات والمعادن كأنها شجرة لها أصل واحد هكذا العلوم أيضا هي شجرة أصلها الشئ أى الموجود المنقسم الى علم وعمل . وهكذا ترى العلماء فى علم ما وراء الطبيعة يقولون « إن الوجود ينقسم الى جوهر وعرض . والعرض يكون صفة ومقدارا كالبياض وكالطول ويكون نسبة كالابوة والبنوة الخ » وفرعوا فروعا شملت كل العلوم فهى من حيث النتيجة كالتقسيم المتقدم بشكل يخالفه وكل موجود تلازمه الوحدة . فالوجود كله واحد وكل كثرة أوقلة منه يقال لها واحد . فالوحدة تسير مع كل موجود و يوصف بها قليلا أوكثيرا . العالم كله واحد والوحدة ملازمة لكثرته وقلته . انظر الى الألوان فهى مثل السواد والصفرة والبياض والنحاسية مثلا كأهل السودان والصين وأوروبا وأمريكا الأصليين حمر الوجوه . انظر كيف ترى أن النوع الأبيض من هذا الانسان يتفقون جميعا فى اللون ولكن يستحيل أن يكون بياض زيد كبياض عمرو وهذا هو العجب بل هذا هو الآية الإلهية . يسع البياض مثلا مئات آلاف الآلاف من الناس ولكن لكل واحد فى لونه هيئة تخالف لون الآخر . هذا معنى قوله تعالى ـ واختلاف ألسنتكم وألوانكم ـ فهذا هو اختلاف الألوان ومثله اختلاف العلوم واختلاف الأنواع والأجناس كما تقدم

وكما رأيت اختلاف الألوان واختلاف العالم هكذا ترى اختلاف اللغات كاختلاف الأصوات . ليس أحد من الناس يشبه صوته صوت الآخر ولا كلامه ولهجته كلام الآخر ولهجته . يمتاز كل امرئ فى لونه وصوته وهيئة كلامه كما امتاز فى لونه وان شارك الناس فى البياض والصوت والكلام

هذه هى الحكمة المتقنة التى جاءت فى هذه الآية ولولا هذا الجمال لم نميز الأشخاص . فبألوانهم الخاصة وأصواتهم الخاصة ولهجات حديثهم يختلفون فنميزهم لنعيش معهم . فجل الله الذى أتقن كل شئ وهو الذى أحسن كل شئ خلقه ثم هدى والهداية هنا باختلاف المخلوقات فهو قد حسنها وهدى اليها مع جمالها ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ و بهذا تم الكلام على الاختلاف فى الألوان ونحوها

﴿ الاختلاف فى اللسان ﴾

الاختلاف فى اللسان ﴿ قسمان ﴾ قسم قد تقدم وهو الامور المتعارفة وقسم شرحه العلماء وهو ﴿قسمان﴾ قسم لفظى وقسم خطى . فالقسم اللفظى قالوا فيه إن اللغات تفرعت من أصل واحد الى لغات مرتقية وغير مرتقية . وغير المرتقية هى ﴿ أولا ﴾ الزنجية (١) وهى فى الأرخبيل الهندى (٢) وفى أواسط افريقيا ﴿ثانيا﴾ الأمريكية التى يتكلم بها أهل أمريكا الأصليون ﴿ ثالثا ﴾ اللغة المستعملة فى البلاد الشرقية الشمالية الأسيوية فى جزائر (سغالين) ونحوها ﴿ رابعا ﴾ اللغة الصينية وهى أحادية المقطع لافرق فيها بين الاسم والفعل والحرف

أما المرتقية فهى إما غير متصرفة واما متصرفة ، فغير المتصرفة هى اللغات الطورانية كالتركية والمغولية والقفقاسية والاغرانية . واللغة المتصرفة تنقسم الى ﴿ قسمين ﴾ الآرية والسامية ، فالآرية هى ﴿ أولا ﴾ الجرمانية وفروعها (١) الايسلاندى (٢) والنرويجى (٣) والسويدى (٤) والدانياركى (٥) والانجليزى (٦) والهولندى ﴿ وثانيا ﴾ الصقلابية مثل (١) السربية (٢) والبلغارية (٣) والبوهيمية (٤) والبولونية (٥) والروسية ﴿ وثالثا ﴾ الهندية ﴿ ورابعا ﴾ الفارسية ﴿ وخامسا ﴾ الأرمنية ﴿ وسادسا ﴾ اليونانية ﴿ وسابعا ﴾ اللاتينية الكلية

﴿ فروع اللغة الفارسية ثلاثة ﴾

لغة الماذيين ، ولغة بنى ساسان ، والفارسى الجديد

﴿ فروع اللغة اللاتينية ﴾

هى (١) الفرنسية (٢) والاسبانية (٣) والبرتغالية (٤) ولغة رومانيا المعروفة الآن فى البلقان . وبهذا

انتهى

انتهى الكلام على اللغات الآرية

أما اللغة السامية فهى (١) اللغة المصرية القديمة وقد قيل انها أصل اللغات السامية ، وأقول قد قال لنا معاشرمدرّسى اللغة العربية المرحوم كمال بك مؤلف قاموس اللغة المصرية القديمة مانصه « إن اللغة العربية بحالها اليوم ناقصة ولا يكملها إلا لغة قدماء المصريين التى تزيد عليها كثيرا فانى وجدت العربية مع الحذف والابدال والتحريف بعض تلك اللغة » وشرح هذا شرحا وافيا رحمه الله

(٢) واللغة البابلية والآشورية (٣) والحبشية (٤) والحميرية (٥) والسريانيـة أوالآرامية (٦) والفينيقية (٧) والعربية

فسبحانك اللهم وبحمدك ، سبحانك ربنا قد علمت وألهمت وأحكمت ونوّعت . قلت فى كتابك ـ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ـ اللهم إنك جعلت هـذا العالم واحدا . لماذا ؟ لأنك واحد وهذه الوحـدة جرت مع العالم كله كما جرت مع كل فرد فلقد رأينا امتياز الأشخاص فى كل نبات وحيوان ورأينا امتياز الأصوات والألوان واللغات . جعلت اللهم لكل علم من علوم الحكمة حدودا مخصوصة بحيث ميزنا علوم الطبيعيات وعلوم الرياضيات وفرّعنا العلوم الجزئية كما فرّعت أنت الجسم الواحد الى أعضاء والأعضاء الى أجزاء والأجزاء الى ذرّات صغيرة هكذا رأينا العلوم تختلف فيكون الرياضى كالحساب والطبيعى كالنبات ثم نرى صناعات تفرّع على تلك العلوم كالزراعة والبيزره للنبات وكالطب والبيطرة للانسان والحيوان وكالحدادة والنجارة للمعدن والنبات وهكذا مما قدّمناه فى ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى ـ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ـ وأصـل هذه العلوم كلها الشئ . هكذا فى اللغات فقد رأينا نوع الانسان كما اختلف فى ألوانه وجميع أحواله اختلف فى لغاته وجرت اللغات شوطا لجرى الألوان حتى وصلت الى نحوخمسة آلاف لغة تقريبا . ففى أوروبا نحو (٥٨٧) وفى آسيا (٩٣٧) وفى افريقيا (٢٧٦) وفى أمريكا (١٦٢٤) لغة والانجليزية وحدها (٢٥) ألف كلمة ولغة غالا ثمانية آلاف كلمة والعربية (٨٠) ألف كلمة . ويقال إن المستعمل منها عشرة آلاف كلمة والايطالية (٢٥) ألف كلمة والفرنسية (٣٠) ألف كلمة والاسبانية (٢٠) ألف كلمة . واللغة المستحدثة المسماة (الاسبرانتو) (٣٢٠٠) مادّة مقتبسة من اليونانية واللاتينية والجرمانية وقد ألحقوا بها (٣٠) لفظة تركب مع ألفاظها لتدل على نوع المعانى الوضعية وهكذا (١٧) زيادة فى الصيغة لتقوم مقام التصريف فى اللغات الأخرى فتراكيبها ربما تبلغ عشرة ملايين كلمة واذن تكون أوسع اللغات ثروة

﴿ حكمتان فى تقارب اللغات . الحكمة الأولى فيما يعم اللغات كلها ﴾

انتشر العلم وتعدّدت المعاهد العلمية وأصبح من مميزات القرن العشرين تشعب اللغات وكثرتها حتى انه يمكن أن يتاح لنا أن نصف هيئة المجتمع بحالته الراهنة من تعدّد الألسن المتداولة بأنه قريب الاتصال ببرج بابل . ومن المعلوم أن كثيرا من هذه اللغات يرجع منشؤها الى لغة أصلية واحدة ، مثلا اللغة اللاتينية تفرّعت منها اللغات الاسبانية والبرتغالية والفرنسية والايطالية والرومانية وتسمى اللغات اللاتينية . وأما الانكليزية والألمانية والنمساوية والهولندية ولغات شبه جزيرة اسكندناوه والدانماركة ، فترجع كل هذه اللغات الى الأصل الجرمانى

واللغات التى ذكرت ترجع مع اللغة الروسية واليونانية والفارسية الى أصل واحد هو مجموعة اللغات الآرية التى تتفرّع منها بعض لغات فى الهند وتسمى (الهندية الاوروبية) وبجانب هذه المجموعات توجـد مجموعات لغوية أخرى وان لم يكن لها فى عصرنا هـذا من الأهمية مالغيرها من اللغات سالفة الذكر إلا أنها مع ذلك كانت من اللغات الحية فى الأزمنة الغابرة وبعضها للآن مازالت متداولة الأمر الذى يجعلنا نقدّرها حق قدرها بالرغم من تقادم العهد عليها ونختار منها مجموعة اللغات السامية التى نزلت بعض الكتب السماوية بها وهى لغات بنى سام وأعنى بها اللغات العربية والعبرانية والسريانية والاشورية والآرامية والكلدانية والحميرية والابهرية

الحبشية واللغة المصرية القديمة والقبطية الحديثة وكل هذه يرجع أصلها الى بنى سام ، وبالنسبة لقدم عهد تلك اللغات أصبح من المتعذر تحديد وقت انسلاخها من بعضها إذ كانت قبل التاريخ بآلاف من السنين . بيد أنه قد لوحظ بعض التشابه بين هذه اللغات و بعضها فى النطق والمعنى ورسم الأحرف . و بما أن جل اهتمامنا فى مصر يتجه الى اللغة العربية التى هى لغة القطر واللغة الرسمية للبلاد ، ولايخفى أن مصر لغة وشعبا هى جزء من من بنى سام إلا ان انسلاخها من الساميين كان قبل التاريخ . انتهى والله أعلم

﴿ الحكمة الثانية فيما يختص ببعض اللغات و بعض الأمم ﴾

فقد جاء فى كتاب ﴿ المد والجزر ﴾ مايأتى

قال جماعة من المؤرخين « إن التمدين العربى كان تمدينا اسلاميا صرفا والقرآن مصدر جميع العلوم التى عنى بها المسلمون فى أوج حضارتهم . فلتفسير آياته وسوره وجدت علوم الكلام وعلوم المنطق ولتفهم مافيه من نظام وتشريع وجدت علوم الشرع والفقه ولم تكن غاية المؤرخين الأولين من العرب إلا تحديد وقت نزوله وتدوين الأحاديث النبوية . ثم أليس الجغرافيون الاول أوعلماء المسالك والأمصارهم الذين مضوا من أقاصى افريقيا وآسيا لتأدية فريضة الحج ثم عادوا يصفون رحلتهم ومارأوه فى البلاد البعيدة من الجديد غير المألوف . ألم يكن غرض علماء اللغة ايضاح ما غمض من آى القرآن وتطبيق قواعد الصرف والنحو على نصوصه . ألم تطلب ارصاد الفلكيين وعمليات الرياضيين لتحديد ساعات الصلاة وتوقيت مواعيد الحج والصوم . ألم تستدع مسائل الوقاية الصحية والنظافة اهتمام الأطباء كما ظلت بعد تحثهم على البحث والتنقيب . نعم لم يهتم العرب فى ذلك الدور بعلم من العلوم إلا لأن آيات القرآن قضت بمعرفته لاجتلاء معنى غامض أوشرح قول مستغلق ومذاهب علماء الكلام هى التى نبهت أبحاث الفلاسفة ومناظراتهم فكانوا بما نقلوا وما أوجدوا أساتذة الفلسفة الحديثة . سبق القول أن قد اشترك مع العربية لغتان أخريان بكونهما قوميتين نشرتا عقيدة دينية ومذهبا سياسيا بين شعوب مختلفة أى اليونانية واللاتينية فقد كانت اللاتينية مستعملة من كمبانيا فى ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الرين الى جبل الأطلس . واستعملت اليونانية من أقاصى صقلية الى شاطئ دجلة والفرات ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة ، لكن ما أضيقه انتشارا اذا ماقو بل بانتشار العربية التى امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب آسيا وشمالها الى ماوراء بلاد (التتر)

أما اللغة الفصحى فقد استولت على جميع أنحاء الشرق الاسلامى وان لم تكن لها الغلبة كلغة كلامية على بعض اللغات فى الشرق والشمال فقد أوجدت تبديلا محسوسا فى الفارسية والهندية والهندستانية والتركية ولغات افريقيا ولهجات التتر ، كذلك فى اللغات الحديثة المشتقة من اللاتينية أوالمقتبسات منها كلمات كثيرة أصلها عربى ، لقد عدت اليونانية واللاتينية فى صف اللغات الميتة منذ سقوط مدنياتهما ، فما الذى حفظ العربية حية بعد زوال مدنية العرب بقرون سبعة ؟ إن الذى كان باعثا على تكوين المدنية العربية وهو الذى مازال حافظها الى اليوم هو القرآن ، لذلك ستظل اللغة العربية حية مادام الاسلام حيا ومادام فى أنحاء المسكونة ثلثمائة مليون من البشر يضعون يدهم على القرآن حين يقسمون » انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أقول . أليس من العجب أن الهواء الخارج من الرئتين الذى لم تكن وظيفته إلا ادخال الصالح للحياة واخراج الضار لها قد نال وظيفة شريفة عالية غالية وهى الافهام وحمل جميع العلوم وتنوع الى نحو خمسة آلاف لغة و بعض اللغات قد تبلغ عشرات الألوف من الكلمات ، ياسبحان الله قد تنوعت اللغات كما تنوعت المادة لأن اللغات دالة والمادة مدلول عليها فتنوع الدال وتنوع المدلول ولولا حركة هذه الكائنات لم يتنوع الدال ولم يتنوع المدلول

فياليت شعرى ألا يعلم المسلمون أن هذا هواختلاف الألسنة والألوان . أفليس من المخجل المحزن أن

نرى أن الباحثين عن اختلاف اللغات هم الاوروبيون ، وأما اختلاف الألوان وتنوّع العلوم فقد دوّن فى كتب أسلافنا ولكن المتأخرون من المسلمين جهلوا النوعين . اللهم إنك جعلت اختلاف اللغات واختلاف الألوان من آياتك والمسلمون ملزمون أن تقوم طائفة منهم بدرس تفرّع اللغات وبدرس العلوم وتفرّعها والصناعات المرتبة عليها ، وكيف يعرفون انها دالة على جمال صنعك إلا بعد معرفتها ، اللهم انك قد بينت على لسان رسولك ولكن المسلمين لايفكرون ، وهذا التفسير قد وضح فيه كثير مما تركه المسلمون من علم أوعمل والله هو الولىّ الحميد . انتهى يوم السبت ١٦ من شهر مايو سنة ١٩٢٧ م

﴿ المقصد الثالث فى نظام المدارس المفهوم من هذه الآية ﴾

اذا تأملت فيما كتبناه ألفيت انى قدمت المادّة والكلام عليها على أقسام الحروف ولكن فى الآية قدم الله الألسنة على الألوان . أما تقديمى لذلك فلأن المادّة أصل والصوت فرع ، فأما فى القرآن فاسمع ما ألقى عليك

اعلم أن الله عزّ وجل علم اننا معاشر النوع الانسانى لاقبل لنا بجميع الحقائق إلا بالتعلم والتدريج فأعطانا الحروف الهجائية الناتجة من المقاطع الصوتية لنحللها ونركبها أوّلا حتى ندرّب أنفسنا على تحليلها وتركيبها نثرا ونظما وكتابة وفهما وليس يمكن لأحد أن يعرف اللغة حق العلم إلا اذا حلل الكلمات الى حروفها ورفع ونصب وركب الجمل وعرف نسبها والموازنة بينها

هذا هو الصراط المستقيم فى تعليم جميع الأمم . يبتدئون بالقراءة والكتابة ولايشرعون فى فهم العلوم حتى يتموا اللغة والعلوم التى عليها مدار الحياة ترجع الى العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية وهذه لاتعرف إلا بتحليل الأشياء وارجاعها لأصلها ولذلك تجد الناس كما أرجعوا الكلمات الى حروف ليعرفوا اللغة أرجعوا المركبات جميعها الى عناصر تبلغ (٨٦) فهذا التحليل بدونه لاتعرف حقائق الأشياء والذى سهل ذلك على الناس أنهم حللوا الألفاظ أوّلا فتعوّدوا على تحليلها فان الأسهل وهو تحليل الألفاظ مقدّم على الأصعب وهو تحليل المادّة فى العلوم الطبيعية وحركاتها فى العلوم الرياضية وهكذا يبتدئ الناس بالعلوم الأدبية وفيها النثر والنظم والروايات وهكذا الخرافات التى تمثل فيها الحقائق بصور خيالية وكل ذلك باللغة ثم يشرعون فى العلوم الطبيعية فتصقل العقل صقلا . هذا هو نظام المدارس وهذا هو الذى ظهر فى هذه الآية فانه قال سبحانه وتعالى ــ واختلاف ألسنتكم وألوانكم ــ فقدّم الألسنة ليفيد تقديمها فى التعليم المدرسى على التعليم الطبيعى المنوّه عنه بلفظ ــ ألوانكم ــ وليكون التحليل اللفظى مقدّما على التحليل المادّى وهذا التحليل مرموز له فى أوّل السورة بلفظ ــ الم ــ فكأنه يقول إن اللغة مركبة من حروف هجائية هى هذه (ا ل م) و بتحليلها تدرسونها ولقد قدّم سورة العنكبوت إذ ذكر (ا ل م) وجاء فيها ــ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ــ وفى هذه السورة ذكر بدء الخلق واعادته مرّتين فقال ــ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ــ وقال ــ وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده ــ وفى الآيات التى بين هاتين الجملتين ذكر اختلاف الألسنة والألوان وانها آيات للعلماء ، وليس يعرف بدء الخلق إلا بالتحليل المرموز له بالحروف المذكورة فى أوّل (سورة العنكبوت) وأوّل (الروم) فأما الألسنة المدلول عليها باللغات فأمرها ظاهر ، وأما المادّة فلاتعلم إلا بذلك وهذه مما يشير اليها (الم)

ابتدأ الله السورتين بالتحليل ليطلب من الناس تحليل العلوم وتحليل اللغات فى الألسنة والألوان ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ جميع العلوم وهكذا اذا سار الناس فى الأرض فلاسبيل لعلمهم كيف بدأ الخلق إلا بالتحليل المدلول عليه بذلك ، وقد بينت لك تحليل المادة هناك كما أشار لك بلفظ (الم)

فأما السير الظاهرى فانه يستوى فيه الجاهل والعالم ، فكأن الله يقول قبل أن تنطق بحرف من هذه السورة « اسمع التحليل وحلل » فحلل الجمل وحلل الكلمات لتعرف معانيها وتراكيبها وحلل معانيها فلاعلم إلا بالوقوف على التفاصيل فذكر الألوان بعد الألسنة ترتيب مدرسى ، فأما الذين يقرؤن اللغات وهم خلو من

العلوم فانهم يكونون قوما خياليين كأهل الأندلس نبغوا فى الشعر واللغة وجهلوا العلوم فأخذتهم (أسبانيا) وأذاقوهم سوء العذاب وهكذا أمة الاسلام اليوم لاعلم عندها إلاقليلا وهم خياليون - إلامن رحم ربك - فعليهم أن يدرسوا العلوم الرياضية والطبيعية . ولعلك تقول هل الترتيب هنا يفيد ما ذكرت ؟ إن هذا أمر بعيد . أقول على رسلك . أين انت من ذكر خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى سقيفة بنى ساعدة . ألم يقل للأنصار « نحن المهاجرون وأول الناس اسلاما وأحسنهم وجوها وأكثرهم ولادة فى العرب وأمسهم رحما برسول الله ﷺ . أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فقال تعالى - والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار - » واستنتج من ذلك قوله « فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . إن هذا الأمر لايصلح إلالهذا الحى من مضر فان نعق ناعق منكم وقع بين فكى الأسد يجرحه المهاجر ويعارضه الأنصارى »

فانظر كيف استنتج من تقديم المهاجرين على الأنصار أن الخلافة فيهم دون الأنصار . فانظر هذا الأمر الجليل العظيم كيف حرمت منه أمم وأمم من الأنصار فى أجيال متعاقبة وحظى بها أبناء قريش . لماذا ؟ لتقديم وتأخير ، فلنقل هنا كذلك وأن العلماء هم الذين يدرسون الألسنة والألوان ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ إن العالم الاسلامى هو من يدرس اللغة تمام الدراسة بعلومها المشهورة ويدرس العلوم الطبيعية بسائر ملحقاتها على ماتقتضيه سنة الدراسة فى الأجيال المتعاقبة لأن الحكمة هى معرفة الأشياء بقدر الطاقة البشرية . فاذا استنتج الصديق من كلمتين خلافة أعظم أمة فى العالم فلنستنتج من نظيرتيهما دراسة أعظم أمة فى المستقبل إن شاء الله تعالى وهى الأمة التى يظهر دينها على الدين كله وهى - خير أمة أخرجت للناس - وعلماؤها هم الذين يدرسون اللغات وسائر العلوم الطبيعية والفلكية

فاذا قال الله - ومن آياته خلق السموات والأرض - الخ فذلك ابتداء بذكر مامنه الأضواء ثم مامنه العناصر وباشراق الضوء على عناصر الأرض تظهر المواليد الثلاثة ودراستها بتحليلها الى عناصرها كالكلمات وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثانية المناسبة للخامسة

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله - ﴾

اعلم أن الانسان له ﴿حالان﴾ حال يقظة وحال نوم ففى حال النوم يرى مزارع وطرقا ومدارس ومساجد وأناسا ويأكل ويشرب ويحارب فاذا استيقظ لم يجد شيأ من ذلك . فالنوم بالليل يرينا العوالم التى لاحقيقة لها بالنهار فتى استيقظ الانسان أدرك الأكاذيب الليلية ولاتظن إنى فى مقام الرؤيا الكاذبة أوالصادقة كلا بل كل ماتخيلناه فى المنام فانا نعده حقيقة ونحن فى تلك الحال ولايخطر بأنفسنا إذ ذاك غير ذلك ولنا فى المنام تعقل وجهل كمالنا فى اليقظة كذلك . ألاترى انا كثيرا مانرى اننا نكلم أصحابنا فى مسائل علمية عقلية عويصة ألم تر أن (ابن سينا) كان يحل أغلب المعضلات العلمية فى حال النوم ، فنحن فى اليقظة نفكر وفى النوم نفكر وفيهما أيضا نأتى بالخيال الكاذب ونكذب فى الحالين ، فحال النوم هى حالنا وحال اليقظة حالنا ونحن نحن فى الحالين ، ثم إن حال النوم تفسخ حال اليقظة كما نسخ النهار الليل فأزال ظلامه ، إن ذلك من آيات الله لأن نفوسنا فى المنام اخترعت أرضا وسماء وعوالم وكل من الناس يخترع هذا الاختراع وهذا أمر عجيب جدا ، نحن فى المنام لانكذب العالم الذى نكون فيه ، نحن نخترع عالما ونعيش فيه ، نسر ونفرح ونحزن فاذا استيقظنا لم نجده . عجبا أفليس هذا مما يذكرنا أن حياتنا بالنهار ربما كانت على هذا المنوال وأن حواسنا اخترعت هذه العوالم فاذا متنا وجدنا هذه العوالم لا أصل لها وأن مانسميه أرضا وسماء وشمسا وقمرا ونباتا وحيوانا ونهرا وجبلا ما أكسبها هذه الصفات إلاحواسنا فاستعبدتنا فاذا متنا كانت لنا حواس أخرى فأدركت هذه العوالم بحال أصدق من هذه . أوليس هذا هوالذى ظهر فى العلم الحديث فى ﴿ نظرية اينشتين ﴾ التى قدمنا ذكرها فى هذا التفسير . فهذا العالم قد نشر نظريته فى أوروبا وقال كما قال غيره قديما وحديثا ﴿ إن هذا

العالم

العالم لاشئ فيه مما نراه وأن هذه الدنيا ماهي إلاحركات فى الأثير و باختلاف الحركات كما وكيفا ظهر لحواسنا مانحن فيه والا فالضوء والحرارة والثقل والخفة والصلابة وأمثالها هي خواص كسبتها المادّة بالنسبة لحواسنا لا لها فى نفسها ﴾ أوليس هذا يفهمنا ماروى « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا »

إن الله يقول هنا ـ ومن آياته منامكم بالليل والنهار ـ فاذا أخذ على ظاهر اللفظ عدّ معجزة لأن هذه هى النظرية الحديثة فانا بالليل نيام وبالنهار فى يقظتنا نيام لأن حواسنا اخترعت نهارا كما اخترعت مخيلتنا ليلا وهذا يعرّفنا قوله تعالى ـ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ـ ولماذا لانعدّ هذا معجزة مع أن ظاهر اللفظ يقتضيه ولوعلى سبيل الرمز الذى هومن أقسام الكناية . فنحن ننام بالليل وننام بالنهار مع ملاحظة الكناية فى معنى النوم مادام العلم قدكشفه فهذه معجزة . ومن تأمّل قوله تعالى ـ ألسنتكم وألوانكم ـ والعالمين جمع عالم (بكسر اللام) رأى أن هذه فيها (ال م) على الترتيب مفرّقة فى الأوّلين مجموعة فى الأخير وهكذا ﴿سورة العنكبوت﴾ جاء فيها ـ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ـ ففيها (الم) وكأنه لما قيل فى أوّل السورتين (الم) يوقظنا الله لبحث العالم بهذه الاشارة لنكون علماء ونحلل العوالم لنكون حكماء وهذا من أسرار القرآن التى ظهرت فى آخر الزمان واتحدت الوجهة والمعنى والرمز فى السورتين معا والله أعلم وههنا ثلاث عجائب

﴿ العجيبة الأولى ﴾

ماجاء فى بعض الصحف المصرية تحت العنوان الآتى وهذا نصه

﴿ الانتقال الفكرى ـ التليباتيا ـ النظر المضاعف ﴾

(١) جاء فى كتاب ﴿أشباح الأحياء﴾ ما يأتى

كتب لنا المحترم (نومان) من خدمة البروتستانت فى (ديفنبورت) قال « فى شهر ادار سنة ١٨٥٤ كنت مقيما (بأكسفورد) فاعترانى ذات ليلة ألم شديد فى رأسى اضطجعت على أثره فى فراشى دون خلع ثيابى وكانت الساعة التاسعة ليلا فبعد أن غفوت حلمت بنفسى جالسا فى بيت من تزوّجت بها فيما بعد ولما انتهينا من الحديث ذهب كل الى الرقاد فودّعتهم وحملت بيدى الشمعة وانصرفت . ولما بلغت الدهليز لمحت خطيبتى صاعدة السلم وحدها وقد بلغت أعلاه فهرعت اليها بلمح البصر وطوّقت خصرها بذراعى وعندها استيقظت وجرس الساعة يدق العاشرة . فتأثرت لهذا الحلم إذ كان غاية فى الوضوح وكتبت لخطيبتى أعلمها به وقبل وصول رسالتى اليها جاءنى كتاب منها تقول لى فيه « هل كنت الليلة البارحة مفتكرا فىّ بحدّة نحو الساعة العاشرة فانى عند صعودى السلم للرقاد سمعت همس خطواتك ورائى وأحسست بذراعيك طوّقتا خصرى » وقد ذكرتها اليوم الحادث فلم تنسه بعد السنين الطوال » اهـ

(٢) وجاء فيه أيضا مانصه . روى لنا (المستر مونتون) سكرتير الشركة البسيكولوجية ما يأتى

« توليت ادارة المدرسة الكبيرة سنة ١٨٧٢ وهناك صادفت لأوّل مرة الآنسة التى صارت فيما بعد امرأتى وعند ما برحت منصبها أوصيتها لأسباب صوابية بعدم مفاتحتها إحدى رفيقاتها فى المدرسة بأمر زواجنا وأن تتجنب مكاتبتهنّ لهذه الغاية ، و بعد مضى ستة أشهر على زواجنا كنت إحدى الليالى على عادتى قاعدا فى فراشى أقرأ واذا بامرأتى هبت من رقادها قائلة حلمت انى ذهبت الى المدرسة ودخلت غرفة اعرفها فى الطابق الأسفل فرأيت فيها أربع نسوة اثنتان من رفيقاتى والاثنتان الأخريان لا أعرفهما وكنّ يتحادثن و يضحكن وقد هممن بالذهاب للرقاد فتبعتهنّ ورأيت صديقتى (بيسى) قد دخلت غرفة النوم مع اثنتين من رفيقاتها ثم خلعت ثيابها واضطجعت فدنوت منها وأخذت بيدها قائلة « دومى على صداقتنا يابيسى » ثم استيقظت وأنا متأكدة أنى كنت حقيقة فى مخادع المدرسة ، فقلت لها هذا علم بسيط ور بما كان أوضح من غيره ، و بعد مدة ذهبت امرأتى لزيارة والدتها فأطلعتها هذه على رسالة جاءتها من إحدى صديقاتها فى المدرسة

تلتمس أن تخبرها هل الآنسة ابنتها (وهي امرأتي) حية بعد أم ميتة ، فخطرلي أن أذهب بنفسي عند صاحبة التحرير واستوضحها عن داعي هـذا التحرير ، فقالت لي إن الليلة الفلانية كانت راقدة في غرفة واحـدة مع صديقتها (بيستي) وأن هذه صرخت فجأة من الذعرفهرعت اليها لتسألها عن السبب فقالت رأيت الآن أمامي الآنسة (ك) وهي امرأتي قد أخذت بيدي وقالت « دومي على صـداقتنا يابيستي » وغابت ، وفي ثاني يوم سرى الخبر بين الرفيقات ، فقال بعضهن هذا حلم بسيط حلمت به (بيستي) في نومها وقالت أخرى «كلا» هذه رؤيا في اليقظة تدل على موت صديقتنا وهذا ماحملني على ارسال الكتاب لتحقيق الأمر ، ثم استنطقتها عن وجود الرفيقتين اللتين كانتا مع (بيستي) وامرأتي لاتعرفهما وعن موقع سريريهما في غرفة النوم فكان ذلك كله مطابقا لما رأته امرأتي في الحلم » اهـ

(٣) ذكرالعلامة الروسي (أكساكوف) من مستشاري حكومة القيصرسابقا الحادث الآتي في كتاب له في هذا الموضوع ذائع الشهرة . قال مانصه

«كانت أسرة (ك) مقيمة في مصيف لها في (بافلوسك) في ضواحي (بطرسبورج) وهي مؤلفة من الرجل وامرأته وابنة صبية تدعى (فيرا) وغلام في ريعان الشباب برتبة ضابط بحري وكان للأخوين تعلق شديد ببعضهما منذ نعومة أظفارهما ، فاتفق للشاب وهوفي المصيف مع أبويه وأخته أن صدر الأمراليه بالسفر شهرا في عرض البحار فرافقه آله الى المرفأ وهناك تعاهد الأخوان على مداومة الذكرى مدة الفراق ومرت الأسابيع والرسائل تتوارد من الشاب تعرب عن سلامته وحنينه الى اللقاء الى أن تغيرالجوّ يوما وعصفت الرياح وهطل المطركأفواه القرب فقلقت (فيرا) وثارت أعصابها وأخذت تتساءل كل لحظة عما حلّ بأخيها حتى انحرفت عند المساء صحتها وانزوت في غرفتها لتستريح . ولما كانت الساعة العاشرة سمع صوت مروع من غرفة الفتاة فأسرعوا اليها فرأوها تتخبط وتصيح متشنجة وقدأصابتها نوبة عصبية ولم يتمكنوا من تسكينها إلا بعدالجهد الجهيد . ولما أفاقت أخبرتهم قائلة « رأيت نفسي وأنا يقظى في وسط ضباب كثيف والعاصفة تعصف حولي بما يصم الآذان واذا بوميض برق أراني البحر يعج بأمواجه المزبدة ثم تلا ذلك لمعان نورأحمر رأيت على ضيائه أخي يتخبط في وسط الأمواج ثم عادت الظلمة وعقبها بعـد هنيهة وميض برق آخر رأيت في خلاله أخي ممددا على صخرة وقد تضرج رأسه بالدم . ياللهول » وفي ثالث يوم نقلت الجرائد خبرغرق الباخرة التي كان عليها الضابط الشاب بالقرب من (كرونستاد) فأسرع المسيو (ك ؟) الى هذا المرفأ فوجد ابنه حيا يتألم من جرح في رأسه فأخبره انه كان في إبان اشتداد العاصـفة على ظهر الباخرة يهجس ببيته وآله وقد وجه فكره خاصة الى شقيقته يسألها أن تصلي لأجله واذا بالباخرة ارتطمت بصخرة فارتجت رجة هائلة سقط على أثرها في البحر وأخذ يعارك الأمواج لعله يتوصـل الى العودة للمركب ، و بعد هنيهة رأى وميض نورأحمر يصحبه صوت طلق مدفع من الباخرة فعلم أن لاسبيل له اليها فسلم أمره الى الله وأيقن بالهلاك ، واذا بضبابة لاحت له من بعد وقد تجلى من خلالها شبح أخته (فيرا) تبتسم له وتمدّ اليه ذراعيها فأخذ يعوم نحوالشبح ولايعلم كم دام ذلك الى أن شعر بلطمة في رأسه وغاب عن الحسّ ، وفي ثاني يوم رآه بعض الصـيادين متمددا على الشط مغمى عليه وفي رأسه جرح بليغ » اهـ

(٤) هذا الخبر نشرته « مجلة الأخبار النفسية » في أحد أعداد سنة ١٨٩١ نقلا عن كتاب أتاها من المسيو (ويلموت) أحد أصحاب المعامل في مدينة (بريد جبورت) قال ما ملخصه

« أبحرت على الباخرة (سيتي أوف لمبريك) الى مدينة (نيويورك) في (٣) تشرين الأوّل سنة ١٨٦٣ وفي مساء ثاني يوم ثارت عاصفة هائلة دامت تسعة أيام لم نر في خلالها شمسا ولانجما ولامركبا وفي الليلة الثامنة هدأ البحر قليلا فتمكنت من الرقاد لأوّل مرة من ركوبي الباخرة فحلمت عند بزوغ الفجر بامرأتي التي كنت

غادرتها

غادرتها فى (نيو يورك) واقفة بباب غرفتى بقميص النوم وقد لحظت وجود شخص أجنبى معى فى الغرفة فترددت هنيهة ثم انسلت نحوى وقبلتنى و بعد أن كلمتنى لحظة عادت بهدوء من حيث أتت ، ثم استيقظت حالا فوجدت رفيقى محدقا ببصره الىّ وهو يقول ما أسعدك تزورك سيدة وتقبلك وأنت نائم ، فاستغربت قوله واستنطقته بالحاح فأخبرنى انه كان على أتم اليقظة وقد رأى عيانا ما رأيته أنا فى الحلم بكل عوارضه واسم هذا الرفيق (ويليام تيت) وهو رجل رصين صادق الشهادة ومن أهل التقى لايحب الهزل . ولما بلغنا نيو يورك بالسلامة اجتمعت بامرأتى فكان أوّل سؤالها لى « هل تذكر زيارتى لك يوم الثلاثاء من الاسبوع الماضى قلت زيارتك لى ؟ كيف يكون ذلك وأنا بعيد عنك مسافة ألف ميل وأكثر فى عرض البحر ، قالت لا أجهل ذلك إنما يلوح لى انى رأيتك فى الباخرة ، قلت هذا مستحيل ومع ذلك أخبرينى عما حملك على هذا الظن قالت استحوذ علىّ قلق شديد وقت هبوب العواصف وكنت أفكر دائما فيك وفى الخطر المحدق بك الى أن كانت ليلة الثلاثاء وقد سكنت العاصفة قليلا فلاح لى الساعة الرابعة أنى سرت الى لقائك وقدجزت البحر الهائج حتى بلغت مركبا وطيئا أسود تتجاذبه المياه فصعدت ظهره وتفقدت الغرف الى أن بلغت حجرتك وكان فى معيتك شخص آخر متكئا على التخت الثانى الذى فوق تختك أخذ ينظر الىّ بتحديق فترددت برهة فى بادىء الأمر ثم دنوت منك وضممتك الى صدرى وانصرفت » ثم استرسلت امرأتى فى وصف الباخرة وماعليها فكان ذلك مطابقا للحقيقة مع انها لم تقع عينها عليها بتاتا » اه

(٥) جاء فى كتاب (فلامار يون) مانصه

كتب الىّ من (غاليسيا) المحامى الشهير الدكتور (برونيسلانمايكى) يقول « قرأت من بضع سنين فى مجلة انجليزية عن صديق لجون فرنكلان (وهوأشهر رحالة حاول اكتشاف القطب الشمالى وهلك فى رحلته) يدعى (والترسنو) انه رأى ليلة فى حلمه الصقع المجهول الذى هلك فيه الرحالة الشهير (فرنكلان) ولما استيقظ صوّر البقعة التى رآها فى حلمه بكل عوارضها مع القوارب وقطع الجليد والجثث المتجمدة وماجاورها ثم نشر هذه الصورة فى جريدة أمريكية من باب الغرائب ، ولما اكتشفت بعد سنين آثار فرنكلان ورفاته فى الأصقاع المتجمدة ورسم المصوّرون مكان الفاجعة جاءت رسومهم مطابقة بالتمام لما كان قد صوّره والترسنو » انتهى والله أعلم

﴿ العجيبة الثانية ﴾

جاء فى إحدى جرائدنا المصرية فى شهر اكتو بر سنة ١٩٢٩ مانصه

﴿ اكتشاف جريمة غريبة بعد عشرسنين ﴾

روى مكاتب (الديلى كرونكل) فى برلين أن مزارعا ألمانيا يدعى (فردريك ديكرت) اختفى فجأة منذ عشرسنوات وكان جيرانه يعلمون انه كان دائما فى نزاع مع زوجته وأولاده وهم ثلاثة فقبض عليهم بتهمة قتل أبيهم ولكن أطلق سراحهم لما لم يجد رجال البوليس بعد البحث والتحرى دليلا يثبت إدانتهم وكان فى القرية نجار قضى السنوات العشر فى البحث عن جثة المزارع دون جدوى الى أن صرّح أخيرا بأنه رأى (فردريك) فى المنام فأخبره أن جثته مدفونة فى مكان معين فى مزرعته . ويقول النجار إن هذه الرؤيا تكرّرت ثلاث ليال متوالية فلم يسع الرجل إزاء ذلك إلاأن ينهض من فراشه وسط الليل البهيم وأخذ يحفر فى النقطة التى أرشده اليها حتى عثر على هيكل عظمى على عمق أربع أقدام . ثم واصل رجال البوليس بحثهم بعدذلك فوجدوا ساعة فضية عتيقة مطمورة بجانب الجثة شهد ساعاتى القرية انه أصلحها مرّة لفردريك ديكرت فألقى القبض مرة أخرى على الزوجة والأولاد الثلاثة فاعترف أحدهم بأنه قتل والده دفاعا عن أمه وهى فى خطر عظيم من جراء اعتداء أبيه و بعد أن قتله دفنه فى هذا المكان مع أمه اه

﴿ العجيبة الثالثة ﴾

جاء فى مجلة «كل شئ» مانصه

﴿ تشتية الحيوان وهل هى ممكنة للانسان ؟ ﴾

(حيوان يبقى (٣١) سنة بلاطعام أوهواء و يظل حيا)

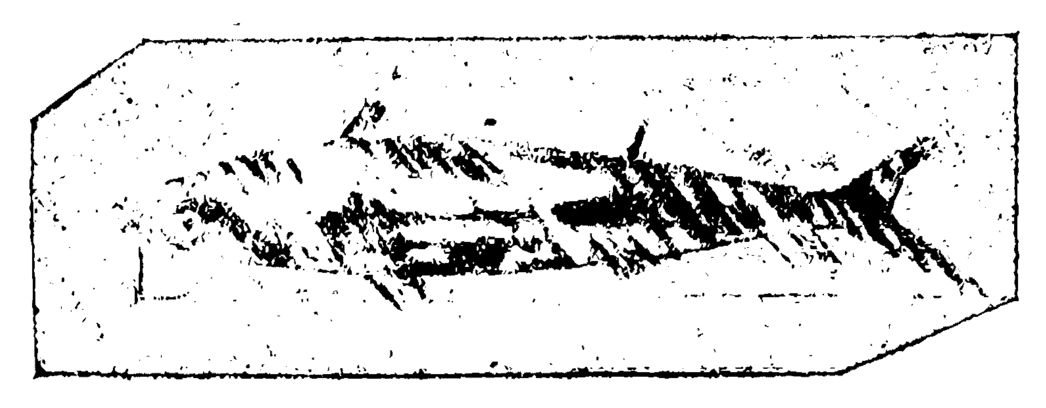
فى هذا العام منذ بضعة أشهركان العمال فى (تكساس) بأمريكا يكسرون حجرا فوجدوا فى قلبه ضبا صغيرا حسبوه ميتا ولكنه تحرك وسعى وكان هذا الحجر فى بناء مضى على بنائه (٣١) سنة وقد بعثوا به الى حديقة الحيوانات فى (فيلادلفيا) وهولايزال حيا للآن . والمشهور عند الاورو بيين أن الضفادع والعلاجيم تبقى حية عدة سنوات وهى محبوسة وأن بعض الأحجار اذا كسرت خرجت منها هذه الأحياء وهى ضامرة الجسم مهزولة اللحم ولكنها حية . وهذه القصة عن الضب الأميركى لاتزال مثارا للشك بعضهم يصدقها و بعضهم يستبعد بقاء حيوان بلاطعام أوهواء (٣١) سنة . ولكن التشتية حقيقة لا يشك فيها أحد فهناك حيوانات كثيرة اذا أحست البرد عند هجوم الشتاء وقل الغذاء واكتست الأرض بالثلج انكفأت الى جحورها و بقيت طول الشتاء أى نحو خمسة أشهر أوستة أوسبعة وهى رابضة لاتتحرك ولاتأكل وكلنا يعرف أن الثعابين لاتسعى فى الشتاء بل تتحوى فى جحورها وتبقى كذلك الى أن تحس الدفء فتخرج . ومشهور عن الدب فى القطب الشمالى انه يفعل ذلك وكذلك السنجاب والوطواط والغربان ولكن التشتية ليست عامة بين اللبونات أى تلك التى ترضع أولادها ولكنها تكاد تكون عامة بين الزواحف والحشرات ، وقد فحصت بعض الحيوانات مدة تشتيتها فوجد أن السنجاب الذى يتنفس عادة مدة الصيف نحو (٢٠٠) مرة فى الدقيقة ولكنه وقت التشتية لايتنفس سوى ثلاث مرات أوأربع فى الدقيقة بل أحيانا لايتنفس سوى مرة واحدة كل دقيقتين ، ومعنى هذا أن الجسم لايحترق منه إلا جزء قليل جدا بحيث أن مائة يوم من أيام التشتية لاتساوى سوى يومين أو ثلاثة من مدة الصيف حين ينشط الحيوان و يسعى ، وفى هذه المدة أى مدة التشتية يأكل الحيوان نفسه فاذا كان آخر الشتاء نزل وزنه الى النصف ، وكما يحدث هذا البطء فى التنفس تنزل حرارة الحيوان الى نحو (١٠) أو (١٢) فوق الصفر ، ونزول الحرارة يجعل الحيوان مستغنيا عن الغذاء إلا أقله ، والمعروف أننا جميعا ننام فى الشتاء أكثر مما ننام فى الصيف واننا ننزع أنفسنا من الفراش فى الصباح نزعا لأننا نستنيم الى الدفء ونكره السعى فى البرد ولكننا فى الصيف نبادر بالاستيقاظ ونستطيع كذلك السهر ، و يقال إن الانسان الذى يعيش قريبا من القطب الشمالى يكثر من النوم فى الشتاء بما يشبه هذه الحيوانات التى ألفت التشتية فالاسكيماو يون والبوريات وهم المغول الروس يقضون معظم الشتاء فى بيوتهم نائمين لايستيقظون إلا ريثما يتناولون مزعة من شحم الفقمة أولحم السمك ثم يعودون الى نومهم ، فالتشتية تكون طبيعية فى الانسان والحيوان وهى وقوف أو بطء فى الوظائف الفسيولوجية للجسم بل يمكننا من هذه الوجهة أن نقول ان النبات نفسه يعرف التشتية فانه يتجرد من أوراقه التى هى سبيل غذائه من الهواء ، واذا كانت (٣١) سنة كثيرة على الضب فانه مما لا يمكن الشك فيه أن الحيوان يمكنه أن يعيش بضع سنوات اذا أحيط بالبرد الشديد وهونائم نوم التشتية بدون أن يهلك (انظرشكل ١٨ فى الصفحة التالية)

شكل



(شكل ١٨ — ضب أميركى يقال انه قضى (٣١) سنة وهو حىّ لايأكل ولايشرب)

والأسماك التى تعيش حول القطب الشمالى يدركها الثلج أحيانا فتجمد فيه فاذا ذاب عادت اليها الحياة .
وفى النيل سمكة مشهورة تدعى « سمكة الطين » اذا انحسر الماء عنها اندست فى الطين فيجف عليها وتبقى كذلك جامدة كأن لاحياة بها فاذا جاء الفيضان استيقظت وسبحت (انظر شكل ١٩)



(شكل ١٩ — سمكة متجمدة فى الثلج اذا ذاب عنها عادت اليها الحياة)

لقد علمت أيها الذكى كيف يكون نوم الانسان نوما طبيعيا أوصناعيا مما يجعله هائما فى عوالم أخرى تعطيه أخبارا ورؤيا صادقة وأخرى كاذبة ثم كيف ينام السمك فى الثلج أياما وأياما وأنت اذا قرأت ماجاء فى (اخوان الصفاء فى هـذا المقام وماقصه (اليعسوب) وهو رئيس النحل وملكه (وهو يخطب فى حضرة ملك الجن فى تلك الرواية الخيالية البديعة التى جمعت أوصاف جميع الحيوان وأبانت أصنافه وأشكاله وأخلاقه وعواطفه وتربيته لأولاده وتحننه ورأفته وذكاءه وتصريفه لامور الحياة) لاعتراك الدهش ولرأيت العجب من (يعسوب النحل) الذى ناب عن الحشرات فى تلك الحضرة وأخذ يبين أن النحل ينام أيام الشتاء وأن النمل تجمع القوت ولكن لم يقل انها تنام كالنحل . وأبان أن الجراد فى زمن الشتاء يموت . وأن دود القز ينام أياما ثم يستيقظ والزنابير (الحمر والصفر والسود) تنام أيام الشتاء كالنحل ولكنها لاتجمع لأنفسها قوتا مثله كما تقدم فى السمك النائم فى الثلج ثم تستيقظ فى فصل الربيع . وأما البراغيث والبق والديدان فانها عند تغير الزمان لاتنام بل تموت كما تقدم فى الجراد . فى هـذا كله يفسر قوله تعالى هنا — ومن آياته منامكم بالليل والنهار — وذلك لأن النوم يقدر بقدر الحاجة فيكون للانسان ساعات ولشرنقة النحل ودود القز ودود سائر الحشرات أياما معدودات كما تقدم فى (سورة

طه) وغيرها إذ رأيت أيها الذكي هناك أن جميع الحشرات تنام وهي شرنقة أياما وتنسج على أنفسها كرة تناسبها . لافرق في ذلك بين دود القز والذباب وغيرها من مئات الالوف منها ثم تستيقظ كما يستيقظ دود القز وهذا مشروح شرحا تاما بالصور والأشكال وعند الاستيقاظ تصبح طائرا يطير في الجو ، ويكون ذلك النوم لنفس النحل ولنفس الزنابير بأنواعها شهور فصل الشتاء وهذا الأخير هو الذي أوضحه كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾

هنالك حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير ولما اطلع على هذا قال هذا القول حسن في تفسير الآية ، ولكن لو ذكرت لنا نص ماقاله ﴿ اخوان الصفاء ﴾ في هذا المقام لكان أتم للفائدة . فقلت قال « ثم تكلم النحل وقام خطيبا مذكرا مسبحا وقال الحمد لله الواحد فاطر السموات وخالق المخلوقات ومدبر الأوقات ومنزل القطرات والبركات ومنبت العشب في الفلوات ومخرج الزهر من النبات وقاسم الأرزاق والأقوات نسبحه في صباحنا بالغدوات ونحمده في رواحنا بالعشيات بما علمنا من الصلوات والتحيات كما قال الله تعالى ـ وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ

(أما بعد) أيها الملك العادل . يزعم هذا الانسي بأن لهم علوما ومعارف وفكرا وروية وتدبيرا وسياسة تدل على أنهم أرباب لنا ونحن عبيدهم فلو انهم فكروا في أوامرنا واعتبروا أيضا أحوالنا لبان لهم من أمرنا وعرفوا من تصاريف أحوالنا وتعاوننا في اصلاح شأننا أن لنا أيضا علما وفهما ومعرفة وتمييزا وفكرا وروية وسياسة وتدبيرا أدق وألطف وأحكم وأتقن مما لهم . فمن ذلك اجتماع جماعة النحل في قراها وتمليكها عليها رئيسا واحدا واتخاذ ذلك الرئيس أعوانا وجنودا ورعيـة وكيفية مراعاتها وسياساتها وكيفية اتخاذها المنازل والبيوتات المسدسات المتجاورات المكتنفات من غير بركار ومعرفة هندسة كأنها أنابيب مجوفة مسدسة ثم كيفية ترتيبها البوابين والحجاب والحراس والمحتسبين وكيف تذهب في المرعى أيام الربيع وليالي القمر في الصيف وكيف تجمع الشمع بأرجلها من ورق الأشجار والعسل بمشافيرها من زهر النبات ثم كيف تخزنها في بعض البيوت وكيف تشد رأسها كأنها رؤس البراني مشدودة بالقراطيس وكيف تبيض في بعض البيوت وتحضن وتفرخ وكيف تأوي في بعض البيوت وتنام فيها أيام الشتاء والصيف والبرد والرياح والأمطار وكيف يتقوتون من ذلك العسل المخزون هي وأولادها يوما بيوم لا اسرافا ولاتقتيرا الى أن تنقضي أيام الشتاء وتجيء أيام الربيع وينبت العشب ويطيب الزمان ويخرج النبت والزهر والنور وكيف ترعى كما كانت عام الأول وذلك دأبها من غير تعليم من الاستاذين ولاتأديب من المعلمين ولاتلقين من الآباء والأمهات بل تعلما من الله تعالى ووحيا وإلهاما وانعاما وتكرما وتفضلا علينا . وأنتم يامعشر الإنس تدعون علينا بالرقة وأنتم موالينا فلم ترغبون في فضالتنا وتفرحون عند وجدانها وتستشفون عند تناولها فمن كان ملكا كيف يحرص ويرغب في فضالة الخدم والخول ونحن مستغنون عنكم ؟ فليس لكم سبيل الى هذه الدعوات إذ الدعوى زور وبهتان . وأيضا أيها الملك لو علم الانسي من حال النمل فانها كيف تتخذ القرية تحت الأرض منازل وبيوتا وأزقة ودهاليز وغرفا وطبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوبا وذخائر وقوتا للشتاء وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضا مصونا كيلا تجري اليها المياه وبعضها مرتفعا وتخزن الحب والقوت في بيوت منعطفات الى فوق حـذرا عليها من المطر واذا ابتل منها شئ كيف تنشره أيام الصحو وكيف تقطع حب الحنطة نصفين وكيف تقشر الشعير والباقلا والعدس لعلمها بأنه لا لاينبت مع التقشير . وتراها كيف تعمل أيام الصيف ليلا ونهارا باتخاذ البيوت وجمع الذخائر وكيف تتصرف في الطلب يوما يمنة ويوما يسرة في القرية كأنها قوافل ذاهبين وجائين وانها اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيأ لاتقدر على حمله اخذت منه قدرا تما وذهبت راجعة مخبرة للباقين وكلما استقبلتها واحدة شامتها بما في فيها لتدلها على ذلك الشئ ثم ترى الكيفية كل واحدة منها على ذلك الطريق الذي جاءته من هناك ثم كيف تجمع على ذلك الشئ جماعة منها وكيف يحملونه ويحترزونه بجهد وعناء في المعاونة واذا علمت أن واحدة منها توانت

فى العمل أو تكاسلت فى التعاون اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها . فلو تفكر الانسى فى أمرها واعتبر أحوالها لعلم أن لها علما وفهما وتمييزا ومعرفة ودراية وتدبيرا وسياسة مثل مالهم ولما افتخر علينا بما ذكر

وأيضا أيها الملك لو تفكر الانسى فى أمر (الجراد) انها اذا سمنت أيام الربيع من الرعى كيف تطلب أرضا طيبة التربة رخوة الحفرة وكيف نزلت هنالك وحفرت بأرجلها مخاليبها وأدخلت أذنابها فى تلك الحفرة وطرحت بيضها فيها ودفنته وطارت وعاشت أياما وأكلتها الطيور ومات من بقى وهلك من حر أو برد وفنت ثم اذا دار عليها الحول وجاءت أيام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء فكيف ينشر من ذلك البيض المدفون مثل الدبيب الصغار على وجه الأرض وأكلت من ورق الشجر وسمنت و باضت مثل عام الأول وهذا دأبها وذلك تقدير العزيز العليم ، فليعلم هذا الانسى أن لنا علما ومعرفة وهكذا أيضا أيها الملك دود القز التى تكون على رؤس الأشجار والجبال فانها اذا شبعت من الرعى فى أيام الربيع وسمنت أخذت تنسج على أنفسها من لعابها فى رؤس الجبال شبه العش والكن ثم تنام أياما معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضها فى داخل ذلك الكن الذى نسجته على أنفسها ثم ثقبتها وخرجت منها وسدت تلك الثقب وخرجت لها أجنحة وطارت فأكلها الطير أوماتت من الحر والبرد والريح والمطر و بقى ذلك البيض فى تلك الجوزات محروزة أيام الصيف والخريف والشتاء من الحر والبرد والرياح والأمطار الى أن يحول الحول وتجىء أيام الربيع ويحضن ذلك البيض فى الجوزات ويخرج من ذلك الثقب مثل الدبيب الصغار وتدب على ورق الشجر أياما معلومة فاذا شبعت وسمنت نسجت على نفسها من لعابها مثل العام الأول وذلك دأبها أبدا وذلك تقدير العزيز العليم ـ الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ الى أمور مصالحها ومنافعها ، وكذلك أيضا أيها الملك حال الزنابير الصفر والحمر والسود فانها تبنى أيضا منازل فى السقوف والحيطان ومن بين أغصان الأشجار مثل مايفعل النحل وتحضن وتبيض وتفرخ ولكنها لاتجمع القوت للشتاء ولاتدخر للغد شيأ ولكن تتقوت يوما بيوم ماطاب لها الوقت ، فاذا أحست بتغير الزمان ومجىء الشتاء ذهبت الى الأغوار والمواضع الكنينة الدفئة ومنها مايدخل فى نقب الحيطان والمواضع الكنينة الحصينة وتنام فيها أياما طول الشتاء ، واذا جاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيما سلم من تلك الجثث روح الحياة فعاشت و بنت البيوت و باضت وحضنت أولادها مثل عام الأول فهذا دأبها ـ ذلك تقدير العزيز العليم ـ وكل هذه الأنواع من الحشرات والهوام تبيض وتحضن وتربى أولادها بعلم ومعرفة ودراية وشفقة ورحمة ورأفة وتحنن ولطف ورفق ولاتطلب من أولادها البر والمكافأة والجزاء ، فأما أكثر الإنس فيريدون من أولادهم برا وصلة وجزاء ومكافأة ويمنون عليهم فى تربيتهم إياهم وأين هذا من المروءة والفضل والكرم والجود والسخاء الذى هو من شيم الأحرار الكرام من أرباب الفضل ، و بماذا يفتخر الإنس علينا إذ ألذ مأكولاتهم فضالتنا وأحسن ملبوساتهم فضالة دود القز ، فهم فى مأكولاتهم وملبوساتهم تحت منتنا ولنا أيدى النعمة عليهم فكيف يدعون انهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم ، ثم قال النحل أما البراغيث والبق والديدان وما شاكلها من أبناء جنسها فانها لاتحضن ولاتلد ولاترضع ولاتربى أولادها ولاتبنى البيوت ولاتدخر العشب ولاتتخذ السكن بل تقطع أيام حياتها مرفهة ومستريحة مما يقاسى غيرها من برد الشتاء والرياح والأمطار وحوادث الزمان ، واذا تغير عليها الزمان واضطرب الكيان وتغالبت طبائع الأركان أسلمت نفسها للنوائب والحدثان وانقادت للممات لعلمها يقينا بالمعاد وتعلم أن الله تعالى منشئها ومعيدها فى العام القابل للكون كما أنشأها أول مرة ولاتقول ولاتنكر كما أنكرت الإنس وقالت ـ أئنا لمردودون فى الحافرة * أئذا كنا عظاما نخرة * قالوا تلك إذن كرة خاسرة ـ فلو اعتبر هذا الانسى أيها الملك فيما ذكرت من هذه الأشياء من تصاريف أمور هذه الحشرات والهوام لعلم وتبين له بأن لها علما وفهما ومعرفة وتمييزا ودراية وفكرا وروية وسياسة وتدبيرا . كل ذلك عناية من البارى تعالى ، ولما افتخر علينا فيما ذكر أنهم أرباب ونحن عبيد لهم

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم إنه هو الغفور الرحيم »
فلما فرغ النحل من كلامه قال له الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ومن خطيب ما أفصحك ومن مبين ما أبلغك . انتهى

هذا ما أردت نقله من كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ للدلالة على نوم بعض الحيوان فى الشتاء شهورا كما نام بعض دوده أسابيع كما نام الانسان ساعات ، فهل لك أن ترى أعجب مما تقدم ، لقد علمت فيما مضى فى هذا التفسير فى مواضع مختلفة أن النبات له حياة وله إحساس وهو أيضا ينام وذلك ظاهر فى زهره المشروح شرحا وافيا فيما تقدم ، انما الذى يخرّ له العقلاء سجدا أن يقال أن الحبوب كالقمح والشعير والذرة وهكذا مما لا يعدّ له تتنفس كما يتنفس النبات وكما يتنفس الحيوان ، واذا كانت الحبوب تتنفس فعندها نوع من الحياة إذن هى حية ولكنها نائمة ، إذن هى كالجنين فى بطن أمه وكأصول الفرخ فى البيضة ، كل هذه عندها نوع من الحياة إذن الحبوب نائمة ، فهل لك أن تسمع ماجاء فى إحدى المجلات العلمية وهذا نصه

﴿ الحياة حتى للحب ﴾

(كيف يمكنك أن تفسر ما تراه فى كل يوم من الظاهرات الكيميائية)

(كائن حىّ يعيش ١٠٠٠ سنة)

ترى أن البقول والحبوب تحيط بها أغلفة صلبة ويقرّر العلماء أن فى داخل كل حبة منها كائن حىّ كامن فى نواتها ، فهل تعتقد أن هذا الكائن الحىّ يمكنه أن يتنفس من وراء هذا الغلاف الصلب ، ولا ريب فى أن يتنفس الكائن الحى الموجود فى داخل الحبة مثلى ومثلك ولكن بأسلوبه الخاص ، فهو يستمد الاوكسجين من الهواء وبعد أن يتمثل فى جسمه يرسله فى الجوّ ثانى أوكسيد الفحم أى مثل الانسان بالضبط ويستمر بفطرته على هذه الظاهرة طالما يبقى فى الحبة ولو أقل جزء من قوتها الحيوية أى ان لم تحطمها بعض الجراثيم أو الحشرات أو تحرق بالنار ، وقد يمتدّ أجل الكائن الحى الموجود فى الحبة الى (٨٠٠) سنة ولا ينقطع تنفسه الذى تقدّم شرحه ، فاذا وضعت الحبة فى تربة صالحة استمدّ منها ما يلزم من الغذاء وظهر فى الوجود شجرة نضرة اهـ

﴿ زيادة ايضاح قوله تعالى ـ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ـ ﴾

يقول بعض علماء العصر اليوم إن الحبوب تتنفس ولا عجب فى ذلك فانها تخالف الأحجار والطين . فتلك لا تنفس لها لأنها جماد أما هذه فهى أصل النبات وجرثومته . وهل يكون الحى وهو النبات من غير حى وهو الحب ؟ كلا . بل الحب له حياة ضئيلة كحياة النائم . ولما كان نوم الانسان هو المذكور فى الآية وانه من آيات الله كان من حقنا أن نقول لافرق بين نوم ونوم فى كونهما كلاهما من آيات الله بل من أعجب آيات الله أن أصبحنا نرى حب القمح الذى نأكله له حياة وقد جعلناه من العوالم النائمة ، إذ من الحكم وعجائب العلم ما يفعله هذا الانسان ، انه قد نظر فرأى الزنابير (الصفر والحمر والسود) تنام زمن الشتاء كما تقدّم ، ورأى بعض الحيوان ينام ببرد الثلج شهورا فلماذا فعل ؟ قال فى نفسه أفلا يمكننى أن أفعل ما يفعله الحيوان والحشرات ، ولماذا لا أنام شهورا ؟ هنالك قام البوذية والبراهمة بهذه التجربة فناموا ستة أشهر ، وقد اطلعت على كيفية ذلك فى كتاب ﴿ راجا يوقا ﴾ المترجم من الهندية الى الانجليزية ونقلت عنه كثيرا فى هذا التفسير ، فماذا يفعل هؤلاء القوم ؟ يحبسون النفس داخلا تارة وخارجا أخرى بالتدريج أطول فأطول حتى تقدر النفس أن تتحكم فى التنفس وهناك تصير الدورة الدموية تحت ارادة الانسان ، هنالك متى أراد النوم نام ويبقى نائما ستة أشهر كما قلت لك وهذه قوّة من هذا الانسان قدر بها أن يغير عاداته بنفس النوم ، وهذا القول سبق بعضه فى سورة الاسراء وفيها ذكر التجارب التى ظهرت فى مصر من هذا النوع

هذه تجارب أهل الهند قديما ولكن الانسان الحالى نظر نظرة أخرى فقال الطير يطير والأرض والجوّ

مسخرات لى فلماذا لا أطير فى الجو ؟ ولماذا لاأفعل فى المادة ماأشاء ؟ ولا أقف مكتوف اليدين أمام الطبيعة فلأغير كل شئ

هذا ولما كان نوم الانسان يعقبه العمل قال الله تعالى — وابتغاؤكم من فضله — وهذا فتح باب للكلام على الحركة . فهنا ﴿ حالان ﴾ نوم بعدم الحركة ويقظة بالحركة . واذن وجب أن نذكر شذرة من كلام الأطباء فى النوم وفى اليقظة تسهيلا لقراء هذا التفسير فى علم الصحة وتذكرة لمن يتفكرون . فلنذكر أولا ساعات النوم ثم نتبعها بما جاء فى الحركات المختلفة النافعة لصحة الانسان

﴿ الكلام على النوم وساعاته ومايناسبه ﴾

جاء فى كتاب « التدبيرات الصحية » الذى ألفه طبيبان مصريان فى علم الصحة للمدارس المصرية ما نصه

﴿ النوم ﴾

الانسان فى حاجة شديدة الى النوم لأنه من ضروريات الحياة فلايحيا بدونه كما دلت على ذلك التجارب فى الحيوانات . فالكلب مثلا لايعيش أكثر من خمسة أيام بدون نوم . والانسان لا يمكنه أن يعيش زمنا طويلا من غير أن يأخذ حظه من النوم إذ يتغير لونه ويحصل له آلام فى الرأس وضعف عن مزاولة أعماله لاضمحلال جسمه . واذا استمر على عدم النوم انصرم حبل حياته

﴿ أوقات النوم وعدد ساعاته ﴾

يختلف احتياج الجسم الى النوم باختلاف السن . فالطفل محتاج الى النوم مدة أطول مما يحتاج اليها الشاب كما يظهر ذلك من البيان الآتى

الذين سنهم من (٤) الى (٨) سنوات ينامون من (١٠) الى (١٣) ساعة

الذين سنهم من (٩) الى (١٢) سنة ينامون من (٩) الى (١٠) ساعات

الذين سنهم من (١٣) الى (١٦) سنة ينامون مقدار (١٠) ساعات

الذين سنهم من (١٦) الى (٢٥) سنة ينامون مقدار (٩) ساعات

(يقول المؤلف ومعلوم أن الكلام خاص بتلاميذ المدارس ومعلوم أن كبار السن تنقص مدة نومهم ساعة أوساعتين على حسب السن والأحوال)

فلكى يتمكن الانسان من نومه المدة اللازمة له يجب أن يعجل النوم حتى يستيقظ من نومه مبكرا فيذهب الى المدرسة فى الميعاد المحدد لها فاذا أطلت السهر ولم تنم المدة الكافية لسنك ضعف جسمك وعقلك فلايمكنك فهم دروسك أوالقيام بعملك . واذا أصبت بأرق فاستشر الطبيب ليرشدك الى مايجب اتباعه كما أنه يجب ألا تكثر من ساعات النوم لأن ذلك يجلب الكسل وضعف الجسم وآلام الرأس وضعف شهوة الأكل فتصبح متأخرا عن اخوانك فى الدراسة لتأخرك فى الذهاب الى المدرسة وصعوبة فهمك فلاينتظر منك حينئذ أن تكون نشيطا فى مستقبل حياتك بل تعيش نكدا ، لاتنم عقب تناول العشاء لأن ذلك يسبب الاحلام المزعجة وربما أرقت وقد عرفت مضار الأرق فلاتذهب الى فراشك إلا بعد مضى ساعتين على الأقل من تناول عشائك واياك أن تنام عقب الانتهاء من مذاكرتك أولعبك لأن ذلك ينجم عنه عدم راحتك فى نومك ، فاذا استرحت قليلا نمت نوما هادئا واستيقظت قويا نشيطا ، اغسل وجهك ويديك وفك وأسنانك وقدميك قبل النوم لكى تنام نظيفا مستريحا وغير ملابسك بسواها من الملابس الخاصة بالنوم ، ويجب أن تنام على جنبك الأيمن

يجب أن تكون حجرة نومك بحيث يسهل تجديد هوائها بعيدة عن كل محل تنبعث منه رائحة كريهة وأن تنفذ اليها أشعة الشمس نحو ساعتين كل يوم ولاتستعمل مصابيح الغاز أوالزيت أوالشمع فى حجرة نومك واترك إحدى نوافذها البعيدة عن مرقدك مفتوحة طول الليل ، ولاتخش البرد مادام جسمك مغطى بغطاء

{ فراش النوم }

يوضع الفراش على شئ مرتفع عن الأرض مثل السرير ليكون الجسم بعيدا عن رطوبة الأرض ويتكون الفراش من حشية (مرتبة) ويحسن أن تكون من القطن فوقها طهارة (ملاءة) من التيل أو القطن لتحفظها من الاتساخ وعليها وسادة مغطاة ولحاف أوقطيفة (بطانية) للغطاء وينصب على السرير كلة (ناموسية) للوقاية من الأمراض التى تنتقل بالبعوض

{ تجديد الهواء فى قاعات النوم والفراش }

بعد النهوض من النوم صباحا تفتح نوافذ الغرفة جميعها وتنزع جميع أجزاء الفراش وتنشر على النوافذ وتترك القاعة على هذه الحالة نحو ساعتين يكون الفراش فيهما معرّضا لأشعة الشمس ثم ينفض الفراش من الأتربة وينقى من الحشرات وغيرها ، و بعد تنظيف القاعة جيدا يوضع الفراش على السرير وتقفل النوافذ إلا جزأ من نافذة يترك طول النهار مفتوحا ، وقبل ميعاد النوم بساعة تفتح النوافذ ليتجدّد الهواء ، ويجب غسل خشب السرير الذى توضع عليه الحشية (المرتبة) كل أسبوع وتعريضها للشمس لتنقى من بيضات بعض الحشرات كالبق المنتشر فى كثير من المنازل . انتهى الكلام على النوم وساعاته وما يناسبه

{ الكلام على الحركات المختلفة النافعة لصحة الانسان تفسيرا لقوله تعالى — وابتغوا من فضله — }

معلوم أن هذا الابتغاء انما يكون بالحركة فليكن الكلام فى أنواعها فنقول جاء فى كتاب {قانون الصحة المنزلية} تأليف الاستاذ (جون سايكس) مانصه

{ الرياضة البدنية }

من الحكم المأثورة ما ورد « العقل السليم فى الجسم السليم » ولذلك يلزم حفظ وظائف الجسم فى حالة جيدة باستعمال الرياضة ، فحفظ العقل يكون باستمرار رياضة الجسم ، العضلات غير الارادية تنقبض وتنبسط بنظام خاص وذلك لحفظ وظائفها الطبيعية ، وتفيد الرياضة البدنية جميع الأشخاص مهما اختلفت سنهم إلا أنها تفيد أكثر فى سنّ الطفولية ولذلك يلزم أن تكون الرياضة البدنية جزأ مهما من الدراسة للبنين والبنات

{ فوائد الرياضة البدنية هى }

(١) جعل العضلات أشد صلابة ومتانة

(٢) زيادة التنفس وبذلك يزيد فعل الرئتين فتزيد تهوية الدم

(٣) تقوّى القلب وتزيد سرعة الدورة الدموية فتعتدل الحرارة فى جميع الجسم

(٤) تزيد فعل الجلد فيكثر التبخر من سطحه

(٥) سرعة الهضم وتحريض أعضاء الافراز والأمعاء والكلى على العمل وبذلك تخرج جميع الافرازات التى لا تفيد الجسم

(٦) وأخيرا تنشيط القوى العقلية

واذا تمادى الانسان فى الرياضة البدنية وتحمل منها أكثر من طاقته أضرّ بنفسه كثيرا بدل الفائدة التى كان ينتظرها ولذلك يلزم الانسان التدرّج فى التمرينات البدنية حتى يصل الى الدرجة التى تفيده منها لأن إجهاد الجسم فيها ينجم عنه أضرار عديدة ولاسيما الاجهاد الذى يقوم به المتسابقون فى الحفلات ، ولذلك يجب عدم الترخيص بالتسابق إلا لأقوياء البنية والذين تمرّنوا على الألعاب تدريجا حتى وصلوا لدرجة الدخول فى المسابقة وكلما تنوّعت أنواع التمرينات كانت النتيجة مرضية

{ أنواع الرياضة البدنية المختلفة }

يمكن عمل الرياضة البدنية داخل المنازل أو خارجها ، وتمتاز الرياضة خارج المنازل عن التى داخلها بتغيير

المناظر ونقاوة الهواء إلا أنه فى فصل الشتاء يفضل عملها داخل المنازل ، ولكن يمكن الجمع بين الاثنين بأن يمشى الانسان مدّة من الزمن قدرساعة يوميا خارج المنزل ويقوم ببعض الألعاب الرياضية داخله كالربع وهو اللعب بالربائع وهى أثقال التمرينات البدنية مدة عشردقائق بعد حمام الصباح وذلك يفيد سكان المدن على الخصوص لحرمانهم من الهواء النقى ، والرياضة البدنية على أنواع كثيرة ، فمنها مايقصد منه المكسب كالتجارة والحرث والحفر وغيرها (يقول المؤلف وهذا قوله تعالى ـ وابتغوا من فضله ـ) ومنها مايقصد منه التسلية والصحة كالتمرينات البدنية

﴿ العوم والتجديف ﴾

تتحرّك أغلب عضلات الجسم فى الحركات التى يقوم بها الجسم أثناء العوم ، والعوم يفيد لأنه يقوّى البنية ويزيد فى نظافة الجسم ويعلم الأطفال الشجاعة والاعتماد على النفس واغاثة الغرقى ، والذين يعرفون العوم يسرّون من التجديف وهو رياضة بدنية صحية تقوّى عضلات الأطراف والجذع

﴿ ركوب الدراجات ﴾

لايفيد الصدركالتجديف إلا أنه يفيد الانسان من حيث التمتع بالهواء الطلق ويلزم الاحتراس من إجهاد الجسم فى هذا التمرين فانه ربما أضرّ القلب ، ويجب الامتناع عن صعود الجبال على الدرّاجات ، ولها ضرر آخر وهوالضغط على الأجزاء المرتخية من جسم الانسان

﴿ المشى ﴾

المشى أكثرأنواع الرياضة البدنية استعمالا وفيه تتحرّك كثيرمن العضلات زيادة عن عضلات الساقين ويمتازعن غيره من التمرينات بالتمتع بالمناظرالتى لا يمكن الوصول اليها راكبا

﴿ الجباز والتمرينات الحربية ﴾

تكسب الجسم صحة وتعلم الانسان النظام وتغرس فى نفسه الميل للعمل بنظام خاص وتعلمه حب الاجتماع بنى جنسه

﴿ ركوب الخيل ﴾

ركوب الخيل من أحسن أنواع الرياضة البدنية وأصحها لمن استطاع ذلك ويمكن معه الصيد باستعمال الأسلحة النارية ، ومن الرياضة البدنية كرة القدم والكرة والصولجان والكرة والمضرب والشيش

﴿ الصلاة ﴾

الصلاة مع كونها فريضة دينية لابدمن القيام بها فهى رياضة صحية تكسب الجسم نشاطا وهمة بحركات الركوع والسجود والتسليم اه

هذا وانى أذكرك أيها الذكى بما ذكرته فى علم الصحة فى ﴿ سورة طه ﴾ وفى ﴿ سورة الشعراء ﴾ فانك تجد كلاما أوفى وأتمّ فى الرياضة البدنية التى تشعر بها هذه الآية فى قوله تعالى ـ وابتغوا من فضله ـ انتهى الكلام على القسم الثالث من السورة والحمد لله رب العالمين

(القِسْمُ الرَّابِعُ)

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ

نَاصِرِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ
ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ * وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ * وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ
سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ * اللّٰهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ
مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ
صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ * وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ
بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ * اللّٰهُ الَّذِي
يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ
مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَارِ رَحْمَتِ اللّٰهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ * فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ * مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ * كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (ضرب لكم مثلا) منتزعا (من أنفسكم) أى من أحوالها ، ولاجرم أنها أقرب الامور اليكم (هل لكم) يامعاشر الأحرار (مما ملكت أيمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من العقار والمنقول والنقد فتكونون أنتم وهم فيه مستوين يتصرفون فيه كتصرفكم وهذا قوله (فأنتم فيه سواء تخافونهم) أن يستبدوا بالتصرّف فيه (كخيفتكم أنفسكم) كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض ، المعنى هل أنتم أيها الأحرار تشركون معكم عبيدكم فى أموالكم فيساورنكم فى التصرّف فيها ولا تتصرّفون فيها إلا باذنهم خوفا من لائمة تلحقكم منهم كما يخاف بعضكم بعضا ، فاذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم وأنتم وهم عبيد فكيف ترضون لرب الأرباب أن تجعلوا عبيده له شركاء (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) نبينها بالتمثيل الكاشف للمعانى (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الأمثال (بل اتبع الذين ظلموا) بكفرهم واشراكهم (أهواءهم بغير علم) جاهلين ولاعلم يردعهم ، فأما العالم فربما ردّه علمه الى الصواب يوما ما (فمن يهدى من أضلّ الله) أى لا أحد يقدر على هدايته (ومالهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة والعذاب (فأقم وجهك للدين) فقوّم وجهك له وعدّله غير ملتفت عنه يمينا ولاشمالا ، وهذا استعارة تمثيلية للتوجه التام وعدم الميل عن الدين والاهتمام به اهتماما مصحوبا بجدّ (حنيفا) أى حال كونك غير ملتفت عنه وهذا من بقية التمثيل إلزموا (فطرت الله التى فطر الناس عليها) أى خلقته التى خلق الناس عليها ولذلك قال (لاتبديل لخلق الله) أى ان الله خلقهم قابلين للتوحيد والاسلام غير منكرين له لكونه مساوقا للنظر الصحيح فمن غوى منهم فان الشياطين هم المغوون * وفى الحديث «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى مستوية لم يذهب من بدنها شئ هل تحسون فيها من جدعاء ؟ أى هل تشعرون أوتعلمون فيها من مقطوعة الأذن أو الأنف» وهذا الحديث رواية البخارى ومسلم وعجزها للبخارى وحده ، واعلم أن الايمان «إيمانان» إيمان فطرى وقد علمته ، فالعقل الانسانى كصحيفة بيضاء

قابلة لنقش مايراد فيهافهوأشبه بالمادّة التي خلقنا منها وكل مايغرس فيه من حسن أوقبيح أوشريف أووضيع ينبت كما تنبت الأرض حنظلا وفاكهة ودواء وسما ، فالأرض نوّعت الزروع فيها وهي قابلة لها والنفوس تزرع فيها الديانات والعلوم فتقبلها ، ولكن من صفات الفطرة والخلقة الكونية أن يكون الخيرعليها أغلب ، ألاترى أن نبات الأرض كله يصلح للرعى فما لا يصلح لأكثرالحيوان يصلح لأقله فالسم قليل والنفع أكثرمن الضر هكذا عقول بنى آدم وقد خلقوا لجميع خلق الله فهم تامّو بنية الجسم بيض الصحائف فى القلب فقوله عليه الصلاة والسلام «كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء» معناه أن البهيمة تكون كاملة الأعضاء أيام ولادتها هكذا العقل صحيفته بيضاء لم ينقش فيها نقش علمى يغيرها وكما أن البهيمة لاتجدع إلا بما يجدعها من الخارج هكذا صحيفة العقل لاتدنس بالآراء الفاسدة إلا بمن يعلمها ذلك كالأبوين اليهوديين والنصرانيين ولوترك الطفل وشأنه اعرف وحدانية الله . فهذا الاستعداد الفطرى والايمان الفطرى لا اعتبار بهما فى أحكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به * ويروى انه قيل يارسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين ومعنى ــ لاتبديل لخلق الله ــ أى ماينبغى أن تبدّل فطرة الله أوتغير أى لاتبدلوا دين الله بالشرك ولاتخصوا البهائم فذلك تغيير لخلقها ولايغير ربك ماجبل عليه الانسان من شقاوة أوسعادة بل كل ميسر لما خلق له (ذلك) هو (الدين القيم) الحق المستقيم (ولكنّ أكثرالناس لايعلمون) أن دين الله هوالاسلام وقوله (منيبين إليه) حال من فاعل أقم أى فأقم وجهك يامحمد وأمتك معك راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى أومنقطعين اليه (واتقوه وأقيموا الصلاة) أدّوها فى أوقاتها (ولاتكونوا من المشركين) ممن يشرك به غيره فى العبادة ثم أبدل من قوله ــ من المشركين ــ قوله (من الذين فرّقوا دينهم) جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم وقلة عقولهم وقصورادراكهم إذ سوّلت لهم أنفسهم أن الاختلاف فى بعض الفروع يوجب الاختلاف فى الاصول (وكانوا شيعا) فرقا مختلفة كأهل البدع فى هذه الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) راضون لأنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واطمأنوا لما علموا ككثير من رؤساء الطوائف فى الأمة الاسلامية اليوم ، يقول الاستاذ لتلاميذه لتكن وجهتكم كذا من أعمال البرّ ويفهمهم أن من عداهم جهلة غير واصلين لله فتختلف الوجهة ويحقرون غيرهم من أهل دينهم فتتفرّق الأمة ولات حين مناص ، واعلم أنه لادواء للفرق المتشعبة فى الأمة الاسلامية إلا بنشرالعلوم الطبيعية والرياضية لأن هذه متى امتلأت بها العقول أدركت جمال الله فكل ماجاء بعد ذلك لايؤثرفيها ولايفرّق وحدة الأمة ، فأما مادامت العقول خاوية والنفوس جاهلة فان أقل تعليم يحوّل الانسان عن بقية الأمة ، فاذا أمر بذكر خاص كسور يتلوها أوعبادة يتجه اليها فانه يغرم بها ويظن أن كل علم أوعبادة غير ذلك لايدفع عارا ولايذكي نارا ولاينفع جارا فلا وسيلة لاتحاد الأمم الاسلامية إلا بنشر جمال النجوم وجمال النبات وبدائع المعادن ونظام هذا العالم فى مدارس المسلمين ، فهذه هى ــ فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ــ فالله خلق هذه العوالم ومتى عرفها الناس صارت معرفتهم متحدة فلاتغير وجهة عقولهم العامة كما لاتغير وجهة السنن التى سنها الله فى خلق العوالم . ان الله هوالذى زين هذه الدنيا وهوالذى خلقها وهوالذى خلقنا ، فعلينا أن ننظر فيما خلق ونفرح بما أبدع ونسر بما أنشأ فلاتغيير لسنة الله فى الخلق فان القانون العام فى نموّ النبات وسير الكواكب لاتغيير فيه فالعلم به ثابت والذين يعرفونه تثبت عقيدتهم بربهم ويفرحون به فلايلويهم عن وجهة الأمة العامة صارف لأنهم ثبتوا على الحقائق التى لاتغير وجهتها والله أسأل أن يقيض لهذه الأمة من يرشدهم الى هذه السبيل إنه لسميع الدعاء (واذا مسّ الناس ضرٌّ) شدّة وبلاء (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدّة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) أى فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم لما عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) أمر للتهديد ثم التفت للمبالغة فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم

(أم

(أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة وعذرا أى بل أأنزلنا عليهم (فهو يتكلم) تكلم دلالة (بما كانوا به يشركون) أى بشركهم و يأمرهم به (واذا أذقنا الناس رحمة) كالنعمة والصحة والثروة والقوّة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدّة (بما قدّمت أيديهم) بشؤم معاصيهم وجهلهم لسنن الحياة وعصيانهم أوامر الدين والحكمة (اذاهم يقنطون) أى فاجؤا القنوط من رحمته (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فما لهم لم يشكروا فى السراء و يحتسبوا فى الضراء كالمؤمنين فان من فطر هذا العالم على وجه الكمال لاينزل الشدّة بعباده إلا لما يعود عليهم بالخير كالتأديب والتذكير وابتلائهم وامتحانهم وتربيتهم فانه يربيهم بالرحمة و يربيهم بالتعذيب فلو أنهم شكروه عند السراء وتضرّعوا له واحتسبوا عند الضراء لكان خيرا لهم ولكانوا منيبين لربهم فى حال الضراء والسراء . إن هؤلاء الذين يضرعون الى ربهم عند الشدة فاذا أزالها عنهم أشركوا به وهؤلاء الذين يبطرون بالنعم و يقنطون عند الشدة ليسوا منيبين لربهم وليسوا ملازمين الفطرة ، فلينيبوا له فى الرخاء والشدة فلا يعوقهم عن الانابة نعمة تبطرهم بعد شدة ولا شدة تحدث فى قلوبهم اليأس بعد رحمة بل عليهم أن يكونوا له فى السراء والضراء منيبين ، اذا تقرر ماتقدم من أنه تجب الانابة لله بحيث لاييأس الانسان اذا مسه شدة بعد رحمة ولايبطر اذا زال عنه الضرّ وتمتع بالرحمة بل يجب أن يكون منيبا فى الحالين ، أمر أن يكون واصلا للرحم محسنا لغيره اذا أنعم الله عليه كما قال تعالى (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم * وقد أوجب أبو حنيفة رضى الله عنه النفقة للمحارم من هذه الآية (والمسكين وابن السبيل) أى المسافر والضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) يطلبون ثواب الله بأعمالهم (وأولئك هم المفلحون * وما آتيتم) أعطيتم (من ربا) من عطية تتوقعون بها مزيد مكافأة (ليربوا فى أموال الناس) بأن يعطى الرجل غيره عطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز لاحرمة فيها ولكن لاثواب له يوم القيامة وهذا معنى قوله تعالى (فلا يربوا عند الله) فلا يكثر عند الله بالتضعيف ولايقبله فان ذلك ليس خالصا لله و يلحق بذلك الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه و يسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه لا لوجه الله تعالى فهذا لاثواب له (وما آتيتم من زكاة) أى أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها ، والمضعفون ذووالاضعاف من الثواب كالمقوى والموسر لذى القوّة واليسار (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون) وهذا ظاهر ، واعلم أن الآيات المتقدّمة دلت على عدم ثبات الناس وأنهم يبطرون فى النعماء و ييأسون فى الشدّة بعدها و ينفقون المال لحطام الدنيا وكثير منهم لايصلون الرحم وانما يبذلون المال لشهواتهم فناسب أن يذكر بعدها أن أهل هذه الأرض مصابون اعتراهم النقص المشين كيف لا وقد (ظهر الفساد فى البرّ) بالحرب والغارات والجيوش والطيارات (والبحر) بالسفن الحربية والطوربيد والغوّاصات الخارقة للسفن وقطع الأسلاك البرقية أيام الحرب (بما كسبت أيدى الناس) أى بكسبهم إياه تارة كما تقدّم أو بشؤم نقصهم وطبيعة أرضهم وانهم هكذا خلقوا فى الأرض ليكون ذلك لهم ابتلاء وذلك كالطاعون وأنواع الحمى وتلك الحيوانات الدقيقة التى تسمى بالميكروب فانها تملأ السهل والجبل وتحدث الأمراض والجدرى والحصباء وهذا ينزل الطاعون فى نوع أو أنواع من الحيوان وكذا النبات فان ماينفع الناس منه يصاب بآفات تعرض له كما يصاب قطن مصر وعنب فرنسا وسائر الأشجار النافعة بالجوائح المهلكة والفاتكات كل ذلك لأن هذا الانسان أودع هذه الأرض وقد استحق هذا لنقصه وذلك لتدريبه وتهذيبه والا فلماذا يكون النبات الذى ينتفع به تسطو عليه عاديات الدهر والمدمرات المهلكات من الجوائح و يخلق بجانبه نبات آخر يسطو على غذائه فيهلكه ولايهلك هو ، ذلك لنقص هذا الانسان و يراد به كماله . وملخص ماتقدم أن ظهور الفساد فى البرّ والبحر إما بعمل الانسان واما بعمل طبيعى خلق لمناسبة نقص الانسان ابتلاء له وامتحانا

وقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى بعض جزائه وذلك لأن تمامه فى الآخرة وهذا راجع لأحد القسمين وهوما كان يفعل الانسان (لعلهم يرجعون) عما هم عليه (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية وكيف هلكوا بذنوبهم (كان أكثرهم مشركين) فلذلك أهلكوا بكفرهم (فأقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة وهو الاسلام (من قبل أن يأتى يوم لامردّ له) لايقدرأن يردّه أحد (من الله) متعلق بمردّ أى لايردّه الله لانه أراده (يومئذ يصدّعون) يتصدّعون أى يتفرّقون فريق فى الجنة وفريق فى النار (من كفرفعليه كفره) أى وبال كفره وهوالنارالمؤبدة (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) يسوّون منزلا فى الجنة ، ثم علل قوله ـ يمهدون ـ فقال (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لايحب الكافرين) أثبت المحبة للمؤمنين والبغض للكافرين (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر أى ومن آياته ارسال الرياح لتبشركم بالمطر (وليذيقكم من رحمته) بالمطر والخصب (ولتجرى الفلك) بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) يعنى تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقدأرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا) بتدميرهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) مع انجائهم من العذاب ، وفى ذلك بشارة للنبى ﷺ والمؤمنين أنهم منصورون وقد تمّ ذلك فعلا ، وهكذا كل من قام بأمرعام لخدمة الأمة واسعادها فان الله معه وناصره وان حقا على الله أن ينصره (الله الذى يرسل الرياح فتثيرسحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى سمتها (كيف يشاء) سائرا أو واقفا ، مطبقا وغيرمطبق ، مسيرة يوم أوأقل أوأكثر (ويجعله كسفا) قطعا تارة أخرى (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من وسطه (فاذا أصاب به) بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر (وان كانوا) أى وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) أثر الغيث من النبات والأشجار وأنواع الثمار (كيف يحيي الأرض بعدموتها إن ذلك) الذى قدرعلى إحياء الأرض (لمحيى الموتى) لقادرعلى إحيائهم (وهوعلى كل شئ قدير * ولئن أرسلنا ريحا) حارّة أو باردة على الزرع (فرأوه) أى الزرع (مصفرّا) متغير اللون بعد الخضرة (لظلوا من بعده) أى من بعد اصفرارالزرع (يكفرون) يجحدون ماسلف من النعمة وهذا كايضاح للآية المتقدّمة ـ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم اذا هم يقنطون ـ فههنا أذاقهم الرحمة بالمطر وبه حييت الأرض فلما أرسل الريح على الزرع فاصفر كفروا (فانك لاتسمع الموتى) وهؤلاء مثلهم لأنهم لايسمعون الوعظ (ولاتسمع الصمّ الدعاء اذا ولوا مدبرين) وهذا القيد اشارة الى شدّة إعراضهم لأن الأصم اذا أقبل ربما فهم بالاشارة وهؤلاء لايفهمون بأى طريق (وماأنت بهادِ العمى عن ضلالتهم) أى عمى القلوب (إن تسمع) أى ماتسمع (إلامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) منقادون لأوامر الله (الله الذى خلقكم من ضعف) أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم (ثم جعل من بعد ضعف قوّة) اذا بلغتم الحلم (ثم جعل من بعد قوّة ضعفا وشيبة) وهوتمام النقصان (يخلق مايشاء) أى من الضعف والقوّة والشباب والشيبة (وهوالعليم) بتدبيرخلقه (القدير) على مايشاء (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يحلف المشركون (مالبثوا) فى القبور (غيرساعة) وهذا استقلال لمدّة لبثهم فى البرزخ مع طولها ، فهاهم أولاء صرفوا فى الآخرة عن حقيقة مدة مكثهم فى البرزخ (كذلك كانوا يؤفكون) يصرفون فى الدنيا عن الحق (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث) أى قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله والايمان بالله للمنكرين قدلبثتم الى يوم البعث فى قبوركم (فهذا يوم البعث) الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا (ولكنكم كنتم لاتعلمون) وقوعه فى الدنيا فلاينفعكم علمكم به الآن (فيومئذلاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون) أى ولاهم يدعون الى مايقتضى إزالة عتبهم من التوبة والطاعة * يقال استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى

فأرضيته أى لاتطلب منهم التوبة التى تزيل الجريمة لأنها لاتقبل منهم (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يشير بذلك الى إزالة الأعذار والاتيان بمافوق الكفاية من الانذار أى ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل فى غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم الخ (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم (إن أنتم) أى ماأنتم يامحمد ومن معك (إلا مبطلون) مزوّرون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) لايطلبون العلم ويتمسكون بعقائد اعتقدوها والجهل المركب يمنع العلم (فاصبر) يامحمد على أذاهم (إن وعد الله) بنصرتك واظهار دينك (حق) لابد من انجازه (ولايستخفنك) لايحملنك على الخفة والقلق (الذين لايوقنون) بالبعث والحساب . انتهى التفسير اللفظى للقسم الرابع من السورة

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ فطرت الله التى فطر الناس عليها ـ ﴾

(فى هذه الجوهرة أربع لطائف)

(١) فى فطرة البحث عن أصل العالم والاذعان لخالقه

(٢) وفى فطرة العلوم الرياضية

(٣) وفى فطرة العلوم المنطقية

(٤) وفى فطرة مظاهر المخلوقات

﴿ اللطيفة الأولى فى البحث عن خالق العالم والاذعان للربوبية ﴾

اعلم أن من فطرة الله تعالى الاذعان للربوبية ، فهذه فطرة لاتفارق الناس مركوزة فى النفوس سارية فيها سريان الماء فى العود الأخضر والكهرباء فى كل جسم جامد وغاز وسائل ، ومن عجب ماأذكره لك الآن لتدهش كما دهشت أنا حتى انى لما اطلعت على ذلك هذه الليلة وهى ليلة الاثنين آخر شهر رمضان المعظم قبل نصف الليل لم أجد بدا من كتابتها فرحا بنعمة العلم وتبيانا لجمال الحكمة الإلهية ، ذلك ان الله يقول ـ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ـ وهذه الآية قد فسرها العلماء ﴿ بأحد طريقين ﴾ إما بأن هذا تم فعلا وقد نسى الناس ذلك ، واما بأن هذا مجاز يعرب عن الحقيقة ، وما الحقيقة إلا أن عقل الانسان يشهد بذلك لأن الأدلة فى هذه الكائنات شاهدة بذلك ، فانظر ماذا جرى ؟ رأيت الليلة المحاورة بين أفلاطون وطيماوس ، وطيماوس اسم حكيم من حكماء الفيثاغورسيين جعله أفلاطون المتكلم فى محاوراته ، شرع طيماوس يتكلم فى أنه يبتهل الى الله أن يلهمه الصواب من القول وأن يساعده هو ومن يسمعه فى حسن الالقاء منه واجادة الفهم عنه والقبول ، ثم قال ماملخصه « إن الموجود ﴿ قسمان ﴾ قسم دائم وليس بحادث وهذا يعرفه العقل اثباته على حال واحدة ، وقسم لايدرك الابتخمين الوهم المشارك بالحس لأنه يحدث ثم يفنى وليس له وجود حقيقى ، فهذا لابد له من علة ثم ان الصانع اذا جعل نصب عينيه مالايتغير قط وحاول أن يحاكى صورته وقوّته فلابد أن يبلغ مصنوعه درجة عالية من الجمال بخلاف ماذا جعل نصب عينيه مثلا فانيا فان مصنوعه يبقى دون مرتبة الجمال ، فاذا تقرر هذا فان أوّل ماينبغى الشروع فى البحث عن السماء أوالعالم أو كيف ماشئتم أن تدعى هو المسألة التى يجب دائما الابتداء بها وهى هذه أعنى هل كان العالم دائما ولم يكن له حدوث أم هو حادث وله مبدأ فأقول انه حادث ، ومصداقه أن العالم مرئى وملموس ومادى وكل ماله هذه الصفات فهو محسوس ، وكل ماهو محسوس فهو مدرك بالوهم والحس فهو إذن حادث ، ثم أقول إن كل حادث لابد له من علة فاذا سئل من هو صانع العالم وأبوه ؟ أقول انه يصعب الوجدان ثم اذا وجدناه فاعلام الجمهور به ضرب من المحال ، ثم ينبغى بعد ذلك أن نبحث عن المثال الذى اتخذه صانع العالم عند صنعه إياه هل هو المثال الدائم الغير المتغير أم هذا المثال الحادث ؟ فأقول اذا كان العالم جميلا وصانعه أكمل

الموجودات فلاشك انه جعل نصب عينيه المثال الدائم الأفضل ، واذا كان كلاهما مالا أتجاسر أن أقوله فهو قد اتخذ المثال الأسفل » الى أن قال « إن ما بين الوجود والحدوث نسبة ما بين الحق والظن ، فلا يعجبك باسقراط أنى غير قادر على أن أشرح لك الإله ومنشأ الموجودات شرحا شافيا متصلا فى جميع أجزائه ، والأولى أن تقنع بكلامى اذا كان مشبها وألا تنس أن كلا منا المتكلم والمستمع من أبناء البشر فلابد لنا أن نقنع فى مثل هذا الموضوع بما هو أشبه ولا نطلب مافوق ذلك ، ثم شرع يبين أن صانع العالم صنعه لأنه جواد وقد أراد أن يجعله خيرا على قدر الامكان ولا يكون فيه شر على قدر الامكان ، فهو أخذ الأشياء المضطربة فنظمها ثم أبدع العقل فى النفس والنفس فى الجسد ونظم العالم على أفضل صورة وأجل شكل فلزم من ذلك أن نقول ان هذا العالم موجود متنفس وعاقل أوجدته الحكمة الإلهية ، وقد اتخذ الله لهذا العالم صورة الحيوان المطلق المشتمل على صور جميع الحيوانات ، فالعالم حيوان عاقل مرئى يتناول سائر الحيوانات ، ثم ذكر تكوين هذا الحيوان من العناصر الأربعة باعتبار ما كانوا يعرفون وقد جعله بشكل كرىّ إذ هو أكمل الأشكال وأفضلها ، ثم ذكر تكوين نفس العالم من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما ثم أوجد الأيام والليالى عند تركيبه السماء وماهى إلا أجزاء الزمان الماضى والحال المستقبل ، وقد نتوهم لجهلنا أن مثل هذه الأجزاء لها نسبة الى الموجود الأزلى كلا . فهو موجود أزلى لاتغير لان ماله تعلق بالزمان الماضى و بالمستقبل لايناسب إلا مايتغير فى الزمان و يمرّ فيه ومنشؤه الحركة ، لكن الموجود الأزلى الذى لاتغير فيه ولا حركة لايمكن أن يذكر فيه ذلك ثم تكوير الأفلاك السيارة وقال انها أجرام حية ذوات نفوس و بين حركاتها وتقدير الزمان بها وتقسيم الزمان على نسبة هذه الحركات على الأيام والليالى والأشهر والسنين ، ثم تكوين الكواكب ثم لما تمّ تركيبها جمعها الصانع وخاطبها بهذه الخطبة ، ومما قال فيها « أنتم قد أحدثتكم ومع ذلك أنتم غير مائتين لأن ارادتى أقوى لكم من أن تكونوا قدماء من أصل نشأتكم والآن فانصتوا لى واعلموا ما أريده منكم ، انه قد بقى أنواع من الحيوان لم تخلق بعد ولو لم تخلق لبقى العالم ناقصا إذ لم يحتو على جميع أصناف الحيوان وهو لايتم إلا بذلك فلو منحتهم أنا الوجود والحياة لأصبحوا مثلكم لايموتون ، فاجتهدوا أنتم فى تصوير هذه الحيوانات على حذو ما فعلته فى ايجادكم حتى يكونوا قابلين للموت ولا ينقص من العالم شئ ، أما من لهم جزء إلهى من الحيوانات (يريد الانسان) فهو قادر على الأمر بالخير اذا اتبع وأنا أعطيكم بذره وأصله وعليكم بعد ذلك تأليف الجزء الميت بالجزء الذى لا يموت وجعلهما حيوانات وتميتهم بالغذاء اللازم وتلقيهم عند موتهم ، ثم ذكر بعد ذلك خلق الأرواح البشرية وأن الإله ركبها من العناصر التى ركب منها نفس العالم الكلية إلا انها دون ذلك صنعا وكمالا ، ثم جعل الأرواح فى الكواكب . فمنها ماجعله فى الأرض ، ومنها ماجعله فى القمر . ومنها ماهو فى الكواكب الأخرى فأوقفها على نظام العالم وعلى الترتيب الذى اقتضته حكمته و بين لها أن لجميعها أصلا واحدا لافرق بين روح وروح ولكن لاتتظلم من عدم المساواة بينها . ثم شرح لها أنها عند اقترانها بالأبدان انما يلحقها التأثير من الحواس ومايتبعه من شهوة وغضب وخوف . فمن قهرها عاش مستقيما . ومن يذعن لها يكن عديم العدالة . ومن انتفع بحياته لاصلاح ضميره انما يرجع كوكبه المختص به فيبقى فيه سعيدا . ومن قصر فى ذلك فقد يصير أنثى فى حياة ثانية . فاذا دام على الشر يصير حيوانا على شكل ما اعتاده فى حياته من أنواع الخطأ . فلا يزال يموت و ينتقل من بدن الى بدن الى أن يرجع الى الصلاح و يسخر مافيه من العناصر و يجعلها منقادة لرئاسة عقله ثم ذكر تصوير بدن الانسان على يد الله وتصوير الآلات المختلفة فيه من البصر والسمع وغيره الخ » انتهى المقصود منه

ولما اطلع على هذا أحد الاخوان قال ما مناسبة هذه القصة المخالفة للدين لهذه الآية ؟ قلت المناسبة أن الله عزّ وجل ألهم أفلاطون وهو رجل ليس بنبىّ ولكنه مفكر بعقله . أولعله أخذ هذا القول عن نبىّ آخر

فقد

فقد ذكر أن الله خلق أرواح الناس فى الكواكب المختلفات وألقى عليها نصائح وحذرها من الخضوع للشهوات فهذا وان لم يكن عليه دليل هو من دلائل النبوّة . كيف يلقى الله على قلب رجل قبل الاسلام بنحو (٩) قرون فحوى آية ــ واذ أخذ ربك من بنى آدم ــ الخ

أفليس هذا من العجب . فأما قولك انه مخالف للدين فهذا لايضرنا نقله بل هو يفيدنا فوائد عظيمة و يبين لنا مناهج أمم قبلنا نقل آباؤنا عنها وأخطؤا فى النقل . فانظر العجب كيف يقول « إن هـذا العالم حادث » فى هذه الجملة . أليس هـذا من العجب أن يكون هذا الرأى منقولا بالنص عن نفس أفلاطون وهو عمدة فلاسفة اليونان ثم نسمع آباءنا ينقلون عن صغار علماء اليونان أن العالم قديم . أليس نقل الفلسفة اليونانية الى العربية أيام عز الدول الاسلامية كان فيه مصائب ومصائب . فأين القدم إذن ؟ ألست تراه يذكر أن الزمان لايصـدق إلا علينا نحن . وهذا معقول لأن الله هو الذى خلق الزمان . إذن من أين جاء لآبائنا مايهزأ به أبو العلاء المعرّى بالديانات فيقول فى معنى أبيات ﴿ اذا كان الإله لا زمان له ولامكان فمعناه ليست لنا عقول ﴾

فأما المخالفة للدين فهى فى أمور منها « انه جعل الكواكب غير ميتة مع انها حادثة » فأقول الكواكب عنده تدبرها الملائكة وقد صرّح هو بأن العالم كله حيوان حى . وعندهم أن كل كوكب عاقل كأنه انسان فأما ديننا فانه يقول ﴿ إن الملائكة تدبر هذه الكواكب ﴾ ومن المعقول أن الخطاب لايكون لنفس الأجرام بل هو للملائكة وهذا لاينافى ديننا والملائكة كما يقول هو حادثون ولكنهم لايموتون . ومما ذكره أيضا أن الرجل الفاسق مثلا يرجع امرأة أو حيوانا ، فهذا ليس يقينا عنده بل هو يقول نحن نكتفى بما هو الأشبه ، فالقوم ليس عندهم نبىّ فقالوا باعتبار ما تخيلوه ، والاسلام أتى لنا بأمر مجمل بعد ذلك فذكر جهنم ثم هو ذكر العقل والنفس والمادّة وهذا حسن أيضا . ان سكان الكواكب أى الملائكة المدبرين يستقبلون الأرواح عند موتها وهذا هو نفس ديننا . وهذه الأرواح إن أحسنت رجعت الى الكوكب الذى خلقت فيه وان أساءت رجعت الى حياة تعسة . ولاجرم أن هـذا لم يجزم به وانما قال لنا انه هو الأشبه لأمثالنا نحن بنى آدم فى الأرض والله ذكر الجنة واننا نكون فى قصورها اذا صلحت أعمالنا

و بالجملة ان ذكر هذا القول فى مبدأ العالم وخلق الأرواح والأجسام وتعليم الأرواح قبل خلقها ثم مجازاتها بعد موتها جمع ملخص الكتب السماوية وهذا أمر عجب أن يصدر مثل هذا بالعقل قبل القرآن بنحو (٩) قرون . إن أمثال هذا أعدّه معجزة للقرآن قبل نزوله بل هو ملخص الآيات السابقة فى هذه السورة . فانظر كيف يذكر الله انه خلقنا من تراب وخلق لنا الأرواح والليل والنهار ونومنا فيهما واستيقاظنا وخلق السموات والأرض والبعث . فهذه المقالة ترجع فى فحواها الى هذه الآيات . ولعلّ هذا القول منقول عن أنبياء كانوا قبله والقرآن مصدّق لما قبله من الديانات الحقة اهـ

﴿ تذكرة ﴾

هـذه المقالة كلها تفسير لقوله تعالى ــ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ــ إن تفسير الآية اللفظى لايفيد هذه العجائب . فأما ما كتبناه هنا فانه قد ابتدئ فيه بذكر العالم الاجمالى أوّلا منذ خليقته . وذكرت العناصر وعوالم السماء وعوالم الحيوان وعالم الانسان وما علاقة الانسان بربه وما علاقته بالأرواح المدبرة للكواكب ومم يتركب الانسان وانه مركب من مواد مائتة أرضية وأمر إلهى دائم و باتحادهما صار هناك أعضاء حسّ وأعضاء حركة ومكان هو مقرّ الشهوة وآخر هو مقرّ الغضب ومنافع جمة فى أعضاء الجسم من فرقه الى قدمه . ثم ذكر المرض والصحة . فهـذا المقال جمع ما بين التراب الذى نشأ منه الانسان و بين روحه ثم انتشاره فى الأرض . وبهذا وأمثاله تنتشر العقول الخامدة فى الشرق بعد موتها وتبعث من مرقدها ولاتقف عند حدّ فى العلم والتعليم وارتقاء المدنية . ثم انظر الى قول أفلاطون على لسان طيماوس ﴿ إن المادة

لاصورة لها وهى نوع من الوجود عديم الصورة غير مدرك بالبصر مستعدّ لأن يقبل كل شئ له نسبة مّا الى الوجود المعقول وهى نسبة مبهمة عديمة الادراك ﴾ ووازن هذا القول رعاك الله بما يقوله علماء العصر الحاضر ﴿ إن المادة ماهى إلا نقط كهربائية يدور سالبها حول موجبها نحو ستة آلاف مليون مليون مرة فى الثانية فى العناصر المعروفة تقريبا وفى النور الشمسى مثلا من (٤٠٠) الى (٧٠٠) مليون مليون مرة فى الثانية ﴾ فهذا الدوران السريع يجعلها دوائر ضوئية وهذه الدوائر الموهومة بكثرتها واختلاف حركاتها تكون منها العناصر المختلفات ثم تكون هذه العوالم العلوية والسفلية فانظره فى ﴿ سورة النور ﴾ عند آية ـ الله نور السموات والأرض ـ فى مقال تحت عنوان ﴿ قطرة ماء ﴾ فانك تجد أن العلماء أجمعوا اليوم أن المادة هى ذلك الذى ذكرناه وأن الذرات بينها خلاء كالخلاء بين الأرض وبين الشمس والقمر . إذن المادة أصبحت أخت العدم قديما وحديثا . وهذا معنى قوله تعالى ـ كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون ـ ومن عجب أن يتفق العلماء قديما وحديثا على أن المادة معدومة . ويقول علماء العصر الحاضر ﴿ إن الأصل هو عالم يسمى الأثير لايرى ولايحسّ ﴾ إذن لافرق بين المحدثين والقدماء . فالحمد لله على نعمة العلم والحكمة . انتهى عصر يوم الاثنين (١٩) من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٤٧ هـ

﴿ اللطيفة الثانية فى العلوم الرياضية ﴾

(هذا ما خطر لى يوم عيد الأضحى سنة ١٣٤٧ هجرية)

يقول الله تعالى ـ الحمد لله فاطر السموات والأرض ـ فالسماء مفطورة والأرض مفطورة والحيوان مفطور والانسان مفطور ولكل مخلوق حال خاصة جاءت له من أصل فطرته ، وهذه الحيوانات مفطورة على أعمال بغرائزها التى فطرها الله عليها كما نرى الطيور مفطورة على الطيران وعلى بناء الأعشاش وتربية الذرية و بعضها مفطور على التغريد ، و بعض الحشرات مفطورات على الهندسة كالنحل والعنكبوت كما تقدم فى هذا التفسير والانسان له فطرة أوسع من فطرة الحيوان ، إنه مفطور على القياس والاستنتاج والتفكير بحيث يستنتج الأصعب من الأسهل ، والبعيد من القريب ، والغائب من الحاضر ، وعظائم الامور وجلائلها من أقلها وأضعفها

ألاترى رعاك الله انه استنتج علم الهندسة من أمور معروفات تسهل على عامّة الناس وجهلائهم ورعاعهم فتراه يستنتج من هذه القضايا الأوّلية الآتية أفانين الهندسة وبدائع النظم ، والقضايا الأوّلية الآتية وهى

(١) الأشياء المساوية لشئ واحد متساوية

(٢) إن زيد على المتساوية متساوية صارت كلها متساوية

(٣) وان نقص من المتساوية متساوية صارت الباقية متساوية

(٤) وان زيد على غير المتساوية متساوية صارت كلها غير متساوية

(٥) وان نقص من غير المتساوية متساوية صارت الباقية غير متساوية

(٦) والتى كل واحدة منها مثلان لشئ واحد بعينه فهى متساوية

(٧) والتى كل واحدة منها نصف لشئ واحد فهى متساوية

(٨) والكل أعظم من الجزء

(٩) واذا كان شيآن كل واحد منهما أعظم من كل ما الآخر أعظم منه وأصغر من جميع ما الآخر أصغر منه فهما متساويان

(١٠) والنفى والاثبات لايجتمعان

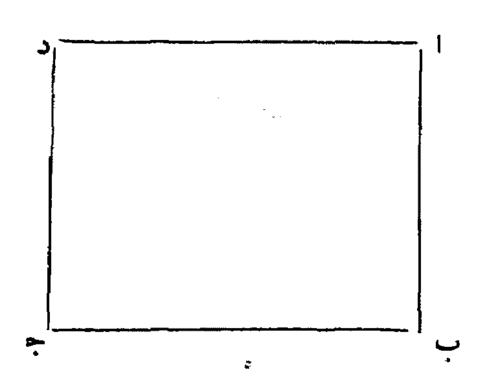
هذه هى القضايا الأوّلية التى استنتج العلماء منها الأشكال الهندسية فى المقالة الأولى وهكذا فعلوا فى الثانية والثالثة الى المقالة الثامنة فى الهندسة حتى انهم بلغوا شأوا عظيما فيها ونظموا المدن والممالك ، كل ذلك من

نفس الفطرة . فالفطرة التي بها انبعث النحل والنمل والعنكبوت والأرضة الى نظم أعمالها وهندستها وسياسة جماعاتها هي التي خلقت في الانسان ففتحت له أبواب العلم على مصراعيه مما يشاهده في غدوه ورواحه مما يعتاده ، غاية الأمر أن الفطرة على ﴿ قسمين ﴾ فطرة جامدة . وفطرة قويمة كاملة . فالفطرة الجامدة هي الكاسلة الخامدة التي لاتفكرفيما حولها . والفطرة القويمة الكاملة هي التي تفكر وتستنتج وتستخرج العلوم والمعارف مما حولها . والفطر كلها من الله وقد أرسل الأنبياء ليوقظوا الناس لهذه الفطرة . فاذا سمع المسلم قوله تعالى ـ فطرت الله التي فطر الناس عليها ـ اندفع الى العمل والجد بالتشمير . إذن الديانات جاءت لسوق الفطرة وايقاظها لا لكسلها وانامتها . فهذه القضايا التي في أوائل الهندسة بها استخرج القوم علومهم ونظموا دولهم . هكذا فعل علماء الطبيعة بطرق أخرى غير طرق علماء الهندسة فاستخرجوا من صغائر الامور عظائمها فانظر رعاك الله الى بعض مافطر عليه هذا الانسان

(١) يقيس محيط الدائرة وقطرها و يعرف النسبة بينهما
(٢) يقيس المربع و يستنتج قانونه
(٣) يقيس المستطيل و يستنتج قانونه
(٤) يقيس متوازى الأضلاع و يستنتج قانونه
(٥) يقيس المثلث و يستنتج قانونه
(٦) يقيس الأشكال المنتظمة المضلعة من مربعة ومخمسة ومسدسة وهكذا
(٧) يمسح الدائرة و يستنتج قانونها
(٨) يمسح القطاع و يستنتج قانونه
(٩) يمسح المضلعات غير المنتظمة و يستنتج قانونها
(١٠) يمسح السطح الجانبي للاسطوانة القائمة و يستخرج قانونها
(١١) ثم يمسح السطح الجانبي للمخروط القائم و يستخرج قانونه
(١٢) ثم يمسح الكرة و يستخرج قانونها
(١٣) ثم يمسح حجم المكعب و يستخرج قانونه
(١٤) ثم يمسح حجم متوازى المستطيلات والمنشور القائم والاسطوانة القائمة والاسطوانة المائلة

هذه المساحات في علم الطبيعة مركب بعضها على بعض كأنها سلالم ، وهذه درجات بعضها فوق بعض لايعرف الناس أعلاها إلا اذا توصلوا لها بأدناها ، فلانعرف مساحة الأحجام إلا بمساحات السطوح وكل درجة مرتبة على ماقبلها كما في أطوار الانسان طفلا ومراهقا وشابا الخ وكما في أحوال الأمم في رقيها ، وكما في انتقال الانسان من حال الى حال في أمور الدنيا والدين ، فلأشرح لك أيها الذكي بعض ماتقدم لتنظر فطرة الانسان وكيف سارت في السبيل التي سنها الله فيه ، وكيف جاء القرآن مؤيدا لهذه الفطرة وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انما أرسلهم الله ليوقظوا هذه الفطرة لا ليخمدوها فايقاظها كما حصل في العصور الأولى من الاسلام وأما الخمود فهو في العصور المتأخرة . ومعلوم أن الله خلقنا من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة . ومن شأن هذا العالم أن الضد يكون بعد ضده . فاذا كان المسلمون الآن في حال ضعف فسيكون من بعد ضعفهم قوة . وأى مسلم يقرأ مانكتبه الآن في هذا التفسير ثم هو لايبذل نفسه وماله في رقى نفسه والمسلمين . وكيف لايفعل ذلك وقد علم من هذا التفسير بالبرهان العقلى والنقلى أن حب الله عز وجل ورضاه مرتبطان بالتفوق في البحث والتنقيب والدراسة والنظر في آيات الله وعجائبه . ومن أحب أحدا أكثر من البحث في آثاره وأعماله . وهذه أجسامنا وأجسام العوالم حولنا كلها من آثار رحمة الله .

فالمسلم بدراستها يقترب من الله فى كل لحظة ونفس . والتقرب المذكور من ﴿جهتين﴾ جهة العلم الذى اتصف به وجهة العمل وهو انتفاع أمته بعلومه ومباحثه إذ يستخرج لهم من صغيرات الامور كبيراتها . ويقول المفسرون فى قوله تعالى – ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون – « إن الربانيين هم الذين يعلمون الناس واضحات المسائل من العلم قبل دقيقاتها كما ترى فى علم الطبيعة . فعلماء هذا أو الفن يبتدئون أوّلا بقياس محيط الدائرة وقياس قطرها فيجدون أن النسبة التقريبية بينهما (٣ ١/٧) ثلاثة وسبع ٢٢ على ٧ أو ٣ر١٤ أى ثلاثة و ١٤ من مائة وهذه النسبة يرمزون لها بحرف (ط) إذن طول المحيط يساوى القطر مضروبا فى (ط) ومعنى هذا أن طول المحيط بمقدار قطره (٣) مرات وسبع مرة الى آخر ماتقدم . أو طول المحيط يساوى (٢ ط) فى نصف القطر ويرمز لنصف القطر (نق) إذن مساحة المحيط تساوى (٢ ط) مضروبا فى (نق) ﴿ثانيا﴾ مساحة المربع . أوّلا يرسمون مربعا (ا ب جـ د) بحيث يكون كل ضلع من أضلاعه (٥) سنتيمترات والسنتيمتر جزء من مائة من المتر ثم يقسمون (ب ج) خمسة أقسام متساوية فيكون كل جزء منها سنتيمترا واحدا . ثم يقيمون من نقط التقسيم أعمدة على الضلع المذكور . ثم يقسمون الضلع (جـ د) الى (٥) سنتيمترات أيضا ويقيمون من نقط التقسيم أعمدة عليه فيرون إذن أن المربع الذى تراه أمامك وهاهو ذا



مثلا انقسم الى (٢٥) مربعا صغيرا طول كل ضلع منها سنتيمتر واحد فكل منها (سم) سنتيمتر مربع . إذن تكون مساحة المربع المذكور تساوى (٢٥) سنتيمترا مربعا (٥ فى ٥) سم ، فتكون النتيجة أن مساحة المربع تساوى حاصل ضرب طوله فى نفسه أى مربع طول ضلعه ﴿ثالثا﴾ مساحة المستطيل وهو مالم يتساو طوله وعرضه وزواياه قائمة مثل مساحة سطح الباب والشباك ومؤخر الكرسى ويفعلون به ما فعلوه فى المربع فينتج أن مساحة المستطيل تساوى حاصل ضرب قاعدته فى ارتفاعه ﴿رابعا﴾ مساحة متوازى الأضلاع فبعد أعمال يجرونها مثل ماتقدّم يجدون أن مساحته تساوى حاصل ضرب قاعدته فى ارتفاعه ولايتم ذلك لهم إلا بعد موازنته بالمستطيل المذكور قبله فهو مبنى عليه فلاحاجة الى الاطالة فى ذلك ، ومتوازى الأضلاع المذكور لاتكون أضلاعه صانعة زاوية قائمة مع بعضها ويكون كل ضلعين متقابلين متواز بين ﴿خامسا﴾ مساحة المثلث ومساحة المثلث بنوها على مساحة متوازى الأضلاع فيرسمون ذلك المتوازى ويجدون له قطرا يقسمه الى مثلثين وكل مثلث مساحته نصف مساحة متوازى الأضلاع المتحد معه فى القاعدة والارتفاع فتكون النتيجة أن مساحة المثلث تساوى القاعدة فى نصف الارتفاع فهو مبنى على متوازى الأضلاع ومتوازى الأضلاع مبنى على المستطيل ﴿سادسا﴾ مساحة المضلعات المنظمة فيرسمون مسدّسا مثلا منتظما كمسدّسات بيوت النحل ويقسمونه الى ستة مثلثات متساوية ويستنتجون من ذلك مساحة المسدّس المنتظم كله وهو ضرب نصف القطر فى نصف طول المحيط وهذا واضح لأنه اذا كان المثلث يساوى ارتفاعه فى نصف قاعدته وكان عندنا ست أنصاف قواعد فضرب هذه الأنصاف فى نصف القطر وهو الارتفاع المشترك بينها يكون هو مساحة المسدّس المنتظم ﴿سادسا﴾ ومثله

مساحة

مساحة جميع المضلعات المنتظمة . ولاجرم أن هـذا البرهان منطبق تمام الانطباق على جميع المضلعات المنتظمة فالمخمس ينقسم الى خمس مثلثات والمسبع الى سبع مثلثات والقاعدة واحدة وهي ضرب نصف القطر في نصف طول المحيط ﴿ سابعا ﴾ مساحة الدائرة ، أنت ترى أن المضلع المنظم قد عرفنا قانون مساحته ، ولا فرق بين ذى الأضلاع القليلة والأضلاع الكثيرة ، وماالدائرة إلا مضلع كثيرالأضلاع لانهاية لعدد أضلاعه . إذن فلنقل إن مساحة الدائرة تساوى ضرب نصف القطر في نصف المحيط كما قلنا في الأشكال المنظمة ان مساحتها تساوى نصف القطر في نصف أضـلاعها أومساحة الدائرة تساوى نصف حاصـل ضرب نصف قطرها في طول محيطها . ومعلوم أن طول المحيط ٢ ط مضروبا في نصف القطر فيكون هكذا . مساحة الدائرة تساوى نصف القطر مضروبا في ٢ ط مضروبا في نصف القطر على اثنين أومساحة الدائرة تساوى (ط نق ٢) أى تساوى (ط) في نصف القطر مربعا ، فهانحن أولاء احتجنا في مساحـة الدائرة الى مساحة الأشكال المنظمة وفي مساحة الأشكال المنظمة الى مساحة المثلث وفي مساحة المثلث الى مساحـة متوازى الأضلاع وفي مساحة متوازى الأضـلاع الى مساحة المستطيل . هذا من جهة ومن جهة أخرى استعملنا أول نظرية وهي مساحة محيط الدائرة و بوضع هذا مع ذلك حدث عنـدنا نصف القطر المربع فقلنا (ط نق ٢) فهذه درجات بعضـها فوق بعض كدرجات العلوم ودرجات الارتقاء في جميع أعمـال الحياة كما قال تعالى ــ لتركبن طبقا عن طبق ــ وكما قال تعالى أيضا ــ فليرتقوا في الأسباب ــ فهذه أمور مرتبة منظمة أعلاها متوقف على أدناها كما تتوقف آراء الانسان وعلومه بعضها على بعض . ولاجرم أن الله عز وجل أعطى كل انسان في الأرض فطرة مشتركة مع الفطر العامة ولها اختصاص ما فاذا لم يعطلها وفتح الله لها أبواب المعارف ولم يمنعها تقليد أوكسل نالت درجات العلم درجة فدرجة منظمة انتظام هذه الأشكال بعضها على بعض . ولاينال الانسان العلم الأعلى إلا بعد معرفة الأدنى كما لم يعرف مساحة الدائرة إلا بعد مساحات الأشكال قبلها من محيط الدائرة والمستطيل والمتوازى والأضلاع والمثلث والشكل المنتظم الخ فاعلم ذلك وأيقن بأنك لاتنال علما إلا بعد أن تعرف ما قبله . ولن تنال الأعلى إلا بعد أن تنال الأدنى والا خر أعلاها على أدناها وذهب العلم أدراج الرياح ﴿ثامنا﴾ مساحة القطاع . فاذا وجدنا أن مساحة الدائرة تساوى نصف حاصل ضرب نصف القطر في المحيط فليكن الجزء من الدائرة وهو القطاع يساوى نصف حاصل ضرب نصف القطر في طول القوس لأن القوس جزء من المحيط وهذا واضح ﴿ تاسعا ﴾ مساحة المضلعات غير المنتظمة وهذه مبنية على مساحة المثلثات كما بنى ماتقدم عليها فيقسم ذلك الشكل الذى لم ينظم الى مثلثات و بجمعها تكون مساحـة ذلك الشكل ﴿ عاشرا ﴾ مساحة السطح الجانبي للاسطوانة القائمة كالأعمـدة التي ترى في المنازل والمساجد ، ولاجرم انا لو لففنا حول الاسطوانة ورقة ثم بسطناها لم نجدها إلا مستطيلا قاعدته تساوى محيط قاعدة الاسطوانة وارتفاعه يساوى ارتفاعها ومعلوم أن مساحة محيط الدائرة (٢ ط نق) ولم يزد هنا إلا الارتفاع (ع) فتكون مساحة السطح الجانبي للاسطوانة القائمة تساوى (٢ ط نق في ع)

(١١) مساحـة السطح الجانبي للمخروط القائم ، لما كان المخروط القائم في الحقيقة يرجع الى قطاع دائرة قوسه يساوى محيط قاعدة المخروط ونصف قطره يساوى راسمه وكانت مساحة قطاع الدائرة تساوى نصف حاصل ضرب قوسه في نصف قطره كانت مساحة السطح الجانبي للمخروط تساوى نصف حاصل ضرب محيط قاعدته في راسمه أى ان مساحـة السطح الجانبي للمخروط تساوى نصف محيط القاعدة في الراسم أو (٢ ط نق) على (٢) في الراسم أو (ط نق في الراسم) ، وصورة المخروط أشبه بقمع السكر

(١٢) ثم تمادى القوم في البراهين فعرفوا أن مساحة سطح الكرة (١٢) تساوى (٤ ط نق ٢) و (نق٢) معناه نصف القطر مربعا

(١٣) وحجم متوازى المستطيلات والمنشور القائم والاسطوانة القائمة يساوى في جميعها ضرب مساحـة

القاعدة فى الارتفاع

(١٤) وحجم المنشور المائل والاسطوانة المائلة يساوى كل منهما ضرب مساحة القاعدة فى الارتفاع

(١٥) وحجم الهرم القائم يساوى (١ من ٣) من مساحة القاعدة فى الارتفاع ومثله حجم الهرم المائل

(١٦) وحجم المخروط يساوى (١ من ٣) من مساحة القاعدة فى الارتفاع أو (١ من ٣ ط نق ٢ ع)

(١٧) وحجم الكرة يساوى (١ من ٣) من مساحة السطح فى نصف القطر أو (٤ على ٣ ط نق ٢ فى نق) أو (٤ على ٣) ط نق ٣

هذه هى أهم المقاييس فى هذه الدنيا عرفها الناس بالبراهين فاستدلوا بالأقل على الأكثر وبالأسهل على الأصعب ، وانتقلوا من السطوح المستوية الى السطوح المنحنية ثم الى الأحجام المستوية والمنحنية . فبعد أن كانوا يقيسون الباب والشباك أخذوا يقيسون سطوح الهرم وأحجام الكرات العظيمة . وبهذا عرفوا مساحات الكرة الأرضية ومساحات الشمس سطحها وحجمها ومساحات الكواكب العظيمة حتى عرفوا أن بعض الكواكب الصغيرة التى نراها بأعيننا تقدّر بحجم الشمس (٢٥) مليون مرة

هذه هى فطرة الله التى فطر الناس عليها . فطرة وثابة لاتستقر على حال حتى تصل الى النهايات . يجلس أحدنا فى حجرته مفكرا فيجد روحه تطوف أرجاء العالم برا وبحرا وجوا وسماء وأرضا فى لحظة . فما هذه القدرة ؟ هذه الروح لوخليت وشأنها ولم تقيد بالقيود الأرضية لطارت الى عوالم أجل ولكنها قيدت وأوثقت حتى تربى فى هذه الأرض وتدرس هذه الامور لتكون عونا لها فى مستقبل سفرها ـ وأن الى ربك المنتهى ـ انتهى فى صباح يوم الأربعاء ٢٢ مايو سنة ١٩٢٩

﴿ بهجة العلم فى مساحات هذه الأشكال ﴾

هذا هو النظام الإلهى الجليل الذى يمرّ عليه أكثر الناس وهم غافلون . يا ألله ما أجل فطرنا وأبهجها . هذه ـ فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ـ فطر الله أرواحنا على البحث والجدّ . فماذا نظرت ؟ نظرت العوالم فوجدتها ذات سطوح مستوية وأخرى منحنية . أخذت تنظر فوجدت السطوح المستوية يمكن الاستغناء عن مساحتها بمساحات خطوطها المستقيمة . فما عليهم إلا أن يربعوا ضلع الشكل المربع فيعرفون المساحة ، ثم نظروا فى محيط الدائرة فوجدوا انهم اذا داروا حولها كان ذلك نصبا لهم فاكتفوا بقطرها بل بنصف قطرها وضربوه فى اثنين مع الضرب فى النسبة أيضا وقالوا محيط الدائرة يساوى (٢ نق فى ط) بدل أن يقيسوا طول القطر كله ويضربوه فى النسبة التقريبية (ط) فما عليهم إلا إن يضربوا نصف القطر فى (٢) ثم يضربون ذلك فى (ط) واستعملوا هذا الاختصار فى مساحة الدائرة فقالوا (ط نق ٢) وفى مساحة سطح الكرة فقالوا (٤ ط نق ٢) فإذن لامساحة فى محيط الدائرة ولافى الدائرة ولافى سطح الكرة إلا لنصف القطر ، غاية الأمر انهم إما أن يضربوا تلك المساحة فى (٢) ثم فى (ط) واما أن يربعوا تلك المساحة ثم يضربونها فى (ط) أو فى (٤ ط) ولما وصلوا الى حجم الكرة لم يصنعوا شيأ أكثر من مساحة نصف القطر أيضا وقالوا إن حجم الكرة (٤ من ٣ ط نق ٣) ومعنى هذا انهم لم يحتاجوا فى محيط الدائرة ولافى الدائرة ولافى سطح الكرة ولافى حجم الكرة إلا الى مساحة نصف القطر وحده وهذا يضرب فى أعداد تقل فى مساحة الخطوط المنحنية وتزيد فى مساحة السطوح وتكون أكثر فى مقادير الأحجام ، ففى حجم الكرة يكعبون نصف القطر ويضربون ذلك المكعب فى النسبة المتقدّمة (ط) ويأخذون (٤ من ٣) من ذلك كله فيتم المقصود

هذه فطرنا الوثابة التى لاتهدأ ولاتفتأ تنتقل من حال الى حال ـ وان الى ربك المنتهى ـ اللهم إن فطرنا أنوار أرسلتها الى الأرض ونورها مرسل منك فهى تختصر الطريق للوصول اليك

هاهى ذه وجدت الأحجام حولها محكومة بقوانين فعرفتها وتصرّفت فيها وحكمتها . هاهى ذه عقولنا

رأت الأرض والسماء والكواكب فحكمتها بالقوانين وجعلت لها وحدة ، وأصبح أحدنا يرى هذه العوالم على ﴿ قسمين ﴾ عوالم فى أنفسنا وعوالم حولنا ، أما العوالم التى فى أنفسنا فانما هى قوانا الحيوية من الشهوة والغضب ومامعهما من العواطف والأخلاق والرذائل والفضائل ، وأما العوالم التى هى حولنا فهى تلك الأشكال المنظمة وغير المنظمة ، ثم يرى كل منا أن له ﴿ قوّتين ﴾ قوّة عقلية وقوّة ارادية ، فبقوّة الارادة نحكم على شهواتنا وعواطفنا ونهذب أخلاقنا ، وبالقوى العقلية نحكم على المادّة ، فرجاع المساحات المتنوّعة الى مساحة الخطوط المستقيمة بحكم قوانا العاقلة ، وارجاع قوّة الشهوة والغضب الى حكم العقل انما يكون بقوّة عزيمتنا وارادتنا . إذن الذى حكم العالم الداخلى فى أنفسنا والخارجى فى عوالمنا هما ﴿ أمران ﴾ العلم والارادة ، والعلم والارادة فينا من المواهب الالهية المنبعثة من العالم الالهى الأعلى والله هوالولىّ الحميد

﴿ نظرة أعلى فى فطرتنا ﴾

هذا عمل الفطرة فى عواطفنا وفى عوالمنا حكمتهما وألجمتهما بالتهذيب فى الأولى والقوانين فى الثانية . إذن هذه الأجسام الانسانية وهذه العوالم الجسمية ألواح جعلت لتقرأها أرواحنا بدليل اننا نرى هذه العوالم وهذه الأجسام فى تغير مستمر كما ان الألواح للأطفال تمحى كتابتها ثم تكتب ، فادام الطفل فى المكتب يدوم الاثبات والمحو ، فدوام التبدّل فى أجسامنا وفى عوالمنا ماهو إلا علوم تظهر لنا فترسم فى أذهاننا ثم تتلوها أخرى ونفوسنا هى الباقية ، ألاترى رعاك الله اننا نتذكر صورا وأشكالا كنا اطلعنا عليها فى الصغر فنراها الآن كما هى فى أنفسنا ولاوجود لها فى المادّة

سبحانك اللهم وبحمدك أريتنا وعلمتنا ولاسعادة لنا والله إلا بما فى نفوسنا ، أما هذه المادّة فماهى إلا ألواحنا وهذه الألواح كما تقدّم (فى سورة النور عند آية ــ الله نور السموات والأرض ــ) ماهى إلا نقط ضوئية يجرى سالبها حول موجبها وباختلافها تكوّنت العناصر ومن العناصر كانت المركبات . إذن هذه المادة أشبه (بالصور المتحركة) المسماة (السينما) قد صار هذا الخيال عند حواسنا حقائق ثابتة رحمة من الله لنا ليعلمنا حتى نلحق بالعالم الأعلى عالم الكمال والجمال ، لقد أجمع القدماء من علماء الفلسفة والمحدثون ألا وجود للمادة وكل مانراه ماهو إلا صفات وظواهر كما يعرف هذا من قرأ فن المقولات فى الفلسفة القديمة أوأضواء وكهرباء متكاثفة فى الفلسفة الحديثة والكهرباء والأضواء ترجع الى حركات والحركات انما تكون فى الأثير والأثير عالم أقرب الى عالم الأرواح لايرى ولايلمس ولايحس . هذه هى الفطرة التى فطرالله الناس عليها . فطرهم أن يرتقوا فى الأسباب حتى تصل النفوس الى عالمها فتكون هناك سعادتها وماثل سعادة الأنفس فى الأرض بالمآكل والملابس والملك والعز والغلبة والقهر بالنسبة للسعادة الروحية إلا كنسبة الجهل الى العلم أونسبة العدم الى الوجود أونسبة الوجود المادّى الموهوم الى الوجود الروحى المحقق ، وماتنوّع اللذات فى عالم المادّة إلا ضرب مثل لتنوّعها هناك فى عالم الأرواح

أيها الذكى . متى عرفت هذا وأيقنت به فهمت قوله تعالى ــ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ماخلقناهما إلا بالحق ولكنّ أكثرهم لايعلمون ــ فليس ماترونه من التبدّل والتغير المستمر محوا واثباتا لعبا ولهوا بل ذلك تعليم وتدريب لكم وليس تبدّل الحوادث عليكم وتعاقبها إذلالا لكم وانتقاما بل هو تهذيبا وتعليما ، ولم أخلق هذه الفطر الوثابة فيكم إلا لغاية نافعة لكم ، أفلاترون النحل وكثيرا من الحشرات هأناذا قد كوّنت لها الأزهار بالألوان الجميلة لغاية حقيقية وهى أن تعشقها تلك الحشرات فتأتى اليها سراعا ثم تشرب منها العسل ﴿ لغايتين ﴾ غاية منفعة النحلة ونحوها بحياتها ، وغاية إلقاح النبات بفعل الحشرات ، فاذاكان هذا فعلى بالفطرة الحيوانية ولاأعطى لها فطرة إلا لغاية نافعة لها ، فهل أعطى الانسان هذه الفطرة الشريفة التى هى أرقى من فطرة الحشرات إلا لغاية عالية ؟ فاذا طارت النحلة للزهرة الملوّنة باللون الجميل فنالت

العسل بهذه الطريقة أفلا يكون حبكم وغرامكم بالاطلاع على العوالم العلوية والسفلية والبهجة بكشف الكواكب الجديدة فى هذا العصر وعدم وقوف نفوسكم على حال من تلك الأحوال الكثيرة دليلا على أنكم متجهون الى حال عالية شريفة تنتظركم ومقام سام شريف، وهل يكون هذا إلا بالعلم. هذا بعض سرّ قوله تعالى ـ ولكنّ أكثرهم لايعلمون ـ لأن من يجهل أمر الحشرات وإلقاحها كأغلب أمم الاسلام اليوم فهو حرى أن يجهل أن خلق السموات والأرض مبنى على النظام وأن خلق الانسان لغاية سامية شريفة عالية وسعادة باقية

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ اللطيفة الثالثة فى العلوم المنطقية ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل أعطى كل شئ خلقه فهدى، فلكل حيوان فطرته الخاصة به بحيث كانت تلك الفطرة كافلة بشؤنه العامة والخاصة. فالنحل فطرة بها بنى بيوته وملأها بالعسل وربى ذريته. وللعنكبوت نسيجها الخاص بها الذى يكون فيه مأواه وبه يصطاد الذباب وغيره من الحشرات وهكذا مما ظهر فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة. هكذا الانسان له فطرة بها يهتدى لثدى أمه ويمسكه ويمتصه ويبكى عند الجوع ويضحك عند الفرح. وهكذا تسوقه غريزته وفطرته الى قيامه بشؤنه وأعماله جميعها فيستعمل سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه. كل ذلك بفطرته بلامعلم يعلمه ولامرشد يرشده. وقد وجد الناس فى عصرنا انهم عثروا فى الآثار المتوغلة فى القدم أن الأمم جميعها لها معابد وعبادات وصلوات وتوجهات الى المعبود. واختلافهم انما هو فى أوصافه وعدده ولكنهم جميعا متفقون على وجوده. إذن الاتجاه الى موجود له سموّ وعلوّ مسلم به فى الفطرة وهذا معنى قوله تعالى ـ فطرة الله التى فطر الناس عليها ـ فان هذا النوع الانسانى قد اتفق تاريخ أممه على انهم جميعا كانوا يتسابقون الى الاستعانة بالموجود الأسمى. وفطرة الناس منحصرة فى ﴿ أمرين اثنين ﴾ لاثالث لهما ﴿ الأمر الأوّل ﴾ إنماء الجسم والمحافظة على النسل فلا رجل ولا امرأة إلا دأبهما المحافظة على بقاء أجسامهما وتربية ذريتهما. هذه فطرة فيهما ولولاها لخلت الأرض من نوع الانسان وهكذا كل حيوان ﴿ الأمر الثانى ﴾ المحافظة على اسعاد الروح وآية ذلك مانراه من حفظ العرض والخوف من الشماتة والعار والخزى والذل وما أشبه ذلك وهكذا ماذكرناه من توجهها لمبدع الكون واعترافها به وعموم ذلك فى كل زمان ومكان قديما وحديثا حتى ان الحيوانات عند حدوث الملمات ترفع وجوهها الى أعلى دلالة على أنها عرفت أن هناك مصدرا لوجودها تستغيث به ليس فى هذه الأرض، إذن الفطرة تشمل أعمال الروح وأعمال الجسم اجمالا. هذه الفطرة كما ألهمت الصبى التقام ثدى أمه حفزت المراهق والشاب والشيخ أن يتعاطوا الطعام والشراب والزرع والتجارة وجميع أعمال الحياة، فالناس عاملون فى الدنيا لطلب الرزق بفطرتهم كما تعمل الطير سواء بسواء، ولقد تجد أمة كالأمة المصرية والعراقية نهرا يجرى كالنيل والفرات فيستعملونه بأن يسقوا أرضهم ويزرعوها وهنا يساعد تلك الفطرة مدرّبون ومعلمون فيعلم الكبار الصغار كيف يحرثون الأرض وكيف يبذرون البذر وهذا بعينه فطرة بعض الطير تساعد أولادها فى غدوها ورواحها وتكون قدوة لها، وهذه الفطرة كافية للأمم فى حال بداوتها وفى حال طفوليتها فتكون أعمالهم قليلة وطرق كسبهم أقرب الى البساطة وكلما كثر عددهم وازداد جمعهم سمت فيهم ملكات التفكير وازدادت طرق الأعمال فاحتاجوا الى إبراز ما كمن فى فطرهم من فنون العلوم كالهندسة والحساب والجبر ورصدوا النجوم ليعرفوا طرق البرّ والبحر، هنالك يستخرجون من الأرض والعوالم المحيطة بهم كنوزا كانت مخبوءة فيها على مقدار استخراج القوى الكامنة فى فطرهم الى حيز الوجود وذلك بالعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها ﴿ وبيانه ﴾ أن الانسان يسمع ويبصر المسموعات والمبصرات ولكل حاسة محسوسات خاصة، فالألوان والبعد والقرب والشكل والقدر والسطح وما أشبه ذلك تعرف بالبصر وأنواع الأصوات تعرف بالسمع. فاذا كان المحسوس لايعرف إلا بحاسة واحدة

وكانت

وكانت الحاسة سليمة من الآفات فهذه الحاسة صادقة فى حكمها عليه ، ألاترى أن الصوت انما يعرف بالسمع أما اللون والشكل مثلا فالسمع لايدركهما هكذا الصوت لايدركه البصر ، إذن هذان كل واحد منهما مختص بحاسة لايشاركها سواها فى إدراكه . إذن يصدق السمع فى المسموع والبصر فيما اختص به من الألوان ونحوها

﴿ التفاحة واللبن ﴾

فأما أمثال التفاح واللبن فانهما لايختصان بحاسة واحدة . فاذن لانصدق العين فى حكمها على التفاحة ولافى حكمها على اللبن ، وبيانه أن الانسان يشاهد التفاحة فيحكم عادة بأنها تفاحة وقد يكون مخطئا لأننا لوصنعنا تفاحة من الكافور ولوّناها بلون التفاح ورأيناها ثم شممناها لحكمنا فى أوّل الأمر خطأ انها تفاحة مع ان هناك حاستين أخريين يجب أن تشهدا وهما حاسة الذوق وحاسة اللمس فان حكمتا فيها والا فلا . هكذا اذا صنعنا مايشبه اللبن كالدقيق المخلوط بالماء فالعين تراه ويخيل للعقل انه لبن فلابد من حكم القوّة الذائقة مع العين ، فههنا ﴿ ثلاث مراتب فى الحكم ﴾ حكم بحاسة واحدة وحكم بحاستين وحكم بثلاث حواس . فاذا خالفنا هذه القواعد فان العقل قد يحكم خطأ . ألا ترى انه يرى السراب فى وسط النهار فيحكم بأنه ماء والعين صادقة فى أنها رأت لون الماء وحينئذ فحكم العقل إذن بأنه ماء خطأ لأن الماء لايعرف بحاسة البصر وحده فلابد من انضمام حاسة اللمس اليه ليعرف انه سائل وحاسة الذوق ليعرف انه ماء ومادام ذلك متعذرا على من بالصحراء فحكمه معرض للخطأ . هذا مجمل الأدلة وهى فى أحكام الحواس فى محسوساتها

﴿ مقاييس العقول التى تقيس بها المعانى فتعرف صادقها وكاذبها ﴾

للعقول الانسانية المنبعثة من الفطرة ﴿ مقاييس خمسة ﴾ مقياس يحكم حكما قاطعا . ومقياس يحكم حكما ظنيا . ومقياس يقيس ويكون أضعف حكما مما قبله . وقياس يكون أقرب الى الوهم . وقياس قصد أن يكون حكمه خطأ . فأما المقياس الأول فهو البرهان . وأما الثانى فهو الجدل . وأما الثالث فهو الخطابة . وأما الرابع فهو الشعر . وأما الخامس فهو السفسطة . أما البرهان فذلك هو المبنى على ماشهدت به الفطرة فى مبادئ أمرها بحيث لايختلف فيها ولايشتبه جميع الناس من جهال وعلماء وأغبياء وأذكياء مثل

(١) إن الواحد نصف الاثنين والكل أعظم من الجزء

(٢) والشيآن المساويان لشئ واحد متساويان

(٣) والنفى والاثبات لايجتمعان

(٤) واذا أضفنا شيئين متساويين لشيئين متساويين كان المجموعان متساويين

(٥) واذا طرحنا شيئين متساويين من شيئين متساويين كان الباقيان متساويين

(٦) واذا أضفنا شيئين متساويين الى شيئين غير متساويين كان المجموعان غير متساويين

(٧) واذا طرحنا شيئين متساويين من شيئين غير متساويين كان الباقيان غير متساويين

(٨) واذا تساوى شيآن نصف الشئ كانا متساويين

(٩) واذا ملأ شيآن حيزا واحدا على التعاقب كانا متساويين

وهكذا مما ذكره (اقليدس) فى أوائل الهندسة ، وهذه وأمثالها هى المسميات أوّليات لأنها تعرف فى أوائل العقول ومثلها المحسوسات المتقدمة على شرط سلامة الحواس واستيفاء الشرائط التى أشرنا اليها . وهكذا ماتصدقه التجربة مثل العقاقير الطبية المسهلة والمخدّرة والمنوّمة والمعطية حرارة أو برودة للجسم ، فهذه متى صدقت تجربتها عدّت من المقطوع بها . وهكذا المتواتر الذى شهد به جموع يحكم العقل قطعا بصدقهم كما نقول فى مصر ان فى الأرض بلادا تسمى الصين أواليابان أوفرنسا أوألمانيا أواستراليا ومكة والمدينة واليمن فهذه نقطع بوجودها وان لم نرها . وهكذا ما لاحظناه مرارا وعقلناه مثل أن نرى القمر اذا كان مقابلا

للشمس امتلأ ضوأ وكلما اقترب منها قلّ ضوؤه ، ومتى كان مقارنا لها لم يكن له ضوء ، فهـذا دلنا على أنه استمدّ نوره منها لأنه لما قابلها أشرق نورها عليه فلما صار بيننا و بينها فعلا كان وجهه المشرق فى جهة الشمس لافى جهتنا ثم تكرر هذا فحكمنا حكما يقينيا كما حكمنا فى المجرّبات سابقا . وهكذا نلاحظ أن فى باطننا آلاما نسميها جوعا وآلاما نسميها عطشا وأخرى نسميها شبقا وأخرى نسميها مرضا وهى كثيرة لاحدّ لها ، ونجد لنا غضبا وحسدا وحقدا ورغبة ورهبة وحبا وكراهة فهذه يقينيات

فهذه كلها اذا جعلت مقدّمات فى أدلتنا اليقينية كانت معينة على صدق النتيجة . هذا هو المسمى بالبرهان ويليه فى القوّة الجدل

﴿ الجدل والخطابة والسفسطة والشعر ﴾

أما الجدل فهو ما يستعمله المناظران بحيث يورد كل منهما مايسلم الخصم به كالمسلمات والمشهورات كرجال الدين والمذاهب المختلفة فى كل أمة فهؤلاء يكفيهم فى أدلتهم مايوجب الظنّ والترجيح لاغير . وأقلّ من الجدل الخطابة فالخطيب يشوّق المستمعين بما يخلب عقولهم فيستعين بالأمثال المشهورة مثلا و يحببهم فيما يريد بالطرق المتوسطة بين الصدق والكذب كالأسلوب الشعرى وهناك مايقصد به التحسين والتقبيح . ولقد تكفل بهذا فن البيان بأمثال المجاز والكناية والتشبيه والاستعارة التمثيلية وما أشبه ذلك . فهذه كلها يقصد بها جذب المخاطبين بالصور الجذابة ولا يراعى فيها الحقائق والسامع لها قد يعرف كذبها ولكن لها أثر فى النفس وأدناها كلها المغالطة وهى السفسطة التى يستعملها رجال السياسة وأمثالهم بأن يأتوا بأدلة تشبه الحق وقد أرادوا بها باطلا وقد شبهوها بالدّينار فان كان ذهبا خالصا فهو مثال للبرهان الذى لايخطر ضده بالبال وان كان فيه زغل لا يعرفه إلا الحاذقون كان مثالا للجدل وان كان زغله يعرف بسهولة كان مثالا للخطابة وان كان نحاسا كله كان مثالا للمغالطة . وأما الشعر فهو يقصد به التحسين والتقبيح لا البرهان

فهذا كله ملخص من علم المنطق وعلم المنطق ملح العلوم كلها وماذكرناه هو أحد قسميه المسمى بالتصديق واعلم أن المطلوب علمه

(١) إن كان أمثال هـذه الشجرة أوهذه الدواة فهذا لايبرهن عليه ولكن سبيل العلم اليه انما يكون بالتحليل والتحليل قام به علم الكيمياء ، فنرى علم الكيمياء قام بتحليل المواد فعرفت فيحللون الماء والهواء و يفصلون العناصر التى حواها كلاهما فيحكمون حكما قاطعا

(٢) وان كان نوعا كالانسان فلاسبيل للحكم عليه بالتحليل ولا بالبرهان ولكن بالتعريف وذلك بالحد أوالرسم المعروفين فى المنطق وذلك بالجنس والفصل القريب فى الأوّل بأن يقال هو حيوان ناطق أو بالجنس وحده أو بالجنس والفصل البعيد فى الثانى

(٣) وان كان المطلوب جنسا فلاحكم عليه بحدّ ولا بتحليل بل بالقياس كحدوث العالم وكنفع العقاقير وضرّها وهكذا فهذه لابد فيها من القياس

(٤) وان كان المطلوب انما هو تمييز الكليات بعضها من بعض فلاسبيل لها إلا بالتقسيم كمعرفة الفرق بين المادة ومقاديرها وأعراضها المحسوسة من أوصافها المنظورة والمسموعة والمذوقة والملموسة ومن نسبتها الى غيرها كالابوة والبنوة ومكانها وزمانها وفعلها فى غيرها وانفعالها لغيرها . فهذا كله لايتم إلا بالتقسيم وله فنّ يسمى ﴿ فنّ المقولات ﴾ من علم المنطق وهو أيضا من الفلسفة العامّة . واعلم أن المتعلمين فى مدارس العالم قاطبة يستعملون التحليل كما تقدّم فى علم الكيمياء بسائر فروعها فهذا يورثهم يقينا فيما يزاولونه و به استنتجوا منافع للنوع الانسانى وهذا من فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فاذا رأينا الله فطر الطفل على التقام ثدى أمه وعلى إغماض عينه سريعا اذا أحس باقتراب جسم غريب اليها ، نرى الذين يحللون المواد يعرفون حقائقها

بفطرتهم

بفطرتهم غاية الأمر أن الفطرة فى الأوّل لاتحتاج الى تعلم لاستخراج ما كمن فى أنفسنا ، وهم أيضا يقسمون الكلمة الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ اسم وفعل وحرف وهومن أنواع المنطق المتقدّمة ، ونراهم أيضا يقرؤن الهندسة وكلها براهين والبراهين أشرف أنواع القياس ، إذن العلوم التى يدرسها الناس مشحونة بعلم المنطق الذى به استخرج الناس المجهول بواسطة المعلوم وهذا الاستخراج سببه الفطرة التى فطرالله الناس عليها ، فاذا فطر الله الناس على استعمال الفاكهة التى يرونها فى الجبال بلازرع هكذا فطرهم على أن يستخرجوا من الأرض بالجدّ والبحث مايوازى ما استعملوه بلاجدّ ولانصب ، واذا رأيناهم أجابوا الأنبياء كنبينا ﷺ اذا أسمعهم دين الفطرة وقرأ لهم القرآن هكذا نراهم استخرجوا بعقولهم وفطنهم من هذا المسموع ومن المعقول الموافق له علوما استبحر بها العمران وارتقت الأمم ، فشجر البادية استعملناه بفطرتنا وشجر حدائقنا استعملناه بعد الجدّ والنصب بمساعدة فطرتنا والقرآن عرفنا منه حرمة وأد البنات بمجرّد سماعه ولكن لانتظام الأمم ولا الجماعات على طريق القرآن إلا بجدّ ونصب واعمال فكر بمساعدة فطرتنا

﴿ مراتب الناس فى الاستدلال ﴾

(١) « مرتبة الصبى » إن الصبيان مطبوعون على القياس والاستدلال وتكون نتائجهم مابين صادقة وكاذبة لعدم اختبارهم ، فاذا رأى الصبى نظيره فى مكتب أوطريق حكم بأن له والدين وهذا الحكم صحيح لأنه استدلال بالمعلول على العلة لأن المعلول لابد له من علة

(٢) اذا رأى زوجا وزوجة قال لهما أين ولدكما وهذا الحكم يصدق ويكذب لجواز ألا يكون لهما ولد لأن العلة لاتنتج المعلول إلااذا استوفت جميع شرائطها والزوجان لايلزم من وجودهما وجود الولد لأنهما يصلحان علة بشرائط خاصة ومتى فقدت لم يصلحا أن يكونا علة

(٣) وهكذا كلما رأى ولدا ظنّ أن له اخوة كاخوته ودارا ودابة وجوعا وشبعا على حسب ما يقوم بنفسه هو فى وقت الاتصاف بذلك ، فان جاع ظنّ جميع الأولاد جياعا وهكذا إن عطش وعلى ذلك فقس ولايقلع عن ذلك إلا بعد أن يعقل ويدرك خطأه

(٤) ومتى كبر وأدرك خطأ تلك القضايا وجد فى نفسه بقيتها مثل أن يعتقد أن المطر فى كل بلد حين يكون ببلده وهكذا الحرّ والبرد والصيف والشتاء وهذا كله خطأ ، ففى الأرض شتاء أيام صيف بلاده وبالعكس وعلى ذلك فقس وذلك يمنعه التعلم

(٥) إن كل نتيجة لابد لها من مقدّمتين فأكثر فى كل استدلال منطق أوهندسى أوغيرهما وقد تكون المقدمات كثيرة جدا مثل قولهم زوايا المثلث تساوى قائمتين لم تكن إلابعد اثنين وثلاثين شكلا وقولهم مربع وتر الزاوية القائمة مساو لمربع مجموع الضلعين الآخرين لم يتم إلا بعد (٤٧) شكلا وهذا الشكل عندهم يسمى شكل العروس

(٦) وقد يكتفى فى البرهان بالقليل من المقدمات . مثال ذلك فى الاستدلال على النفس فيقال ﴿ كل جسم فهوذوجهات ﴾ ولاجرم أن هذه مقدمة صادقة لاعوج فيها ﴿ وليس يمكن الجسم أن يتحرّك الى جميع جهاته دفعة واحدة ﴾ وهذه مقدّمة أيضا صادقة فى أولية العقول ﴿ وكل جسم يتحرّك الى جهة دون جهة فلعلة ما تحرّك ﴾ وهذا اثبات للنفس ، ويراد بعدذلك اثبات انها جوهر لاعرض فيقال ﴿ وكل علة محركة للجسم لايخلو من أن تكون حركتها على وتيرة واحدة فى جهة واحدة مثل حركة الثقيل الى أسفل والخفيف الى فوق ، فهذه تسمى علة طبيعية ، واما أن تكون حركتها الى جهات مختلفة وعلى فنون شتى بارادة واختيار مثل حركة الحيوان فتسمى نفسانية ﴾ وهذه قسمة عقلية مدركة حسا ﴿ وكل علة محركة للجسم بارادة واختيار فهوجوهر ﴾ فالنفس إذن جوهر لأن العرض لافعل له

هذا ملخص ماذكره ﴿ اخوان الصفا ﴾ هنا وأنا أقول أيها الذكي هذه الألفاظ غريبة على هذا الكتاب وقد طال أمدها ولكن الأمر سهل ، فمعنى هذا كله أن الانسان قد يستدل بمقدمات طويلة وكل مقدمة تحتاج لما قبلها وذلك كأدلة الهندسة فهي متصل بعضها ببعض حتى تبلغ المئات ولكنها في آخر أمرها ترجع الى مايعرف في أوائل العقول مثل ما تقدم وقد تكون المقدمات قليلة كأن يقال في الاستدلال على النفس ان الجسم له جهات ست فلماذا لايتحرك الى جهة دون جهة فلابد من سبب ، فان رأيناه تحرك الى جهة واحدة على وتيرة واحدة سميناه علة طبيعية ، ومعنى هذا أن الذى حرك هذا الجسم ليس جسما بل هو أمر معنوى وان رأيناه يتحرك الى جهات مختلفات بارادته واختياره سمينا ذلك المحرك نفسا وذلك كالحيوان والانسان ولكن هذه القوة التى سميناها نفسا ربما كانت عرضا أعنى شيأ كاللون والخفة والثقل واذن يكون تابعا للجسم لأنه من أوصافه فنقول « وكل شئ يحرك الجسم بالارادة والاختيار لابد أن يكون جوهرا » أى انه ليس عرضا لأن العرض لافعل له والا لجاز أن يكون اللون يعقل و يفهم وهكذا الثقل والخفة وهذا تأباه الفطر الانسانية

هذا كله من فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فالاستدلال بالبرهان والمعرفة بالمنطق وتحرى الصدق فى النظريات ، كل هذا من موجبات الفطرة فاذا رأينا قوما يعيشون فى الأكواخ و يكتفون بالصيد ولايعرفون الحرث ولاالقناطر ولاالجسور قلنا هكذا رأينا فى الحيوان أمثال الناس تربى ذريتها بغير وجود آبائها أى إن الحيوانية هناك ناقصة . هكذا الانسانية هنا ناقصة لم تستحكم . واذا رأينا أناسا شقوا الأرض وزرعوها وارتقوا قلنا هكذا رأينا الطير تحضن بيضها وتربى ولدها وهذا كله سميناه فطرة . فالطير تربى وتحضن بيضها بالفطرة كما ان الجراد ترك بيضه وفقس وحده بالفطرة . هكذا هنا عاش الناس فى الأكواخ بالفطرة مع نقصهم وآخرون عاشوا بالعلم فحرثوا الأرض وزرعوها وشقوا الأنهار ونظموها كما حضنت الطيور البيض وربت أفراخها بالفطرة غاية الأمر أن الفطرة فى الطير والانسان المدنى أكمل من الفطرة فى الانسان الهمجى كما ان الفطرة فى الطير أكمل منها فى الجراد والناموس والذباب . ونسبة الطير الى الآساد والوحوش أبعد جدا من النسبة بين الانسان المتوحش وذى المدنية فى عصرنا الحاضر . إذن هذا الدين الاسلامى ــ فطرة الله التى فطر الناس عليها ــ فهو دين المتوحشين لأن الوحشية من الفطرة ودين أصحاب المدن العظيمة لأن المدنية من الفطرة ولايخرجها عن الفطرة ارتقاؤها كما لم يخرج السباع عن الفطرة ارتقاؤها عن الطيور لأنها تحمل ذريتها وترضعها فضلا عن أمثال الجراد والذباب والناموس التى لاترى ذريتها أصلا ، فهذه الأنعام والسباع من فطرة الله وأهل المدن العظيمة لم يخرجهم عن الفطرة ارتقاؤهم عن الوحشيين ، وهذا الدين فيه المواعظ للعامة وفيه البراهين للخاصة إيماء الى ماقلناه ، وفيه عرش بلقيس وملك سليمان كما أن فيه مدح المؤثرين على أنفسهم والقانعين والفقراء الذين لايسألون الناس إلحافا اهـ

هذا مافتح الله به يوم الاثنين الخامس من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ م والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة . بيان فطرة الانسان فى مظاهر المخلوقات ﴾

(بهجة العلم . يوم شم النسيم ــ ٦ مايو سنة ١٩٢٩ م)

فى هذا اليوم تبدت لى أعمال فى مزرعتنا التى هى بالقرب من القاهرة وقد ذكرتها مرارا فى هذا التفسير ياسبحان الله ، سبحانك اللهم و بحمدك لاتنفد عجائب صنعك ، لقد توجهت لهذا الحقل مرارا وفى كل مرة أشاهد فى طريقى عجائب تخالف ماقبلها مع ان الطريق لم تتغير وانما الذى يتجلى فى كل مرة يكون على حسب الفكرة التى تشغل العقل ، فمرة كنت أتفكر فى العنكبوت التى ضربت خيامها فى تلك الفيافى وقد مر ذلك فى هذا التفسير . ومرة تفكرت فى أمر الحشرات التى تقتل الأشجار . وقد قابلنى هناك بعض عمال

الحكومة لابادتها وقد تقدم هذا فى أوّل ﴿ سورة الأنفال ﴾ والحشرة تسمى (الهبسكس) فراجعها هناك

أما فى هذه المرة فانى أخذت أفكر فى الفطرة الانسانية . إن الفطرة الانسانية جعلت معيارا لهذه العوالم و بيانه أن الانسان لوفكر فى العوالم وكيف تخلق وعلى أى أسلوب توجد لم يفضل حالا عن حال ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان العوالم الحيوانية والنباتية لوخير الانسان فى خلقها وقيل له أيها الانسان أتريد أن تكون كل الحيوانات صغيرة الأحجام أم متوسطة أم كبيرة وهكذا النباتات . و بالنظر الى ألوانها هل تحب أن تكون كلها بيضاء أم صفراء وهكذا مساكنها أتكون فى الجوّ أم فى البحر أم فوق اليابسة . وفى أصواتها أتكون غليظة أم دقيقة لطيفة أم متوسطة . لوسئل الانسان هذه الأسئلة لم تكن له وسيلة فى الاجابة إلا بعلم المنطق إذ يقول اذا سألتمونى عن اختيارى فأنا أفضل ألا يدع خالق العالم حالا إلا أعدّ لها خلقا فلايدع الصور الصغيرة ولا الكبيرة ولا المتوسطة فى النبات والحيوان وتشغل هذه الخلائق الهواء والماء واليابسة . إن فطرتى تميل للعدل والعدل يقضى أن تعطى كل مرتبة مايليق لها . فلا السواد من الألوان مثلا بمتروك ولا الخضرة ولاغيرهما ولا يحرم الماء ولا الهواء من هذه العوالم و يعطى كل مقدارا من الصور الصغيرة والمتوسطة حظه ولتكن جميع الأصوات فى الوجود . فليكن صوت دقيق جدا وليكن متوسط وليكن عال ثم يقول الانسان بحسب فطرته

أما من جهة النشوء والارتقاء فأنا أهتم بانى أرى فى كل مرتبة الخلق المناسب لها . فأرى كل معدن وكل نبات وكل حيوان و يهمنى أن أرى جميع الدرجات بعضها فوق بعض لأن فطرتى تشهد أنه لايصح خلق درجة من درجات الوجود من عوالم تخلق فيها . فأرى سلسلة المعادن والحلقة المتوسطة بينها و بين النبات وهكذا النبات يهمنى أن أرى كل درجة من الدرجات السفلى والوسطى والعليا وهكذا الحلقة المفقودة بين النبات والحيوان وهكذا الحيوان أحب أن أرى درجاته متناسبة صاعدة من أسفل الى أعلى حتى أصل الى الانسان . وهناك يهمنى أن أرى هناك حلقة بين الحيوان والانسان

هذا هوالذى تشهد به الفطرة . ومعنى هذا أن مذهب النشوء والارتقاء الذى شرحه (طيماوس الحكيم) فى حديثه مع (سقراط) هوالذى تشهد به الفطرة وهوالذى قال به (داروين) وليس هذا المذهب له بل هو قديم ولكن الفكرة فى حد ذاتها يشهد بها النظام غاية الأمر أن بعض الجهال ظنوا أن القصد من هذا المذهب نفى الإلوهية وانه مذهب حديث ولكنهم لجهلهم الفطرة الانسانية خاب فألهم وضلّ سعيهم

إنّ الفطرة شاهدة بهذه السلسلة التى يقول الله تعالى فيها ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ فليقل (داروين) و (لامارك) ذلك فهما لم يقولا شيأ جديدا وهذا تشهد به الفطرة فالعوالم متناسبة أعلاها مرتبط بأدناها ، هذا أوّل الأمر وهذا آخره ، وماهذه الدرجات إلا كدرجات الاحساس فى الانسان التى تبتدئ بالأقل وهو اللمس وترتقى بالذوق فالشم فالسمع فالبصر ، هذه درجات بعضها فوق بعض شهدت بها الفطرة وشهد بها العقل ، أما كون أعلاها مشتقا من أدناها فأمر يفرح به صغار العلم الذين لايعقلون ، وانما ذكرت هذا فى هذه السياحة لأنى ماكدت أتوسط تلك الأرض التى بعد بلدة المرج وأنا أمشى فى الخلوات حتى رأيت الجاموس والبقر والمعز والغنم دائبة فى رعيها ساعية فى جلب رزقها من تلك الحشائش الطالعات فى الأرض ، بينما أنا أرى تلك الأنعام فى مراتعها إذ شاهدت الخطاطيف طائرات فى الهواء ذات اليمين وذات الشمال ، وهكذا أنواع العصافير والقنابر والعصافير المغنية والهداهد ثم الغربان والطائر المسمى بالعنز وهكذا أبوقردان . فهذه كلها كنت أشاهدها وهى فرحات طربات مغرّدات مبتهجات ترتع فى نعيم الحرية والسعادة . ولعمرى كيف كنت أرى الغراب الاسود وأباقردان الأبيض يطيران وهما مقتربان ولايبغى أحدهما على الآخر كما يبغى البيض فى أمريكا بالولايات المتحدة على السود فيها ازدراء بهم واحتقارا لشأنهم ، حقا ــ إن الانسان لظلوم كفار ــ

شاهدت الطائر المسمى بالعنز كبير الجثة طويل الأجنحة التى ابيضت من الأمام واسودّت من الخلف ولم

أره طغى على أبي قردان ولا الغربان ولا العصافير احتقارا لشأنها بل يسعى لاصطياد الحشرات التي خلقت له فلم يتعد مارسمته له الفطرة — إن الانسان لظلوم كفار —

﴿ هذه سطور الكائنات ﴾

كنت أقرأ هذه السطور المكتوبات التي كتبها الله لي ، كتبها لي وقال اقرأها فتقبلت الهدية من الله وقرأت ماسطره لي سبحانه ، وانما قلت ان الله سطره لي لأني نظرت الحيوانات التي أمامي اذا كل واحد منها مهتم بشأنه عاكف على عمله ، ولم أر على حسب ماظهر لي أحدا منها مهتما بما اهتممت به فأنا أقول ان الله سطره هذا لي على حسب ماطبعت عليه نفسي * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فمن كان من الناس على شاكلتي فيحق له أن يقول إن الكتابة له أيضا ، فالسطور مكتوبة والقراء يقرؤن منها ما يوافق عقولهم ، فهاأنا اذا أسمع أصوات الغناء من العصافير المغنية كما أسمع نقيق الضفادع في الماء ونعيق الغراب فأرى الاختلاف اقتضاه العدل الذي هو شأن الفطرة ، ففي الفطرة وجود جمال الأصوات وقبحها وصغر الأشكال وكبرها وتباين الألوان والأشكال والعادات والأخلاق حتى يتم التوازن ويكون النظام ، فلئن ظهر على الأرض الفيل العظيم الجثة والجمل ذو السنامين ليظهرن النمل الذي رق جسمه ودق صنعه وحسن وضعه وجلت هندسته ، و بينما أنا سائر في الطريق أنظر هذه العوالم (وكأني في جنة عرضها السموات والأرض وقد فهمت قوله تعالى — قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون —) إذ رأيت النمل غاديات رائحات (وقد كنت إذ ذاك أكتب في تفسير سورة النمل عجائب صنعها و بديع اتقانها) فأخذت أتتبعها فوجدت لها منفذين تدخل فيهما تحت نخلة هناك والنملات يسرن في طريق ذاهبات كأنهن صف الجنود متوجهات الى ساحات الحرب فأخذت أتتبعها وعددت خطواتي اذا هي خمسون خطوة وفي أثناء تلك الخطوات كانت جماعات النمل تسير في طريق واحدة لاتتعداها وهن قد ملانها من أولها الى آخرها . و بعد هذه المسافة رأيتهن متفرقات يحملن القوت من هنا ومن هناك و يقبلن على هذه الجماعات في طريقها و يسرن معها على حسب نظامها . فوقفت إذ ذاك أفكر في هذه الجماعات وأقول لقد نقلت في هذا التفسير في ﴿ سورة النمل ﴾ أن أعظم جماعات النمل ماوصل عددها الى (٥٠٠) مليون نملة أما جماعات الانسان فان أعظمها لم تصل الى هذا العدد ، ولقد تقدم في هذا التفسير هناك أن للنمل حربا وأسرى وهذه الأسرى تخدم السادات وتطعمها وهذه السادات تصبح عالة على هؤلاء الأسرى وعليه يصبح السادة عاطلين ويحيق بهم النكال والوبال كما حاق بالانسان اذا كان من المترفين فتشابه في الانسان وفي النمل وسائل الهلاك وأبواب العطب وأدلة الخسران

فالم جماعات النمل نغيرها واستعمارها مهلك كما يكون ذلك أيضا مفسدة للانسان كما دل عليه حال آبائنا العرب إذ تنعموا فهلكوا وهكذا دولة الرومان ، هنالك نظرت نظرة في حال هذا الانسان وقلت قولا حقا

يابني آدم . إن الأرض صنع الله والله متقن الصنع ، أعطى كل شئ خلقه ثم هداه ، ليس في قدرة النمل مدنية أعظم من هذه ، إن مدنية النمل محدودة ، ليس في نمل الشرق قدرة على معرفة نمل الغرب والانتفاع بأعماله بل جماعات النمل المختلفات في بلدة واحدة لاقدرة لها على منفعة الجماعات الأخرى وليس بين الجماعتين صلة ولامخاطبة لأنها ليس في فطرتها ماهو فوق ذلك . أما هذا الانسان فيظهر لي انه الى الآن طفل صغير هو جهول ، انه أعطي عقلا ولكنه الى الآن لايزال في حال التجربة ، أليس من العار انه لايزيد في مدنيته عن مدنية النمل فهو ذو حرب وأسرى وظلم ثم ترف ثم هلاك ، إني أشهد الله وأشهد الناس جميعا وأبرأ من هذه الانسانية الجاهلة الظالمة . الانسانية الفاسقة الغشومة الغرة الجاهلة . وأقول ليس من المعقول أن تفنى هذه الأرض قبل أن يرتقي هذا الانسان و يصل الى منتهى درجات الادراك ولا يكون ذلك إلا اذا أصبحت كل الأمم يساعد بعضها بعضا شرقا وغربا لأن هذا هو الفارق بينها و بين النمل وأمثالها . ليس عند النمل طرق

حديدية ولا بريد ولاطيارات ولامدارس ولاعلوم ومع ذلك نرى لها مدنية لم يرتفع عنها هذا الانسان . إن هذا الانسان لايزال فى حال الطفولية وجدير بالكتاب والحكماء أن يهدوه الى فطرته

هذا مافهمته يوم شم النسيم . ولما وصلت الى المزرعة وجلست تحت الاثلات بين المزارع والحقول تذكرت انى منذ أسابيع كنت قد أتيت الى هذه المزارع وقد مررت بمزرعة نخيل فى الطريق ضحى

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الضحى فى الروضة الفيحاء

فأرى الزهور عوانسا ووجوههن أوانسا فى الحلة الخضراء

وغصونهن موانسا متعانقا * ت فى صفا ووفاء *

فحرك منى هذا المنظر ما سكن وأخذت أفكر فى أمر الرياح ومصدرها وانها آتية بسبب حرارة الشمس التى سلطها الله على الهواء والأرض فجرت الرياح عند خط الاستواء شمالا وجنوبا الى (٣٠) درجة فى الجانبين وهناك تفرعت كل ريح منهما الى ﴿ فرعين ﴾ فرع رجع الى جهة خط الاستواء وهى الرياح التجارية وفرع اتجه الى الجهة القطبية وهى الرياح العكسية أو الضدية . وهناك رياح أخرى تسمى القطبية تهب من جهة القطبين كما أن هناك رياحا تهب من البر الى البحر ليلا ومن البحر الى البر نهارا وهناك أخرى تهب من البحر الى البر صيفا وبالعكس شتاء وهى الرياح الموسمية . فأصل هذا الاختلاف فى الرياح جنوبا وشمالا وشرقا وغربا أمر واحد هو الحرارة فبالحرارة واختلاف طباع الماء والهواء اختلف اتجاه الرياح فكان السحاب والمطر والزرع والشجر وغنت الأطيار وبهرت الأزهار فى سائر الأقطار

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

* * *

علم الله أن الناس فى هذه الأرض لايحفظون الفطر التى خلقوا عليها لأن طبيعة هذه الأرض والبيئات والأحوال العامة تقتضى أن يغيروا تلك الفطرة . وماهى الفطرة . هى أن يكون الناس مسلمين ولا معنى للاسلام إلا الانقياد لله ولأوامر الله والله أرسل رسلا كموسى وعيسى ومحمد وأتباع الأنبياء يعلمون أن كل نبى جاء لمنفعة الناس ولم شعثهم فأبت نفوسهم المنحرفة أن تتبع الفطر فقال قوم لانؤمن بمحمد ولا بعيسى الخ وقال قوم لا نؤمن بمحمد ولكن نؤمن بعيسى وموسى الخ والذين آمنوا بمحمد ﷺ قالت طائفة منهم نحن نكره الطائفة الأخرى لأنها تخالفنا فى بعض فروع الشريعة وهؤلاء وهؤلاء مثلهم فى الدين كمثلهم فى أحوالهم العادية إذ ينعم الله عليهم ثم يصيبهم الضر فيكونون اليأس أو يكونون فى شدة فينالون الرحمة فيبطروا وهذا معناه عدم الثبات فخيرلهم أن يكونوا مع الله فى الشدة واللين والعسر واليسر فان كان خيرا حمدوه أو شرا التجؤا اليه ودعوه هكذا فى الدين فان اليهود آمنوا بعيسى وكفروا بمن بعده إذ لم يوافق أهواءهم والنصارى آمنوا بموسى وكفروا بمحمد لأنه لم يكن على هوى من يعاشرونهم وهكذا أهل كل مذهب من أهل البدع الاسلامية . إن أهل الأرض يتبعون أهواءهم وأخلاقهم وما اعتادوه لا الحقائق ، كيف لا ونحن نرى أبناء كل أمة يتبعون آباءهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة إن خيرا فخير وان شرا فشر والاسلام لله والخضوع له أن يحمد كل من نفع الأمم قديما وحديثا وألا تجعل الفروق القليلة سببا فى الافتراق والا فكيف افترقت طوائف المسلمين أحزابا وأحزابا وكيف كفر أهل الكتاب بمحمد ﷺ إن ذلك دلالة على عدم الانقياد لله والطاعة له والا فان الناس يقرؤون علوم العلماء وأشعار الشعراء وحكم الحكماء فى مختلف الأمم فكيف جعلوا الديانات مفرقة للناس وأصحاب الديانات يحبون الناس كلهم ونصائحهم تنفع الناس قاطبة غالبا بل كيف افترق أتباع الدين الاسلامى فرقا ، أليس ذلك لجهلهم انهم قد اتحدوا فى القرآن وفى الصلاة وغيرهما وفى أكثر الفروع وانما يختلفون فى أمور جزئية فكيف يفترقون بها إن ذلك كله للجهل الذى طمس على القلوب ومخالفة الفطرة لأن الفطرة تقتضى النظر الصحيح ، فأهل الأرض

اذا اختلفوا فى الدين فانما ذلك الاختلاف ناجم من تقلبهم واتباعهم اهواءهم وعدم نظرهم الصحيح فعليهم أن يسلموا لله و ينقادوا له ويكونوا كالمسلمين فهم يؤمنون بكل نبىّ ، هكذا فلتفعل سائر الأمم ، هذا هو دين الفطرة . وليعلم أرباب المذاهب فى الاسلام أن اختلافهم لايوجب التفرقة بل هم أمة واحدة . ومادام النوع الانسانى هكذا فانه كفور بنعم ربه غير شكور يتبع الأهواء . وسيكون له عواقب فى عالم البرزخ والعوالم المتتابعة وهناك يتدرّج فى معرفة الحقائق و يعذب الجاحدون وينعم الصالحون

ولاسبيل لسلامة الأمّة الاسلامية إلاأن تعمم التعليم وتدرس جمال هذه العجائب الأرضية والسماوية ليرسخ فى الأذهان جمال الطبيعة والعجائب الالهية فتشرق النفوس وتقترب العقول كما قدّمناه فى هذا التفسير انتهى الكلام على اللطيفة الرابعة والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى فى قوله تعالى ـ ظهر الفساد فى البرّ والبحر ـ الخ)

جاء فى بعض المجلات العلمية مانصه

﴿ نكبة العالم من الأسنان الدقيقة ﴾

ترى الفأر فتزدريه بل قد تراه غير جدير باحتقارك . ولكن هذا المخلوق الضئيل تعدّه أقوى دول العالم أروع عدوّ للجنس البشرى وتشن عليه الحرب العوان فى كل مكان لما ينشأ عنه من الأضرار العظيمة فهذا « السير وليام بول » يقدرماتحدثه الفيران من الخسائر فى انكلترا بمبلغ ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه ولذلك أصدر البرلمان الانكليزى قرارات شديدة فى هذا الشأن . واذا بلغت الحكومة عن أى شخص بأنه يوجد فى ملكه فيران أرسلت له مندوبا يكلفه باستئصالها فاذا لم ينفذ ذلك أرسلت أشخاصا يقومون باعدامها وتتخذ ضده الاجراآت القانونية الزاجرة . وقد وضعت الحكومات الأمريكية جوائز لمن يصطادون الفيران و بلغ ما قتلته فتاة فى ولاية «نكساس» فى ستة أسابيع ٧٫٣٩٨ فأرا وقد أربى على ذلك مااصطاده غلام على مقربة من هذه الولاية حيث قتل فى نفس المدة ١٥٫٥٥٠ فأرا . ويقدرمايتلفه الفأر فى السنة بنحو ١٠ شلنات على الأقل واذا تناسل فأران لمدّة ثلاث سنوات نشأ عنهما ١٨ جيلا و يبلغ عدد أفرادها ٣٥٩٫٨٠٩٫٤٨٢ فأرا . واذا كانت نكبة العالم من الفيران فى غاية الفداحة من الوجهة الاقتصادية فان ماتلحقه بالجنس البشرى من الوجهة الصحية يعدّ من أكبر الكوارث لأن الفيران تعيش فى أقذر الأماكن فتخرج من جحورها الملوثة الى حيث توجد الأغذية فتترك جراثيمها فى مواد الغذاء وتنشرها فى غرف الدور ، ويقرّر الطب أن الجراثيم التى تحملها الفيران فى فرائها أفظع أنواع الميكروبات فان منها جراثيم الطاعون وغيره من محدثات الأمراض وتعدّ ضحايا الجنس البشرى من جراثيم الفيران أكثر عددا من ضحايا الحروب التى ذكرها التاريخ ، فان الطواعين والأوبئة التى كانت تخلى أوروبا من سكانها فى القرون الماضية لم تنشأ إلا من الفيران التى كانت تنقل العدوى ، وقدّر ضحايا أحد هذه الطواعين فى يوم واحد (١٠٫٠٠٠) نسمة فى مدينة القسطنطينية فى سنة (٤٠٥) بعد الميلاد ، وكم من مرة حصدت الطواعين أهالى ايطاليا ، ولقد طاف الطاعون أرجاء أوروبا فى القرن الرابع عشر وحصد أهلها حصدا وسمى بالموت الأسود وبلغت ضحاياه (٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠) نسمة وكان من ضحاياه فى الهند وحدها فى سنة ١٨٩٦ نحو (٩٫٠٠٠٫٠٠٠) نسمة

ويذهب بعض العلماء الى أن ما يحدثه الفأر من النكبات يرجح على مايقع من الاسود والنمور والذئاب الى آخر مايوجد فى العالم من وحش

ويرى ساسة الدول وعلماؤها أن مشكلة استئصال الفيران من البلاد يجب أن يعنى بها مهندسو المدن فانهم اذا كانوا قد عالجوا البيوت الحديثة بأن بنوا سقوفها بطراز مخصوص لايسمح بعيشة الفأر يجب أن يصنعوا

علاجا

علاجا آخر لأرض المدن بحيث لايمكن أن تتخذ فيها الفيران جحورا لها ، وليس واجب الطبيب فى هذا الشأن بأقل من واجب المهندس فقد ظهر أن المدن التى يعنى فيها بالامور الصحية توجد فيها كميات قليلة من الفيران بخلاف القرى والمدن التى تهمل فيها الشؤن الصحية ، ولذلك فاننا نوجه أنظار كل صاحب أسرة الى استئصال مافى داره من هذا الحيوان المريع لأنه لايختلف فى الحقيقة عن اللص القاتل بيد أنه يقوم بهذين الوظيفتين فى وقت واحد

﴿ بسبب الفأر أيضا ﴾

يقرّر معهد طبي فى انكلترا أن زوجا من الفيران يتناسل فى السنة الواحـدة هو وأولاده وأولاد أولاده الى أن يصيروا فى نهاية العام (١٠٫٠٠٠) فأر ، وتبلغ قيمة ما يتلفه ألف فأر فى السنة (١٫٥٠٠) جنيه وتقدّر خسائر انكلترا من الفيران التى فيها (٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠) جنيه كل سنة انتهى ماجاء فى تلك الصحيفة

ولما كان الفساد فى البرّ والبحر ليس مقتصرا على ماجاء هنا بل يتعدّاه الى أمور كثيرة وجب أن أذكر لك ما جاء فى كتاب ﴿ قانون الصحة المنزلية ﴾ ثم أتبعه بجمال العلم والحكمة والابداع والعجب العجاب

﴿ الأمراض المعدية ﴾

تنتقل هـذه الأمراض بالماء والغذاء والهواء والتلقيح ، فمن الأمراض التى تنتقل عادة بواسطة الماء والأغذية الدوسنتاريا والاسهال والكوليرا والحمى التيفودية وغيرها وأحيانا تنتقل باللبن كالقرمزية والدفتريا ومن الأمراض التى تنتقل بواسطة الهواء أو الملامسة الحمى التيفوسية والتهاب الرئة وجدرى الدجاج والحصبة والانفلونزا والسعال الديكى والدفتيريا والجدرى وغير ذلك ، وهناك بعض أمراض تنتقل بواسطة الناموس أو البق والبراغيث كحمى الملاريا والحمى الراجعة ، و ينتقل الطاعون بواسطة البراغيث من الجرذان . ومن الأمراض التى تنتقل بالتلقيح الحمرة وحمى النفاس وتسمم الدم وجدرى البقر وداء الكلب والتيتنوس والدرن والجذام وغيرها ، وتقى الاصابة الأولى ببعض الأمراض المعدية من إصابة أخرى بها إما لأجل مسمى أو غير مسمى وذلك لوجود مضادّات للميكروبات المسببة للمرض فى الدم ونشأت من الاصابة السابقة وهذا مايسمونه بالوقاية الطابيعية وعلى نسقها استنبطت الوقاية الصناعية بالتلقيح كما يفعل فى طريقة الوقاية من الجدرى بتطعيم المادّة الجدرية نفسها المحتوية على ميكروباته فتولد فى الجسم مضادّات تقيه شر الجدرى لوأصابه

﴿ الأمراض المعدية الخطرة ﴾

هذه الأمراض هى (الجدرى . والقرمزية . والدفتريا . والحمى التيفوسية . والحمى التيفودية . وحمى النفاس والحصبة . والسعال الديكى . والجديرى . والنكاف . والأرماد المعدية . والسل . والكوليرا)

﴿ الجدرى ﴾

هو أشدّ الأمراض عدوى وميكروباته توجد فى قشور بثراته و ينتقل بالملامسة والثياب والفراش وأدواته والهواء وذلك على الخصوص مدة التقاص أو التقشر ، ويسبق الاصابة عادة حمى شديدة مدّتها من يومين الى ثلاثة وقىء وآلام شديدة فى الظهر وفى الغالب تظهر البثور فى اليوم الرابع ابتداء على الوجه والجبهة ثم على الأجزاء الأخرى من الجسم ثم تجف وتتقلص ثم تبتدئ فى السقوط وذلك من اليوم الرابع عشر من ابتداء الاصابة أو شهر من ابتداء العدوى وجميع مدة الاصابة تكون الحرارة مرتفعة وقد يظهر هذا المرض عند الملقحين أيضا ولكن بحالة خفيفة جدا

﴿ القرمزية ﴾

مرض معد جدا وتنتشر العـدوى على الأخص بالقشور التى تتساقط من الجلد على الملابس أو غيرها من الأشياء التى تمسها . ويظهر المرض بعد العدوى بيومين أو ثلاثة عادة وعلاماته البرودة والحمى وقىء أحيانا وطفح

أحمر وآلام فى الحلق وقد تخف الحمى والطفح فى الثلاثة أو الأربعة الأيام التالية وفى الأحوال الخفيفة يظهر المريض كأنه شفى تماما ولكن يلزم الاحتراس وبالأخص من البرد خوفا من اصابته بمرض فى الكلى ويبتدئ تقلص أو تقشر البثرات من اليوم العاشر الى اليوم الرابع عشر وربما تأخر للاسبوع الثالث أو أكثر ، ويستمر هذا التقشر من أسبوع الى ثلاثة أو أربعة ويلزم الاحتراس من العدوى فى دور التقشر

﴿ الدفتيريا ﴾

هذا المرض يعدى بافرازات الفم أو الأغشية التى تتكوّن فى الحلق والأنف ، ووسائط العدوى هى التقبيل وأوانى الشرب والثياب وأدوات الفرش ، والسعال يكون سببا فى العدوى بانقذاف بعض المفرزات والأغشية المعدية فى غرفة المريض ثم جفافها على الأثاث والأرض وحينئذ تنتشر فى الهواء بالكنس وبذلك تكون سببا للعدوى مدة طويلة من الزمن ، ولذا يجب تطهير غرفة المريض وأثاثها ، ومن المهم جدا أن تجمع كل المفرزات لإعدامها أوّلا فأوّلا ، وتحرق أيضا الأقمشة التى كانت تستعمل لمسح الفم والأنف مدة المرض . وتظاهر (الدفتيريا) بعد العدوى بغاية السرعة فقد تتكوّن الأغشية بعد مضى أربع وعشرين ساعة من الاصابة ، والذين يشكون من ألم فى الحلق معرّضون للاصابة أكثر من غيرهم ، وبعد الشفاء يصاب المريض أحيانا بمرض فى الكلى أو بشلل موضعى أو عمومى أو بغير ذلك . وأهم الوسائط لمعرفة المرض بحث المفرزات بالميكروسكوب (منظار معظم) للتحقق من وجود الميكروب الخاص

﴿ الحمى التيفوسية ﴾

مرض معد جدّا ، ويساعد على انتشاره ازدحام المساكن واهمال التهوية والنظافة ، ومدة هذا المرض أسبوعان عادة ويظهر فيه من اليوم الرابع على الجلد بقع حمراء مستديرة ، وفى نهاية الاسبوع الثانى ينحطّ المرض بسرعة وينتهى النقه فى آخر الاسبوع الثالث

﴿ الحمى التيفودية ﴾

يعدى هذا المرض ببراز وبول المصاب ، ولذلك يلزم أن يضاف الى هذه المفرزات مطهر قوىّ كحامض الفينيك أو محلول السليمانى لاعدام ميكروبها قبل إلقائها ، وينقل العدوى الماء واللبن اذا اختلط بهما شئ من المفرزات السالفة الذكر ولذلك يجب تطهير ملاآت الفرش أوّلا فأوّلا بالقائها فى محلول مطهر ثم إغلائها ومدة هذا المرض عادة ثلاثة أسابيع ، ومن الصعب معرفته فى دور التفريخ وهو من الأمراض الخطرة بالنسبة لارتفاع الحرارة وبالنسبة لما يحصل أحيانا من انثقاب الامعاء من تقرحها ولذلك يجب ألا تعطى أغذية صلبة ويجب ألا يتحرّك المريض الى أن يدخل فى دور النقه التى يمكن أن يكون من (٥) الى (١٠) أسابيع

﴿ حمى النفاس ﴾

هى مرض خطر تصاب به النساء بعد الوضع ويتجنب حصوله بالاعتناء بالنظافة الشخصية التامة وتعقيم جميع مايستعمل للولادة ، وينشأ هذا المرض من تسمم الدم بميكروبات خصوصية

﴿ الحصبة ﴾

الحصبة مرض من أمراض الطفولية وأكثر حصولها من السنة الثانية الى الخامسة وتظهر بعد العدوى بأربعة عشر يوما فيحصل ألم فى الرأس وحمى ثم تظهر فى اليوم الرابع من الاصابة بقع حمراء على الوجه والجسم وتزول فى اليوم السابع أو الثامن بالتدريج وينتهى المرض بسقوط قشور نخالية من الجلد وربما استمرّ ذلك الى الأسبوع الثانى أو الثالث وهى تعدى قبل ظهور الطفح وتستمر العدوى على الأقل الى نهاية الأسبوع الثالث

﴿ السعال الديكى ﴾

هو مرض شديد العدوى ودور تفريخه من عشرة الى أربعة عشر يوما ويمتاز بشهيق شديد يشبه فى بعض

الأحيان صوت الديك وهومعد بواسطة النفس وضرره كالحصبة فى مضاعفات الرئتين ومدّة المرض من ثلاثة الى ستة أسابيع غالبا فى الأحوال العادية

﴿ الجديرى﴾

لايعتبر من الأمراض الخطرة ولكنه من الأمراض الشديدة العدوى وعدواه تحصل بواسطة الملابس وغيرها ومدة المرض ثلاث أسابيع على الأقل

﴿ النكاف ﴾

مرض معد غير خطر علاماته ورم فى مقابلة زاوية الفك السفلى فى الغدة النكفية ومدّته من ثلاث الى أربع أسابيع

﴿ الأرماد المعدية ﴾

تنتشر عدوى الرمد الصديدى والرمد الغشائى (الدفتريا) والرمد الحبيبى بأصولها المعدية التى فى إفرازاتها اذا تلوّثت بها الأصابع والمناديل أو أوراق التجفيف أوالمناشف أوالمخدّات وغير ذلك فيجب الاحتراس من ذلك فى المدارس

﴿ السل ﴾

السل وعلى الأخص السل الرئوى يعدى وينتشر بواسطة البصاق ولذلك يلزم الاحتراس من بصاق المسلولين فمتى جف يكون معديا بمروره فى المسالك الهوائية ، ولاجتناب العدوى يلزم المريض أن يبصق فى إناء خاص محتوعلى محلول مطهرقوى ، واذا بصق المسلول فى منديل يجب إغلاؤه فى الماء أواحراقه ، ولايجوز نوم السليم مع مسلول أبدا

﴿ الكولرا ﴾

تحصل العدوى فى هذا المرض من انتقال ميكروباته التى فى براز وقىء المصابين فلايجوز لمس المواد المذكورة وكذلك ماتلوّث منها ، وعلاماتها الاسهال والقىء والمغص وتشنج العضلات مع برودة وزرقة فى الوجه واليدين والقدمين ، ويلزم عند ظهور الوباء اتخاذ الاحتياطات الشخصية الآتية

(١) إغلاء ماء الشرب ومنع استعمال المياه المثلوجة

(٢) تجنب أكل الخضر والفواكه غير المطبوخة

(٣) غمر الخضر والأثمار واللحوم فى ماء مغلى مدة نصف دقيقة وقت إحضارها من الخارج ثم طبخها بأسرع مايمكن وأن يوضع الخبز فى الفرن ثلاث دقائق

(٤) إغلاء اللبن جيدا

(٥) غسل أوانى الطعام فى ماء مغلى وتنشيفها جيدا بقماش جاف نظيف ، وكذلك تغمر أدوات المائدة من ملاعق وشوك وسكاكين وغير ذلك فى الماء المغلى قبل استعمالها مباشرة

(٦) تغطى جميع الأطعمة لمنع تلوّثها وبالأخص من الذباب

(٧) تغسل الأيدى جيدا وتنشف بكل اعتناء قبل الأكل

(٨) يجتنب أكل الأطعمة العسرة الهضم

(٩) تطهر مراحيض المنزل كل يوم مرة مع الاعتناء بتطهير مقاعدها

(١٠) يجب تهوية المنزل جيدا كل يوم والاعتناء بنظافته

(١١) غسل الأيدى جيدا عقب الخروج من المرحاض حالا وتطهيرها اهـ

ولما اطلع على هذا أحد الأصحاب من أهل العلم . قال هذا حسن ولكن التفسير بهذا انقلب الى علوم

والعلوم لها كتب خاصة ، فاما انك تعمد الى مقالات عامة فى أمثال هذا المقام وتذكر مايقوله الأطباء وان كان منتقى مصطفى فانه ليس مما يلائم التفسير فقلت له حياك الله أيها الأخ ، أنا أكتب فى التفسير زهرات من العلوم وثمرات من الحكم وهـذه الزهرات والثمرات هى المناسبات لتفسير القرآن بل لايتضح المعنى إلا بها ، إن لله ﴿كتابين﴾ كتابا كتبه بيده ، وكتابا أملاه علينا بالوحى والكتاب الذى أملاه علينا بالوحى تتلقاه بأسماعنا والكتاب الذى كتبه بيده نراه بأبصارنا ومن عجب أن الذى كتبه بيده مجسم ظاهر واضح ومع ذلك الوضوح أصبح عندنا فى غاية الخفاء ، فالذى كشفته أبصارنا مجسما هو الشديد الخفاء والذى سمعته آذاننا تتلقاه ونفهمه ولكن هذا الفهم فهم ضئيل ، نسمع الله يقول إن الفساد ملأ البرّ والبحر وما السبب ؟ فيقول ـ بما كسبت أيدى الناس ـ فالمسلم العادى الجاهل بل كثير من صغار العلماء اذا سمعوها يفهمون المعنى اللغوى والمعنى اللغوى يكفى فيه القاموس ويكفى الرجل البدوى الذى يعرف اللغة العربية فى جزيرة العرب ولكن أين الحقائق . إن حقائق أمثال هذه الآية فى الكتاب الموحى به الذى فهمناه فهما ضئيلا لن نعرفها ولن نعقلها إلا بدراسة الكتاب الذى كتبه بيده وهى هذه الأجسام والصور والأشكال والألوان والأحوال . إذن فلندرس هذا الكتاب الذى كتبه الله بيده فنقول . الله أكبر جلّ الله وجلّ العلم . هانحن أولاء يا الله نظرنا فى تلك المشاهد ففرحنا بعملك وسعدنا بالنظر الى حكمتك . وجدناك يا الله بنيت هذه الطبيعة على صراط مستقيم لاعوج فيه ولاخلل . أنت أيها الذكى قارئ هذا التفسير قد قرأت قريبا الأشكال الهندسية التى يستعملها علماء الطبيعة فماذا وجدت ؟ أقول انك وجدت فيها صراطا مستقيما . إذن الذى يصنعه الله يكون على صراط مستقيم . ألم تر أن مساحة محيط الدائرة ومساحة سطح الكرة ومساحة الكرة . كل هذه قد رجعت الى أمر واحد وهو نصف القطر فتى مسحناه فقد مسحنا مابعده ، فلوانك أيها الذكى عمدت الى قطعة أرض ورسمت فيها دائرة ثم عمدت الى المحيط ووصلت بين نقطتين منه بخط فهذا الخط هو القطر ونفرضه (٦) أمتار وهذا القطر نصفان كل نصف يصل الى مركز تلك الدائرة ذلك المركز الذى يكون على بعد واحد من ذلك المحيط وهذا القطر وجدنا أن المحيط قدره ثلاث مرات وسبعا ، و بناء عليه قلنا ان طول هذا المحيط يساوى نصف هذا القطر مرّتين مضروبا فى ثلاثة وسبع وهو الذى عبرنا عنه بحرف (ط) فيما تقدّم ، فاذا أردنا مساحة سطح الدائرة فاننا نربع نصف هـذا القطر فيكون (٩) ونضربه فى (٣) وسبع فاذا أردنا مساحة سطح الكرة ضربنا هذا المربع فى (٤) فيكون (٣٦) ثم نضرب هذا كله فى ثلاث وسبع ، فاذا أردنا مساحة حجم الكرة كعبنا (٣) ومعنى هذا اننا نضرب (٩) فى (٣) فيكون (٢٧) وهـذا العدد يسمى مكعب عدد (٣) ثم نضربه فى (٣) وسبع فيكون (٨٤) وستة أسباع ونضرب هـذا كله فى (٤ على ٣) أى فى واحد وثلث فيكون ذلك مساحة حجم تلك الكرة

فتبين من هذا كله أن نصف القطر هو الذى يمسح فى الأحوال الأربعة والنسبة باقية وهى ثلاث وسبع وانما اختلف الأمر فى التربيع والتكعيب ، فنرى نصف القطر يمسح بلاتربيع فى مساحة ذلك الخط المنحنى ويربع فى مساحة الدائرة وسطح الكرة ويكعب فى مساحة حجم الكرة

تباركت يا ألله هـذا هو صراطك المستقيم ، أنت خلقت المادّة ، وماهى المادّة ؟ ماهى إلا حركات فى شئ يار بنا سميناه (الأثير) وما الأثير الذى تخيلناه إلا أمر نشبهه بخيالنا ، وهـذه الحركات صارت ضوأ وكهرباء والكهرباء بقسميها من الموجبة والسالبة تنوّعت فصارت عناصر ، وياللعجب هذه العناصر التى زادت على ثمانين مشروحة فى ﴿سورة العنكبوت﴾ صلحت لأن تكون موادغازية كالهواء وكالهيدروجين وكالاكسوجين وغيرها ، فهذه كلها لا أشكال لها بل هى ذرات متجاورة سميناها غازا وهكذا السوائل بجميع أنواعها من ماء وزيت وعسل وهكذا . ولاجرم أن أكثر الموادّ الجامدة الآن يمكن جعلها سائلة وجعلها غازية بأعمال خاصة إذن المادّة قابلة لتنوّعات لاحصر لها . فأنواع الغاز خفة وثقلا كثيرة وأنواع السوائل كثيرة . هكذا أشكال

المواد الجامدة فهى لاحصر لها . فأنت يا ألله لما خلقت هـذه المادة وعلمت أن أشكالها التى لانهاية لها فى نظرنا ليس منها ماهو أقرب الى منفعتنا من الأشكال المنتظمة كالخط المذكور والدائرة وسطح الكرة وحجم الكرة أفضت على عقولنا معرفتها وألهمتنا استعمالها فى جميع مرافق الحياة ، وجعلت مساحتها كلها من واد واحد فتعجبنا كيف يكون نصف القطر فى هذه الأحوال الأربعة كافيا فى المساحة وكيف يشترك الخط والسطح والجسم وفى مساحة نصف القطر غاية الأمر انه يكون لاتربيع فيه فى مساحة الخط ويربع فى السطح ويكعب فى الجسم . الله أكبر . هذا هو الصراط المستقيم . صراطك الذى أبدعته فى المادة . وهذا سرٌّ مصون . نعم هو مصون عن أكثر هذا النوع الانسانى . إن المهندس وعالم (الميكانيكا) أى فن الحيل وعالم الطبيعة كل هؤلاء يعرفون هـذه المساحات وغيرها ولكنهم ينظرون اليها نظر العامة الى الأوانى التى ينتفعون بها فلاسرّ فيها ولاحكمة ولكنها أمور طبيعية ، فلايقولون إن هـذه الأشكال مصطفاة مما لايتناهى من أشكال الطبيعة التى هى غير منظمة واستخلصت منها وأخرجت لنا وعلى منوالها رسمنا وصوّرنا ، ولايعجب أكثر هـذا النوع الانسانى من أن نصف القطر قد كان سببا فى معرفة الخط والسطح والجسم مع ان هذه أمور مختلفة فى طبيعتها

فياسبحان الله . إن المناسبة بين السطوح والأحجام والخطوط واتحادها فى تقديرها بمساحة نصف القطر كالمناسبة بين النبات والحيوان والانسان . هذه كلها اشتركت فى التغـذية والتناسل والنموّ والحسّ والحركة . ولكن الحس والحركة فى الحيوان أرقى والغضب يظهر فى الحيوان والعقل يكون أظهر وأكمل فى الانسان . فما هذا الاشتراك والتكامل فى هذه المواهب إلا كالاشتراك بين الخط والسطح والجسم فى مساحة نصف القطر ويزداد مضاعفة فى السطح ثم فى الجسم كما ازداد الحس فى الحيوان عن الانسان وازداد الانسان عقلا ، فعقل الانسان أرقى من غريزة الحيوان وغريزة الحيوان أرقى من إحساس النبات (المشروح فى هذا التفسير سابقا) فاحساس النبات بسيط واحساس الحيوان كأنه مربع له وعقل الانسان كأنه مكعب . فصراط الله واحد فى الطبيعة الجمادية وفى الطبيعة الحية . فالتربيع فى السطوح نظير الغريزة فى الحيوان والتكعيب فى الأحجام نظير العقل فى الانسان . هذا خلق الله وصراطه . إذن صراط الله واحد

﴿ الناس خلفاء الله فى الأرض ﴾

ولما كان الناس خلفاءه فى الأرض كان عليهم أن يهتدوا بهديه و يسيروا على منواله فى أحكامه . فهاك مافعله الانسان وماعاقبه الله به فى الحياة الدنيا . انظر ماذا جرى ؟ خلقه فى الأرض وقال لهم ــ ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون ــ . نظر الله عمل الانسان فيها ، فماذا فعل هذا الانسان ؟ أخذ يستخرج المنافع من الأرض وارتقى فى الأسباب فظهر أقوام فى الشرق وفى الغرب وكان منهم بدو وحضر وكلما اجتمعت أمة وكان لها دولة عظيمة نسوا المبادئ الأولى وظنوا أن المدار فى الحياة على التمتع بلاعمل وأخـذ الملوك والأمراء والعظماء يستكثرون من السلاح والكراع و يستعمرون الأمم ، ومانتيجة ذلك إلا أن يخرج خلق جديد لاهمّ له إلا الشهوات وحشد المال وهناك تكون اللذات مقصدهم ، فلايزالون يتنزلون حتى يرسل لهم من يزيل ملكهم ، والذى يزيل ملك هؤلاء أقوام آخرون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ﴿ مثال ذلك ﴾ دولة الرومان فقد أهلكتها البطنة والجشع ولم يهلكها إلا أمم بربرية وحشية ودولة الاسلام فانها لما استفحلت وعظمت وأمنت ونامت أرسل الله لها أمة وحشية وهم (التتار) فأزالوا ملكهم ، وهكذا أهل الأندلس أزال الله ملكهم بقوم أقرب الى الوحشية منهم وهؤلاء فى سكرهم وخمرهم وغزلهم يعمهون

فبينما ترى هذا الانسان فى بداوته مجدا فى عمله قانعا بقوته معتدا بنفسه شهما كريما اذ هو نفسه قد انقض على أهل الترف والنعيم الذين أصبحوا لايصلحون للحياة فاستحوذ على ماعندهم ثم انغمس هو فى النعيم . وقد أعدّ الله له قوما آخرين متوحشين فانقضوا عليه فسلبوه ملكه . إن الأمم العربية كانت فى بداوتها همجية

فلما أسلمت استحوذت على ملك الرومان والفرس الذين انغمسوا فى الشهوات . ولما صار هؤلاء منغمسين فيها كسابقيهم سلط الله عليهم من هم متوحشون . إذن الأمم البربرية فى أوروبا أزالوا دولة الرومان وعرب الحجاز واليمن تمموا مافعله برابرة أوروبا فأزالوا دولة الرومان من الشرق مع دولة الفرس . وهؤلاء العرب لما أصبحوا كالفرس وكالروم السابقين اجتاحهم التتار المتوحشون فى الشرق والاسبانيون فى الغرب . وهاهى ذه أوروبا اليوم أصبحت منغمسة فى الترف والنعيم وقد جاء يوم حسابها وهاهى ذه مستعدة لذلك القانون . وترى أهل الشرق جميعا قاموا يتملصون من عذابها ويخرجون من حكمها دولة دولة لأن أهل الشرق الأدنى اليوم يريدون أن يأخذوا دورهم

هذا هو تاريخ هذا الانسان عامة والمسلمين خاصة ومنهم دولة بنى عثمان فى بلاد الترك ، فهذه لما أخذت الدول الاسلامية (التى جاءت بعد الأمم العربية تضمحل كالسلجوقية وبعض الدول الفارسية) تنحل بسبب التخمة والترف دخل هؤلاء فى الاسلام وهم على فطرتهم الوحشية فى الجبال ووضعوا يدهم على الأمم الاسلامية وأذلوا الأمم العربية وحاربوا العجم ولم تقم لهذه الأمم قائمة والتعليم اضمحل وبقى الناس قرونا على ذلك وانتهى الأمر بأن الملوك الذين سموا أنفسهم خلفاء صاروا مترفين منغمسين فى الشهوات فظلموا أمتهم وظلموا الأمم الاسلامية جمعاء ، فانقضت أوروبا على المسلمين فى الحرب الكبرى وزالت الخلافة عقبها

وانى لأعجب كل العجب أن يكون هذا كله مصداق حديث رواه البخارى فى باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب من كتاب الجهاد والسير وفى باب مايحذر من زهرة الدنيا من كتاب الرقاق وفى كتاب « رياض الصالحين » للامام النووى وقد عزاه الى البخارى ومسلم فى صحيحيهما وهذا نصه

« عن عمرو بن عوف الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الى البحرين يأتى بجزيتها فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرّضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ من البحرين فقالوا أجل يارسول الله فقال أبشروا وأملوا مايسركم فوالله ماالفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » اهـ

أقول : فهل يعرف هذا الحديث إلا من درس التاريخ على النحو الذى نسير به فى هذا التفسير . أوليس هذا الحديث قد جمع كل تاريخ الأمم . ما تاريخ أمم الأرض ؟ هو تاريخ واحد . استقلال فى البادية ، وشظف عيش ، ثم ميل الى الحضارة والترف ، ثم ذل وهكذا دواليك . إن هذا هو تاريخ الأمم وهذا الحديث قد جمعه كله . إذن ماذا فعله هذا الانسان ؟ خلقت له المواهب وأعطيت له الأرض وقيل له أنت خليفة لربك فى أرضه فنسى العهد وجهل المقصود من الحياة وجعل اللذات غاية ، فكل هذا الانسان يسعى لأن يكون كالزنابير يأكل عسل النحل أو كالبراغيث والقمل والبق لاتعيش إلا على أجسام الناس والحيوان . الانسان نسى عقله فهو لا يسعى إلا الى أن يكون مصاصا للدماء . لا فرق بين عباد الوثن وأتباع الأنبياء الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم . وقصارى الأمر وحاداه أن هذا الانسان يسعى جهلا أن يكون كالحشرات يعيش من كد غيره بل الحشرات أفضل من هذه الوجهة لأن البرغوث لايعيش على جسم البرغوث بل على جسم نوع آخر كالانسان ، أما الانسان فحق عليه قول الله ـ قتل الانسان ما أكفره ـ

أنا اليوم أكتب فى تفسير القرآن فكلامى يكون عاما للمسلمين وغير المسلمين لأن القرآن للناس قاطبة لا للمسلمين وحدهم فلى الحق إذن أن أقول قولا عامامنطبقا على الأمم كلها ، فأقول تبين من هذا كله أيها الناس انكم لم تقوموا بالخلافة حق القيام لأن خليفة الله الذى هو قائم بالقسط فى خلق الكرات والسطوح والخطوط

ومساحاتها المنظمة والذى فعل ذلك النظام نفسه فى المخلوقات النامية ونسقه واحد فى الجميع لاتغيير لسنته لايصلح لخلافته من يرجع الى أخلاق الحشرات فى حياته ويكون بعيدا عن الصراط المستقيم . أتدرون ماذا فعل الله بكم ؟ سلط عليكم الآفات فى الزراعة وفى حياتكم وأحوالكم جميعها فأمر أنواع البق والبراغيث والقمل أن ترعى أجسامكم والجراد والدود وأنواعا أخرى سلطت على زرعكم لأنى فعلت معكم ماهو أليق بكم وأنتم أهل له ، فأنتم تسعون لأن تأكلوا مال غيركم ، هـذا هو تاريخكم ، إذن أنتم حشرات كالجراد والقمل فسلطت عليكم هذه المزعجات ظاهرة وباطنة والباطنة هى أنواع الحيوانات الذرية (الميكروبات) التى تولد فيكم الطاعون والحمى التيفوسية والجدرى والقرمزية والدفتيريا والحصبة والسعال الديكى والنكاف والكولرا الخ

هاأناذا سلطت عليكم هذه المهلكات وأمرت الرياح والماء والفيران وغيرها فنشرت ذلك بينكم . أفلا تفقهون من عملى هذا فيكم أنى أقول لكم بخطاب مفتوح « إن لم تتحدوا جميعا يا أهل الأرض على هذه المهلكات المتحدة عليكم فأنتم المقصرون الجاهلون ، وان اتحدتم جميعا فى الشرق والغرب وتركتم ما كمن فى فطركم سعدتم سعادة لم يحلم بها الأولون »

ألاترون أن هذه كلها سلطها عليكم لتفعل معكم مثل فعلكم ، ولو أنكم رجعتم عن هذه الأعمال لرفعت عنكم الضنك . ألاترون أن الحيات والثعابين السامّة لا أخلقها إلا فى المواضع القذرة ، فأما الأماكن التى ليست ملوّثة بالقاذورات ولاهى برك ولامستنقعات فانى أجعل حياتها لاسم فيها ولاأذى . فمن أين يأتى السم والأرض صالحة نقية ؟ فهكذا أنتم يابنى آدم لو أنكم وجهتم عقولكم لاصلاح النوع الانسانى كله فبدل أن يطرد الانجليز من يكون أسود اللون من أهل أمريكا من مطاعمهم وأماكن لهوهم ولعبهم احتقارا لهم ويترك النوع الانسانى المتعلم تعليم المتوحشين من السودانيين وغيرهم . يتحدون جميعا على ترقية أرضهم وجعلها جنة دنيوية فبدل هذا كله أخذ كل من وجد فى نفسه قوّة منكم يذل غيره ، لذلك انتقل الملك من أمة الى أمة ومن دولة الى دولة ولاسعادة لهذا الانسان إلا أن يكون كل رجل وكل امرأة فى الكرة الأرضية عاملا أى عمل كان وهنالك تظهر مخبآت هذه العقول ومخبآت هذه الأرض والهواء والماء ، فأما مادام الناس على هذا المنوال فان الماء والهواء (كما تقدّم) وجميع ماعلى الأرض تتعاون على إذلالكم ، فترون الهواء ينقل الأمراض ، ومثله الماء والذباب والبق والفيران والقمل وأنواع الطيور الداجنة . هذه كلها جعلتها عذابا لكم حتى ترجعوا فتتعاونوا جميعا على تطهير أرضكم من أدرانها وعقولكم من جهلها والا فلا كرامة لكم عندى وأقول لكم « لما جهلتم كتابى الذى كتبته بيدى ولم تفهموا لماذا خلقت الزلازل والحشرات المهلكات والوباء والطاعون وأنواع الأمراض والآفات العارضة» أنزلت عليكم كتابا مسموعا أوحيته الى رجل منكم فقلت فيه ــ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ــ فهاأناذا فتحت لكم الباب ووعدتكم بالسعادة العلمية والجسمية فى الدنيا اذا رجعتم ، فهاأناذا استخلفتكم فى الأرض لأنظر كيف تعملون فأحوالكم يا أهل الأرض اليوم وفيما مضى تنطبق على أحوال الحشرات تارة وعلى أحوال الطيور تارة أخرى ، ففى حال البداوة يكون لكم بعض الشبه بالطيور تأكل بسعيها وفى حال التنعم والحضارة تكونون كالوحوش وكالحشرات تعيشون من كسب غيركم وتتركون مواهبكم وأنا ماخلقت خلقا عبثا فأعمالى كلها الحكمة ــ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ☆ ماخلقناهما إلابالحق ــ والحق هنا أن تشغل كل أمة فيما استعدّت له وكل فرد فيما خلق له وتكون الأمم كلها متعاونة تعاون أعضاء الجسم الواحد ، وهذا هو العدل الذى رأيتموه فى مساحات الخطوط والسطوح والأحجام ، هنالك تعيش الأمم والأفراد ولاتقتلهم البطنة والبطر ويكون الناس كلهم أمة واحدة كل لكل مساعد وتزول الفوارق الكاذبة التى أزالها الاسلام فأذن بلال على الكعبة بمحضر من قريش يشير ﷺ بذلك الى زمان ارتقاء الأمم بعد زماننا إذ يخجل الأمريكيون والانجليز من احتقارهم للسود لمجرد

لونهم . إذن دين الاسلام جاء لترقية الانسانيـة وازالة الوحشية من نوع الانسان ، هنالك تمتـد آجال الأمم إذ التربية عامة ولا كسل ولاترف ولاتنم وانما هوالعلم والعمل وهنالك يكون لكل امرئ عمله ومن خالف قتل فلا أمة تكون عالة على أمة بل تشترك جميع الأفراد والأمم بقوانين صارمة حازمة وهنالك يكون السلام العام ولا أحد إذ ذاك يقبل الصدقة لأن كل فرد عامل وغنى بعمله وهذا مصداق الحديث الشريف الذى جاء فيه ما ملخصه أن الصـدقة يطاف بها على الناس فلايقبلها أحـد لأن المال يفيض فيضا ، واذن يكون الناس فى عملهـم خلفاء الله فى الأرض حقا على صراط مستقيم كصراطه فى مساحة السطح والخط والحجم بهيئة منتظمة لاتتغير وهنا لاتغـير لأحوال الناس من همجية الى حضارة بل يستمر النظام على وتيرة واحدة نظامية كنظام المقادير المساحية فيما ذكرناه . انتهى صباح يوم الاثنين (٢٨) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى ــ فاصبر إنّ وعد الله حق ــ الخ ﴾

اعلم أيها المطلع على هذا التفسير أن هذا الكلام لى ولك أيضا فانك تجد أناسا نقص علمهم الطبيعى والرياضى فظنوا أنهم عرفوا كل شئ فينكرون هذا القرآن و يقصون عليك بعض ماعرفوه فاياك أن تركن اليهم واحذر أن يستخفوك فان قرآننا طلب منا كل العلوم ، ومتى تحققت العلوم اجمالا وأحكمتها فأنت حكيم وهناك لايخاف عليك من الاستخفاف . إن المتعلم فى هذا الزمان عرضة لهذا الاستخفاف فان الذين يتبعون دين الاسلام غالبا جهلاء بهذا الوجود فى عصرنا ، فتى أدركوا شيأ من العلم ظنوا أنهم عرفوا ماجهله الأنبياء وفاتهم أن القرآن يطلب كل شئ ، فانصح لكل من تعرض له هذه الفكرة أن يقرأ هذا التفسير و يتأمله و يصبر عليه وحينئذ يستحيل أن يستخفه الذين لايوقنون . إن هذا التفسير به اليقين لشبان المسلمين الذين يعيشون بعدنا وهوالذى كنت أسعى له من مبدإ حياتى

واعلم أن فى هذا النوع الانسانى أناسا خلقوا مفكرين وفطروا على عشق الحكمة والعلم فهؤلاء تحدثهم أنفسهم فى اليقظة أوفى المنام بأن يكونوا نورا لأمتهم وانهم منصورون فهؤلاء يحتاجون للصبر حتى ينالوا ما يناسب عقولهم من النفع العام . واعلم أنه كما أن فى الشجر زهرا ينتج ثمرا هكذا فى شجرات الأمم أناس خصصوا بالفطرة لنفعها وهؤلاء تحت نظر الله وفى كنفه ومساعدتهم حتم لازم قضتها الحكمة الإلهية لأنهم أشبه بالملائكة و بالشمس والقمر . خلقوا لنفع الناس وهم لامحالة نائلون ماأملوا اذا صبروا على مايمتحنون فى هذا العالم وهذه السورة فيها هذا المعنى لأنه سبحانه وعد نبينا ﷺ أن الروم ستغلب الفرس ليكون ذلك من دلائل النبوّة وهو وعد من الله كما يعدك و يعد المستعدّين لنفع الأمم فقال فى آخر السورة ــ فاصبر إن وعد الله حق ــ سواء أكان لك أولغيرك ممن فطروا على نفع الأمم العام . واذا كان وعد الله حقا فالصبر لابد منه حتى يأتى حينه فاحذر أن يستخفك الذين لايقين عندهم . ولما كان اليقين لايتم إلابالحكمة وهى تمام العلم أتبعه بسورة تسمى باسم حكيم وهولقمان عليه السلام ، وفى كلمة لقمان (ا ل م) وفى كلمة «الحكمة» كذلك ، فالاولى غيرمرتبة والثانية مرتبة ، فلذلك ولغيره مما يأتى ابتدأها بحروف (الم) انتهى تفسير سورة الروم فى (٨) فبراير سنة ١٩٢٥ والحمدلله رب العالمين

﴿ استدراك ﴾

قلنا فيما تقدم فى صحيفة (٥٨) من هذا المجلد أن اللغات على ﴿ قسمين ﴾ قسم لفظى وهوما كان نهايته السطر السادس من صحيفة (٦١) وقد فاتنا أن نضع القسم الخطى منها فرأينا أن نضعه فى آخر تفسير السورة اتماما للفائدة وهاهوذا هذا الجدول (انظر شكل ٢٠)

(جدول رسم الأحرف العربية والبربائية والافرنجية القديم منها والحادث)

(مأخوذ من أحد النشرات العلمية لبروكش باشا)

لاتينية	يونانية حديثة	يونانية قديمة	فينيقية	هيروجليفية كانت تستعمل لكتابة الاحجار	لكتابة الورق	حجازية قديمة	كوفية قديمة	عربية حديثة
A	A	A	[illegible]	[illegible]	[illegible]			فتحه
					[illegible]	6	L	ا
B	B	B	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	ب
C	Γ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ج
D	Δ	Δ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	د
E	E	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ه
F	F	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	و
Z	I	I Z	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ز
H	H	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ح
	⊙	⊗	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ط
I	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ى
K	K	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ك
L	Λ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ل
M	M	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	م
N	N	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ن
	Ξ	⊞	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		س
O	O	O	O	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ع
P	Γ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ف
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ص
Q	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ق
R	P	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ر
S	Σ	[illegible]	W	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ش
T	T	T	+	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ت

(شكل ٢٠)

﴿ تنبيه ﴾ الصواب أن خانة (١) هى لكتابة الأحجار وخانة (٢) هى لكتابة الورق لا كما ذكر أعلاه

تفسير سورة لقمان

(هى مكية)

(إلا من قوله تعالى ـ ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ـ الى قوله تعالى ـ وأن الله هوالعلى الكبير ـ فمدنية)

(آياتها أربع وثلاثون ـ نزلت بعد الصافات)

﴿ وهى أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأوّل ﴾ فى تفسير البسملة

﴿ القسم الثانى ﴾ فى معنى ـ الم ـ

﴿ القسم الثالث ﴾ فى المقدّمة وحكم لقمان عليه الصلاة والسلام من أوّل السورة الى قوله تعالى ـ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ـ

﴿ القسم الرابع ﴾ من قوله تعالى ـ ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ـ الى آخر السورة

﴿ القسم الأوّل فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اعلم أيها الذكى أنى رأيت فى هذا التفسير عجبا . هذه البسملة قد فسرت فى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ وفى سورة (هود) من الربع الثانى من أرباع القرآن جاء فى تفسيرها الأحاديث الدالة على الرحمة للحيوان وهناك قد فصل الكلام تفصيلا فى تلك الرحمة ومايجب على المسلمين من حفظ الحيوان ورحمته والرأفة به ، وجاء فى ﴿ سورة الروم السابقة أمر آخر وهو أن آلام الحيوان من المرض والجوع والكسر وغيرها لم تجعل إلا لرحمتها وذلك ببيان أن تلك الآلام جند من جنود الرحمات الواسعة التى اتصف الله بها ، وفى هذه السورة ستسمع فى تفسير البسملة معانى أخرى ، ولماذا هذا ؟ لأن الله عزّوجل يريد أن يجعل المعانى متفرّقة على أوائل سور كثيرة لئلا يمل المسلم من قراءة كلام طويل فى سورة واحدة لتفسير آية واحدة وبهذا يعرف بعض السر فى تكرار هذه الآية فى أوّل كل سورة ، فلأجعل تفسير البسملة هنا مقسما الى ﴿ ثلاثة أقسام * القسم الأوّل ﴾ فى ذكر أسماء الله الحسنى التى منها اصطفى الله ثلاثة أسماء فى آية البسملة ﴿ القسم الثانى ﴾ فى أن معانى أسماء الله الحسنى كلها ترجع الى ذاته تعالى وصفاته ، وآيات القرآن مفصلات لتلك المعانى التى تضمنتها الأسماء ﴿ القسم الثالث ﴾ فى معنى (الله الرحمن الرحيم) وهى الأسماء التى فى البسملة

﴿ القسم الأوّل فى ذكر أسماء الله الحسنى التى اصطفى الله ثلاثة أسماء منها فى البسملة ﴾

روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلىّ الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحقّ الوكيل القوىّ المتين الولىّ الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت الحىّ القيوم الواجد الماجد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدّم المؤخر الأوّل الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعال البرّ التوّاب المنتقم العفوّ الرؤف مالك الملك ذوالجلال والاكرام المقسط الجامع الغنىّ المغنى المانع الضارّ النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور » انتهى القسم الأوّل

(القسم

﴿ القسم الثانى والثالث فى أن معانى أسماء الله الحسنى كلها ترجع الى صفاته تعالى وفى معنى الله الرحمن الرحيم ﴾

ولأقدم مقدّمة فأقول . لقد تقدم فى ﴿ سورة الروم ﴾ عند قوله تعالى ـ واختلاف ألسنتكم وألوانكم ـ أن اللغات كلها ترجع الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ سامية وطورانية وآرية ومن الأخيرة اشتقت أكثر اللغات الاوروبية والايرانية ومن الطورانية اشتقت لغات الترك والقازان ونحوهما ومن اللغة السامية كانت الحبشية والعربية وغيرهما ، و بناء عليه تكون اللغة العربية التى نزل بها القرآن وجاءت فيها هذه الأسماء الإلهية من اللغات التى وضعها الناس لما يحتاجون اليه . إذن اللغات موضوعة وضعا أوّليا لنوع الانسان ، وغاية الأمر أنهم لما فكروا بعقولهم ونظروا بهممهم وجدوا أن هذه العوالم صائرة الى الزوال بل هى اليوم مذبذبة متغيرة حكموا بأن لها صانعا وساعدهم على ذلك أنبياؤهم ومنهم نبينا ﷺ وقال لنا إن هذه أسماء الله تعالى فلما نظرنا اليها وجدنا هذه المعانى التى تطلق علينا لايجوز أن تطلق على الله تعالى لأنه ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ، فهو سميع عليم ولكن ليس علمه وسمعه كعلمنا وسمعنا لأن علمنا مبدوء بحواسنا وسمعنا أصله بآذاننا و بالأعضاء المفصلة فى داخلها وهكذا لانسمع إلا الى أمد محدود ، ولاجرم أن الأعضاء المذكورة وحصر المسموع كلاهما مستحيل على الله فهو ليس جسما كما أن سمعه ليس بمحدود لأنه ليس كمثله شئ ، وهكذا وجدنا أن الرحمة عندنا عبارة عن رقة فى القلب تقتضى التفضل والاحسان ، ولاجرم أن هذه الرأفة نقص ، إن الحيوان ناقص ومنه الانسان ولهذا النقص وضع فى جبلته الألم لما يراه من ضعف طفله أوجروه أوفلوه فلادافع لذلك الألم عن نفسه إلا بأن يهيمن على طفله وجروه وفلوه وفصيله و يرضعه اللبن و يشمله بكل رعاية . إذن مبدأ الرحمة عندنا ضعف فينا وهذا الضعف بسببه أنعمنا على ذريتنا فبقيت الى ماشاء الله بسبب ذلك الانعام . بل بسبب هذا الضعف الذى نسميه رقة فى قلوبنا قاتلنا الأعداء فأخرجناهم من بلادنا مرحمة بالضعفاء فيها وقدّمنا أنفسنا للهلاك وأسلمناها للنون . و بسببه أيضا قدّمنا أموالنا للضعفاء والمساكين اذا رأيناهم فى حالة يرثى لها فلاسبيل لدفع هذا العذاب عن نفوسنا إلا بأن ننعم على هؤلاء المساكين فنحس بفرح وفوز ونصر وانشراح صدر . إذن أكثر رحمات هذا الانسان والحيوان راجعة لقصور الفطرة الحيوانية عن الرحمة الحقيقية لأن كمال الرحمة عقلا أن تعطى بلافائدة لك وههنا الفائدة عائدة عليك وهذه الفائدة إما أن تكون فطرية كما تقدم واما أن تكون شرعية جاءت بها الشرائع الإلهية وهى ثواب الآخرة ، فاذا أغدقت النعم على الناس وقصدت ثواب الآخرة وأن الله يعطيك فى الآخرة بدل ما أعطيته للفقير فى الدنيا ، فهذه وان كانت شرعية جاءت بها جميع الشرائع وأعظمها الاسلام فهى لاتزال ناقصة بالنسبة للرحمة التامّة التى لاجزاء فيها ولاشكورا وهذه قد قصد فيها الجزاء وربما يتبعه الشكر فى الدنيا من الناس . إذن الرحمة الفطرية المغروسة فى هذا الانسان وفى الحيوان ناقصة لايتصف بها الله . إذن الرحمة بالنسبة لله تعالى ترجع الى إفاضة الاحسان واسباغ النعم على جميع الخلق برا وفاجرا . إذن هذا مجاز لأن حقيقة الرحمة راجعة لما فطرت عليه نفوسنا وهى مفطورة على النقص والله هو المتصف بالكمال . إذن الرحمة بالنسبة لله راجعة الى الانعام وافاضة الخير مطلقا

فياسبحان الله . إنك يا الله قد أريتنا هذه المعانى فى مخلوقاتك . إنك يار بنا لما اتصفت برحمة لم ندركها من نفوسنا أردت أن تظهر لنا آثار هذه الصفة فى المخلوقات وفصلتها لنا تفصيلا . إنك قد أودعت الرقة فى قلوب الأمّهات من الانسان والحيوان من ذوات الأربع والطيور وقلت لها أيتها الحيوانات إياك أن تفرطى فى ذريتك أوفى بيضك . فاياك ثم إياك وإلا أنزلت عليك عذابا أليما يستقر فى باطنك وضربتك بمقامع من حديد تجدينها فى باطنك . أيتها المخلوقات إن رحمتى سبقت غضبى فعليك أن تعطفى على ذريتك والا أنزلت عليك غضبى بالحزن والألم فى أنفسك وأخذت تندبين حظك وتبكين على مافرطت فى تلك الذرّية . إن هذه الرحمة لم أختص بها

آكلة الحشائش من الحيوانات . كلا . ألم تروا أن الصقور والشواهين والاسود والنمور (تلك الحيوانات التى انتزعت من قلوبها الرحمة على الحيوانات المأكولة وألهمتها أكلها ، وما نزعت الرحمة من قلوبها فى ذلك الأكل عبثا وباطلا لأنها لو رحمتها لم تأكلها لضاعت ﴿مزيتان * المزية الأولى﴾ أن الحيوانات الكاسرة تموت عن آخرها ﴿المزية الثانية﴾ أن الحيوانات التى تأكل الحشائش كالغزلان والبقر الوحشى وغيرها لولم تأكل بعضها السباع لملأت السهل والجبل وعند ذلك لاتكفيها حشائش الأرض ونباتها وأشجارها ، فمن حكمتى أن خلقت تلك الحيوانات الجريئة التى لاتعيش إلا بلحمان هذه الحيوانات لتكون رحمة لأنفسها بالبقاء وللمأكولات بحفظ الموازنة لبقاء ذرّياتها متهنئة بسعادتها فى الفلوات ، ولوأن الأرض كلها صلحت للزراعة ولم تقم فيها موانع وكفى الماء لريها لأبدعت للحياة أسلوبا غير هذا الاسلوب) كلها قد فطرت على رحمة ذرّياتها كما فطرت عليها آكلات الحشائش ، فى هذه الحيوانات المفترسة اجتمع الضدان رحمة وغضب ولكن الرحمة سبقت غضبى ، فالأم تعطف على أولادها و بهذا العطف تحضر لهم الغزالة والغزال بقوّتها الغضبية ولكن هذا الغضب ليس بالغضب المطلق لأنه لرحمة (اللبؤة) مثلا ورحمة ذرّيتها ورحمة نوع الغزلان بتقليل عددها لتكفيهم حشائش البرية ولتكون اللحوم المأكولة متخللة أجزاء (اللبؤة) وأولادها فيمتنع فساد الجوّ بما يموت من تلك الحيوانات

وملخص ماتقدّم أن الرحمة فى الحيوان رقة والرقة ألم والانعام على الذرية وعلى المساكين ونحوهم دافع لهذا الألم فهى رحمة ناقصة والرحمة الكاملة تخلو من ذلك كله وهذه ليست فى الأرض واحسان أكثر المسلمين وغير المسلمين رحمة ولكنها لمقابل فى الآخرة وهذا أيضا نقص ولكنه كمال بوجه مّا فى نوع الانسان والرحمة فى قلوب الحيوانات الكاسرة والمفترسة لأولادها كرحمة الحيوانات المأكولة لأولادها سواء بسواء والحيوانات الآكلة تجتمع فى قلوبها الرحمة على ذرّيتها والغضب على الحيوانات المأكولة والرحمة سبقت الغضب فى الجميع . إذن الرحمة فى الارض واحدة وتنوّعت أنواعا شتى ، ففى المرأة والناقة والغزالة وفى الحمامة والدجاجة وأنثى الصقور حمل وارضاع وغيرها ومحافظة على البيض وعلى الفرخ عند خروجه من البيضة وترى الديك لايبالى بالبيضة ولابالفرخ الخارج منها وذلك لأنه مشغول بالقوّة الشهوية أما الرحمة فلا لانها لاحاجة اليها إذ الفرخ قوى عليه ريشه ولكنا نرى ذكر الحمام يساعد أنثاه ، لماذا ؟ لأنه رأى فرخه خرج ضعيفا لايقدر على إحضار قوته فركز فى نفسه مساعدة أنثاه فساعدها . إذن الرحمة فى الارض قد وضعت بقدر ـ إنا كل شئ خلقناه بقدر ـ

إن هذه المسألة وحدها تكفى العاقل المفكر أن يعتقد اعتقادا جازما أن الحياة كلها سعادة لانها مبنية على الحكمة واذا أصابنا شر أوخير فهو بحكمة والافلماذا نرى هذا النظام المتقن . رحمة نزعت من قلب الديك لماذا ؟ لانها لاحاجة لها واذا وجدت كانت حملا ثقيلا لافائدة منها فهذه وحدها كافية لسعادة القلوب فى هذه الارض . إن العلم اليوم صار شارحا لمعانى أسماء الله الحسنى لانها معبرات عن صفاته تعالى كالوجود والحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام

هذا معنى كون الرحمة واحدة وقد تنوّعت ، ثم انظر الى مابعد هذا من أنواع الرحمات المذكورات فى هذا التفسير ، انظر الى السمك المرسوم المشروح فى ﴿سورة طه﴾ فانك ترى أن السمك لايساعد ذكره أنثاه كلا . ولاتعطف الأم على ولدها . كلا . إذن رقة القلب هناك على الذرية وألم الآباء لآلام الأبناء معدومة ، لماذا ؟ لأن الله تكفل بالأجنة ، فماذا فعل ؟ قال لأنثى السمك « أيتها الأنثى اذهبى الى قرب الشاطئ وضعى بيضك بقدر وأنت أيها الذكر اذهب الى ذلك البيض وضع عليه مادّتك الشهوية وعيشا أيها الذكر والأنثى فى البحر فلامغازلة ولاخطبة ولازواج ولانفقة ولاعدّة ولاحيض ولانفاس ولااتعاب ولاقضاة ولامحامين ولاتعب ولانصب ولاسوء معاشرة ولاخيانة بالزنا ولاسفاح ولاذل مما أوجعت به قلوب بنى آدم وأحرقت قلوبهم لحكمة علمتها وعبرة أنزلتها ، ثم أنت أيها الجنين فى البيض . أنت الذى جمعت فيك سر الذكر وسرّ الأنثى قم بسلام

ومعك

ومعك كيس مملوء من الأغذية فكل منه حتى تكبر ثم بعد ذلك استقل استقلالا تاما وكل من أعشاب البحار وأنا البرّ الرحيم بك ، فان أكلك غيرك فأنت بنعمتى تربيت وان أكلت غيرك فهى نعمتى عليك وعلى كل حيوان فى البرّ والبحر »

فهذه الرحمة التى تراها فى صور السمك المذكورة فى ﴿ سورة طه ﴾ قد خلت من المؤلمات التى أودعت فى الحيوانات العليا لأن الأعلى يكلف بما لا يكلف به الأدنى كما ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بما لم يؤمر به من دونهم

وهناك رحمات أخرى فى الجراد وفراش القز ودوده . إن الجرادة تعيش فى الأرض ويقال لها « أيتها الجرادة كلى واشربى هنيئا ولاتدخرى كما يدخر النمل والنحل لأنك لاتعيشين الى العام القادم ، أماذريتك فأنا المتكفل بها فضعى بيضك حيث شئت فى أماكن أعددتها لك ، فاذا جاء أجلك فأنا المتكفل بها أحفظها حتى ترزاء بنى آدم فى زرعهم وهم يجتمعون ويحاربونك ولكن هيهات فأنت لاتزالين فى الوجود مهما فعل الانسان ، فهذه الحشرات وأمثالها كالبق والبرغوث والذباب وأمثالها لاتحفظ أولادها ولارقة لها عليها ولاألم

فالله عزّ وجل لما أرانا الرحمة فى قلوبنا وفى قلوب الحيوان وعلم قصورنا حين وضعت اللغات وعلم اننا يوما سنتكلمُ فى رحمته تعالى قال هاؤم اقرؤا رحمتى فى سطور الكائنات ، ألم تروا انها ألم فى قلوب الحيوانات العليا ولكن أمثال السمك والجراد والبق قد وجدت الرحمة على أولادها ولكن من عالم آخر غير عالمكم وبتدبير محكم غير تدبيركم ، فاذا كنتم علمتم علم اليقين أن الاعطاء قد ظهر فى الأرض بلا ألم يصحبه فاعلموا أن ذلك يفهمكم رحمتى ، فرحمتى أسبغتها على العالم وليست كرحمتكم . إذن ظهر سر قول علمائنا رحمهم الله « إن الرحمة تطلق على الله مجازا بحسب وضع اللغة فهى لله بحسب نتائجها لامبادئها » إذن وضع اللغات السامية والطورانية والآرية وماتفرّع منها لم يكن إلا لأحوال هذا الانسان لا لموجود فوق مداركه والله لما أراد أن يعرّفنا ذلك وأن أسماءه تعالى لها معان باعتبار الغايات لاباعتبار ماوضعت له اللغة أرانا ذلك فى تنويع المخلوقات أما متاوّل لنا هذه رحمتى شملت بها أمثال الناموس الذى ترونه فى مائكم الآسن الذى تحقرونه وأنا الذى شملت البيض الذى يضعه ذلك الناموس برحمتى ولا ألم يصحب تلك الرحمة كالألم الذى تحسونه ليحثكم على الانعام على الذرية وعلى الضعفاء . إذن أقول ان المعانى التى عرفها العلماء فى عقولهم أظهرها الله اليوم فى هذا التفسير والحق يقال ان معانى أسماء الله تعالى المعبرة عن صفاته الوجودية التى اتصفت بها ذاته العلية قد أصبحت تظهر آثارها فى العلوم المنشورة اليوم فى الأرض ، فانظر ببصرك أولا ثم ببصيرتك ثانيا أيها الذكى واقرأ أسماء الله فى الشجر والحجر والبرّ والبحر والسمك والجراد والنمر والغزال ، انظر بعقلك فسترى ببصيرتك أن الشجر والحجر والشمس والقمر كلها سطور مكتوبات مجسمات بمعانى الأسماء الحسنى والأسماء الحسنى معبرات عن القدرة والارادة والعلم والحياة الخ

﴿ الرحمة لاحدّ لها ولاحجر عليها ﴾

لقد عرفت أيها الذكى كيف كانت الرحمة لاملازمة بين انعامها وبين الألم المسبب لها وقرأت ذلك مجسما فى الجراد وفى السمك المذكورين فى الحديث « أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » وهاتان الميتتان قد جاءت فيهما الرحمة بلا ألم ، ولقد أحلا لنا ليكون من آثارهما ماجاء فى هذا المقام إذ يتذكر المسلم نعمة العلم التى جاءت مصاحبة لحل الأكل ولاجرم أن الكبد والطحال لهما سرّ عظيم فى الدورة الدموية التى بها الحياة والحياة تلازمها الرحمة ورقة القلب فكأنه جمع فى هذا الحديث الحيوانات التى فيها بعض الرحمة بلا ألم والحيوانات التى رحمتها ملازمة للألم ليكون الحديث مذكرا بكل ماكتبناه هنا واذن هذا الحديث الذى لم يخطر لى فى هذا المقام إلا الآن فيه سر هذا الموضوع كله . إذن هذه المعانى كلها ادمجت فيه ، فاذا كانت الرحمة

فى الحيوانات العليا ملازمة لرقة القلب فالرحمة فى الحيوانات الدنيا تأتى من الله مباشرة ويلقيها الى ملائكته ولايجعلها مصحوبة بألم . إذن لاحجر فى الرحمة وطرقها مختلفات وهذا اتضح فى هذا المقام وضوح الشمس فى رابعة النهار وهذا كله فى الحيوان العام ، فانظر الى الرحمة التى أجريت على يد الانسان . الانسان سخرت له الأنعام فركبها وأكل لحوم بعضها وقال حين ركبها ﴿ سبحان الذى سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ وسخرت له الأرض فهو يزرعها و يستثمر زرعها من نبات وشجر . هذا هو الانسان ولكن الله يقول له اليوم أنا وإن سخرت لك الابل والبقر والغنم لتركبها ولتكون زينة لك فليس هذا آخر رحماتى لأن هذه الرحمة مصحوبة بألم . الحيوان سخرته لك وهو رضى بالتسخير لأنه ضعيف الادراك يخاف منك و يرجو برك له وأنت ذو عقل أيها العبد فلتخرج من هذا الحبس ، واذا كنت أنا قد نوّعت فى الرحمة فلم أقصرها على نوع واحد فى الحيوان فهكذا أنا سأريكم أيها الناس شئتم أم أبيتم أن سفركم لا يتوقف على الدواب بل هكذا قضيت باظهار آثار النار والكهرباء وحملتكم بهما فى البرّ والبحر وأن الزرع الذى تزرعونه ليس قاصرا على ماتصنعونه اليوم كما ظهر فى الطبيعة . كلا . ثم كلا . أنتم تسخرون الحيوان لزرعكم كما تسخرونه لسفركم . أنا سخرت الرحمة فى نحو الجراد وفى نحو الغزال فجعلتها فى الأوّل بلا ألم يصحبها وفى الثانى بألم يصحبها هكذا أنوّع فى الزرع فلا أجعله على وتيرة واحدة . فهذه المزارع التى اعتادها آباؤكم لها موازين محدودة . وهذه الموازين والاصول متى عرفتموها ووضعتموها فى الماء فى أى أرض كانت ظهر لكم زرع خير من الزرع الطبيعى

أيها الناس . هذا خلق الله . أنا الذى خلقت الانسان . وأنا الذى خلقت النبات . وأنا الذى ألهمت علماء بقسم (الفسيولوجيا النباتية) بجامعة (كافورنيا) بأمريكا أن يتوصلوا بالتجارب الى أن ينتجوا خضراوات وحبوبا وزهورا وفواكه بأقراص كيمائية مركبات من هذه الأجزاء السبع وهى (النيتروجين والفوسفور والمغنيسيا والحديد والبوتاسا والكبريت والكلس والجير) وتلك الأقراص توضع فى الماء فى أحواض خشبية توضع فى أى نقطة من الأرض فى الرمل فى الجبل فوق سقوف المنازل فى أى مكان كان وهذه الأقراص المركبات الموضوعات فى ذلك الماء تغذى النبات فيخرج كاملا صحيا نافعا للانسان ليست تلحقه الآفات التى تلحق زرعكم الآن وبه يمكن زرع الأرض كلها ويكون المحصول أضعاف ماعندكم الآن

أيها الناس . إن هذا العمل عظيم به تزرعون الصحراء حتى ان مصرانتى يبلغ مازرع من الأرض فيها جزء من ثلاثين فقط تصبح بهذا العمل جنة أكبر مما هى عليه الآن ٣٠ مرة والثمرات أضعاف أضعاف ذلك كله وبهذا تزرعون الأزهار والفواكه فى غير أوانها والقمح والشعير يزيد محصولهما (٥٠) فى المائة تقريبا وبهذا تزرعون الورد فى المنازل فى فصل الشتاء

أنا ألهمت هؤلاء العلماء فى أمريكا فجرّبوا خمسة آلاف تجربة فى خمسة أعوام وهذا الكشف وصفه الدكتور (جاريك) رئيس قسم تشريح النبات فى جامعة (كافورنيا) بأنه أعظم منحة وأفضل هبة لفن الزراعة منذ بدء تطبيق علم تسميد المزروعات حتى الآن ، ويقول الدكتور (جاريك) المذكور « إن الحياض التى فيها الماء اذا وضع فوقها أغطية وفيها ثقوب يخرج منها النبات وتتصل جذورها بالماء فى داخلها وتلك الجذور تتغذى بالأقراص المذكورة وتلك الأقراص مقدّرة فى كل نبات بحسابه لأن أغذية النبات مختلفة مقاديرها باختلاف أنواعه كما تقدّم فى ﴿ سورة البقرة ﴾ فان محصول سنتين اثنتين يأتى بنفقة تلك الحيضان وهى تعيش (٥٠) عاما وبهذا يمكن زراعة جميع الأراضى القفرة فى العالم كله » ثم قال « والعمل الذى يتطلبه لزرع على هذه الطريقة الجديدة لايبلغ عشر معشار ماتتطلبه خدمة الأرض »

هذا ملخص المقال المنشور فى العالم وفى مصر يوم الخميس (٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م بجريدة الاهرام ولعلك ستراه بتمامه عند قوله تعالى فى ﴿ سورة سبأ ﴾ — ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم

الى بعض القول ـ الخ إذ تذكر هذه المقالة هناك ليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن التقليد ووقوف العقل فى أمور الحياة الدنيا جهل محض وانما خلقت فينا العقول لنسير الى الأمام ولا نقف عند حد ماعرفناه ، ولما وقفت عقولنا خلق الله فى العالم قوما آخرين وقال لهم فكروا وذلك إجابة لأمره تعالى نبيه ﷺ إذ يقول له ـ وقل ربّ زدنى علما ـ (اقرأ تفسير هذه الآية فى سورة طه)

﴿ المسلمون أولى بهذه العلوم من جميع الأمم ﴾

اعلم أن هذه العلوم ورقى الصناعة والزراعة وكشف مخبآت الطبيعة هى الخاصية التى سيختص بها المسلمون بعد ظهور أمثال هـذا التفسير ، ألم تر أن المسلم قد أمر أن يتخلق بما يمكنه من صفات الجلال ليقترب من الحق قربا بالصفة لاقربا بالمكان فيأخذ من الاتصاف بها شبها من الملائكة المقربين عند الله تعالى ، وان يتصوّر أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوق الى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال وحرص على التحلى بذلك الوصف إن كان ذلك ممكنا للمستعظم فان لم يكن بكماله فيبعث الشوق الى القدر الممكن منه لامحالة ، وهذه نفسها عبارة الامام الغزالى ، ولاجرم أن الزراعة التى ظهرت فى أمريكا والتى هى نعمة عامة تعطى تمرا وحبا وفاكهة وأبا ونعما لاتحصى فى أرض الله الواسعة ولانصب فيها ولاتعب إلا أقل من عشر ماينصب الناس فيه الآن . أقول إن هذه الرحمة من رحمة الله الواسعة التى لاحدّ لها فهو كما لم يجعل لها حدا فى تربية الأمّهات لذرّيتها فى ذوات الأربع والطيور والحشرات وجعل من الذرية ماتربى بلا ألم فى نفوس الآباء ولا الأمهات هكذا جعل هناك آلات وأدوات بها نسير من مكان الى مكان ونسافر حول الكرة الأرضية بغير إجهاد الحيوان الذى سخر لنا بنص القرآن ، وهكذا جعل هناك زرعا لا شقاء فيه ولانصب ولاتعب ولا خوف من حرّ ولابرد ولا آفات زراعية ولاحرث ولاتنقية حشيش وهكذا مما ابتلى به الانسان وقال أيها الناس هذه نعمتى التى أنعمت عليكم بها وألقيتها الى عقولكم فاقبلوها

هذه إحدى رحمات الله واذا قبلها المسلم وعمل بها فقد قرب من الملائكة الذين هم فى قرب ربهم وهذا القرب بالصفة لا بالمكان ، وعلى ذلك يكون قول المسلم (بسم الله الرحمن الرحيم) إن لم يكن عنده ولوع بأمثال هذا الذى ذكرناه ولم يحث المسلمين عليه يكون سلوكه ناقصا

ولما اطلع على ذلك صاحبى العالم الذى يناقشنى فى أمثال هذا . قال ماهـذا الذى تقوله ؟ أيتصف المسلم بصفة الله ؟ أليس هذا كفرا ، وكيف يكون المسلم ناقصا كما تقول اذا لم يعمل كما تعمل أمريكا . هذا أمر عجيب . فقلت حياك الله . هذه اعتراضات لفظية يتسلى بها غيرك من صغار العلماء وجميع العامة الذين لايعرفون من ديننا الحنيف إلا الألفاظ وأنا موقن انك تقول ذلك لأجل تفهيم غيرك . فقال نعم . فقلت اعلم انى لا أكتب مثل هـذا إلا وقـد أعددت له عدّته . قال وما هى عدّته . قلت أقوال العلماء فان الأمم الاسلامية اليوم كلها تتبع ما خطه سلفنا رضى الله عنهـم فاذا أسمعناهم ذلك قنعوا ، وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ، فقال فأسمعنيه الآن . فقلت العلامة الامام الغزالى فى كتابه ﴿ المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ﴾ قال مانصه

﴿ فصل فى بيان أن كمال العبد وسعادته فى التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلى بمعانى صفاته وأسمائه بقدرمايتصوّر فى حقه ﴾

اعلم أن من لم يكن له حظ من معانى أسماء الله تعالى إلا بأن يسمع لفظه و يفهم فى اللغة تفسيره ووضعه و يعتقد بالقلب وجود معناه فى الله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله فان سماع اللفظ لايستدعى إلا سلامة حاسة السمع التى بها يدرك الأصوات وهـذه رتبة يشارك البهيمة فيها وأما فهم وضعه فى اللغة فلايستدعى إلا معرفته العربية وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوى بل الغبى البدوى

وأما اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف فلا يستدعى إلا فهم معانى هذه الألفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشارك فيها العامى بل الصبى فانه بعد فهم الكلام اذا ألقى اليه هذه المعانى تلقاها وتلقنها واعتقدها بقلبه وصمم عليها وهذه درجات أكثر العلماء فضلا عن غيرهم ولا ينكر فضل هؤلاء بالاضافة الى من يشاركهم فى هذه الدرجات الثلاث ولكنه نقص ظاهر الى ذروة الكمال فان حسنات الأبرار سيآت المقربين بل حظوظ المقربين من معانى أسماء الله الحسنى ﴿ ثلاثة * الأول ﴾ معرفة هذه المعانى على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذى لا يجوز فيه الخطأ وينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافا يجرى فى الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التى يدركها بمشاهدة باطنه لا باحساس ظاهر وكم بين هذا و بين الاعتقاد المأخوذ من الآباء والمعلمين تقليدا والتصميم عليه وان كان مقرونا بأدلة جدلية كلامية ﴿ الحظ الثانى ﴾ من حظوظهم استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام يشوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان فيأخذوا من الاتصاف بها شبها من الملائكة المقربين عند الله تعالى ولن يتصور أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوق الى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال وحرص على التحلى بذلك الوصف إن كان ذلك ممكنا للمستعظم بكماله فان لم يكن بكماله فيبعث الشوق الى القدر الممكن منه لا محالة ولا يخلو عن هذا الشوق أحد إلا لأحد أمرين إما لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال واما لكون القلب ممتلئا بشوق آخر مستغرقا به ، فالتلميذ اذا شاهد كمال أستاذه فى العلم انبعث بشوقه الى التشبه والاقتداء به إلا اذا كان مملوءا بالجوع مثلا فان استغراق باطنه بشوق القوت ربما يمنع انبعاث شوق العلم ولهذا ينبغى أن يكون الناظر فى صفات الله تعالى خاليا بقلبه عن ارادة ما سوى الله تعالى فان المعرفة بذر الشوق ولكن مهما صادف قلبا خاليا عن مسكة الشهوات فان لم يكن خاليا لم يكن البذر منجحا ﴿ الحظ الثالث ﴾ السعى فى اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلى بمحاسنها و به يصير العبد ربانيا أى قريبا من الرب تعالى فانه يصير رفيقا للملا الأعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب ، فمن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيأ من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الحق تعالى

ثم أورد هنا شبهة ترد على خواطر الناس فى كل عصر وهذه الشبهة قد خطرت لبعض قراء هذا التفسير وكتب فى بعض المجلات العلمية معترضا ما قلته فى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ وأجبته إذ ذاك بنحو ما ستسمعه الآن أفلا تعجب من صنع الله أن أرى نفس ذلك الاشكال ذكره الامام الغزالى وأبدع فى الاجابة و به استبان أن أكثر شبهات الناس لفظية سببها الجهل المطبق بحقائق العلوم والاكتفاء بالألفاظ والنوم على وساد الراحة الوثير فانظر ما يقوله الامام الغزالى وهذا نصه « فان قلت طلب القرب من الله تعالى بالصفات أمر غامض تكاد تشمئز القلوب عن قبوله والتصديق به فزده شرحا تكسر به سورة انكار المنكرين فان هذا كالمنكر عند الاكثرين إن لم تكشف حقيقته »

هذا هو السؤال وههنا أجاب بما يطول شرحه ولكن سأذكر فحواه وملخصه بعبارات تناسب ما نذكره فى هذا التفسير بحيث يألفها و يفرح بها قراؤه فأقول

اعلم أيدك الله أن الموجودات لا كامل فيها كمالا مطلقا إلا الله فأما ما سواه فهى إما ميتة واما حية والأحياء ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم أعلى وهم الملائكة ، وقسم أوسط وهو الانسان ، وقسم أدنى وهو الحيوان ﴿ و بيانه ﴾ أن الحى هو الدراك الفعال ، فالاحساس والحركة هما اللذان بهما يمتاز الأحياء . ولا جرم أن ادراك الحيوان محدود ناقص . ألا ترى رعاك الله أن الذوق واللمس لا عمل لهما إلا فيما مسهما واختلط بهما وأن الشم والسمع والبصر لا تدرك إلا ما قرب منها وهذا نقص ، فالكمال أن يدرك المدرك ما لا حد لبعده و يكون القرب والبعد

سواء

سواء فى ادراكه . هذا من جهة ادراك الحيوان أما فعله فلا يتجاوز الشهوة والغضب ، فالحيوان آكل الحشائش والنبات لاحركة له إلا فى طلب قوته وحفظ ولده وكل ذلك من فعل الشهوة ومايتبعها والأسد والنمر بالقوّة الغضبية يقتنصان فريستهما و بالقوّة الشهوية يزدردانها . إذن عمل الحيوان لايتجاوز هاتين الخصلتين . أما الانسان فلما كان أرضيا بجسمه سماويا بروحه صار مركبا من بهيمة وملك فهو فى أوّل أمره بهيمة وفى حال رقيه يرتقى عن مرتبة البهائم بالادراك فلا يقف عند الحس والخيال بل يدرك المعقولات والمعقولات لانهاية لها ومالا يقدر الانسان على ادراكه منها لاحدّ له ومايقدر على ادراكه منها أيضا لاحدّ له وان كان مايدخل فى الوجود متناهيا و بهذه الصفة يقرب من الملائكة وأعماله إذن لايقصد بها إلا القرب من الله فهذا قرب من الملك بوجه آخر أما الملك فادراكه لايقتصر على مالامسه أوقرب منه بل القرب والبعد لاتأثير لهما إلا على الأجسام والأجسام أخس الموجودات وعمل الملك لا يكون إلا تقرّبا لله فلاشهوة هناك ولاغضب كما قدّمنا . ارتقاء الانسان فى المعقولات وعمله للمصالح العامّة تقرّبا الى الله كلاهما يقرّبانه من الملك والملك قريب من الله ، وهذا القول يثير شبهة وهى أن العبد يشبه الله والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ . وهنا أخذ يدحض هذه الشبهة فلأسمعك فحوى عبارته ومقصودها إذ أصوغها لك بالقالب المعروف فى هذا التفسير

اعلم أيدك الله أن علم البلاغة ﴿ ثلاثة ﴾ وهى المعانى والبيان والبديع ، فلأخص الآن كلامى بعلم البيان وهو محصور فى التشبيه والمجاز والكناية ، والتشبيه باب واسع لا آخر له وجميع اللغات تستعمله لتقريب المعانى ، والمجاز إما مرسل واما استعارة مصرحة واما استعارة مكنية ، وهاتان الاستعارتان مبنيتان على التشبيه . إذن علم البيان أكثره يرجع للتشبيه ، فاذا قلت

الخد ورد والوجوه دنا ✲ نير وأطراف الأكف عنم

أوقلت رأيت فى الدار بدرا أوقلت الذى يحمى البلاد له لبد أظفاره لم تقلم

فانك فى هـذا كله لم تخرج عن التشبيه فى المثال الأوّل لأن الانسان مشبه بالبدر فى المثال الثانى الذى هو استعارة مصرحة ومشبه بالأسد تشبيها مطويا فى المثال الثالث وهو استعارة مكنية . إذن التشبيه أصل عظيم فى علم البيان وفى كلام العرب والعجم وهذا أمر مستفيض بين العامّة والخاصة ولكن الحجاب اذا أسدل على العقول حجبها عن الامور البديهية ، فانظر رعاك الله الى قول النابغة يمدح النعمان لما وشى له به قال

فانك كالليـل الذى هو مدركى ✲ وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقوله أيضا

كأنك شمس والملوك كواكب ✲ اذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

فهل كان النابغـة يعنى بذلك أن النعمان شمس مضيئة فى الثانى وليل مظلم فى الأوّل . كلا . فالبداهة تقضى خلاف ذلك ، وهل الخدّ هو كالورد فى أخص أوصافه . كلا . ثم كلا . وانما الخدّ أشبه الورد فى صفة زائدة على الذات لا انها هى الحقيقة . نعم اذا قال قائل لأهل أوروبا اليوم أيها القوم كيف تظلمون الزنوج إن الزنوج آدميون مثلكم فالمثلية هنا رجعت الى الحقيقة والحقيقة هنا هى الحيوانية والناطقية ، أما كون النابغة كالشمس أوكالليل أوكون الخد كالورد فليس التشبيه هنا راجعا لحقيقة الذات بل لصفات خارجة عنها . إذن التشبيه ﴿ قسمان ﴾ قسم يكون المدار فيه على الحقيقة الذاتية وهو قليل جدا وقسم يكون وجه الشبه فيه راجعا لامور عارضـة على الذات وهو الأعم الأكثر . إذن فلنرجع الى المقصود فنقول . إن الله عزّ وجل مجهولة ذاته لجميع الناس فمحال أن يدركوها وهكذا صفاته ، فالذات والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام كلها لا يعرفها الناس وانما عرفوها بالقياس على أنفسهم . إن الله عرف بمخلوقاته وفى المخلوقات آثار عرف الناس بها انه قادر وعالم

ولا ريب أن القدرة والعلم لايعرفهما الناس إلا بالقياس على مافى أنفسهم واما لم يعرفوا ذاته تعالى ولاصفاته على وجه الحقيقة . إن من يعرف الحقيقة يتصف بنظيرها وذواتنا وصفاتنا ليست كذات الله وصفاته ، فالصبى اذا أردنا أن نصف له لذة الجماع وجب أن نقول له اصبر حتى تكبر وأنت تعرف تلك اللذة على وجه الحقيقة أونقول له انها كالسكر والحلوى التى تأكلها ، والمعرفة الأولى حقيقية والثانية ماهى إلاتشبيه وفرق بين ضرب الأمثال و بين الحقائق ، فاذا قال الانسان الله قادر فهذا اسم مشتق ومتى عرف المشتق منه عرف المشتق ، والمشتق منه هى القدرة وقدرة الله لانعرفها بالحقيقة كما قدمنا لأنه يستحيل أن نرتقى حتى تكون لنا قدرة مثلها كما يستحيل أن ترتقى نفوسنا حتى تساوى ذات الله . إذن لانعرف ذاته بالحقيقة ولانعرف صفاته كذلك فلم يبق إلا التشبيه فنقول نحن لنا قدرة ولنا ارادة ولنا علم وكلام فنقيس كلام الله على كلامنا وعلمه وهكذا كما قلنا للطفل إن لذة الوقاع كلذة السكر ولكن هذا الطفل سيرتقى حتى يصل الى الحقيقة ، أما نحن فلا . هذا هوالفرق . على أن النسبة بين الحلوى والسكر و بين لذة الوقاع أقرب جدا من النسبة بين قدرتنا وقدرة الله ، وهنا نقول « هل من يقيس لذة الوقاع على لذة السكر للصبى ، أومن يشبه الورد بالخد ، أومن يقول إن هذا كالشمس أوهوكالليل ؟ أراد هؤلاء كلهم أن وجه الشبه راجع للحقيقة الذاتية . كلا . بل الانسان يقول ان السواد كالبياض فى كونه عرضا ومنظورا ولونا ولا يكون مخطئا وهما ضدان . إذن الضد يشابه الضد ولم يخرجا عن كونهما ضدين ولم ينقص مقدار البياض ولم يتزحزح بسبب هذا التشبيه ، هكذا فى مقام الالوهية ، فالتشبيه الذى من هذا القبيل ليس محظورا ولوكان محظورا لكان الناس جميعا مشبهة فانهم موجودون والله موجود ولنا سمع وله سمع ولنا قدرة وله قدرة وهكذا ، فقوله تعالى ـ ليس كمثله شئ ـ لايشمل هذه المشابهة الوصفية التى هى أبعد مما بين لذة السكر ولذة الوقاع وانما النفى منصب على الاتصاف بالحقائق الذاتية كمثال الزنجى مع الاوروبى فيما تقدم

﴿ بِمَ يكون قرب العبد من ربه إذن ؟ ﴾

فاذا أقفل على العبد باب معرفة ذاته تعالى وصفاته لأنه لامطمح له فى الوصول الى ذلك فليس له إلا أن يعرف آثار الصنعة . وعلى مقدار مايعرف من الجمال والبهاء والحكمة يكون اقترابه من ربه وبهذه تتفاوت أقدار الناس فى معرفة ربهم عزّوجل . فأرفع الناس قدرا وهم الأنبياء والأولياء جميعا يتفاوتون فى المعرفة من هذه الوجهة وهم درجات لاحصر لها وتفاوتهم فى المعرفة أوسع نطاقا من تفاوت الأغنياء فى الملك لأن الأجسام محصورة والمعقولات لاحصر لها . وهنا بيت القصيد . فالنظر فى مصنوعات الله عزّوجل كالتى فى هذا التفسير وغيره تجعل العبد ربانيا مشرق النفس قريبا من ربه قربا بالصفة لا بالمكان . إن المرأة لاتعرف من زوجها إلا ماوصل لها من المال ومن اللذات المحسوسة . فأما علمه فهى فى غفلة عنه وهكذا خادمه . فأما التلميذ فانه على مقدار ما كسب من علم أستاذه يكون حبه . فاذا كان الاستاذ يعرف عشرين علما والتلميذ عرف علما واحدا فمعرفته له جزئية على مقدار ماعرف وكلما ازداد علما بأن قرأ علوما أخرى عليه ازداد به معرفة و بمقدار المعرفة يكون الحب وهذه المعرفة بالنسبة لله كما قلنا ليس معناها معرفة الحقيقة بل معرفة آثار الصفات التى تعبر عنها الأسماء المشتقة منها لامعرفة نفس الصفات الإلهية كاأن الناس لايعرفون حقيقة الموت إلا اذا ماتوا ولايعرفون حقيقة الجنة ولذائذها وحورها وقصورها إلا اذا ماتوا ودخلوها لأن أوصاف الجنة ذكرت لنا على مقتضى ماندرك نحن من اللذات فصوّرت لنا تلك الصور بالألفاظ على مقدار مانعرف نحن من لذاتنا فى الدنيا كما وصفت لذة الوقاع للطفل بالسكر . فاذا كانت الجنة التى هى من مخلوقات الله ومن الحوادث لانعرف وصفها إلا بضرب أمثال بعيدة عن حقائقها التى يقربها حديث « فى الجنة مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر » فكيف بمبدع الدنيا والآخرة فهوأرفع من أن يعرف إلا بضرب الأمثال والحمد لله ربّ العالمين

﴿ تذكرة ﴾

مدح أحد الشعراء خليفة من خلفاء بنى العباس فوصفه بأنه فى الشجاعة كعمرو ، وفى السماحة كحاتم ، وفى الحلم كأحنف ، وفى الذكاء كإياس فقال

اقدام عمرو فى سماحة حاتم ✲ فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ثم أحس بأن ذلك ربما يكاد ينتقد فقال

لا تنكروا ضربى له من دونه ✲ مثلا عجيبا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ✲ مثلا من المشكاة والنبراس

فهذا الشاعر شعر بما يشعر به أكابر الحكماء من انتقاد صغار العلماء والعامة على مجرد الألفاظ بلا تحقيق ولاهدى ولا كتاب منير

و بالجملة فعرفة ذات الله وحقائق صفاته مستحيلة ، ولا اتساع لمعرفة الله إلا فى معرفة أسمائه وصفاته أى آثارها من عجائب آياته فى ملكوت السموات والأرض وخلق الأرواح والأجساد وفى الاطلاع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعنا فى التفصيل ومستقصيا دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف لها . هذا ولألخص لك المقام بما يأتى

﴿ أولا ﴾ إن رحمة الناس جعلت مثالا لرحمة الله مع ما بينهما من البون البعيد

﴿ ثانيا ﴾ ان العلماء ذكروا أنها فى حق الله مجازية لأنها راجعة الى الغايات وهو الانعام

﴿ ثالثا ﴾ ان نظام الطبيعة وحسن الصنعة الإلهية فى الابداع قد جاءت بمقتضى أقوال العلماء إذ جاءت الرحمة فى الحشرات ونحوها ولا ألم معها وهكذا الآلات التى بها الانتقال والسفر لا ألم لحيوان فيها فهى رحمة انتفى معها تسخير الحيوان وهكذا اختراع علماء أمريكا لنظام الزراعة الجديد ليس فيه ألم للبهائم التى اعتاد أن يسخرها الانسان

﴿ رابعا ﴾ الكامل التام الكمال هو الله والملائكة مبرؤن من حصر الادراك ومن الأسباب المورثات للنقص فى الفعل كالغضب والشهوة والانسان اذا أشبههم فقد قرب من ربه وذلك بالمعقولات والنظر فى عجائب الصنعة الإلهية وبكسر الشهوتين

﴿ خامسا ﴾ قرب العبد من الله قرب بالصفة لا بالمكان ، وليس معنى هذا أن العبد مماثل لله فهذا خطأ وانما المماثلة الممنوعة هى المماثلة فى حقيقة الذات والصفات ، فليس مشاركة العبد لربه فى أنه رحيم وصبور وشكور وسميع وبصير وعالم وقادر وحى وفاعل موجبا للمماثلة وانما الذى يوجب المماثلة أن يشارك العبد ربه فيما يختص به وهو أنه الموجود الواجب الوجود بذاته التى عنها يوجد كل ما فى الامكان وجوده على أحسن وجوه النظام والكمال

﴿ سادسا ﴾ وما تقدم يعرفنا قول الجنيد « لا يعرف الله إلا الله تعالى » وقيل لذى النون وقد أشرف على الموت ماذا تشتهى ؟ فقال أن أعرفه قبل أن أموت ولو بلحظة ✲ قال الامام الغزالى « وهذا يشوش على النفوس وانما الذى يوضح المقام أن نقول إن من يقول لا أعرف الله صادق ومن يقول لا أعرف إلا الله صادق إذ لكل منهما معنى غير معنى الآخر

﴿ سابعا ﴾ كما لا يعرف الله وصفاته ألبتة لاستحالة الوصول الى الالوهيـة فعلا وانما يعرف بالآثار . هكذا لا يعرف الموت ولا الجنـة ولا النار إلا بضرب الأمثال على مقدار عقولنا فاذا متنا عرفنا الموت وأدركنا الجنة وفهمناها ، فأما ضرب الأمثال فليست تفيد علما بل مجرد تخييل كما نتخيل صفات الله بالقياس على أنفسنا

﴿ ثامنا ﴾ نحن الآن فى تفسير البسملة وقد عرفت أيها الذكى معنى الرحمة فى ضمن ما تقدم وأول الأسماء

فى البسملة (الله) وهذا الاسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة للصفات الالهية كلها . وسائر الأسماء تدل آحادها على آحاد المعانى من علم أوقدرة أوفعل أوغيره ، وهذا الاسم لايطلق على غير الله تعالى . فهذان السببان بهما يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء . ثم إن معانى سائر الأسماء يتصوّر أن يتصف بها العبد بثبوت منها حتى ينطلق عليه الاسم كالرحيم والعليم والحليم والصبور والشكور وغيره

والرحمن مشتق من الرحمة وهوأخص من الرحيم ولذلك لايسمى به غير الله . إذن الرحمن يكون فى السعادة الأخروية لأن العباد لاقدرة لهم عليها ، وحظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة الى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وأن ينظر الى العصاة بعين الرحمة لابعين الايذاء وأن تكون كل معصية تجرى فى العالم كمعصية له فى نفسه فلايألوجهدا فى إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصى أن يتعرّض لسخط الله تعالى ، وحظه من اسم الرحيم ألايدع فاقة لمحتاج إلا يسدّها بقدر طاقته ولايترك فقيرا فى جواره و بلده إلا يقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أوجاهه أو يسعى فى حقه بالشفاعة الى غيره فان عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء واظهار الحزن لسبب حاجته رقة عليه وعطفا حتى كأنه مساهم له فى ضرّه وحاجته ، وحظ العبد من لفظ الجلالة التأله ✡ قال الامام الغزالى « أعنى به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لايرى غيره ولايلتفت الى سواه ولايرجو ولايخاف إلا إياه ، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم الموجود الحقيقى الحق وكل ماسواه فان وهالك و باطل إلا به ، فيرى أوّلا نفسه أوّل هالك و باطل كما رآه رسول الله ﷺ حيث قال أصدق بيت قاله العرب قول لبيد

ألا كل شئ ماخلا الله باطل ✡ وكل نعيم لامحالة زائل

فاذا فهمت هذا فاعرف بقية أسماء الله تعالى على هذا النمط مثل أن تقول ﴿ الملك ﴾ هو الذى يستغنى فى ذاته وصفاته عن كل موجود و يحتاج اليه كل موجود وهذا المعنى لايتصوّر فى العبد وأعظم من اقتدوا بالله فى هذا الوصف بقدر طاقتهم (إذ ملكوا شهواتهم وأهواءهم وجميع جوارحهم واحتاج اليهم الناس فى الهداية ولم يحتاجوا هم اليهم) هم الأنبياء و يليهم الأولياء الذين تعلموا من الأنبياء . قال ولقد صدق بعض العارفين لما قال له بعض الأمراء سلنى حاجتك حيث قال أولى تقول ولى عبدان هما سيداك قال ومن هما قال الحرص والهوى فقد غلبتهما وغلباك وملكتهما وملكاك ✡ وقال بعضهم لبعض الشيوخ أوصنى قال كن ملكا فى الدنيا ملكا فى الآخرة ، ومعنى هذا قطع طمعك وشهوتك عن الدنيا فان الملك فى الحرية والاستغناء

هذا وليس يجوز لى ولايصح أن أتوسع فى هذا المقام أوأن أفسر بقية الأسماء فانه خارج عن المقصود لأننا الآن فى تفسير البسملة بطريق خاص غير تفسيرها فى مواضع أخرى من هذا التفسير . ولكن أختم المقال بما وعدت به من أن الأسماء كلها ترجع الى ذات وسبع صفات فقد جاء فى الكتاب المذكور أن الاسم

(١) إما أن يدل على الذات مثل (الله . الحق)

(٢) واما أن يدل على الذات مع سلب مثل (القدوس والسلام والغنى والأحد) ونظائرها فان القدّوس هو المسلوب عنه كل مايخطر بالبال و يدخل فى الوهم والسلام هو المسلوب عنه العيوب والغنى هو المسلوب عنه الحاجة والأحد هو المسلوب عنه النظير

(٣) واما أن يدل على الذات مع اضافة كالعلىّ العظيم والأوّل والآخر والظاهر والباطن فان العلوّ والعظمة والأولية والآخرية وهكذا كلها بالاضافة الى أمور أخرى . فالأوّل مثلا هو السابق على الموجودات والآخر هو الذى اليه مصير الموجودات وهكذا

(٤) واما أن يرجع الى الذات مع سلب واضافة كالملك والعزيز . فالملك لايحتاج الى شئ و يحتاج اليه كل شئ . والعزيز هو الذى لانظير له وهو مما يصعب نيله والوصول اليه

(٥) واما أن يرجع الى صفة كالعليم والقادر والحيّ والسميع والبصير

(٦) واما أن يرجع الى العلم مع اضافة كالخبير والحكيم والشهيد والمحصى ، فالخبير يدل على العلم مضافا للامور الباطنية ، والشهيد يدل على العلم مضافا الى مايشاهد ، والحكيم يدل على العلم مضافا الى أشرف المعلومات والمحصى يدل على العلم من حيث يحيط بمعلومات معدودة

(٧) واما أن يرجع الى القدرة مع زيادة اضافة كالقهار والمقتدر والمتين لأن الاقتدار تمام القدرة والمتانة شدّتها والقهر تأثيرها فى المقدور بالغلبة

(٨) واما أن يرجع الى الارادة مع اضافة أومع فعل كالرحمن والرحيم والرؤف والودود فان الرحمة ترجع الى الارادة مضافة الى قضاء حاجة المحتاج الضعيف . والرأفة شدّة الرحمة وهى مبالغة فى الرحمة . والودّ يرجع الى الارادة مضافا الى الاحسان والانعام وفعل الرحيم يستدعى محتاجا وفعل الودود لايستدعى ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء يرجع الى الارادة مضافا الى الاحسان وقضاء حاجة الضعيف وقد عرفت وجه ذلك فيما تقدم

(٩) واما أن مايرجع الى صفات الفعل كالخالق والبارئ والمصوّر والوهاب والرزّاق والفتاح والقابض والباسط والخافض والرافع والمعزّ والمذل والعدل والمقيت والمجيب والواسع والباعث والمبدئ والمعيد والمحيي والمميت والمقدّم والمؤخر والوالى والبرّ والتوّاب والمنتقم والمقسط والجامع والمانع والغنيّ والهادى ونظائره

(١٠) واما أن يرجع الى الدلالة على الفعل مع زيادة كالمجيد والكريم واللطيف فان المجيد يدل على سعة الاكرام مع شرف الذات والكريم كذلك واللطيف يدل على الرفق فى الفعل فلاتخرج هذه الأسامى وغيرها عن مجموع الأقسام العشرة فقس ما أوردناه بما لم نورده فان ذلك يدل على وجه خروج الأسامى عن الترادف مع رجوعها الى هذه الصفات المحصورة المشهورة . انتهى باختصار من الكتاب المذكور

يقول المؤلف . أنا أكتب هذه المقالة ليلة الخميس (١٧) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م ولعلك تقول أيها الذكى لقد جاوزنا فى تفسير القرآن ثلثيه . فلماذا لم يفسر (الله الرحمن الرحيم) على هذا الوجه والتطويل إلا فى هذه السورة ؟ ولماذا أعقبنا ذلك باجمال تفسير الأسماء كلها على وجه الاختصار . ولم اختصت هذه السورة بذلك مع ان هذا كانت الأولى به سورة الفاتحة . فاذا كانت الاجابة على ذلك بأن كل سورة تأخذ بسملتها بعض العلوم فهذا لايجدى لأن السؤال « لم اختصت هذه السورة بذلك » والجواب عن ذلك انى أنا لم يخطر ببالى هذا السؤال إلا بعد تمام ماتقدم . والذى ورد فى خاطرى فى الجواب عن ذلك الآن أن ذلك لم يكن قصدا منى ولا أنا الذى خصصت هذه السورة بذلك . وانما الحكمة فى ذلك أن هذه (سورة لقمان) والله فيها يقول ــ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ــ الخ ولاجرم أن الحكمة هى العلم بأشرف المعلومات كما تقدّم وأشرف المعلومات معرفة الله عزّوجل وصفاته وأفعاله . فالله عزّوجل هو الذى حرّك قلبى وأجرى بذلك قلمى . وأنا لا أقصد هذه الفكرة وانما عرفتها بعد ما أتممت هذه المقالة . ذلك ليتفكر قارئ هذا التفسير فى أسماء الله وفى صفاته وفى أفعاله ويرى مجمل ذلك فى البسملة حتى يلم بأشرف العلوم وهو الحكمة التى أعطاها الله لقمان . وهنا يدخل روضة العلوم الحكمية . فاذا قرأت أيها الذكى فى أثناء هذه السورة حكم الحكماء وعلم العلماء فى معنى الحكمة فها أنت ذا قرأت أشرف علوم الحكمة . وياليت شعرى اذا رأينا علماء اليونان قد جمعوا علوم الحكمة كلها فى عشر كليات سموها ﴿ المقولات ﴾ وهى (الجوهر والكم والكيف والاضافة والزمان والمكان والملك والوضع والفعل والانفعال) وقد تقدّم شرحها فى أثناء هذا التفسير . فكيف جهل أكثر المسلمين أن أسماء الله الحسنى وهى عشرة فى عشرة إلا واحدا قد جمعت العلوم كلها بطريقة ألطف وأعلى وأجمل فان معانى هذه الأسماء ترجع الى الذات والصفات الإلهية والله هو المعلم للأمم والعالم كله آثار صفاته . فاذا قلنا فى غير هذا المكان أن الفاتحة تشير الى مجمل العلوم وهى أفضل من تلك المقولات لأنها سهلة جعلت للتعبد

بخلاف المقولات فهي معقدة ولاتصلح للتعبد . فهكذا هنا نقول هذه الأسماء كذلك تصلح للتعبد كما ان فيها أصول العلوم . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ ملخص سورة لقمان ﴾

(الذى تضمنته الرحمة فى بسم الله الرحمن الرحيم فى أولها)

تقدم الكلام على الرحمة العامة فى سور كثيرة لاسيما فى أول ﴿سورة الروم﴾ وأول هذه السورة واستبان من جملة ذلك كله أن الآلام والمرض والكسر والجرح ، كل ذلك لم يقصد منه إلا الانذار . إذن الرحمة لابد لها من جنود وهى تلك الآلام وقد تم شرح هذا فى أول ﴿ سورة الروم ﴾ لأنه لوحظ هناك قتال الفرس والروم والمسلمين ، فهناك ويل وحرب وحوادث فهى مقيسة على آلام الأفراد . إذن آلام الأفراد وآلام الأمم جميعها من الرحمة العامة ، فكما انا نرى الجرح والكسر والاحساس بالحمى ونحو ذلك كلها منبئات منذرات بالهلاك ان لم يتلاف أمرها كما أن الجوع منذر بالهلاك أو المرض ان لم يتدارك الجسم بالغذاء هكذا أحوال الأمم فالعالم كله على قاعدة واحدة وونيرة ثابتة يسير على منوال واحد من حيث أن كل ألم شرطى وجندى من جنود الرحمة

هذا أصبح لمن قرأ هذا التفسير مما هو مبرهن عليه لاشك فيه وعليه فقس ماستراه من الرحمة فى نفس هذه السورة التى ابتدئت بالبسملة المشعرة بالرحمة فيما يقرؤه الناس فيها . و بيانه أن نقول . ياسبحان الله . الله خلق الخلق ووجههم الى مقاصدهم ، فلم كان انزال الكتب السماوية والانذار والتحذير ؟ فهلا كان توجههم كتوجه الحيوان بالغرائز فلانسمع وعيدا ولا زواجر ولا أمورا مشكلة ولا خلافا ولا تكفيرا ولاشيعا مختلفة فى كل أمة من الأمم قديما وحديثا . والجواب على ذلك أن نقول

اعلم ألهمك الله الحكمة أن للعقل الانسانى من السعة والجولان والخواطر ماليس للحشرات والطيور فهى فيما يبدو لنا ليس لها من الحرية الفكرية مالنا . فلهذا العقل من التحليق فى جو الأفكار مايجعله ذا طرق متباينة لاطريق واحد ، فهو إذن يعتريه الصحة والمرض فى الآراء كما يعترى الجسم صحة ومرض جسميان فكما قدر لهذا الجسم أمراض من داخله وأخرى من خارجه وأحيط فى الأول بالحيوانات الكاسرة والأعداء والحشرات وتخلله فى الثانى مئات من الجيوش الجرارة من الحيوانات الذرية تفتك به تارة وتحافظ عليه أخرى وكلها ذات حياة حقيقية ، هكذا قدر لعقله ﴿ جيشان ﴾ جيش من الحكمة والارشاد والأصحاب والعلم يهديه الى الهدى . وجيش آخر من قرناء السوء ظاهرا و باطنا يسولون له مايرديه و يوقعه فى هوة الهلاك . وكما أننا أعوزنا فى الجسم الأطباء والعقاقير لنصر الجيوش الجرارة من الكرات البيضاء المحافظة عليه المقاتلة لجيوش الجدرى والحمى والحصباء الخ هكذا أعوزنا فى طب العقل والروح كتب وعلوم وأساتذة وأنبياء ينصرون جيوش النور التى تحيط بالمرء فى بيته وخاصة جبلته على جيوش الرذيلة والذنوب التى تحيط به كل حين من أنصار السوء والآراء الخبيثة التى ملكت قياده . فاذا جاء فى أول هذه السورة « بسم الله الرحمن الرحيم » فالرحمة فيها مذكرة بالحكمة . وماهى الحكمة ؟ هى التى سترى تقسيمها قريبا الى علمية وعملية والعلمية منها الرياضى والطبيعى والإلهى والعملية ترجع الى الأخلاق ونظام المنزل ونظام الأمم وقد تفرع على علوم الطبيعة جميع الصناعات إذن الحكمة المذكورة فى هذه السورة هى جميع النعم الظاهرة والباطنة ولذلك أعقبها بقوله ـ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ـ إذن الرحمة فى هذه السورة موجهة لاسباغ النعم علينا ظاهرة و باطنة وذلك بالحكمة . فنعمها الظاهرة علوم الكائنات الطبيعية التى ستقرؤها هنا . ونعمها الباطنة منها علم الأخلاق . هذا هو السر الذى أنزله الله فى هذه السورة . وهذه الحكمة بأقسامها هى الجيوش الجرارة القاتلة لجيوش الجهل والأدوية المزيلة لأمراض الجهل وخراب العمران . الله كما أنزل الأغذية والأدوية لنمو الأبدان وارجاع صحتها أنزل الحكمة العامة لارتقاء النفوس وتهذيبها وتقويمها . فالنفس والجسم فى ذلك سيان كلاهما تعوزه رحمة الرحمن الرحيم

لاعتداله

لاعتداله و بقائه . فيارب أنت أنعمت علينا بالعلم و بدأت السورة بالرحمة وأريتنا أن الرحمة هنا ترجع للحكمة فانك بدأتها بقولك ـ تلك آيات الكتاب الحكيم ـ فكان هذا براعة استهلال استهللت به السورة لتدل القارئ أن هذه الرحمة ذكرت هنا للحكمة التي ستفصلها وذكرت ﴿ فريقين ﴾ فريقا اهتدى وأحسن ، وفريقا يعيش باللهو والباطل فهو بعيد عن الحكمة ثم وصفت نفسك بالعزة والحكمة فكتابك حكيم وأنت العزيز الحكيم ، هنالك استعدت نفوس قراء كتابك لتلقيها ، فبدأت بذكر خلق السموات والأرض بلا عمد وهذا عجب لم نره في الأرض عادة ، ثم ذكرت الجبال وانزال الماء من السماء واخراج النبات ، كل هذا خلقته بحكمة . هنالك أخذت تصف حكمة لقمان وانها ترجع الى علوم وأعمال فهي من نور حكمتك التي ذكرتها وأتبعتها بأن نعمك أنت أسبغتها على الناس ظاهرة و باطنة وأن علمك لاحصر له ، ثم ذكرت سير الشمس والقمر والفلك في البحر ووعدت وأوعدت وكل هذا يحويه علم الحكمة و يعقله الحكماء وكل هذا تتضمنه الرحمة في قولك (بسم الله الرحمن الرحيم)

و بالجملة فان أجسامنا في الذوبان والملاشاة ونفوسنا دائما في الاضطراب والوساوس والشكوك والأوهام فالروح والجسم متفقان إذن في الاضطراب ولا يمسك الجسم عن سيلانه وذوبانه إلا الأغذية والأدوية ولا يمسك النفس عن اضطرابها وأوهامها إلا علوم الكائنات الرياضية والطبيعية والالهية وعلوم الأخلاق والسياسات العامة والخاصة . كل هذا من رحمتك المذكورة في البسملة ، فبعلوم الكائنات غذاؤها و بعلوم الأخلاق دواؤها ، وهذه هي الحكمة التي أنزلت لها (سورة لقمان) . فهل من سبيل الى سعادة هذا الانسان إلا بالوصول الى ما استقر من الحكمة في هذا المقام بحيث يصبح المكروه والمحبوب معا جندين من جنود الرحمات في بسم الله الرحمن الرحيم ، وأي سعادة في الدنيا والآخرة أعظم من أن تصبح النفس مطمئنة الى أن المقادير كلها رحمة وأن كل مايصيبنا من مكروه هو مقدمات ضرورية للرحمة كما سبق تقريره . أوليس من أعظم بل أعظم سعادة لكاتب هذه السطور ولاخوانه قراء هذا التفسير أن تصبح نفوسنا مستقرة على أن كل ما في هذا العالم وما في نفوسنا من المكروهات أعمدة تقام عليها الرحمات . اللهم إني أحمدك على ما أنعمت به من العلم الآن وعلى ما أريته لي في المنام منذ (٤٠) سنة

ذلك اني كنت إذ ذاك مجاورا بالجامع الأزهر وتوجهت الى قريتنا (كفر عوض الله حجازي) أيام العطلة و بينما أنا ذات ليلة مساء أمشي في بعض الحقول قريبا من القرية وأنا أفكر في شرور هذا العالم وكيف تخلق فيه ثم نمت تلك الليلة اذا قائل يقول لي اقرأ قوله تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ـ وقوله تعالى ـ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ـ الخ فاستيقظت وأدركت أن المقصود أن المعذب رحمن وأن ما في قصة الافك من الايذاء ونحوه كلها رحمات لمن أوذوا وأن التزكية والتطهير يكونان بحدوث المصائب والآلام ، ولقد تبدت هذه المعاني في علوم الأمم الحكمية وظهرت في هذا التفسير ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . انتهى القسم الأول من السورة ليلة الاثنين (٤) نوفمبر سنة ١٩٢٩

﴿ القسم الثاني ﴾

﴿ الكلام على معنى « الم » ﴾

تقدم الكلام على هذه الحروف في أول ﴿آل عمران﴾ ولكن ربما كانت الاشارة هنا فوق ما تقدم هناك الى قوله ـ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ـ واذن تكون (الم) هنا وفي ﴿الروم﴾ وفي ﴿العنكبوت﴾ لفت أنظار للأمة الاسلامية المستقبلة الى دراسة كل العلوم الكونية في السماء والأرض فانك رأيت أن (ا ل م) جاءت في العنكبوت في قوله ـ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ـ وفي ﴿سورة الروم﴾ قال ـ واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات

للعالمين ـ وهنا قال ـ ألم تروا أن الله سخر لكم ـ الخ فكل هذه السور جاءت فيها الحروف الثلاثة مرتبة متصلة تارة ومنفصلة أخرى فى موضوع واحد وهو النظر فى العوالم المحيطة بنا ، فتارة تذكر على طريق كيف كان بدء الخلق ، وتارة ذكرت بطريق اختلاف الألسنة والألوان ، وتارة على سبيل أن النعم ظاهرة و باطنة

إن الله يذكرنا بهذه النعم من كل وجوهها بدأ واعادة وظاهرة و باطنة وكثيفة فى مادة أولطيفة فى صوت وهو ألطف المادة ورمز لذلك العلم بالنطق بالحروف اشارة الى تحليل العوالم والوقوف على الحقائق الثابتة وهى مرتبة بحيث تكون اللغات مقدمة على العلوم لأنه ذكر الألوان بعد اللغات لتصقل العقول بالحقائق بعد الخيال فى اللغات كما ذكر اليقظة بعد النوم فتظهر به الحقائق وتزول أضغاث الأحلام وليتأمل المفكرون فى هذه السور

(١) كيف ابتدأ السورتين بمثل ماختمهما ، فذكر فى أول العنكبوت الجهاد وختمها به فقال ـ والذين جاهدوا فينا ـ وابتدأ ﴿سورة الروم﴾ بالوعد بغلبة الروم الفرس أوالمسلمين الروم وختمها بقوله ـ فاصبر إن وعد الله حق ـ

(٢) وكيف كانت السورتان السابقتان كما قلنا لحوز العلم والحكمة وكيف قال فى آخرهما ـ ولا يستخفنك الذين لايوقنون ـ

ذلك أن الانسان اذا لم يكن ثابتا فى إيمانه بالحكمة استخفه كل ما يطرأ عليه من أقوال الذين لايقين عندهم وهذا شأن أكثر المتعلمين اليوم يقرؤن ولايقين عندهم لأنهم ليسوا ثابتين فى الحكمة ولايعرفون نفس الحقائق التى يدرسون قشورها وظواهرها كما قال سبحانه فى ﴿سورة الروم﴾ ـ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ـ فلهذين السببين أتى بهذه السورة ذاكرا حكمة لقمان مشيرا الى أن الانسان لايصده عن الخفة وعن الشك إلا اتمام الحكمة باليقين فلذلك أتى بهذه السورة فهى لتمام الحكمة ودراسة حكمة الحكماء حتى يقف على سر هذا الوجود . هذا وأذكرك أيها الذكى بما تقدم فى ﴿سورة الروم﴾ من بعض أسرار (ا ل م) فى هذه السورة . انتهى القسم الثانى من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

الٓمٓ * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ *

التفسير اللفظى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم ☆ تلك آيات الكتاب الحكيم) معناه ظاهر مما تقدم فى نظيره (هدى ورحمة للمحسنين) أى هو هدى الخ ثم بين هؤلاء المحسنين فقال (الذين يقيمون الصلاة) صلة بينهم و بين ربهم (و يؤتون الزكاة) صلة بينهم و بين الخلق مع مراعاة الاخلاص لله (وهم بالآخرة هم يوقنون) حتى ينالوا جزاءهم فيها (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لجمعهم بين العلم والعمل (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) مايلهى عن الحديث النافع كأن يأتى بالأحاديث التى لا أصل لها والأساطير والخرافات والمضاحيك وفضول الكلام كالنضر بن الحارث كان يشترى كتب الأعاجم ويحدث بها الناس ويقول ان كان محمد يحدثكم بعاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفندار والأكاسرة ، وربما اشترى الفتيات وأمرهن بمعاشرة من أسلم ليحملنه على ترك الاسلام (ليضل عن سبيل الله بغير علم) أى ليضل عن قراءة كتاب الله وهو غير عالم بفضله ومكانته العالية (ويتخذها هزوا) أى ويتخذ السبيل سخرية (أولئك لهم عذاب مهين) لأنهم أهانوا الحق باختيارهم الباطل (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) لايعبأ بها (كأن لم يسمعها) أى تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن فى أذنيه وقرا) ثقلا ولاوقر فيها (فبشره بعذاب أليم) أى أعلمه بذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ☆ خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز) الذى لايغلبه شئ فيمنعه (الحكيم) الذى لايفعل إلا الحكمة (خلق السموات بغير عمد ترونها) قد تقدم تفسيرها فى سورة الرعد (وألقى فى الأرض رواسى) جبالا شوامخ تقدم شرح هذا فى سورة الأنبياء وغيرها وتبيان معنى الرواسى فى علم طبقات الأرض حديثا وهو معجزة ظهرت فى العصر الحاضر ، كراهة (أن تميد بكم) أى تميل (وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) أى من كل صنف (كريم) حسن ، ومثل المطر والنبات قد تقدم فى كثير من السور وهو فى البقرة وغيرها (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من

دونه) أى آلهتكم التى تزعمونها (بل الظالمون فى ضلال مبين) وهذا اضراب عن التبكيت الى اثبات انهم ضالون ضلالا ظاهرا . ولما كان القول المتقدّم اشتمل على ذكر من يشترى لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم أعقبه بذكر النعم الظاهرة فى السموات والأرض والنعم الباطنة بالعلم والحكمة فى قصة لقمان ثم أردفها بأنه أسبغ علينا النعم ظاهرة وباطنة على الترتيب الذى تراه وهذا مبدأ قصة لقمان (ولقد آتينا لقمان الحكمة) العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما ، وسيأتى الكلام على ماقاله العلماء فيه ، وقوله (أن اشكر لله) أن بمعنى أى المفسرة ، ومعلوم أن الشكر ثناء باللسان على الله تعالى واصابة الحق وحب الخير للناس بالقلب وتوجيه الأعضاء وجميع النعم لما خلقت له ، فسرت الحكمة بالشكر لله ولاجرم أن الشاكر لله هو من جمع الخصال المذكورة فى القلب واللسان والجوارح وجميع النعم فيكون حكيما فى قوله وفعله ومعاشرته واعتقاده ومحبته (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لأنه مرق لها (ومن كفر) النعمة (فان الله غنىّ) لايحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد ومحمود من أهل السموات والأرض ثم ذكر بعض حكمه التى هى من جملة الشكر لله منه وهى نعمة اللسان المعبر عن حكمة الجنان وهى نصيحته لابنه قال تعالى (و) اذكر (إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنىّ) تصغير اشفاق (لاتشرك بالله) وقد كان كافرا فيقال انه أسلم (إن الشرك لظلم عظيم) فانه تسوية بين من لانعمة له ومن له جميع النعم ، ثم ذكر الله جملة معترضة بين وصايا لقمان تذكيرا للناس بأن الوالدين اللذين يتلوان الله فى التعظيم والاجلال لا يصح أن يطاعا فى الإشراك بالله ، فالله يوصى عليهما ويوصى أن لايعصى سبحانه بسببهما لأنه خالق الجميع وهذا قوله (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمّه) حال كونها تهن (وهنا على وهن) ضعفا على ضعف يتزايد كلما ازداد الحمل ثقلا (وفصاله) وفطامه (فى عامين) وقوله (أن اشكر لى ولوالديك) فيه مثل ماتقدّم فهو تفسير للتوصية كما كان ماتقدّم تفسيرا للحكمة ، وصى الله الانسان بشكره وشكر والديه (الىّ المصير) فأجازيك على الشكر والكفر (وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم) أى باستحقاق الاشراك تقليدا لهما (فلا تطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا) صحابا (معروفا) يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) فى الدين (سبيل من أناب الىّ) بالتوحيد والاخلاص (ثم الىّ مرجعكم) أى مرجعك ومرجعهما (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بأن أجازيك وأجازيهما على الايمان والكفر (يابنىّ انها إن تك مثقال حبة من خردل) أى ان الخصلة من الاساءة والاحسان إن تك فى الصغر مثلا كحبة الخردل (فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الأرض) أى فى أخفى مكان أوأعلاه أوأسفله على الترتيب (يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (إن الله لطيف خبير) يصل علمه الى كل خفىّ كما رأيت فى وزن العناصر وانتظامها وجمال اتقان نسبها فى ﴿ سورة العنكبوت ﴾ فهناك تبين سرّ هذه الآيات وأن الحبة من الخردل وأقلّ منها آلاف آلاف فى الصغر قد وضعت بحساب ونظام كما عرفته وأن الله يأتى بها كما عرفت فى ﴿ جدول مندليف الروسى ﴾ فان للذرات أوزانا فى العناصر لاتدع صغيرا ولا كبيرا إلا أحاطت به والعنصر الذى لايراه الناس ويجىء به يضعونه فى موضعه من الجدول لدقة الحساب الالهى . فاذا كان هذا فعل العلماء من أهل الأرض وقد هداهم النظام الالهى فى الذرات فمابالك بمن حسب ذلك ونظمه قبل خلقهم ؟ فبهذا تعرف ـ إن الله لطيف خبير ـ لأنه عالم بكنه كل شئ ، ولقد تقدّم شرح هذا المقام فى أوّل ﴿ سورة آل عمران ﴾ وغيرها وذكرت هذه الآية نفسها هناك (يابنىّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك بعد كمال نفسك (واصبر على ما أصابك) من الشدائد كلها لاسيما فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (إن ذلك) أى الصبر وماتقدّمه (من عزم الامور) أى معزومات الامور أى مقطوعاتها أوخير الامور أوحزم الامور (ولاتصعر خدك للناس) ولاتعرض عنهم تكبرا ☆ وقرئ تصاعرا أى أقبل على الناس بوجهك ولاتولهم شقّ وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون (ولاتمش فى الأرض مرحا) ولاتمش لأجل المرح

والبطر (إن الله لايحب كل مختال فخور) والفخور راجع لقوله ولاتصعر خدك ومختال راجع للمشى مرحا (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع ☆ وقدقالت عائشة رضى الله عنها كان عمر اذا مشى أسرع ☆ وقال ﷺ « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » فاذن يكون اسراع عمر معناه انه لايدب دبيب المتماوتين كدبيب النصارى فى ذلك الزمان ولايسرع كخبب اليهود (واغضض من صوتك) وانقص منه (إن أنكر الأصوات) أوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم وأول صوته زفير وآخره شهيق . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة

ولنذكرهنا ﴿ لطيفتين ☆ الأولى ﴾ فى معنى قوله تعالى ــ واذ قال لقمان لابنه ــ الخ ﴿ والثانية ﴾ فى الكلام على لقمان عليه السلام

﴿ اللطيفة الأولى فى معنى آية ــ واذ قال لقمان لابنه ــ الخ ﴾

ابتدأ لقمان فنصح ابنه بنصائح مبتدئا بأهمها وهو التوحيد ، فأمره بألايشرك به وعلل ذلك بأن الشرك خلاف العدل وأعقب ذلك بوصف الله بصفة العلم العام للعالم العلوى والسفلى وانه لاتخفى عليه خافية فى صخرة أوسماء أوفى أرض فهو يعلم كل خافية و يقدر أن يأتى بأدق الأشياء أين كانت . ولما أتم ذلك أخذ يأمره بتكميل نفسه وذلك بالعبادات التى أهمها الصلاة لمن يعلم مافى قلبه ولايخفى عليه خافية ، فلما عرف ربه وكمل نفسه لم يبق بعد ذلك إلا إفاضة الخير على الناس وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان العظيم من يكون مثلا أعلى للناس ينفع نفسه و ينفعهم فيكون كالكواكب المشرقة على الناس . ولاجرم أن الهداة معرضون لأذى الناس فلذلك أمره بالصبر على مايصيبه منهم ومايبتلى به فى جسمه أوماله أوأهله فمن لاصبر له لا يكون كاملا ثم مدح الصبر مدحا كبيرا ، فاذا كمل الانسان وكمل غيره واعتصم بالصبر على أذاهم فانه لاجرم يستهدف لذنوب عظيمة وهى الخيلاء والكبرياء فأمره بعدم التكبر وعدم الخيلاء والاعجاب بالنفس فيقول من ذا مثلى علم وعمل وهداية للناس وصبر تام ، فمن فى الناس مثلى . ولما كان الانسان قد يحمله طلب الكمال على الاسراع فى قضاء الحاجات فيمشى لها مسرعا وقد يحمله الاعجاب والكبرياء أن يدب دبيبا متعاظما أمره أن يكون مشيه وسطا والوسط حسن فى كل شئ وهو العدل . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اضطربت أقوال علماء التفسير فى لقمان من هو ؟ ومن أى الأمم هو ؟ تبعا لعلم التاريخ وأقاصيص الأمم ودياناتها ، فبنواسرائيل عدوه من أنفسهم وقالوا انه كان فى زمن داود وانه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وقال قوم انه كان عبدا حبشيا ، وقال قوم انه كان خياطا ، وقال آخرون انه نجار ولم يذكروا من أى الأقوام هو ، وآخرون قالوا هو راعى غنم ، وقال قوم كان عبدا أسود عظيم الشفتين

فهذه الأقوال منقولة عن الأمم التى قبلنا ولكن الجميع متفقون أن حكمته ذاعت فى الأمم كلها وذكروا بعضها . واعلم أن هذا الحكيم الذى ذاع ذكره فى جميع الأمم قال عنه اليونان انه منهم وهذا كتابه بين يدى فرأيت مشابهة بين الحكم المنقولة عنه و بين ماذكره المفسرون منها ، وكانوا يسمونه (ايثوب) من قرية تسمى (امرتوم) وكانت ولادته بعد تأسيس (مدينة رومه) بمائتى سنة ، و يقولون انه كان من سقط المتاع فى الجسم مشوه الخلقة والوجه معقود اللسان ، ولما اشتراه أحد الفلاحين أرسله الى الحقل ليريح الناس من قبح وجهه ولكن الله لما خلق القبح فى وجهه عوضه حكمة فى عقله كما عوض العمى عن البصر ذكاء فى الأفئدة ، ولقد بقى هذا العبد معقود اللسان أمدا طويلا ولايتكلم إلا بالاشارة ، و بينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى ملكا جاءه فى صورة انسان وحل العقدة من لسانه ووهبه علم الحكمة ، فلما استيقظ أحس بانطلاق لسانه وصار من فرحه يحدث نفسه فسمعه رئيس الخدم يتكلم مع نفسه بفصاحة فذهب الى سيده وقال هذا

العبد خبيث لأنه يدعي انعقاد لسانه وهو فصيح فأمر ببيعه ، فلما عرضه على تاجر ليشتريه أعرض عنه احتقارا لشأنه ، فقال له (ايثوب) اشترني وأنا أنفعك ولا أضرك بشئ ، فان كان لك أولاد تخوّفهم بي كأني عفريت من العفاريت ، فاشتراه بثمن بخس ، وأخيرا باعه هذا لرجل فيلسوف وله معه نوادر

﴿ النادرة الأولى ﴾

سأل الفلاح في البستان الفيلسوف (سيد ايثوب) فقال له . لماذا أرى القطعة التي لا أخدمها من هذا البستان تنبت أكثر وأكبر من القطعة التي أخدمها . فقال الفيلسوف سيد ايثوب (لقمان) هذا فعل الطبيعة فضحك (ايثوب) وأخذ سيده على جانب وقال له قل للفلاح إن هذه مسألة صغيرة لاقيمة لها وعبدى هو الذى يجيب عليها ففعل سيده فذهب (ايثوب) للفلاح وقال له إن الأرض تشبه امرأة ذات أولاد فتزوّجت برجل آخر ذى أولاد من امرأة غيرها فهى تلتفت الى أولادها ليكونوا أحسن من أولاد الزوج

﴿ النادرة الثانية ﴾

ان امرأة سيده غضبت فاشترى أصنافا من الحلوى ارادة صلحها وقال اعطها لحبيبتي فأعطاه لكلبة عند سيده وكان يحبها ، فلما رجع سأل زوجته عن الحلوى فقالت لم يأتني شئ فسأل لقمان فقال أنا أعطيتها لحبيبتك كما أمرت لأنها تتحمل الذل والاهانة وتضرب ثم ترجع لك ، فأما المرأة فانها غير حبيبة لأنها تطلب الطلاق لغير سبب

﴿ النادرة الثالثة ﴾

ان زوجة سيده غضبت وأبت الرجوع من بيت أهلها فقال له اشترأشياء لوليمة وادع لها من أحببت وأشع انك تريد الدخول بامرأة غيرها فلابد انها ترجع عنادا أوغيرة

﴿ النادرة الرابعة وقد ذكرها المفسرون ﴾

جاء لسيده ضيوف أعزاء فقال له اشتر أحسن كل شئ فاشترى ألسنة الدواب كالثور والكبش والجاموس وأمر الطباخ أن ينوّع الطعام ، فلما أكل الضيوف سئموا لأنهم وجدوا أوّل الطعام وآخره اللسان ، فقال له ألم أقل لك اشتر أحسن كل شئ ، قال وأى شئ أحسن من اللسان ، هو رابطة العائلات ، ومفتاح العلوم ، وآلة الحق ، وبه تبنى المدن وتضبط ، وبه يحصل التعليم والزام الحجة ، والحكم فى الأمم . فقال لك الحق . وفى اليوم الثانى دعاهم وقال اشتر أقبح كل شئ فى السوق ، فأعدّ الطعام كاليوم الأوّل . فلماسألوه قال ان اللسان أقبح كل شئ . هو أبو المتناقضات ورأس المشاكل والدعاوى ومنبع الشقاق والحروب وان قيل عنه آلة الحق فهو آلة الغلط والنميمة . وبه تخرب المدن . وبه المسبة . وبه العار . فقال بعض الضيوف إن هذا فى امكانه أن يقنع كل فيلسوف . ثم علا أمره وعظم شأنه حتى صار يحضر مجالس الأعيان ويشاورونه فى أمر الحرب والصلح وله حيل فى ذلك عظيمة جدا وكم أنقذ سيده من مشكلات حتى انه أعتقه . وقد كان فى أهل ساموس فتحرك يوما ملك (اللديان) على أهل (ساموس) وأرسل لهم رسولا يخيفهم من بطشه فيدخلون تحت طاعته فمالوا اليه وخافوا من الحرب فقال لقمان « إن الدهر فتح للناس ﴿طريقين﴾ طريقا للحرية كثير الصعوبات والأهوال ولكنه هنيء العاقبة . وطريقا للاستعباد أوّله سهل وآخره لايطاق » فرجع السفير وأخبر الملك فطلبه فأرسل اليه فحقره لما رآه وكان أراد قتله ولكن حكمه وحسن تخلصه جعله يعفو عنه وبقى عند ذلك الملك مدة وألف حكايات على ألسنة الحيوانات ستأتى وتركها عند الملك . وأخذ يسيح فى الأرض فقابل ملك بابل وغيره ونال شهرة عظيمة ونالت حكمه ذيوعا فى الأرض ومن هذه الحكايات كتاب « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » وهى مائتا حكاية على ألسنة الحيوانات ترجمها المغفور له المرحوم محمد بك عثمان جلال وطبعت بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ سنة ١٩٠٦ م بمطبعة النيل بمصر أوّلها ﴿ الصرار والنملة ﴾ وآخرها ﴿ الرجل والحية ﴾ وفيها حكم بديعة ومنها

حكاية

﴿ حكاية الغراب والثعلب ﴾ و ﴿ حكاية الضفدعة ﴾ و ﴿ حكاية بغلة الأثقال و بغلة المال ﴾ و ﴿ حكاية الكلب والذئب الخ ﴾ وهاك الحكاية الأولى

﴿ الصرار والنملة ﴾

(حكاية موضوعها صرار أودى به الجوع والاضطرار)

وكان قضى الصيف فى الغناء ☆ وما سعى فى ذخرة الشتاء
وحين جاء زمن الثليج ☆ ومنع القوم من الخروج
شاهد بيته بلامؤنة ☆ فراح يوما يطلب المعونة
وقال للنملة أنت جارتى ☆ مالى سواك فى قضاء حاجتى
هل تصنعين معى المعروفا ☆ لا ذقت من أيامنا صروفا
وتقرضينى صواعا غله ☆ وطبقا ومتردا وحله
فان أتى الصيف فقبل الصبح ☆ أردها عليك قبل الربح
قالت له النملة وهى تجرى ☆ عذرك يامسكين مثل عذرى
ماذا فعلت فى حصيد قدمضى ☆ قال لها كان زمان وانقضى
قالت وما ادخرت فيه للشتا ☆ قال لها مستهزئا مبكتا
كنت أغنى للحمير القمص ☆ قالت له ياصاحبى الآن ارقص
واعلم بأن السعى فى الذخيرة ☆ يدفع كل غمة وحيرة
والدرهم الأبيض وهو فى يدى ☆ ينفعنى فى كل يوم أسود

***

﴿ الحكاية التى قبل الأخيرة وهى حكاية الرجل وزوجته واللص ﴾

حكاية عن رجل وزوجته ☆ إذا نسبتها فبنت عمته
يحبها المسكين حبا جما ☆ ويجتنى منها الأسى والهما
فطالما سبته أوذمته ☆ وقلما ناجته أوضمته
وزوجة عاشت بلامحبة ☆ فتلك كالنعجة أوكالدبة
قال فجاء اللص ذات ليله ☆ وجرّ من بعد العشاء ذيله
فألقت المرأة خوفا نعلها ☆ وأقبلت تجرى تضم بعلها
فضمها لصدره وقالا ☆ يالص كل ليلة تعالى
قرّبت لى كثيرة النفار ☆ فاسرق جميع ماترى فى الدار
فسرق اللص جميع مارأى ☆ وانفضّ عنهما مساء ونأى
وقصها الزوج علىّ فى الغد ☆ فقلت ما من عجب يا ولدى
ألاترى أن امرأ قدعشقا ☆ غانية و بيتها قد سرقا
وجاءها وقت الحريق والضرم ☆ فسلمت له قيادها وضم
فالخوف قديكون للوصل سبب ☆ وربما أخيف ظبى فانغلب

﴿ ذكر الحكمة فى ذكر لقمان الحكيم مع ان أمره غير بين من حيث النسب ﴾

اعلم أن الله عزوجل لما ذكر نعمه الظاهرة ونعمه الباطنة . فالأولى بما فى السموات والأرض . والثانية

بالحكمة والعلم اختار للثانية رجلا لا يعرف نسبه على التحقيق تتنازعه الأمم ليرينا أن الحكمة ليس لها مكان وأن الله يأمرنا أن نأخذ الحكمة أنى وجدناها من عبد وحر ومعلوم الأصل ومجهول وقديم وحديث وبهذا نعلم أن النفوس الانسانية كلها متعاونة قديمها وحديثها وأولها وآخرها وجميلها وقبيحها وسيدها ومسودها على العلم ونشره وأن نفوس الأولين مشوقة لتعليم نفوس الآخرين بالكتب والتآليف والنقش على الأحجار وبالأخبار . كل ذلك ليعلمنا الله أن الأرواح جميعها متصلات من ملك ونبي وحكيم وعالم وأن مانراه من اختلاف الناس وأن زيدا يكره دين عمرو لأنه ليس من معتقدي ذلك الدين وما أشبه ذلك . كل ذلك نقص في نوع الانسان فعليهم جميعا أن يأخذوا الحكمة أنى وجدوها لأنهم لله راجعون وهو الحق ولا يقوم شئ إلا بالحق . وأن عالم الأرواح أشبه بعالم الأجسام من حيث التعاون والارتباط . فاذا رأيت الشمس تضيء على الأرض بلا جزاء ولا شكور والأرض وما عليها كل يعين الباقي كما سترى ايضاحه فيما سيأتي وأن زيدا لا يعيش إلا بانتظام دولته وأسرته وحكومته وأم الأرض المساعدات لأمته والشمس والأرض ودورانها على الشمس وهكذا عوالم متلاحقة متعاونة ــ وأن الى ربك المنتهى ــ

فالعلوم ترسل من العقول الكبيرة الى الصغيرة ومن المتقدمة الى المتأخرة لتلاحق الأرواح وتحاب النفوس وأن العظيم العلم حريص على سعادة الجاهلين . ولما كانت الأرواح بهذا الوصف أمرنا الله في الصلاة أن نسلم على عباد الله الصالحين وأن نصلي على النبي ﷺ وآله وأن نذكر ابراهيم وآله وأن نسلم في ختام الصلاة على كل روح يمينا وشمالا ذلك للصلة بين الأرواح ، ويقول ــ اهدنا الصراط المستقيم ــ ويقول ــ الذين أنعمت عليهم ــ ويقول ﴿ اهدنا فيمن هديت ﴾ وذلك كله لنستأنس بالأرواح قبل مقابلتها بالموت . تم الكلام على لطيفتي القسم الثالث من السورة والحمد لله رب العالمين

(القِسْمُ الرَّابِعُ)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ * وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى

وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *

التفسير اللفظى

قال تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات) من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والمطر (وما فى الأرض) من الشجر والدواب (وأسبغ عليكم نعمه) وأتمها عليكم (ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة وما تعرفونه وما لا تعرفونه (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) جاء من دليل (ولا هدى) من رسول (ولا كتاب منير) أنزله الله وانما ذلك بالتقليد (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) تقليدا يتبعونهم (أولو كان الشيطان يدعوهم) الضمير لآبائهم (الى عذاب السعير) أى الى الكفر والشرك وكل ما يجب به العذاب (ومن يسلم وجهه الى الله) أى يخلص دينه لله بأن يفوض أمره اليه ويقبل عليه بكليته كما تقول أسلمت المتاع الى الزبون (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) فهو كمن يتدلى من جبل فتمسك بأوثق عروة من عرى الحبل المتدلى منه (والى الله عاقبة الامور) فهى صائرة اليه فيجازى كل على ما فعل (ومن كفر) ولم يسلم وجهه الى الله (فلا يحزنك كفره) فهو لا يضرك (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور) أى يعلم ما فى صدور عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) زمانا (قليلا) فى الدنيا (ثم نضطرهم) نلجئهم (الى عذاب غليظ) شديد (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لأن الدليل واضح (قل الحمد لله) على إلزامهم الحجة والجائهم الى الاعتراف (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم واذا نبهوا اليه لم ينتبهوا (لله ما فى السموات والأرض إن الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المحمود يحمده من فى السموات والأرض وان لم يحمده هؤلاء وهو مستحق للحمد * قال المفسرون لما نزلت بمكة ــ ويسألونك عن الروح ــ الآية وهاجر رسول الله ﷺ الى المدينة أتاه أحبار اليهود وقالوا بلغنا انك تقول ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ أتعنينا أم قومك فقال ﷺ كلا. عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا أوتينا التوراة فيها علم كل شئ فقال ﷺ هى فى علم الله قليل وقد أتاكم بما أن علمتم به انتفعتم به فقالوا كيف تزعم هذا وأنت تقول ــ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير ، فنزل قوله تعالى (ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام) تبرى أقلاما (والبحر يمده) يعطيه المدد (من بعده سبعة أبحر) أى مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله (ما نفدت كلمات الله) لأنها لا نهاية لها (إن الله عزيز حكيم) لا يعجزه شئ ولا يخرج عن علمه وحكمته أمر ، بعد أن ذكر الله

انه خلق نعما كثيرة ظاهرة وانه أجرى الحكمة على لسان لقمان وأتبعهما بأنه أسبغ النعم ظاهرة و باطنة وانه له مافى السموات ومافى الأرض بعد ذلك كله ناسب أن يبين أن تلك النعم والمخلوقات لاتحصى كما قال سبحانه ـ وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ـ ولما كانت تلك النعم غيرمحصورة ر بما ظنّ الانسان انها مبعثرة لاقانون لها أوانه يصعب على الله قيادتها فقال (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أى إلا كخلقها و بعثها إذلايشغله شأن عن شأن (إن الله سميع بصير) يسمع كل مسموع و يبصر كل مبصر (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل) من النيرين (يجرى الى أجل مسمى) الى منتهى معلوم (وأن الله بما تعملون خبير) فهو يعلم سير الشمس والقمر والكواكب وحسابها وحساب عناصر الأرض والنتائج الحاصلة بينهما ومنها أنتم وأعمالكم (ذلك بأن الله هو الحق) المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى لايستحق العبادة (وأن الله هو العلىّ الكبير) المرتفع على كل شئ المتسلط عليه (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) باحسانه فى تهيئة أسبابه (ليريكم من آياته) دلائله (إن فى ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه فى التفكر فى الآفاق والأنفس (شكور) يعرف النعم ومعطيها . وكل مايرد على الانسان فى الدنيا لابد فيه من ﴿ أحد أمرين ﴾ إما صبر إن كان مبغضا . واما شكر ان كان محبوبا ، فأشرف النوع الانسانى لايخلون من صبر وشكر فى جميع الأوقات (واذا غشيهم موج) أى علاهم وغطاهم (كالظلل) كل مايظل من جبل أوسحاب أوغيرهما (دعوا الله مخلصين له الدين) لأن الفطرة إذ ذاك زال عنها مايضادها من الهوى والتقليد (فلما نجاهم الى البرّ فنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد (ومايجحد بآياتنا إلا كل ختار) غدّار فانه نقض عهد الفطرة (كفور) للنعم (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده) لايقضى عنه ولايغنى (ولامولود هوجازعن والده شيأ) ومعنى هذا أن الشفقة والرحمة فى الوالد والولد أوفر من غيرهما . فالوالد والولد كل منهما عادة يجزى عن الآخر فى الدنيا فأما يوم القيامة فكل يقول نفسى نفسى (إن وعد الله حق) لا يمكن خلفه (فلاتغرّنكم الحياة الدنيا ولايغرّنكم بالله الغرور) أى الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي (إن الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها (و ينزّل الغيث) فى ابانه المقدّر له والمحل المعين له فى علمه (و يعلم مافى الأرحام) أذكرأم أنثى أتام أم ناقص (وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير أوشر ، ور بما تعزم على أمر وتفعل خلافه (وماتدرى نفس بأى أرض تموت) كما لاتدرى فى أى وقت تموت (إن الله عليم) يعلم الأشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها . انتهى التفسير اللفظى للقسم الرابع من السورة

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « مفاتيح الغيب خمس . إن الله عنده علم الساعة ، و ينزّل الغيث ، و يعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » اه

﴿ شذرات على هذه الآية ﴾

﴿ الأولى ﴾ جاء فى الاسرائيليات التى كان يقصها بنواسرائيل على شعبهم أن ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال له ملك الموت قال كأنه يريدنى وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح و يلقيه ببلاد الهند ففعل ، ثم قال ملك الموت لسليمان كان نظرى اليه ودوامه تعجبا لأنى أمرت بقبض روحه ببلاد الهند وهو عندك فوصل الى الهند فى الوقت المعلوم فتمّ أمر الله

﴿ الثانية ﴾ أن المنجم يحسب الخسوف والكسوف وغيرهما فيكون حقا ، فهذا انما يقول بالقياس والنظر ومايدرك بالدليل لا يكون غيبا ، ومنه مايعرف ظنا والظن غير العلم

﴿ الثالثة ﴾ رأى المنصور فى منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبرها

للعبرون

المعبرون بخمس سنوات و بخمسة أشهر و بخمسة أيام فقال أبوحنيفة رضى الله عنه هو اشارة الى هذه العلوم الخمسة لايعلمها إلا الله

﴿ الشذرة الرابعة ﴾ قد جاء فى علم الأرواح الحديث أن الأرواح لاتعلم مستقبل الناس القريب ولا البعيد ولما سئلت عن ذلك قالت لأن الامور فى العالم الأرضى مرتبطة بامور أخرى أقرب اليها وهناك أمور بعيدة لا تدرك فالأرواح الجاهلة تخبر بالعلامات القريبة وهى تجهل البعيدة فتخطئ فى خبرها ولما سئلت فقيل لها انا نعلم أن أناسا من أهل الأرض يخبرون بموعد الساعة واليوم الذى يموتون فيه و يقولون قد أخبرنا فى المنام به أجابت الأرواح قائلة أولئك قوم علم الله أنهم لايحزنون للموت وقد زهدوا فى الدنيا فيخبرهم بذلك فيستبشرون بالموت وهؤلاء قليل فى النوع الانسانى

﴿ لطيفة فى قوله تعالى ـ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ـ وفى قوله ـ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ وقوله ـ ولوأن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ـ ﴾

لقد قدّمت لك فى أوّل السورة انها بدئت بحروف (ال م) وقلت لك ان هذه اشارة منه تعالى الى أمر عظيم فى هذه السورة مبدوأ بهذه الحروف وفيه اسباغ النعم ظاهرا و باطنا وقد تبعه أن خلقنا و بعثنا كنفس واحدة وأن كلمات الله لاتنفد ونعمه لاتحدّ . ولاجرم أن هذا أمر عظيم لابد من التشمير والجدّ فى التفكير حتى يتضح ، فأريد الآن أن أسمعك قولا يظهر منه ﴿ أمران ﴾ النعم التى لا تتناهى وانتظامها كأنها نفس واحدة فأقول

أنت تعلم أن النعم التى تحيط بنا كثيرة ولست أريد التطويل بذكرها فانها يشرحها كل العلوم فلأذكر لك ﴿ أربع نعم ﴾ فقط وهى الغذاء والدواء والكساء والبناء ، ولست أتعرّض إلا للغذاء وأترك البقية وأذكر منه قبضة من القمح تصنع رغيفا يخبزفناً كله فنجعل هذا الرغيف محل بحثنا فنقول إن هذا الرغيف له خابز وعاجن وناخل وطاحن ومغربل وخازن و بائع ومخلص التبن من القمح فى الجرين ودارس وحاصد وساق وزارع وحارث . فهذه ثلاثة عشر صانعا اجمالا ، فلندع هؤلاء كلهم ولنقض الكلام على الآلات التى يعملون بها ولانذكر منها إلا الحديدة التى فى المحراث (السلاح) فنقول

هذه الحديدة لابد لها من حدّاد سوّاها على مقدار الحراثة ونجار ركب الخشب المقوّس عليها وتاجر جلب الحديد من أرض بعيدة وعامل حفر فى المناجم فاستخرج منها الحديد ، فلنترك هؤلاء كلهم ونتكلم على التاجر من بينهم فنقول إن هذا التاجر لايمرّ بالطرق البرّية والبحرية إلا اذا كانت مأمونة ولاأمان إلا اذا كانت الأمم التى على وجه الكرة الأرضية منتظمة الحكومات قائمة بحراسة الطرق ، ولولا ذلك ما أمن التجار الطرق ولم يجلبوا ذلك الحديد من أرضه ، فلولا حسن النظام والامن فى أكثر الأرض ما انتظم أمر التجارة ولم يصل الحديد للفلاح وهو فى حقله . ثم إن هذه الأمم على الأرض لانظام لها ولاثبات إلا اذا كانت الأرض جارية بنظام حول الشمس حتى يكون الليل والنهار منتظمين فلواختلت المواعيد لم يكمل نظام أهل الأرض ولووقفت الأرض فلم تدرحول نفسها لتقبل ضوء الشمس لمات كل من على الأرض إذ لا يكون إلا ليل فى جهة ونهار فى أخرى ، ولوأن الأرض لم تدرحول الشمس دورتها السنوية لم يكن صيف ولاشتاء ولاختل أمر الحياة ولم تعرف السنون والحساب ، فهذا كله لابد منه لانتظام أمم الأرض لتحفظ التاجر فى طريقه بالحديد المذكور ، ثم إن الشمس تجرى حول كوكب آخر لابد من ثباته والا لاختلّ أمرها هى وماحولها من الكواكب وهكذا الى حدّ ينقطع الفكر دونه . كل ذلك لحفظ الأمم على الأرض . وأيضا لولم تكن الكواكب السيارة فى مداراتها الخاصة بها لم تعرف الطرق البحرية لأن الربان يرصد تلك الكواكب فيهتدى برصدها الى الطريق

فانظر كيف اشتركت الدول والأرض والشمس والكواكب وانتظام أمكنتها ومداراتها فى حفظ التاجر الذى أحضر الحديد للحراث الذى يحرث القمح لغذائك

هذه نبذة يسيرة من سلسلة النعم التى جعلها الله للرغيف قبل أن يكون لديك ، ولم نذكر الريح والمطر ولا نظام الحكومة التى يكون فيها الحقل ، ولا هؤلاء العاملون الذين ذكرناهم ، ولا مايلزم كلا منهم من غذاء ودواء وحكومة حتى يعيش فيخدمك كل هؤلاء ضربنا الذكر صفحا عنهم لأن هذا لايتناهى الكلام فيه ، فلنبحث إذن فى الرغيف بعد وجوده لديك

إن الانسان يأخذه بيده ويمضغه ولابد من أسنان طواحن كما يطحن الحب بالحجارة وحادّة كالسكين للقطع وهى القواطع ومحدودبة كالرمح للتمزيق بحيث تكون كل طائفة لنوع من المأكول والا تعطل الآكل ولم تكن الثمرة المطلوبة ، ثم يجرى من تحت اللسان عينان تخرجان مادّة لعابيـة تساعد على هضم الطعام ثم يكون اللسان مستعدّا لتحريك الطعام من جانب الى جانب ، ثم يمرّ الطعام فيجد أمامه الحلقوم المفتوح الذى يخرج منه النفس الوارد الى الرئتين فى الصدر فيمر عليه ولو بقى مفتوحا لمات الانسان حالا ولم يعش ، فخلق له صمامة تسمى ﴿ صمامة المزمار ﴾ فتى أحست باللقمة أقبلت الى المزمار حالا فغطته فتمرّ اللقمة الى المرىء ولذلك يجد الانسان نفسه غاصا بالماء أو بالطعام اذا كان يتكلم وهو يأكل فان الكلام يعوزه النفس والنفس يؤخر الصمامة فيندفع شئ من الطعام فى الحلقوم فيتأذى الانسان ، فاذا مرّ الطعام الى المعـدة قابلته هناك سوائل فيها كالتى فى الفم يقال لها ﴿ العصير المعدى ﴾ فتساعد على هضم الطعام ، فاذا استحال الى الكيموس ونزل الى الامعاء وجدها تبلغ فى الطول (٧) أمتار و بعض سنتيمترات منها (٦) للامعاء الدقاق ومتر واحد و بعض سنتيمترات للامعاء الغلاظ ، وفى أثناء ذلك يصير كيلوسا مستعدّا لأن تجتذبه الشرايين و يستحيل دما شيأ فشيأ فيجرى الى الكبد ومنه الى القلب وهناك أربعة تجاويف أعليان يسميان (الأذينين) وأسفلان يسميان (البطينين) تصغير أذن و بطن والدم يجرى فى هذه الأربعة بنظام بصمامات بين كل أذينين و بطينين وهناك يتلاقى مع الهواء الجوّى فى الرئتين فيأخذ منه الهواء المادّة الفحمية أى التى احترقت فى النسيج الجسمى لأن الدم يجرى فى سائر الشرايين والأوردة وهى متفرّقة فروعا وراءها فروع تدق شيأ فشيأ حتى تصل الى مالا يدركه الطرف من الفروع الشعرية ، وهذه كلها تعطى الأنسجة دما ينقلب الى لحم وعظم ودهن وظفر وجلد وشعر وصفراء وسوداء و بلغم وكبد وطحال وحالب وقلب ورئة ومعدة ومخ وعصب وعظم وهكذا ولا يتحوّل الدم الى شئ من هذه إلا بعملية كيمائية بحيث يحصل الاحتراق والاحتراق يتبعه مادة محترقة ، ذلك هو الكربون الذى لو ترك ثوانى لمات الانسان

فمن الحكمة ادخال الهواء والهواء يلاقى الدم فى الرئة فيعطيه مادة الحياة وهو الاكسوجين و يأخذ منه مادّة الموت وهو الفحم أى (الكربون) وهذا الفحم متى تسلمه الهواء سار به فى الجوّ وأعطاه للنبات فكان منه الخشب والورق والعشب والفاكهة والأب . ففساد أجسامنا صلاح نباتنا ، وصلاح نباتنا صلاح أجسامنا . فبابه فساد يصلح فيرجع لنا صلاحا كرة أخرى

إنى لعلى يقين انك أيها الذكى الآن عرفت النعم الظاهرة بقسميها وهى التى خارج أجسامنا والتى هى داخل أجسامنا ولم أذكر لك منها إلا رغيفا واحدا وهذا الرغيف قد اشتركت فيه العوالم كلها الأرضية والسماوية حتى وصل اليك وهكذا اشتركت فيه سائر أعضاء الجسم حتى صار لحما ودما وعظما ومخا . وطبقات العين من صلبة ومشيمية وشبكية وسائل زجاجى وجليدية وتسمى (عدسية) ورطوبة مائية وعنكبوتية وقزحية وقرنية شفافة وفوق ذلك كله الملتحمة . فهذه كلها نسيج نسج من الدم والدم يجرى فى الجسم و يعطى كلا مايناسب من المواد التى حولها من العناصر الأرضية ومركباتها . ألست بهذا عرفت كيف كانت النعم لانهاية لها . واذا كان

الرغيف

الرغيف الواحد حزنا فى أمره حتى اشتركت فيه العوالم العلوية والسفلية وجميع أعضاء الجسم وهكذا النبات من حيث انه يأخذ الفحم . بهذا عرفت ﴿ الأمرين ﴾ كون النعم لانهاية لها وكون العالم الذى نحن فيه كجسم واحد والله هوالمدبر له ، فهو واحد ونحن فى ذلك الجسم العام وأرضنا وشمسنا أشبه بعضو صغيرمنه ونحن ودولنا عبارة عن ذرات فى ذلك العضو ولنا اتصال بالجميع . إن تكرار هذه المعانى يعرّفنا مركزنا فى الحياة و يفهمنا نظام الوجود و يعرّفنا معنى قول الناس « وحدة الوجود »

إن وحدة الوجود لايفهمها أحد إلا الذين يقطعون العمر بالتفكير ، واياك أن تقول انى عرفت وحدة الوجود بمثال مثل هذا ، بل لابد من عشقك أوّلا للعلوم ثم البحث فيها والنظر وتكرار ذلك لأن مثلا وأمثلة لاتكفى لاشراق هذا النور فى القلب . أليس من العجب أن النمل الذى ندوسه بأقدامنا خلق ليقتل الدود الذى ينخر أشجارنا فتحفظ تلك الأشجار من العطب ، فنحن فى مساكننا ودورنا نعيش تحت السقوف ولا ندرى أن النمل هو الذى حفظ لنا بعض الخشب لأنه كان يقتل الدود كما تراه فى ﴿ سورة البقرة ﴾ هناك

فظهر معنى اسباغ النعم ظاهرا و باطنا ، وظهر معنى كون خلقنا و بعثنا كنفس واحدة ، ومعنى كون نعم الله لايحصيها الكاتبون ولوكان البحر يمده سبعة أبحر والأشجار كلها أقلام ، ما أجل العلم وما أبدع الحكمة — وفوق كل ذى علم عليم —

وانى أسأل الله تعالى أن يحيى بهذا القول قلوبا ويرقى به أمما و يفتح به عيونا . ولتعلم أيها الذكيّ أن المسلمين لم تدخل عليهم الأمم من كل جانب إلا بجهلهم العلوم ، ولوعلموها لحفظوا عقولهم وديارهم وأموالهم ونظموا مدنهم ، فان أمثال هذه المباحث اذا درست دراسة نظامية انفتحت لها العقول وذكت بها البصائر وارتقت ونشطت من عقالها وطلبت المعالى وحفظت الثغور ورقت نظام الجمهور

وستقرأ النعم الباطنية عند الكلام على لقمان قريبا فى آخر الكلام على هذه السورة

﴿ ذكر العجائب فى أسماء السور ﴾

لقد سميت السور بأسماء تذكر المسلمين بما تفيده ، فسميت سورة الأنبياء والحج ومنها المؤمنون والنور والفرقان والقصص والنمل والشعراء والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة الخ

فالأنبياء قد تبين لك فيها انها تجمع خصائص الأمم حتى يأخذ المسلمون بجميع فضائلهم كما قدّمته واذن تكون مدنية أرقى من كل مدنية لوفهمت ، والحج معلوم أمره لأنه يجمع الأمة ، وأما المؤمنون فالمقصد من التسمية بها استكمال الايمان بخصال الكمال . وفى التسمية بالنور تشويق المؤمن لربه وانه لايمكن أن يعرف جلّ جلاله إلا بألطف وأجل الأشياء التى نراها وهو النور فقال سبحانه — الله نور السموات والأرض — والنبى ﷺ قال فى حق الله « انه نورانى أراه » ورأى أنوارا ليلة الاسراء عظيمة والفرقان لتبيان الحقائق بالنور العلمى . والقصص للاعتبار . والنمل ليكمل للمسلمين عجائب الحيوان فانه فى سورة النور قال — ومنهم من يمشى على أربع — فذكر لفظ النمل ليبين مايمشى على ست وهى سائر الحشرات ومنها النمل ، والشعراء سمى بها ليلفت نظر المسلمين الى الشعر وانه وسيلة لانتيجة وهو ظل غير ظليل من استظلّ به هلك . والعنكبوت تذكرة بالحيوانات العنكبوتية ذات الأرجل الثمانية . والروم ليذكر المسلمين بهم فانهم أعداؤهم الى يوم القيامة فليحترسوا منهم . ولقمان لاذاعة الحكمة بين الأمم بغض النظر عن أقدارهم وأنسابهم . والسجدة لتعليم العبد كيف يقرب من ربه . والأحزاب ليعرف الانسان أن الأحزاب اذا تألبوا على مخلص نصره الله . وسورة سبأ تذكير للأمة العربية بسابق مجد سبأ وانهم كانت لهم دولة ولكنها رجعت القهقرى باهمالها . فمن العار على أمة الاسلام أن لا يكون مجدها كأمة جاهلية هناك . ولتذكير الناس بسد العرم والمدنية العظيمة ليبنوا كما كانت تبنى أوائلهم . انتهى الكلام فى أسماء بعض السور فى الربع الثالث من القرآن

﴿ الكلام على ذكر لقمان خاصة ﴾

لقد تبين لك فوائد أسماء السور فى العلم . ولما كانت السورة التى نحن بصددها هى (لقمان) أحببت أن أخصها بالبحث فأقول

لقد اطلعت على نعم الله التى أسبغها علينا ظاهرا فيما تقدم وقد وعدتك أن أذكر شيأ من النعم الباطنة هنا ، وهاأنا ذا منجز الوعد فأقول

اذا كانت النعم الظاهرة قد اتصلت من مبدأ الأجسام الانسانية فى داخلنا وأدهشنا كثرتها ثم انها امتدت فى الخارج الى كل ماحولنا حتى وصلت الى مالاتدركه أبصارنا وعقولنا من عوالم متتالية متتابعة متواصلة ممتدة الى عالم أرقى وأرق ، فهكذا النعم الباطنة فهى تبتدئ من داخل نفوسنا فنرى عقولا مشرقة ونفوسا صافية وللعقول حواس ظاهرة وحواس باطنة والنوعان يستنتج منهما علوم ومعارف تشمل العالم الذى تقدم ذكره فى العجائب الظاهرة ، وليس المقام مقام الاطناب فى العلوم ففى هذا التفسير ما يكفيك اذا رجعت الى ما مضى ولكن المقام مقام أن الآية ذكر فيها النعم الظاهرة وقد قرنت بالنعم الباطنة بعد أن ذكرت العجائب السماوية والأرضية وذكر لقمان ، فلقمان يشار به للنعم الباطنة وههنا بيت القصيد فلننظر فى الأمر ونقول

عرفت قصص لقمان وعرفت انه قد فتح الله عليه بالأمثال على لسان الحيوان وقرأت بعض هذا وأنا الآن أزيدك فأقول . كم من قارئ للقرآن يمر على هذه السورة مر النسيم على الهشيم . كم من قارئ يقرأ القرآن وهو غافل نائم جاهل . ذكر الله لقمان وذكر انه آتاه الحكمة . فأى حكمة ؟ هى حكمة الأمثال على ألسنة الحيوان ، وإلامَ ترمى تلك الأمثال ؟ ترمى للأخلاق ، للمعاشرة ، للسياسة ، لنظام الدولة ، للجد ، للاجتهاد لطلب العلم ، للاحتراس من الماكرين ، وهكذا . ذلك ما ترمى اليه تلك الأمثال . إذن القرآن يحضنا على حكمة لقمان وهو كما عرفت مجهول الأصل ، مجهول الحال ، أنبى هو أم حكيم ، على خلاف بين الناس ، وحكمته راجعة لحسن السلوك ولكن ليس هذا كل النعم الباطنة المذكورة فى الآية بل هذه بعضها . إذن نقول

لقد تقدم قبل هذا ذكر العنكبوت وذكر النمل تسمية ودراسة فى نفس السور . ذكر الله الحيوان والنبات فى أكثر السور السابقة تكرارا كما قدمناه ، وقدمنا أن ذلك لمعرفة علومها وللانتفاع بها . فالانتفاع كما قال الله تعالى ــ والخيل والبغال والحمير لتركبوها ــ وأما معرفتها فواضحة من كثير من الآيات كقوله تعالى ــ قل انظروا ماذا فى السموات ــ وكقوله ــ أولم يتفكروا ــ الخ وأمثال ذلك . فإذن الحيوان يعرف إما للتفكر فى علومه وهذا من علم الطبيعة . واما لمنافعه . وهذا فيها أيضا مع مشاركة الجهال فى بعض تلك المنافع . واما بضرب الأمثال بها كما فى أمثال لقمان . فسبحانك اللهم . أنزلت الحكمة على قلب لقمان وألهمته أمثال الحيوانات لتعلمنا السير فى الحياة ونفس هذه الحيوانات متاع لأجسامنا ولأغذيتنا وحلدنا وهى هى غذاء لعقولنا ونمو لثروتنا وارتقاء لمدنيتنا . فالحيوان

(١) مثال تفقهه عقول الحكماء لأخلاقنا

(٢) ومنفعة للغذاء والحمل والمعاش

(٣) ورقى للعقول بعلوم الطبيعة

إذن فى الحيوان ﴿ ثلاث خصال ﴾ اثنتان منها عرفت قبل سورة لقمان والثالثة بسورة لقمان . بهذا يوصى الله الأمة الاسلامية قائلا « آتيت لقمان الحكمة والحكمة مستخرجة من المخلوقات التى أمامكم » فالدنيا كأنها لوح وصور الحيوانات حروف وكلمات ولا يعقل ذلك إلا الحكماء وهم هم الذين يشكرون الله فان شكر الله بمعرفة عمله وقبول صنعه

هذا هو الذى تفيده قصة لقمان ولذلك سميت السورة باسم لقمان تنويها الى ما ذكرناه وتبيينا لما

الدهر

الدهر طواه

وعلى ذلك يكون المسلمون مقصرين فى ترك العلوم وحكمة الحكماء . إن هذا كلام الله وهو الذى يؤتى الحكمة من يشاء وقد شوّقنا الى الحكمة وقال ـ ولقد آتينا لقمان الحكمة ـ إن الله لم يقفل باب الحكمة ، انه فتحه على مصراعيه ، انه هو الذى علم لقمان ويعلم المسلم ويشوّق المسلم الى قراءة الحكمة ، فكل حكمة قرأتها فلتعلم أن الله شوّقك اليها وهو الذى ألهم قائلها على شريطة أن تكون صادقة لاتنافى العقل ولا الدين . وحسن بك اذا قرأت فى أمثال (لقمان) حكاية الغراب والثعلب وأن الثعلب أخذ يتملق للغراب وأخذ منه غذاءه

فاعتبر الغراب من ذى النوبه ☆ وتاب ولكن لات حين توبه

أوقرأت حكاية الكلب والذئب وقول الذئب للكلب الذى يذله صاحبه

وبالغنى لم يك لى افتتان ☆ مادام فيه الذّل والهوان

أوقرأت حكاية الجدى والنعجة والعجلة والسبع إذ استبدّ بالجميع وأخذ الغزالة التى لم يصدها هو فكان هذا المثل

فاجتنبوا السلطان عندالشركه ☆ فليس فيها للشريك بركه

أوحكاية الذئب والخروف إذ ادّعى الأوّل عليه دعاوى كاذبة ثم أكله بالقوّة

وقل لأهل العقل والفتوّه ☆ أحسن مااحتجّ الفنى بالقوه

أوحكاية الذئب والبطة إذ أغاثته وطلبت الأجر فقال احمدى الله على السلامة

وأدركت حقائق المعانى ☆ والشهد ليس من فم الثعبان

أوحكاية السبع والحمار إذ نهق الحمار نخافت الحيوانات فافترسها السبع ثم قال للحمار محتقرا له

جنسك معروف بغير قافيه ☆ كثير صوت وقليل العافيه

أوحكاية الحصان والذئب وقد أراد الذئب أكل الحصان مدّعيا علم الطب فرفسه الحصان وهو يعالج رجله

وهكذا فى الناس كل من بدا ☆ بالخبث لايخرج إلا نكدا

أوحكاية (الثعلب والعنب) وانه أراد أكله فلم يستطع لارتفاعه عنه فأخذ يذم العنب بعد اليأس منه فقال القطف

طول لسان فى الهوى ☆ وقصر فى الذنب ☆

أوحكاية الطاووس إذ أراد تقليد البلبل فى صوته فقال صاحبه كفاك ماز ينت به ولكل طير نعمة خاصة به ثم نتف ريشه وجرّده لعدم عفته وهكذا الفنى يحسد الفقير على أىّ نعمة

تلك عيون جفنها خراب ☆ فانما يملؤها التراب

أوحكاية الغراب المقلد للنسر إذ هجم على كبش فأخذه الراعى بيده هو وأولاده

وقصها علىّ قلت سيدى ☆ ما أضيع البرهان للمقلد

هذه بعض الحكايات التى نقلت عن لقمان عليه السلام

﴿ جوهرة فى أن الكلام على ذى القرنين يشبه بعض المشابهة الكلام على لقمان ﴾

ارجع الى ماتقدم فى ﴿ سورة الكهف ﴾ عندالكلام على ذى القرنين فقدذكرت لك هناك أن الخضر عليه السلام لما أقام جدار الغلامين اليتيمين ولم يأخذ أجرا يشبه ذا القرنين لما أقام السدّ ولم يأخذ من الذين طلبوا بناءه خرجا وانما قبل منهم الاعانة بالقوّة وحدها لابالمال وأبنت لك أن هاتين القصتين انما نزلتا للامم الاسلامية لنهتدى بهما فنساعد المحتاجين من الأمة ولا نأخذ أجرا منهم كما فعل الخضر ونساعد الأمم بمالنا اذا كنا ملوكا ولانأخذ من تلك الأمم أجرا . وملخص هاتين القصتين أن نكفل الأفراد ونكفل الأمم متى

قدرنا ونتعفف عن المال ما استطعنا . هذا ماترمى اليه القصتان . هذا ملخص ماذكرته هناك

وقد ذكرت فى غير ما موضع أن القرآن لايجعل حقائق التاريخ هى المقصودة بل يعمد الى المقاصد والنتائج ويشير لذلك قوله تعالى ـ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب الخ ـ ونرى القرآن لم يبين العدد حرصا على المقصود من التنزيل وهى (الموعظة الحسنة) وماعدا ذلك فهو كالقشر فلندعه ولنصل الى اللب . هذا مايؤخذ مما ذكرته هناك . وذكرت فى الكلام على ذى القرنين قولا مطوّلا فى تعيين الأمة التى نسب اليها أهى أمة اليونان أم أمة اليمن ؟ وهناك حللت أسماء الأمتين بقدر الامكان فوجدت أن ذا القرنين واضح فى اليمن وهناك (أذواء) كثيرون فى نظم واضح هناك فثبت أن (ذا القرنين) من اليمن ولكنه مبهم لم يعين ، وانما لم يعين للحكمة المتقدمة إذ أننا لانهتم بذاته نفسه وانما نهتم بنعته الذى نتشبه به . ولاجرم أن صفته القرآنية هى الأخلاق العربية التى نزل القرآن موافقا لأجلها منابذا لسفسافها ، فالعرب فى البادية مفطورون على إعانة الضعيف والتجاوز عن الأجر فى مقابلة المعروف ، وهذه صفات شريفة أثبتها القرآن وأبقاها . وهذه الصفات لاتتوقف على أن نعرف عين الذى اتصف بها أهو يمنىّ أم هو يونانىّ ؟ واذا كان يمنيا فأىّ الأذواء هو ؟ كل ذلك لايهتم به التنزيل كما علمت

هذا ملخص ماتقدّم وهو موافق لأمر لقمان سواء بسواء ، فلقمان قدادعته غير أمة والقرآن ترك الأمر ولم يبين من أى الأمم هو كما لم يبين ذا القرنين

هذا ماكنت وصلت اليه فى ﴿ سورة الكهف ﴾ وكتبته هناك . أفلا تسمع اليوم مافتح الله به وأنعم علينا ، فلعمرى لم يكن ليخيل لى إذ ذاك أن أطلع فى موضوع ذى القرنين على بيان أبهى وكمال أجل وحكمة أرفع وسعادة أتم وبهاء أوفى ونور باهر وعلم ساحر وزهر عاطر

كيف لا وقد عثرت فى كتاب ﴿ الأدب والدين . عند قدماء المصريين ﴾ المؤلف حديثا فى زماننا أن قدماء المصريين اتخذوا القرنين رمزا لهم فى أعلامهم على شكل قرنى الكبش بلون لامع ووضعوا رسم القرنين على رأس المعبود (أمون رع) لأنهم رأوا أن الكبش كثير التناسل والبركة وقد لقبوا بهذا اللقب ملوكهم لأنهم من نسل ذلك المعبود فى عرفهم . وهاك نص ماجاء فيه

﴿ القرنان ﴾

اتخذ المصريون القدماء رمزا لهم فى أعلامهم على شكل قرنى الكبش بلون لامع ووضعوا رسم القرنين على رأس المعبود (أمون رع)

﴿ استطراد ﴾

بمناسبة ذكر القرن رأينا أن نستطرد هنا بذكر المعانى الكثيرة التى وضعتها اللغة العربية للفظة (قرن) خصوصا انها مستعملة الآن فى معان عدّة يحتاج اليها الانسان أحيانا كثيرة نذكر منها ماهو متداول استعماله فنقول « القرن معناه فى اللغة العربية العظم النابت فى أعلى رؤس كثيرة من الحيوانات الوحشية والمستأنسة كالبقر والمعز وجمعه قرون ، والحيوان المعروف بالكركدن (وحيد القرن) لأن له قرنا واحدا فى مقدم رأسه ينطح به الفيل فيشقه . ومن العجيب أنه مخالف لسائر الحيوانات لأن له مع القرن حوافر مع ان القرن والحافر لايجتمعان فى غيره . والقرن أيضا ضفيرة شعر الرأس ومنه قولهم (له قرون طويلة) والقرن الخصلة من الشعر وان لم تكن مضفورة . وقرن الجبل أعلاه . وقرن السيف حده . وقرن القوم سيدهم . وقرن الشمس حاجبها وقد قيل مايبدو منها عند طلوعها . القرن مائة سنة ومنه قول المؤرخين القرن التاسع أو العاشر مثلا ، وكقولهم كان فلان فى قرن فلان أى فى عصره ومدته . القرن الميل (المرود) الذى يكتحل به وهو أيضا اسم

الجبل

الجبل مشرف على عرفات . وقرن الشئ طرفه . وقالوا قرنى الأرض أى مشرقها ومغربها . وعلل بعضهم تسمية (اسكندر بن فيلبس المقدونى) بذى القرنين أى صاحب قرنى الأرض بمعنى مشرقها ومغربها ولكن الصحيح أن السبب فى تلقيبه بذلك أن قدماء المصريين كانوا قد وضعوا فى رأس المعبود آمون قرنى كبش كما تقدم لأنهم رأوا الكبش كثير التناسل والبركة ، ولاتزال صورة هذا المعبود موجودة على هذا الشكل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى وسط الطرقة الشرقية ، ولما كان عصر الملك (تانوت أمن) من الأسرة الخامسة والعشرين لقب نفسه بالسيد ذى القرنين (نب أبوى) جريا على مبدئهم من أن الملوك من سلالة هذا المعبود وهم أحق بأن يتخذوا شعاره ، ثم لما استولى (اسكندر المقدونى) على مصر ورأى انه قد آل اليه ملك هؤلاء الفراعنة اتخذ هذا اللقب عنهم ليمثل به نفسه أمامهم فى عقائدهم وشعائرهم » اه

وأنا أحمد الله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، اللهم إنى أحمدك على نعمة العلم ونعمة التوفيق ، سبحانك اللهم وفقت وعلمت ، فاننى كتبت ماتقدم فى ﴿سورة الكهف﴾ بطريق الاستنتاج . فلما قرأت ماتلوته عليك الآن وجدت أن ذا القرنين مبدؤه مصر ومصر قريبة من اليمن وأهل اليمن سموا بالأذواء ، ومن الأذواء ذوالقرنين كما تقدم هناك ، ثم جاء اسكندر المقدونى فسمع بذى القرنين فسمى نفسه به . إذن أصبح (ذوالقرنين) لايختص باليونان ولاباليمن ولا بمصر . فقوله تعالى — ويسألونك عن ذى القرنين — واجابته تعالى بقوله — قل سأتلو عليكم منه ذكرا — يشير الى ما قلنا فانه قال — سأتلو عليكم منه ذكرا — فأنا لاأدون حوادث التاريخ التى تحوم حول كل من سمى بهذا الاسم بل أتلو عليكم ما يكون ذكرا لكم وحكمة وعلما لأن القرآن لهذا أنزل . أما التاريخ فغير مقصود لذاته ولافائدة فى تحقيقه ولاغرض فى تفصيله . وانما أذكر لكم صفات الكمال والجمال التى اتصف بها (ذوالقرنين) سواء أكان باليمن أم بمصر أم باليونان فتعيينه لايفيد . وعلى هذا ربما كان ذوالقرنين المذكور فى القرآن من قدماء المصريين وربما كان من أهل اليمن . فأما كونه من اليونان فلا لأنا قدمنا أن تاريخ الاسكندرليس فيه تلك الفضائل التى ذكرها القرآن . وانما كتبت هذا هنا لمناسبة ذى القرنين للقمان . وقد جاء ذكرهما معا فى كتب التوحيد كما قيل

وذوالقرنين لم يعرف نبيا ☆ كذا لقمان فاحذر من جدال

هذا ما أردته فى هذا المقام والله أعلم . أقول اذا قرأت ذلك كله فقل سبحانك اللهم . سبحانك أنت الذى خلقت المروج وخلقت الطيور . أنت يا الله خلقت القلوب وأنت الذى ألهمتها أن تصور الحكمة من صور الطيور انك يا الله قد علمتنا فى القرآن أن المقلد لايعى وأكثر سور القرآن مشحونة بذم المقلدين . مشحونة بالمعاندين والجاهلين الذين يقلدون ولا يعقلون . وأنت يا الله الذى ألهمت عبادك هذه الصورة الحكمية التى توافق كتابك وفيها انعاش للنفوس واحياء للقلوب . أنت الذى أنزلت القرآن لتعلمنا الحكمة والقرآن أشار الى ماصنعته لنقرأه ونفهمه والقرآن فتح لنا الباب وقال ادخلوا فمن سمع القرآن وعقله دخل الباب واحتمل الحكمة ومن لم يعقل ولم يفهم وقف وقال كفانى الترنم بألفاظ القرآن . لك يا ألله الحقول والحيوان ولك الانجيل والقرآن ولك قلوب نوع الانسان وأنت دللتنا بالقرآن على المروج وعلى الحيوان وعلى ما أنتجته العقول . فتحت لنا الطرق ولكن الجهال أقفلوها أمام المسلمين . أناموهم طويلا . لا لا بل كفنوهم ودفنوهم فى اللحود وأوقفوا أوروبا على مقابرهم ليحرسوها خيفة أن يرجع أحدهم لكونه دفن خطأ فى لحده . فعلوا ذلك وهم لايشعرون وقد آن أوان مجدهم وأيام سعدهم وسيكون فيهم مرشدون صالحون وحكماء محققون وعلماء نابغون

ولما اطلع على هذا صاحبى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى الامور الهامة فى هذا التفسير قال لقد أحسنت فيما لخصت من حكم لقمان ومن أمر ذى القرنين و بهما تشابها ولكن الآن أريد أن تذكر عشر حكم أخرى منظومة

من الكتاب المتقدم ذكره لتكون تفكهة للقارئين وموعظة للمؤمنين فقلت نعم سأذكرلك ﴿عشر مواعظ﴾ كما قلت وهاك بيانها

﴿ الحكمة الاولى فى الحمار حامل الملح والحمار حامل السفنج ﴾

حمار بولاق له حمير ☆ وفى البلاد شغله كثير
حمل جحشا حمل ملح قاسى ☆ وكان لايرثى ولايواسى
وحمل الآخر بالسفنج ☆ وقال سبحان الإله المنجى
فحامل السفنج صار يسعى ☆ وحامل الملح النهيق قطعا
وحين أقبلا على المعادى ☆ ونزلا الماء ببطن الوادى
امتلأ السفنج صار مثقلا ☆ والملح حين ذاب خف محملا
فغطس الحامل للسفنج ☆ كغطسة البذرة فى النارنج
ولفت الماء عليه بالكسا ☆ ففارق الدنيا وعاف النفسا
وطلع الملاح وهو ينهق ☆ وهكذا رب أسير يعتق
فاصبر على أهوالها ولاضجر ☆ فربما فاز الفتى اذا صبر
وربما جاءك بعد الياس ☆ روح بلا كد ولا التماس

﴿ الحكمة الثانية فى شجرة البلوط والسنبلة ﴾

حكاية عن شجر البلوط ☆ نقلتها عن شيخنا السيوطى
قال الى سنبلة من فول ☆ ليتك فى العلو تحكى طولى
ليتك لوغرست تحت رجلى ☆ وكنت فارقت الحى من أجلى
وكنت فى أمن من العواصف ☆ قالت له ما مسنى من تلف
إنى وان كنت نحيف القامة ☆ وفى الهوى لا أملك استقامة
فان ماعندى من اللدونه ☆ وقت الرياح يوجب المرونه
وأنثنى تيها على أمثالى ☆ وبالرياح قط لا أبالى
و بينما الاثنان فى تنازع ☆ إذ نفخت منافخ الزعازع
واغبرت الآفاق والبطاح ☆ وجلجلت فى الشجر الرياح
وقد أصابت قامة البلوط ☆ ونزلت به الى الهبوط
وسنبل الفول يميل تاره ☆ وينثنى أخرى مع الاماره
ولم يصبه من أذى ولاضرر ☆ وربما كان الهلاك فى الكبر

﴿ الحكمة الثالثة فى البغلة ﴾

حكاية وقعت فى سالف الأمم ☆ عن بغلة خدمت شابندر العجم
وغرها العز والاقبال فارتفعت ☆ فى رتبة المجد والأنساب والشيم
باطالما ذكرت أن امها فرس ☆ قد ألبستها الموالى أشرف اللجم
وانها ذكرت من قبل فى كتب ☆ وضمها صاحب التاريخ بالقلم
و بعدما خدمت يوما الحكيم رأت ☆ ذادونها فبدت تشكو من الخدم
وحين شابت وفى الطاحون قد دخلت ☆ وأصبحت شبحا فى حيز العدم

والذل أورثها ضعفا وألبسها * حلى الجراح على ثوب من الورم
قد فكرت فى الحار النحس والدها * وحققت نسبا عنه من القدم
وسلمت لليالى عند شدتها * إن الشدائد لاتبقى على الشمم

﴿ الحكمة الرابعة فى الضفادع وزواج الشمس ﴾

سمعت عن لقمان انه حكى * وبالذى رواه قد تمسكا
وقال ان الشمس يوما قالت * نفسى الى حب الزواج مالت
فخرجت تشكوها الضفادع * وهى تقول كيف بعد نصنع
أما اذا ما زوجوك أهلك * ثم دنا فى الجو منك بعلك
لابد من أن تلدى شموسا * وتحرق الضفدع والجاموسا
إنك فى جو السما وحيدة * وعن بحار أرضنا بعيدة
ومع هذا فانلظى لايخفى * فكيف ذا لو تلدين ألفا
تنشفين البحر والأنهارا * وتحرقين الليل والنهارا
أسألك اللهم لا تقدر * وأنت يا لقمان لا تنفر
فالشمس كالظالم ان تزوجا * أنتج ألفا مثله وأخرجا

﴿ الحكمة الخامسة ﴾

(حكاية الكلب الذى ترك الرغيف واتبع خياله)

كلب على النهر رأى رغيفا * فجاءه من جوعه ملهوفا
ونزل الماء وصار يسبح * وفى الهوا على الكلاب ينبح
ومذ دنا منه رأى خياله * فترك الرغيف جهلا باله
واتبع الخيال وهو الجانى * ظنا بأنه رغيف ثانى
فكبر النهر وثار الموج * ومن يد الكلب تلاشى الزوج
واضطر للرجوع والنجاة * محبة فى طلب الحياة
وازداد من غروره ضلالا * لا حصل العين ولا الخيالا
ومثله بين الورى كثير * من شأنهم فى العيشة الغرور
ماحصلوا بالجهل فى أى زمن * لاعنب الشام ولا كرم اليمن

﴿ الحكمة السادسة فى الشيخ وحماره ﴾

شيخ له جحش ومر فى الخلا * به على روض تجلى وانجلى
أطلقه فى الروض حتى يرعى * من الحشيش ولذيذ المرعى
فانشرح الجحش به وقصا * وفى الهوا برجله قد رفصا
وبينما الجحش به يدب * إذ جاء من بطن الفيافى دب
عاينه الشيخ فراح يمشى * وقال قم واجر بنا ياجحشى
قال له الجحش ولم قال العدو * من يلقه فشمله مبدد
فغضب الجحش بلا تأنى * وقال قم يا ابن الكرام عنى
فالموت لايكون إلا مرة * والموت خير من حياة مرة

﴿ الحكمة السابعة . حكاية الرجل والبرغوث ﴾

رجل من الرجال يستغيث ☆ فى فرشه يأكله برغوث
فهم يشكو بصياح عالى ☆ وهو ينادى سيد الموالى
يقول يامن خلق البريه ☆ بعونك ارفع هذه البليه
وأنت ياأستاذ ياشيخ العرب ☆ خذه أسيرا فى الحديد والخشب
و ياعنيق من أذى البرغوث ☆ خذعنى الكرب وكن مغيثى
قالت له زوجته ما نابك ☆ ومن أذى البرغوث ماأصابك
امسكه بين الأصبعين باليد ☆ واظفر به لاتستغث بأحد
عجائب عجائب ☆ إنك والله العظيم خائب
مثلك فى الناس كثير العدد ☆ فى كل حلة وكل بلد
من طبعهم ودأبهم حب الكسل ☆ أنبيك عن أخلاقهم اذا تسل
فى أى عارض صغير زائل ☆ يرجون فى تصريفه كل ولى
إن العظيم يدفع العظيما ☆ كما الجسم يحمل الجسيما

﴿ الحكمة الثامنة . حكاية الثعبان والمبرد ﴾

حكاية الثعبان ذى حكايه ☆ قد بلغت من حسنها النهايه
أذكره إذ مرّ وهو آتى ☆ بمبرد لرجل ساعاتى
وكان جوعانا فرام يقرضه ☆ فلاتعنفه فهذا غرضه
قال له المبرد ياثعبان ☆ ماتبتغى قال أنا جوعان
قال له كل ان يطعك نابك ☆ والله قد شرّفنى جنابك
فانما تأخذ من سماطى ☆ ماياخذ الريح من البلاط

﴿ الحكمة التاسعة . حكاية الديك الخصىّ والصقر ﴾

حكاية إن تستمعها ترقص ☆ عما جرى للصقر والديك الخصى
الديك يوما فرّ فوق السطح ☆ خوفا من الطباخ وقت الصبح
ووقفت تطلبه الصغار ☆ وهو بخوف ماله قرار
حتى لقد غرّوه بالصفير ☆ وأسمعوه صيحة الطيور
ومع هذا لم يسلم أبدا ☆ ولم يقرب بل نأى وأبعدا
فجاءه الصقر وقال هل صمم ☆ فى أذنيك أيها الديك الأصم
كم ذا ينادون وأنت غافل ☆ انك ياخل الدجاج جاهل
واننا يا معشر الصقور ☆ أعقل مايوجد فى الطيور
نصطاد فى البرّ و بعد نرجع ☆ وان تنادينا الرجال نسمع
قال له الديك كذاك اسمع ☆ و بدل الأذنين عندى أربع
لكن تأمّل وانظر المنادى ☆ فانه من أعظم الأعادى
هذا هو الطباخ يا ابن ودّى ☆ يرغب فى ذبحى وأكل كبدى
إنك لاتؤخذ مثلى للشوا ☆ دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى

﴿ الحكمة العاشرة فى حكاية الكلبين وجيفة الحمار ﴾

كلبان كانا عند شط النهر ☆ فاسمع حديثا لهما بالشعر
قد نظرا رمّة جحش عائمه ☆ بالماء والطير عليها جاثمه
وأخذت تبعدها الرّياح ☆ فقال كلب منهما نباح
تعرف ماذا فى المياه نصنع ☆ نشربها والجحش بعد يطلع
قال له أخوه يا حبيبى ☆ صدقت ليس ذاك بالعجيب
وان شربناه بتلك الهمه ☆ ينشف هذا البحر تحت الرمه
ونزلا فى البحر شربا شربا ☆ طورا بلعق ثم طورا عبا
حتى امتلا كلاهما وانكبسا ☆ وفارقا الدنيا وعافا النفسا
وقد رأيت فى الرجال مثل ذا ☆ من مسه الطيش فأورث الاذى
يطلب نيل المجد والفخار ☆ ورأسه قدر من الفخار
لاعقل فيها بل بها مأمول ☆ يطمع فيه وهو مستحيل
فبئست العادة فاحذرها الشره ☆ وقس بما رأيته مالم تره

فقال صاحبى . إن هذه الحكم عجيبة . فهل من مزيد . فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق ، ومن لم ينتفع بالقليل لم يفده الكثير . فقال ولكنى أريد أن تبحث فى حكم لقمان عن بعض الحكم التى مرّت فى ﴿ سورة الروم ﴾ وهى قوله تعالى ــ ظهر الفساد فى البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس ــ الخ فانك هناك ذكرت أن أعمال الناس وحروبهم وظلمهم أنتج هذه المصائب فى الأرض كالطاعون والحصباء الخ فهل فى كلام لقمان مايشير لذلك . فقلت نعم وذلك فى الحكاية الآتية وهى

﴿ حكاية الصياد والطائرة ﴾

قد نشب الصياد بالنبال ☆ طائرة كانت بسطح عالى
فوقعت لوقتها وصاحت ☆ وسكبت دموعها وناحت
ونظرت للسهم وهو فيها ☆ وأخذت تعضه بفيها
وهى تقول كيف يا ابن آدم ☆ أكون عونا لك فى سفك دمى
سهمك قد أرشت من جناحى ☆ وكيف أثخنت به جراحى
ماذا فعلت ياغبى فيكا ☆ حتى أذوق الموت من يديكا
لكن ربى ذو انتقام أبدا ☆ لم ينج قط من يديه أحدا
أقامكم أعداء فوق الأرض ☆ و بعضكم يسعى لقتل بعض
وكل باغ شأنه التعدّى ☆ فهو إذا لواقع من بعدى
فالبغى داء ماله دواء ☆ ليس للملك معه بقاء
وليس من عقل الفتى وكرمه ☆ إفساد شخص كامل لقرمه

فلما سمع هذه الحكاية قال إذن هذا تحريم للحلال ، هل يحرم الصيد ؟ فقلت هذا ضرب مثل والأمثال تراد غاياتها لا مانطق به منها . فقال لقد ازدادت دهشتى من هذه الأمثال . فقلت اقرأ قوله تعالى ــ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ــ فهذا عين المثل وهذا هو قوله تعالى ــ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ــ ولقد رأيت كثيرا من هذه الحكم فى كتب الاوروبيين . فقال حسن وكفى هذا . فقلت الحمد لله ربّ العالمين

﴿ كتاب كليله ودمنه ﴾

ومن هذا القبيل كتاب ﴿ كليله ودمنه ﴾ الذى ألفه الحكيم (بيدبا) الفيلسوف لملك الهند المسمى (دبشليم) انه ينحو منحى كتاب لقمان ، انه يصوغ الحكمة على لسان الحيوان ، فاذا قال الله ــ ولقد آتينا لقمان الحكمة ــ فليس معناه أنه لم يعط الحكمة لسواه . كلا . ثم كلا . انه قال ــ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ إن الله لم يختص لقمان بالحكمة ، بل انه جعلها فى أناس اختارهم هو من أمم شتى ومنهم (بيدبا) المذكور . إن الله لم يعط الحكمة للأمم السابقة وللصدر الأول من أمتنا الاسلامية ويحرم المسلمين اليوم منها . كلا . ثم كلا . إن الله خلقنا وهو الذى خلق الحيوان والنبات والعقول وألهمها الحكمة وعقولنا مستعدة لها فلنا أن نقرأ ما أجراه على قلوب الحكماء من الأمم والحكماء من الاسلام ليكون فى الأمة حكماء فى مستقبل الزمان وهذا الذى سيكون . انه لافرق بين حيوان فى القفرونيات فى المرج وعقل فى الانسان . إن الله شوقنا الى دراسة كل هذا . لماذا ؟ ليكون فينا نابغون وهولا يعطى الحكمة إلا لمن هو أهل لها ولا أهل لها إلا من قبلها واستعد لها والاستعداد من أهم المؤهلات له قراءة الكتب ونظر العالم ودراسة عقول السابقين واللاحقين . فاذا قرأ المسلم ﴿ باب الأسد والثور ﴾ من ذلك الكتاب عرف سر السياسة وكيف يكون الغدر وكيف يحتال المغتاب على الافساد بين الأصحاب والايقاع بالشر بينهم وكيف أمكن دمنه أن يوغر قلب الأسد من الثور ويهلكه ، وكيف ظهر الأمر بعد ذلك وشهد الشهود على (دمنه) انه غدار وأن الثور لم يذنب فحكم عليه القضاة بالقتل فقتله الأسد

واذا قرأت ﴿ الحمامة المطوقة ﴾ عرفت كيف يتحد المختلفون فى الطباع والأخلاق والأحوال ، وكيف يكون الاتحاد سبب نجاتهم ، وكيف اتحدت الحمامات المتفقات النوع على التخلص من الهلاك فنجحن

واذا قرأت ﴿ باب البوم والغربان ﴾ عرفت كيف تكون حيلة المحتالين من أهل السياسة وأن تملق العدو لا ينبغى أن يغتر به وان أظهر تضرعا وملقا ، وكيف مكر الغراب بجماعة البوم فهلكت

واذا قرأ الانسان ﴿ باب القرد والغيلم ﴾ عرف مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها فان الغيلم طلب من القرد قلبه باشارة زوجته فاحتال القرد عليه وخدعه ثم فر وتمت حيلته وندم الغيلم

واذا قرأ ﴿ باب الناسك وابن عرس ﴾ عرف مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب وكيف قتل الناسك ابن عرس الذى نجى ولده من الحية وهو مخضب الفم بالدم فظن انه قتل ابنه ، فلما علم أن ابنه حى وأن ابن عرس هو الذى نجاه بقتل الثعبان ندم

واذا قرأ ﴿ باب ابن الملك والطائر فنزه ﴾ وأن ابن الملك قتل ابن الطائر المذكور لما زرق فى حجره فجاء الطائر (فنزه) ففقأ عين ابن الملك ثم طلب الملك من الطائر المذكور أن يصاحبه ثانيا فأفهمه الطائر أن ذلك مستحيل لأن الأعداء الذين بينهم (ترات) يجب أن يتقى بعضهم بعضا

وهكذا أبواب أخر كباب الأسد وابن آوى وباب اللبوة والأسوار والشعهر وباب الناسك والضيف وباب السائح والصائغ . وباب ابن الملك وأصحابه . فهذه جملة أبواب الكتاب اذا قرأها المسلم فانما قرأ حكمة الحكماء وليست هى حكمتهم بل هى حكمة آتاهموها الله كما أن النبات لله والحيوان لله وقل تعالى ــ وأنفقوا مما رزقناكم ــ فكما أن المال من عند الله فالحكمة من عند الله ونحن عباده ، والله تعالى يقول ــ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ــ فهل يبيح الله لنا الزينة والطيبات من الرزق ويحرم علينا العلم والحكمة ؟ أحل الله لنا الرزق والزينة ، بل أحل لنا غنائم الأمم اذا حاربناهم حربا شرعيا أن نأخذ مالهم ، فهل يبيح لنا ذلك ويحرم علينا اجتناء علومهم وحكمتهم ؟ كلا كلا . بل الله سبحانه وتعالى عادة يزهدنا فى متاع الدنيا ويرغبنا فى زاد الآخرة ، وزاد الآخرة لا يكون إلا بالعلم والعمل تابع له

ففز بعلم تعش حيا به أبدا ☆ الناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ☆ والجاهلون لأهل العلم أعداء

﴿ حكمة قدماء المصريين ﴾

وهل أتاك نبأ حكمة قدماء المصريين . إن هؤلاء قد ظهرت حكمتهم فى هـذه الأيام وقد فتحت كنوز وظهرت رموز وأثيرت من القبور عجائب وصناعات ، وكذلك ظهرت كتابات على الأحجار وفى ورق البردى قد قصدها الناس من كل فج عميق كما استبان فى ﴿ سورة البقرة ﴾ عند قوله تعالى ـ إن فى خلق السموات والأرض ـ والكلام على قوله ـ يحبونهم كحب الله ـ فترى اليوم أهل أوروبا وأمريكا يقصدون بلادنا من كل فج عميق ليشهدوا حكما يقرؤنها وهاك منها ﴿ فصلين ☆ أحدهما ﴾ ما جاء فى جرائدنا المصرية يوم الجمعة (٩) فبراير سنة ١٩٢٣ م تحت العنوان التالى مانصه

﴿ أقدم كتاب فى العالم ﴾

منذ (٥٥٠٠) سنة عثر أحد الفلاحين على أوراق بردية وهو يحفر مقبرة بناحية (ذراع أبى النجا بطيبه) فباعها للعالم الأثرى الفرنسى (بريس دافين) الذى أذاعها سنة (١٨٤٧) ثم قدمها هدية لدار الكتب الأهلية بباريس ، لذلك اشتهرت بورقة (بريس البردية) وهى أقدم كتاب فى العالم لأنها كتبت منذ (٥٥٠٠ سنة) وقد كانت كتب الأولين كلها من هذا النوع وهى تشتمل على ١٨ صحيفة مكتوبة بالخط الهراطيقى بالحبر الأحمر والاسود متضمنة نصائح ومواعظ وحكما وضعها ﴿ رجلان ☆ الأول ﴾ يدعى (قاقنة) وهو وزير الملك حونى من الأسرة الثالثة ﴿ والثانى ﴾ يدعى فتاح حتب وهو وزير الملك اسى من الأسرة الخامسة ، كتبها وله من العمر (١١٠) سنوات ، اقتبسها من السلف ، وجعلها موعظة للخلف ، ولذا قال لابنه « اذا سمعت هـذه الحكم السامية عمرت طويلا و بلغت أوج الكمال وتدرجت الى معالى العلا والمجد » ثم اعتنى بترجمتها من اللغة المصرية القديمة الى الفرنسية العالمان شاباس دفيرى و باللاتينية العالم لوث و بالألمانية العلامة بروكش باشا و بالانكليزية الأثرى (المسترجن) ومن هؤلاء نقلت الى العربية

ولأهمية هذه النصائح الدرية اعتنى بها الانكليز اعتناء عظيما حتى قرروها فى برنامج الدراسة للأطفال فأكسبتهم المبادئ الشريفة التى أشربتها قلوبهم فى الصغر فسادوا العالم وقادوا الأمم وذلك بفضل اتباعهم مناهج أجدادنا العظام التى دونوها لنا وكنزوها لأجلنا فكان نفعها لغيرنا . و ياحبذا لو اهتدينا اليها واقتدينا بها فنحن أحق بها وهذا بيانها

﴿ نصائح قاقنا الحكيم المصرى القديم ﴾

(١) اسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الله
(٢) احذر أن تكون عنيدا فى الخصام فتستوجب عقاب الله
(٣) الابن الذى ينكر الجميل يحزن والديه
(٤) متى كان الانسان خبيرا بأحوال الدنيا سهل عليه قيادة ذريته
(٥) إن قليل الأدب لبليد ومذموم
(٦) اذا دعيت الى وليمة وقدم لك من أطايب الطعام الذى تشتهيه فلا تبادر الى تناوله لئلا يعتبرك الناس شرها ، واعلم أن جرعة ماء تروى الظمأ ولقمة خبز تغذى الجسم
(٧) احفظ هذه النصائح واعمل بها تكن سعيدا ومحمودا بين الناس

﴿ أمثال « فتاح حتب » الحكيم المصرى القديم ﴾

(١) إن التعرف بأعاظم الناس نفحة من نفحات الله

(٢) لاتوقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضرب بك الرب بعصا انتقامه

(٣) اذا شئت أن تعيش من مال الظلم أوتغتنى منه نزع الرب نعمته منك وجعلك فقيرا

(٤) إن الله يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء لأن بيده مقاليد الامور فمن العبث التعرّض لارادته تعالى

(٥) اذا كنت عاقلا فرب ابنك حسبما يرضى الله تعالى ، واذا شبّ على مثالك وجدّ فى عمله فأحسن معاملته واعتن به ، أمااذا طاش وساءسلوكه فهذب أخلاقه وأبعده عن الأشرار لئلا يستخف بأمرك

(٦) إن تدبير الخلق بيد الله الذى يحب خلائقه

(٧) اذا نلت الرفعة بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقة فلا تدخر الأموال بمنع الحقوق عن أهلها فانك أمين على نعم الله والأمين يؤدّى أمانته ، واعلم أن جميع ماوصل اليك سينتقل منك الى غيرك ولايبقى فيه لك إلا الذكر

(٨) ما أعظم الانسان الذى يهتدى الى الحق والى الصراط المستقيم

(٩) من خالف الشرائع والقوانين نال شر الجزاء

(١٠) لاينجو الأثيم من النار فى الحياة الآخرة

(١١) إن حدود العدالة ثابتة وغير قابلة التغيير

(١٢) اذا دعاك كبير الى الطعام فاقبل مايقدّمه لك ، ولاتطل نظرك اليه ، ولاتبادره بالحديث قبل أن يسألك لأنك تجهل مايخالف مشربه بل تكلم عند مايسألك فحينئذ يعجبه كلامك

(١٣) اذا كلفك كبير بحاجة فأنجزها له حسب رغبته

(١٤) اذا تعرّفت برجل رفيع فى المقام فلاتتعاظم عليه بل احترمه لمركزه

(١٥) اذا جلست فى مجلس رئيسك فاستحضر الكمال والصمت فلاتتفوّق فى الكلام لئلا يعارضك من هو أكبر منك نفوذا وأكثر منك خبرة ، واعلم أن من الجهل أن تتكلم فى مواضيع شتى فى آن واحد

(١٦) لاتعق كبيرا عن عمله متى رأيته مشغولا فانه عدوّ لمن يعوق أعماله

(١٧) لاتخن من ائتمنك لتزداد شرفا و يعمر بيتك

(١٨) من الحق أن يتشاجر المرؤس مع رئيسه فان الانسان لايعيش عيشة راضية إلا اذا كان مهذبا لطيفا ظريفا

(١٩) اذا دخلت بيت غيرك فاحذر من الميل الى نسائه فكم أناس تهافتوا على هذه اللذة القصيرة التى تمرّ كالحلم فأودت بهم الى المخاطر والمهالك ، واعلم أن بيت الزانى آيل للخراب والزانى نفسه أيضا فاقد الرشد وممقوت عند الله والناس ومخالف للشرائع والنواميس

(٢٠) اذا كنت عاقلا فدبر منزلك وأحب زوجتك التى هى شريكتك فى حياتك وقم لها بالمؤنة لتحسن لك المعونة وأحضر لها الطيب وأدخل عليها السرور ، ولاتكن شديدا معها إذ باللين تملك قلبها وقم بمطالبها الحقة ليدوم معها صفاؤك و يستمر هناؤك

(٢١) لاتعجب بعلمك لأن العلم بحر لايصل الى آخره أى متبحر مهما خاض فيه وسبح ، واعلم أن الحكمة أعلى من الزمرد لأن الزمرد تجده الفعلة فى الصخور بخلاف الحكمة فانها نادرة الوجود

(٢٢) لاتترك التحلى بحلية العلم ودماثة الأخلاق

(٢٣) اذا كنت زعيم قوم فنفذ سلطتك المخوّلة لك وكن كاملا فى جميع أعمالك ليذكرك الخلف ولاتسرف فى المواهب والنعم التى تقود الى الكبرياء وتؤدّى الى الكسل

(٢٤) اذا كنت قاضيا فكن لين الجانب مع المتقاضين ولاتجعل أحدهم يتردّد فى كلامه ولاتنهره ودعه يتكلم بحرية لكى يعبر عن مظلمته بصراحة ، أما اذا لم تنصفه فيكون سببا لسوء سمعتك ، فحسن الاصغاء أفضل طريقة لكشف الحقيقة

(٢٥) ليكن أمرك ونهيك لحسن الادارة لا لإظهار الرياسة والادارة

(٢٦) لاتستبد لئلا تضل

(٢٧) لاتكن يابسا فتكسر ولالينا فتعصر

(٢٨) اذا شئت أن تطاع فسل مايستطاع

(٢٩) اذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل ولاتتحيز لفريق دون آخر والا نسبوك للجور والتعسف

(٣٠) اذا عفوت عمن أساء اليك فاجتنبه ولكن اجعله ينسى إساءته اليك حتى لايذكرها مرة ثانية

(٣١) بقدر الكد تكتسب الثروة فمن جدّ فى طلبها أنجح الله مسعاه

(٣٢) اجتهد دائما فى عملك ولاتترك فرصة اليوم للغد فمن جدّ وجد

(٣٣) اذا كنت منتظما فى حياتك صرت غنيا وحسنت سمعتك وتحسنت صحتك وطارصيتك وملكت حاجتك ، أما الذى ينقاد لشهواته فانه يصير ذميا سمجا وعدوّا لنفسه

(٣٤) اذا وقفت أمام الحاكم فاخفض جناحك واحن رأسك ولاتعارضه وجاوبه بوداعة لينجذب قلبه اليك

(٣٥) اذا فاه أخوك بالشر فازجره لتكون خيرا منه

(٣٦) اصغ لكلام غيرك فان السكوت من ذهب

(٣٧) لاتحتقر فقيرا واذا زارك فلاتتركه سدى لئلا تخذله ولاتغضبه ، ولاتحتقر رأيه فان هذا ليس من شيم الكرام

(٣٨) احذر من تحريف الحقيقة بين الناس لئلا تزرع الشقاق بينهم

(٣٩) لاتخبر أحدا بما صرّح به لك غيرك لئلا يبغضك الناس

(٤٠) من ساءت سيرته ضلّ الصراط المستقيم

(٤١) اذا كنت فى مجتمع فاسلك دائما حسب قوانينه

(٤٢) اذا عاشرت قوما فاجذب قلوبهم اليك

(٤٣) ليكن كلامك دائما سديدا مفيدا

(٤٤) اذا شئت أن تسلك سبيل الرشاد فابتعد عن الشر واحذر الطمع فانه داء دفين لادواء له والمتصف به قليل الحظ لأن الطمع مجلبة الشحناء والشقاق بين الأهل والأقارب وهو سبب كل الشرور والرذائل أما القناعة فهى أساس النجاح والفلاح ومصدر الخير والبر

(٤٥) لاتتطرّف فى الكلام ولاتصغ الى الوقاحة لأنها صادرة عن التهيج والغيظ ، واذا تطرّف أحد أمامك فى الكلام فاطرق رأسك الى الأرض لترشده بذلك الى طريق الحكمة

(٤٦) من يزجّ بنفسه فى متاعب الدنيا و يستغرق فيها كل أوقاته لايجد لذة فى حياته

(٤٧) من يعكف طول نهاره على شهواته ضاعت مصالح بيته

(٤٨) اذا شئت أن تعرف طباع صديقك فلاتسأل أحدا عنه بل استنتج ذلك بانفرادك معه فى المحادثة المرة بعد المرة ولاتغضبه ومتى أخبرك عن أصل ماضيه عرفت جميع أخلاقه ، واذا فاتحك الحديث فسايره ولاتجعله يتحفظ فى حديثه واياك أن تقاطعه فى الحديث أوتزدريه ، و بهذا يمكنك أن تستطلع

جميع أحواله

(٤٩) كن بشوشا مادمت حيا

(٥٠) من زرع الشقاق بين الناس عاش حزينا ولايصحبه أحد

(٥١) من طابت سريرته حمدت سيرته

(٥٢) متى كبر الانسان فى السن عادت اليه حالة صغره ، فيعمش بصره ، وينقص سمعه ، ويصمت فه ويسخف كلامه ، ويظلم عقله ، وتضعف ذاكرته ، وتخور قواه ، وتقف حركة قلبه ، وترق عظامه ويهزل جسمه ، ويفقد ذوقه وشمه ، حقا إن الشيخوخة آفة الانسانية . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى ﴾

﴿ أقدم كتاب فى العالم أيضا ﴾

﴿ نصائح الحكيم المصرى القديم « آنى » (١) ﴾

لتلميذه خونسوهتب فى عصر مصر الذهبى فى عهد الملك العظيم «توت أنخ أمون» أى منذ ٣٣٠٠ سنة تقريبا

(١) أخلص لله تعالى فى أعمالك لتتقرب اليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته فانه يهمل من توانى فى خدمته

(٢) لاتتقرب الى ربك بما يكرهه ولاتبحث أسرار ملكوته فهى فوق مدارك العقول واحفظ وصاياه وارشاداته فانه يرفع من يمجده

(٣) احترم الأعياد وأد شعائرها والا قد خالفت أوامر الله

(٤) لاتستعمل الغوغاء والضجيج فى بيت الله أيام اعيادك وادع ربك تضرعا وخفية بقلب مخلص فذلك أقرب للاجابة

(٥) اذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقتضيه الكتب المنزلة

(٦) تتهذب النفوس بالحسنات والترنيمات والسجود

(٧) من اتهم زورا فليرفع مظلمته الى الله تعالى فانه كفيل باظهار الحق وازهاق الباطل

(٨) اجعل لك مبدأ صالحا وضع نصب عينيك فى جميع أحوالك غاية شريفة تسعى اليها لتصل الى شيخوخة جيدة وتهيئ لك مكانا فى الآخرة فان الأبرار لاتزعجهم سكرات الموت

(٩) صن لسانك عن مساوى الناس فان اللسان سبب كل الشرور ، وتحر محاسن الكلام ، واجتنب قبائحه فانك ستسأل يوم القيامة عن كل لفظة

(١٠) تزوج حديث السن لترى لك ولدا فى ريعان شبابك يكون سببا فى احترامك واجلالك وبرهانا على صلاحك وتقواك

(١١) لاتهمل الترحم على والديك وتحر لهما من أعمال الخير والبر أكثرها نفعا وأرجاها قبولا . ومتى قمت لهما بهذا الواجب قام به لك ولدك

(١) نقلا عن ورقة بولاق البردية التى عثر عليها « ماريت باشا » مؤسس مصلحة الآثار المصرية فى أحد مقابر الدير البحرى بطيبة بالاقصر سنة ١٨٧٠ م المحفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالقاعة حرف س وترجمها من (الخط الهيراطيقى) الى الفرنسية العالمان الاثريان شاباس ودى روجيه ، وللألمانية العالم الأثرى (ارمن) وللانكليزية الاستاذ ماسبرو ، وللعربية أخيرا أنطون أفندى زكرى الأمين بالمتحف المصرى ، وقد اشتهرت بورقة بولاق البردية ، حفظت بالمتحف المصرى وقت أن كان فى بولاق وهى تشتمل على ٩ صحائف

(١٢) إن الله سخرلك أما كابدت كل مشقة حين حملتك وولدتك وأرضعتك ثلاث سنوات ورببتك ولم تأنف من فضلاتك ولم تسأم معاناة تربيتك ولم تكل أمرك لغيرها يوما ما وكانت تبر أساتذتك وتواسيهم كل يوم ليعتنوا بتعليمك والآن صارلك أولاد فاعتن بهم كما أعتنت بك أمك ولاتغضبها لئلا ترفع يديها الى الله فيستجيب دعاءها عليك

(١٣) اترك لأخيك البيت المشترك بينكما متى رأيت ماينغصك حرصا على الرابطة العائلية واستبقاء لمودّته حتى يكون معوان لك في مصالحك الأخرى المشتركة معه

(١٤) اذا كانت زوجتك كاملة مدبرة فلاتعاملها بالخشونة والغلظة وراقب أطوارها لتكتشف أحوالها ولاتتسرّع معها في الغضب لئلا تزرع شجرة الشقاق والنزاع في بيتك فتكون ثمرتها التنغيص فان كثيرا من الناس يضعون أساس الخراب في بيوتهم لجهلهم حقوق المرأة

(١٥) اذا كنت قويّ الارادة فلاتدع المرأة تتسلط على قلبك

(١٦) اذا وقعت عينك على جارتك فاياك أن تتمادى أوتتعمد رؤيتها تابعا واحذر أن تخبر بذلك غيرك فتستوجب الهلاك

(١٧) إياك أن تميل الى امرأة فتلعب بدينك وشرفك ولاتحدّث ضميرك بشأنها فانها كالماء العميق الذى لايعرف له قرار . واذا كانبتك امرأة تعرف أن زوجها غائب عنها لتوقعك فى شباكها فاياك أن تصبو اليها لئلا توقع نفسك فى حبائل الهلاك فان الشهوات طريق للموبقات

(١٨) لاتدخل بيت السكير ولوأفادك مجدا وشرفا

(١٩) لاتتردّد على محال الخمور احتراسا من عواقبها الوخيمة لأن لشارب الخمر فلتات يستفظع صدورها من نفسه متى أفاق . وهو دائما مبتذل محتقر عند الناس حتى بين اخوانه الذين يشاركونه فى غروره وشروره

(٢٠) النظام فى البيت يكسبه حياة حقيقية

(٢١) اسلك سبيل الاستقامة دائما تصل الى الرتب العالية

(٢٢) كن شهما شجاعا فان الجبان لايستفيد من الحياة غير ماوهب الله له

(٢٣) لاتجلس فى حال وقوف من هوأكبر منك سنا ولوكنت أرقى منه رتبة

(٢٤) الزم بيتك ولاتغادره إلا لموجب . واذا لقيت فى طريقك من يتجاهلك فغض طرفك عنه ، وزر أصدقاءك وأحباءك

(٢٥) اذا فاتتك فرصة فترقب غيرها

(٢٦) لاتعاشر الأسافل لئلا تذهب هيبتك

(٢٧) لاتكثر الكلام ولاتتظاهر بالفصاحة فى التحقيق وتكلم بحجتك بعد التروّى والتفكر فذلك أدعى لخلاصك

(٢٨) لاتجرح بكلامك شعور الناس فيستهان بك

(٢٩) لاتنطق بالشرّ فتعود عاقبته عليك

(٣٠) اذا قومت نفسك فى مسراتها استطعت ردعها عن شهواتها

(٣١) إنك لاتجنى من الشوك العنب

(٣٢) ليكن حديث كل انسان فى شؤنه ولايشتغل بشؤن غيره

(٣٣) اذا تخلقت باللطف والسكينة صرت محبوبا عندالناس ووجدت منهم عضدا ونصيرا فى جميع شؤنك

(٣٤) ليست السعادة بالثروة وحيازة الأموال انما هي فى استنارة العقول بالفضيلة والتخلق بالقناعة والرضا والكفاف

(٣٥) من تعوّد الجدّ والنشاط لايحتاج الى حثّ واستنهاض

(٣٦) اذا رأيت مالاترضاه فى مجتمع فاجتنبه ولاسيما اذا كنت لاتستطيع التغلب على عواطفك

(٣٧) اذا خاطبك رئيسك بحدّة وانفعال فابتعد عنه حتى يسكن غضبه ، واستعمل اللين والرفق مع كل من يخاطبك بتهيج . فهذا هو الدواء الوحيد لذهاب غيظه . وعلى العموم ان الكلام اللين يجذب القلوب

(٣٨) لاتستسلم الى اليأس والقنوط مهما قام فى سبيلك من العقبات والشدائد

(٣٩) الزم الصمت اذا لم يكن داع للكلام

(٤٠) اذا اتخذت وكيلا فانتخبه أمينا عاقلا وثق به مع مراقبته ، فاذا كان حازما نسب لك هذا الحزم

(٤١) لاتثق بالناس المجهولة مبادئهم ولوخدعوك بتقديم أنفسهم لخدمتك متظاهرين بالاخلاص فانهم يجرّونك الى الخراب العاجل

(٤٢) تنبه الى أعمالك ولاتتهاون فيها فان التهاون عاقبته الخيبة والفقر

(٤٣) اذا كنت متبحرا فى العلم فانقش علمك فى صحيفة فؤادك

(٤٤) اذا وليت منصبا فاظهر براعتك فيه فتؤهل نفسك لأرقى منه

(٤٥) العالم ذومنزلة عند الكبراء وان كان فقيرا ، فعزّ العلم ثروته ومجد العلم حمايته

(٤٦) اذا جاءك ضيف فأنزله منزلته من التحية والاكرام وتلطف معه لتعرف الغرض من زيارته ، ثم حادثه ببشاشة ولاتسمح له بالتطرف فى الحرّية حتى يخرج عن حدود الاحتشام

(٤٧) اذا أكلت وحولك من ينظر الى طعامك فاطعمه منه ولو شيأ يسيرا ، فكم رجل كان فى نعمة ورئاسة فأصبح فى بؤس وتعاسة ، والنعمة لاتدوم إلا مع المحسنين

(٤٨) لاتكن شرها فان الانسان لم يخلق ليأكل بل يأكل ليحيا حياة طيبة يجعلها طريقا للحياة الأبدية

(٤٩) كل شئ يأتى عليه الدهر لابد أن يتغير وضعه حتى يفنى أثره ، ومن كان مطيته الليل والنهار فلابد أن ينهار ، فكم تغيرت الأنهار بالجزر والمد من مبدأ خلقتها ، واذا كان التغير والتحوّل من لوازم الطبيعة فلايوجد رجل واحد ذو ارادة ثابتة

(٥٠) الحب أعمى لأنه يصوّر قبيح المحبوب جميلا لشدّة ميل النفس اليه . فهذه وماقبلها ١٢٠ حكمة وقد جاء فى كتاب « الأدب والدين عند قدماء المصريين » غير ماتقدّم مانصه

﴿ ورقة لندن البرديه . أمثال وحكم مرويه . عن الأديب المصرى القديم « أمنيت بن كانحت » منذ (٣٠٠ سنة) تقريبا وجدت على الورق البردى المحفوظ بالمتحف البريطانى وتاريخها يرجع الى الأسرة الثانية والعشرين ﴾

(١) احفظ هذه الوصايا واعمل بها تعش سعيدا ولاتهملها لئلا تحلّ بك النكبات والمصائب

(٢) لاتسرف مال غيرك لئلا يقبض الله روحك فى لمحة بصر ويبدد أموالك ويخرب بيتك وتصير عبرة لمواطنيك ومضغة فى أفواههم فى حياتك وبعد مماتك

(٣) اذا أذلّ الغنى فقيرا أذله الله تعالى فى هذه الدنيا وأذاقه عذاب النار فى الآخرة

(٤) اجتنب سيئ الخلق فانه أحق ممقوت من الله والناس

(٥) سبح الله تعالى واعص الشيطان

(٦) لاتغالط شريكك أوزميلك فى الحساب فيبغضك الله وتشتهر بالغدر والخيانة
(٧) لاتظهر أمام الناس غيرماتبطن فتخدعهم واجعل باطنك كظاهرك فان الله يبغض الكذوب المخادع
(٨) قيراط تحرزه من حلال خير من ألف تملكه من حرام
(٩) لاتضيع أيامك فى محال الجور لئلا تعجل حتفك
(١٠) اعلم أن لقمة خبز تأكلها فى بيتك فى حرّية واطمئنان خير من أفخر طعام تأكله فى قصر غنىّ بذل وهوان
(١١) لاتشغل قلبك بحب المال ولاتهلك قواك فى تحصيله فان الرزق مقسوم وميسر لصاحبه بالحظ والنصيب
(١٢) لاتفرح بمال الظلم فانه سريع الزوال
(١٣) لاتذكر أحدا بسوء واجعل كلامك دائما فى الخير وابتعد عن الشرّ
(١٤) كن دائما كريما مهذبا تكن محبوبا ومحمودا عند الناس
(١٥) لاتتعمد رؤية جارتك والا كنت كالذئب فى خبثه
(١٦) ولاتشته مال غيرك
(١٧) لتكن جميع أعمالك صالحة فى هذه الدنيا
(١٨) احترس من الأشرار واحذر عداوتهم
(١٩) لاتتعدّ على مزرعة جارك ، واذا أدّت الحال الى النزاع فخير أن تتخلص منه بحسن التفاهم
(٢٠) كن ثابتا فى أعمالك ثبات الصخرة فى مكانها لايزعزعك شئ فى هذه الحياة الدنيا
(٢١) اذا أطعت رئيسك جذبت قلبه اليك ، واكتسبت ثناءه ، واكتفيت شرّ عنفه وشدّته
(٢٢) لاتصادق على قول الكاذب لئلا يصدّقه الناس بسببك فتكون شرا منه
(٢٣) اذا كنت محبوبا ومحمودا عندالناس وأنت فقير خيرلك من أن تكون ممقوتا ومبذولا مع غناك
(٢٤) لاتستمر فى مضجعك حتى مطلع الفجر

وجاء فى صحيفة (٣٩) من هذا الكتاب أيضا مانصه

﴿ ورقة ليد البردية منذ ٢٥٠٠ سنة ﴾

(١) لاتجعل كل همك فى تحصيل المال فان الله يعطيه لمن يشاء
(٢) إن الله يعطى القوّة للعاقل لتدبير شؤنه
(٣) يرضى الغنى الله اذا أشبع الفقير لأنه ائتمنه على نعمه
(٤) من أعطى الفقير أرضى الله عليه
(٥) لاتخدع أحدا فيخدعك الناس
(٦) لاتكلم الشرير ولاتعامله
(٧) تعرف الأمين اذا أودعته مالا
(٨) تعرف العادل اذا قلدته منصبا
(٩) تعرف الصاحب عند الشدّة
(١٠) تعرف ابنك متى احتجت اليه
(١١) الكثير الكلام تسهل معرفة باطنه
(١٢) لاتعامل الكذوب فتسبب لنفسك إحنا
(١٣) لاتقلد حقيرا أوصغيرا أعلى المناصب فيستخف بك الناس

(١٤) الرجل الصالح دائما يتذكر آخرته

(١٥) أيام الفاقة كنز للعاقل

(١٦) أعدت الجنة لمن يضحى حياته للفقير

(١٧) ليست سعادة الانسان فى تغذية جسمه بل فى تغذية روحه

(١٨) اللياقة تقضى ألا تفخر بغناك أمام الفقير وألا تظهر الفرح أمام الحزين

(١٩) لاتحرم الفقير من مالك فى حياتك حتى ترحم به بعد مماتك

(٢٠) لاتغتب أحدا ولاترفض نصيحة من حنكته التجارب

(٢١) لاترفض كلام العاقل ولا كلام الرجل المنزه عن الغرض

(٢٢) لاتكن مكثارا الكلام بل اصغ دائما لمن يكلمك ولا تقاطعه

(٢٣) لاتتشاحن مع من لايعرف قدرك

(٢٤) لاتنطق بهجر القول فى بيتك لئلا يقتدى بك أهلك

(٢٥) لاتعلق قلبك بامرأة تذهب بحياتك

(٢٦) المرأة الجميلة توصف بالعقل اذا لم تمل الى المنكر

(٢٧) المرأة العاقلة تسعد زوجها والمرأة الشريرة تجعله دائما فقيرا

(٢٨) ابتعد عن كل طريق يقربك من الشيطان

(٢٩) قليل فى حوزك خير من كثير يبعد تناوله

(٣٠) لاتطمع فى ادخار المال لأنك تجهل هذه الحياة ، ستترك غدا مالك فيتمتع به غيرك

(٣١) لاتقدم على أذى ولو أدى لتمليكك الدنيا ومافيها

(٣٢) لاتهم فى ارتكاب المحرمات فانها تضيع نصيبك فى العالم الثانى

(٣٣) العاقل من ادخر المال لأيام البؤس

(٣٤) لاتعنف سيئ الخلق أمام الناس لئلا يهينك . انتهى ماأردت ذكره من حكم قدماء المصريين

﴿ بهجة الحكمة فى قوله تعالى ــ ولقد آتينا لقمان الحكمة ــ الخ ﴾

(مقدمة)

هذه الآية أفهمتنا سر كونه ﷺ خاتم الأنبياء ، أوتى لقمان الحكمة و يقول الله تعالى ــ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ إذن الحكمة ليست خاصة بلقمان ، الحكمة نور من الله كنور الشمس والقمر والكواكب ولو حصرت فى لقمان لكان ذلك مخالفا لناموس الله فى عوالمه ، فهو واسع الرحمة رؤف بالناس . إذن الحكمة يعطيها الله لمن يشاء ، يقول الله ــ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ فهاهوذا سبحانه مدح الحكمة بأنها تنتج الخير الكثير . إذن أصبحت الحكمة من علوم الدين الاسلامى ، ومعنى هذا أن كل حكمة ألهمها الله لأى امرئ فى الأرض من عربى وعجمى قديما وحديثا هى من علوم الاسلام وكفى بهذا حكمة وعلما . واياك أن يصدك عن هذا أيها الذكى ما يقال لك انه لم يرد فى كتاب الله أو يقال لك إذن اذا خالفت الحكمة كتاب الله فلانتبعها فهذا قول من لامحصل عنده فأما ورودها فى كتاب الله فهاهى ذه الآية التى نحن بصددها ، وأما مخالفتها لكتاب الله فهو مستحيل لأنا قلنا انها حكمة والحكمة لاتقبل النقض ولاالشك وما كان معقولا موافق لكتاب الله تعالى ، فأما مالا يقبله العقل فليس حكمة والقرآن حض على التعقل والتفكر ﴿ مثال ذلك ﴾ جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والنفسية فهى حكمة والحكمة خير كثير ودين الاسلام يدعو اليه . إذن المسلمون يقبلون كل حكمة من أى أمة من أمم

الأرض وتكون تلك الحكمة علما من علوم الدين . وهذا أصل بديع أورده الله فى هذه السورة حتى اذا قرأنا حكم قدماء المصريين وآدابهم ورأيناها معقولة قلنا هذه الآراء تردید لصدى صوت الاسلام وهى من ديننا لأن ديننا جاء لتعليم العالم كله ورسولنا ختم النبيين والله يقول - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله - فالديانات والمعقولات كلها قد اتحدت فى هذا الاسلام ، فالاسلام كما جمع الديانات جمع العلوم ، وليس معنى جمعه للعلوم انه شرحها فهذا مستحيل ولوشرح الديانات فى آلاف المجلدات لم يكن ديننا بل هو شئ آخر غير الدين نسميه بحسب ماتراه ، وانما معنى جمعه للعلوم انه يدخلها فى ضمن معتقداته وأعماله . إذن المسلم فى المستقبل بعد هذا التفسير يقرأ كل حكمة وكل علم فى الشرق والغرب ويقرأ علوم الألمان والانكليز وأهل سويسرا والرومان ويدرس علوم حكمائهم ثم يصبح هوله رأى خاص فى ذلك كله فيكون إذن ممن أوتى الحكمة وإذن له خير كثير . فاذن الله عزّ وجل لم يفتح على الناس كلها بالحكمة ويحرم المسلمين منها . كلا . إن الله يقول - مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها - والرحمة ليست خاصة بغير المسلم ولا الحكمة ، بل المسلم أولى بها من كل الأمم لأنه يدعو الناس الى سعادتهم والى رقيهم

يا أمة الاسلام ، أنت بعد اليوم راعية الأمم ، مهذبة الشعوب ، إن آباءنا بعد العصور الثلاثة التى هى خير العصور قد تفرّقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض فلم يتفرّغوا لاسعاد الأمم تفرّغا تاما ، ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، وأنا أرجو أن يكون خلفنا خيرا من سلفنا الأقربين فيقرؤن حكم الأمم وعلومها وسياساتها وصناعاتها وهم يعتقدون أن ذلك من الدين ويقرؤن - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - ويقرؤن - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون -

إذن لاحاجة الى أنبياء بعد نبينا ، لماذا ؟ لأن الأنبياء يأتون لتذكير الناس بما نسوا والله سبحانه أخبر أنه اختصّ أناسا بالحكمة يخلقهم حيث يشاء . والحكمة الملقاة على الناس فى الأزمان المختلفة قد أصبحت جزأ من علوم الاسلام . إذن كل حكمة صدرت من حكيم أيا كان هى اسلامية ، إذن ارسال الرسول بعد هذه الآية عبث ، فاذا قيل ان الأمم تختلف أطوارها باختلاف أزمانها قيل لنا وما فائدة الحكمة التى يلقيها الله على قلوب عباده . ولاجرم أن هذا هو كمال الانسانية لأنها اذا كان تعليمها بواسطة حكمائها المتبعين لوصية نبى كان ذلك أرقى وأشرف من ارسال رسول لأن الرسول انما يرسل لقوم ناقصين جهلوا الحكمة . أما هذه الأمم فانها تعترف بالحكمة وتعمل بها وتقول هى من وصايا كتابنا وديننا وهذا معنى كونه ﷺ رحمة للعالمين . ألاترى أننا اذا رأينا رجلا منا نظر الى الغابات والحقول والمعادن فقال هذه لكم فانتفعوا بها وعلمنا كيف يكون ذلك قلنا هذا الرجل رحمة لنا ، فاذا رأينا آخر حرم علينا ذلك الانتفاع أومنعنا منه فانا نقول ذلك الرجل نقمة لارحمة ، ولاجرم أن نتائج العقول كنتائج الأرض ، فاذا سمعنا الله يقول - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - وسمعناه يقول - ولقد آتينا لقمان الحكمة - وسمى سورة باسم لقمان تشريفا للحكمة أيقنا أن هذا الدين يسوقنا الى الحكمة جميعها برغبة وشوق وهذه الحالة الواحدة جعلت ديننا يبتلع كل علم فى الأرض وكل حكمة . إذن نقول هذا النبى رحمة لأنه أشبه أفضل الرجلين فى مثالنا إذ به اغتنمنا كل فرصة للانتفاع بالمنافع الأرضية ، فهكذا هنا فى الحكمة فانها قد أصبحت جزأ من ديننا وليس ينقصنا إلا المجالس العامة التى سأذكرها حتى ترقيها وتنفعها

هذا معنى كونه ﷺ رحمة للعالمين وأى رحمة أعظم من الحكمة العامة . وبناء عليه تصبح الأمم الاسلامية فى المستقبل خيرا من تلك الأمم الخالية رافعة للانسانية خافضة للهمجية

ولعلك تقول إذن كل مسلم له الحق أن يتبع أى حكمة وينسى القرآن . أقول لك أنسيت قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون -

ليكن هنالك مجلس عام فى مكة وغيرها . وهذا المجلس لايصح التئامه إلا بعد شيوع التعاليم العامة فى بلاد

الاسلام . وهذا المجلس ينظر فى الامور العامة لأمم الاسلام . ولا يصلح لهذا المجلس إلا من قرأ فوق علوم الاسلام علوم الأمم والرياضيات والطبيعيات لاغير لأن الذين لايقرؤن تلك العلوم يجهلون نظام الله ونظام الأمم والجاهلون بذلك لايصلحون للقيادة فى هذه الشعوب ، وهؤلاء الأعضاء ينتخبون من المجالس العلمية الخاصة فى كل اقليم من أقاليم الاسلام ، فهؤلاء هم الذين لهم الرأى الحق وهم هم الحكماء الذين قال الله فيهم ــ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ وهذا الخير الكثير يفيض منهم على الناس . إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك

فقل لى رعاك الله ، أليس هؤلاء الذين سيكونون بعدنا خيرا من أولئك الذين ناموا على الوضوء والنجاسة والطهارة والحيض والنفاس والبيوع وتركوا بقية كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون . اللهم إنى أحمدك على العلم والحكمة . أنت الملهم المنعم المتفضل الرؤف الرحيم

﴿ بهجة الحكمة أيضا فى هذه الآيات ، وبيان أنها تشمل سائر علوم الحكمة وانها مقسمة « ستة أقسام » ثم أذكر نموذجا مما أنتجته عقول الفلاسفة قديما وحديثا وانه تفصيل لهذه الآيات (كما ذكرت سابقا آداب قدماء المصريين التى ظهرت حديثا) وأجل ما جاء عند فلاسفة اليونان والرومان وهكذا . ثم نقفى ببيان الطرق التى استعملها آباؤنا فى التشويق للفلسفة بالحكايات اللطيفة والروايات الظريفة ﴾

يقول الله ــ ولقد آتينا لقمان الحكمة ــ آتى فعل ماض ونا فاعل والحكمة مفعول ، فهذه الحكمة آتاها الله لقوم فى الزمان الماضى ، ولاجرم أن التكلم على الماضى ماهو إلاتاريخ . إذن هذه الآيات بها يقص علينا الله تاريخ الفلسفة لأن الحكمة بالعربية هى الفلسفة باليونانية . وحينئذ ننظر هل هذه الآية فيها أقسام الحكمة التى عند الأمم . فنظرنا فوجدنا أن هذه الآيات فيها

(١) توحيد الله ــ يابنىّ لاتشرك بالله ــ الخ

(٢) وانه عالم قادر ــ يابنىّ انها إن تك ــ الخ

(٣) وانه سخر لنا مافى السموات والأرض وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وهذا فى قوله تعالى ــ ألم ترأن الله سخر لكم ــ الخ

(٤) وأن يكون عابدا ــ يابنىّ أقم الصلاة ــ

(٥) ذا أخلاق جيدة ــ واصبر على ما أصابك ــ ولاتصعر خدك للناس ــ الخ

(٦) عاما نفعه للناس ــ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ــ الخ

إذن ملخص الآية أن يعتقد المرء أن ربه واحد . وانه عام القدرة والعلم . وأن نعمه سابغة . وأن جميع السموات والأرضين مسخرات لنا . وأن يكون المرء حسن الأخلاق كالصبر وعدم الكبر . وأن يفيض على الناس مما آتاه الله فالله نعمه عامة فليكن العبد منعما بقدر توفيقه

فهذه الأقسام التى عددنا (ستة) يجب أن نعرض عليها أجل ماجاء فى تاريخ الفلسفة الحديث فان وافقتها كان ذلك فتوحا جديدا فى الاسلام وكان هذا دليلا جديدا على أن أمة الاسلام فى القرون المتأخرة كانت عاجزة عن دراسة هذا القرآن وأن الأجيال المقبلة ستعلم علم اليقين أن حكمة الأمم هى الحكمة القرآنية . واليك البيان

فيا ألله أنت خلقت أمما قبلنا وأودعت فى عقولهم حكما فأخذنا نقرأها اليوم ونظرنا فى كتابك فدهشنا يا ربنا وأىّ دهش . وكيف لاندهش ونحن نسمع الناس قديما وحديثا يقولون « الدين يخالف العلم » فاذا كانت هذه الآيات منطبقة على آراء الأمم فما أكذب القائلين . وما أجهل أمما تقرأ القرآن وتجهل علوم الأمم . يقرؤن سورة لقمان ويسمعونك تمدح الحكمة وكأنهم فى واد والقرآن فى واد . فهاأنا ذا أجتزئ بنبذ من

تاريخ الفلسفة ولكنني لا أجهد أذكياء القراء بعويصات المسائل بل أصطفي اللب وأنبذ القشر وأبتدىء بالكلمة التي اعتاد الناس أن يجعلوها مرادفة للحكمة وهي الفلسفة

إن كلمة الفلسفة أصبحت اليوم تطلق عند الناس فيما كان من قبيل المناقشات التي لانفع فيها أومن قبيل ماخرج عن متناول العقول وهذا خطأ ، والماهي والحياة أمران متلازمان ، فان الانسان منذ خلق ورأى شمسا وقمرا ونجما وسحابا تنبهت قواه وفكر في الكون ومبدئه ونهايته وظن للمخلوقات الكثيرة آلهة كثيرة ثم اهتدى ووجد أن الإله واحد . يقول الاستاذ (كننجهام) في كتابه ﴿ مسائل الفلسفة ﴾ ما نصه

« لكل انسان (ولولم يكن له نصيب وافرمن التعليم) نوع من الفلسفة . فله رأيه في معنى الحياة وطبيعتها وغاياتها . وفي الوجود والعدم . وفي العقل والجسم . وعلاقة كل واحد منهما بالآخر . وفيما قد يصيب الانسان في هذا العالم من سعادة أوشقاء وفقرأوغنى وصحة أوضعف . وفي الحياة بعد الموت . وفي الخير والشرّ والطيب والخبيث من الأفعال . وفي الإله وصفاته وعلاقته بالطبيعة عامّة من جماد ونبات وحيوان » ولاشك أن هذه فلسفة . غير أن عقله لم يتناولها بالتحليل والتمحيص ولم يقم الدليل على صحتها

لقد جعل (فرانسيس بيكون) العلم ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم يتعلق بالذاكرة ، وآخر بالمفكرة ، وثالث بالقوّة المخيلة . والذي يتعلق بالقوّة المخيلة هوالشعر والموسيقى والنقش والتصوير لأن هذه ترجع الى الخيال . والقسم المتعلق بالذاكرة هوالتاريخ والتاريخ (أثرى و بشرى) فالبشرى هوالتاريخ المعروف والأثرى هو المذكورفي الكتب السماوية . ومن التاريخ البشرى تاريخ العلوم الرياضية والطبيعية وهكذا . فجميع مايدرس في مدارس العالم من الطبيعة والفلك والحساب وأمثالها كلها داخلات في قسم التاريخ مندرجة في ضمن أعمال الذاكرة . فأما العلم المتعلق بالمفكرة فهونظام الطبيعة ومعرفة الله ومعرفة النفس . وهذا القسم هو المسمى فلسفة ، فادراك ارتباط العوالم بعضها ببعض وتحقيق ذلك الارتباط ونسبة ذلك الى الحقائق العقلية التي غابت عن الحسّ ومعرفة النفس وقواها والمنطق وعلم الجمال وعلم الأخلاق والسياسة . كل ذلك داخل في علم الفلسفة

هذا رأى (فرانسيس بيكون) فياسبحان الله ، اذا كانت هذه هي أقسام الفلسفة عند (بيكون) وهذا هوالرأى الحديث فلننظر في القرآن وفي الأقسام الست المتقدّمة في هذه الآيات ، أليست هذه الأقسام هي عين القسم الثالث من المذكور في الآيات المتقدّمة . يقول الله — ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة — ولاجرم أن مافي السموات ومافي الأرض المسخرلنا لم يخرج عن الأقسام التي قالها (بيكون) أليست العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية التي جعلت علوما هي مقدّمة للفلسفة مما في السموات والأرض ومن النعم التي أسبغها علينا ظاهرة و باطنة فهي نعم ظاهرة لأجسامنا ونعم باطنة لعقولنا بالحكمة . ألم تذكر هذه في حيز الكلام على الحكمة . أليس نظام الطبيعة ونفس الانسان مما في السموات والأرض الخ

هذا مانقوله من حيث الرأى الحديث للتقسيم العام . فاذا أردنا أن ننظر آثار العقول فها كها

(١) ﴿ شذرة من فلسفة الصين — رأى « كنفيوشس » هوفيلسوف صيني ﴾

وجد القوم معرضين عن اصلاح أنفسهم فقال لهم « ان في هذه الموجودات عالما روحيا لايحيط به عقل الانسان ولايدركه فهمه . ألا أدلكم على عالم آخر أمام أعينكم وفي استطاعة كل واحد منكم مهما كان ضيق العقل قليل الذكاء أن يلج بابه ؟ ذلك هوعالم الواجب الذي يسلك بصاحبه سبيل السعادة . والواجب هو ما يتطلبه منك يومك وساعتك »

(٢) ﴿ شذرة من فلسفة الهند ﴾

لقد تقدّم في سورة ﴿ آل عمران ﴾ وغيرها ذلك كثيرا

(٣) ﴿ شذرة من فلسفة اليونان ﴾

لقد تقدم كثير منها وسنشرحها شرحا وافيا عند قوله تعالى ــ فاعلم أنه لا إله إلا الله . ولأكتف الآن منها بما قاله (اكسنافنس ٥٧٠ ــ ٤٨٠ ق . م تقريبا)

« ولد هذا الفيلسوف في (ايونيا) ولما احتلها الفرس هاجر منها مع من هاجر ، ومازال يضرب في الأرض ويرحل من مكان الى مكان حتى ألقى عصا التسيار في (أليا) بعد أن زار (صقلية) و بلاد اليونان ورأى فيها انحطاطا في الأخلاق وضلالا في العقائد الدينية ، وانبرى لهومر وهزيود وأنحى عليهما باللائمة وسخر من شعرهما واستخف بآرائهما لأنهما يصفان الآلهة بأوصاف شائنة كالسرقة والزنا والخداع ونحوها ، وأعلن أن الله لا أوّل لوجوده ولامثيل له وجميع العوالم في قبضة يده ، لاشريك له في ملكه ، فهوالواحد الذى يتصف بجميع صفات الكمال لاإله إلا هوتعالى عن شبه الحوادث . فليس له يد ولاعين ولاأذن ولكنه يسمع و يرى و يبطش و يدبر شؤن العالم بحكمته وعلمه . وقد يتبادرالى ذهن القارئ أن هذا الفيلسوف وصل الى الايمان الحقيقي بوحدة الله . ولكن كلامه مضطرب يدل بعضه على أن الإله والعالم شئ واحد وعلى أنه أعظم الآلهة . وقد يشعر بعض عباراته بالتعدد » اه

أليس هذا القول الذى عرفه هذا الفيلسوف بعقله بلاوحي ولا نبيّ هو الذى جاء في هذه الآيات في قوله تعالى ــ ولقد آتينا لقمان الحكمة ــ الى قوله ــ يابنيّ لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ــ

ياسبحان الله . هذا نبيّ عربي في جزيرة قفراء أنزل الله عليه الوحى بما كدح فيه وجدّ ونصب فيلسوف نزّه الله بعقله . سبحانك اللهم أنزلت القرآن وتلطفت وقصصت لنا قصة التوحيد عن لسان فيلسوف حكيم . ترشدنا أن نكون فلاسفة حكماء وتقول لنا أنا قلت لنبيك ولكم ــ فاعلم أنه لاإله إلا الله ــ وقد عرف هذه الحقيقة قبلكم حكماء رمزت لكل منهم بلقمان . فهم وحدوني ولم أوح اليهم . ففكروا ياعبادى واعرفوني بعقولكم كما عرفني هؤلاء لأن هذه حكمة وهي خير كثير . فهذه الفلسفة التوحيدية التى نفت التعدّد ونفت الأصنام هى نفس القسم الأوّل من الأقسام الستة في الآيات المتقدّمة

ومن عجب أن الفلاسفة الطبيعيين من الأمم السابقة الذين يقولون إن العوالم كلها ترجع الى ذرات دقيقة جدا تتصادم وتتكوّن منها جميع هذه العوالم . فهؤلاء اضطروا أخيرا أن يبحثوا عن الخير والشرّ وماهية السعادة وسبيل ادراكها فعرفوا الشرّ بأنه كل مايصدم النفس و يسبب اضطرابا في ذرّاتها ذات الحركات الهادئة المؤتلفة . ولهذا يجب على الانسان أن يجتنب كل التجارب التى تثير فيه أنواع الشهوات المختلفة وضروب الانفعالات القوية . وعندهم أن السعادة غاية الحياة وقد قالوا انها ليست في امتلاك الماشية والضياع الواسعة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة . وانما مقامها المقدّس ومقرّها الأمين نفسك التى بين جنبيك ووسيلتها الذكاء والحكمة . وأجدر شئ بالانسان أن يرغب في الجميل اللائق و يستمتع به و يتغالب على شهوات نفسه و يكتفي بالقليل من العيش ويكفّ عن فعل الشر وارادة الشر

ألست ترى هذا المذهب داخلا في قوله تعالى في هذه الآيات السابقة ــ ولاتصعر خدّك للناس ولاتمش في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك ــ الخ فان هذه ترجع الى الأخلاق وهذه الفلسفة شرحتها . إذن هذه في القسم الخامس المتقدّم من الأقسام الست

واذا تتبعنا الفلاسفة وجدنا سيدهم (سقراط) الذى وقف حياته على الفلسفة . وهاك شذرة من تاريخه

﴿ سقراط ــ ٤٧٠ ــ ٣٩٩ ق . م ﴾

هو زعيم الفلسفة اليونانية وشيخ المفكرين والمثل الأعلى للبطولة والنبوغ . ولد في عصر كانت (أثينا) تموج فيه برجال الأدب وأساطين العلم وأبطال السياسة ومصاقع الخطباء . وتلقى التربية الأثينية حين كان غلاما

ولم

ولم يمنعه نسبه أن يصل الى منصب من أكبر المناصب فى (أثينا)

وقف يوما أمام القضاة وقد اتهمه أعداؤه بأنه مخالف لدينهم ، مفسد لشبانهم ، فقال « لوأنكم قلتم ياسقراط انا لن نسمع دعوى (أنيتس) هذه المرة ، وسندعك تغدو وتروح فى ربوع (أثينا) ولكن على شرط أن تترك تعاليمك وأبحاثك وفلسفتك ، فان وجدناك بعد اليوم مشتغلا بمناقشة الشبان والبحث معهم فى مسائل فلسفية ماكان لك من الموت منجى . لوأنكم قلتم هذا لقلت لكم أيها الاثينيون انى أحترمكم وأحبكم وأعرف لكم منزلتكم ولكنى أوثر طاعة الله على طاعتكم ، ولن أكف عن الفلسفة والاستماتة فى الحق واسداء النصح اليكم مادام فى عرق ينبض ونفس يتردد بين أحشائى حتى اذا لقى الرجل أخاه قال له فى صراحة أليس من العار أن تكون (أثينا) عظيمة عامرة ولايعنى أهلها إلا بالمال وحب الشهوة و يتركون الحكمة وسبيل الحق ولايهتمون بتهذيب أنفسهم »

وقد حكى لنا التاريخ أن واحدا من أصحاب (سقراط) المخلصين له وجه الى كاهنة (دلفى) السؤال التالى « هل بين بنى الانسان أحد أعقل من سقراط ؟ » وكان الجواب « حقا ان سقراط أكثر الناس علما وحكمة » فلما بلغ (سقراط) الجواب دهش له وكان بين أمرين لاثالث لهما ، فاما أن يكذب قول الاله وهذا مالايستطيع فعله واما أن يعتقد فى نفسه العلم والحكمة وهو لايرضى ذلك لأنه يجهل كثيرا من الحقائق ، ولهذا أخذ يتنقل من مكان الى آخر و يقصد الذين اشتهروا بالعلم والحكمة و يناقشهم فى المسائل المختلفة حتى يعرف مبلغ ماوصل من العلم . وتبين له فى النهاية أن الجهل المطبق غلب على قلوب الناس وأعماهم عن ادراك الحقائق وخدعهم حتى اعتقدوا فى أنفسهم العلم وهم عنه بعيدون . وعندئذ أدرك (سقراط) أن الناس مغرورون كاذبون فى دعوى العلم . أما هو فجاهل معترف بجهله . ولعل هذا هو السبب الذى جعله عند الله الحكيم المفرد . لذلك لم يترك مسألة إلا حاورفيها . فقد تناول السياسة العامة والآراء الشائعة فى زمنه ، والمبادئ الخلقية . ونظام الحكومة . وأساليب التربية والغرض منها . والموت ومابعده . والنفس وما أعد لها من نعيم مقيم أوعذاب أليم ولذ له الحوارفيها كلها وتشعبت به الطرق حتى ان الانسان ليجد صعوبة فى تحديد موضوع فلسفته وانظر الى نوع محاوراته . فاليك ما دار بينه و بين أحد تلاميذه

﴿ محاورة بين سقراط وتلميذه سمياس ﴾

(سقراط) ومارأيك ياسمياس فيما يأتى «هل تعتقد أن هناك شيأ اسمه العدل المطلق . والجمال المطلق . والخير المطلق ؟ »

(سمياس) نعم إن لهذه الأشياء وجودا

(سقراط) هل رأيت واحدا منها بعينك ؟

(سمياس) كلا

(سقراط) هل نفهمها باحدى الحواس ؟ وهل ندرك المعانى الذهنية ونتأملها بجسومنا ؟ أليس من الضرورى أن نغض الطرف عن حاجات البدن وقت التفكير ؟ ألست تعتقد أن المعانى الذهنية وحقائق الأشياء انما تتجلى للانسان اذا تجرد عن عالم الحس والمشاهدة واعتمد على العقل الخالص

(سمياس) لقد وفقت الى الصواب فيما تقول

(سقراط) إن هذا يحتم على الفلاسفة الذين ينشدون الحكمة أن يفكروا فى السبيل التى تصل بهم الى غايتهم مسترشدين بهدى العقل المحض . وليس فى استطاعتنا أن نصل الى الغاية مادامت الأجسام مقترنة بالنفوس فان تحصيل حاجات الجسم يستغرق فى الوقت كله و يعوقنا عن التفكير ومتابعة البحث وراء الحقيقة والآفات والعلل تعترينا بسببه . هذا الى أنواع من البلاء والمحن تدفعنا

اليها الشهوات والمطالب المادّية . واذا كان لنا أن نحصل العلم وندرك الحقائق فان ذلك لا يكون إلا اذا تجرّدت النفس عن جميع المشاغل الدنيوية وتحصيل حاجات البدن اهـ

هذه شذرات من فلسفة (سقراط) فاذا نظرنا الى صبره وأناته وأمره ونهيه فهذا كله جاء فى قوله تعالى ـ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ـ

أليست هذه فلسفة (سقراط) رجل يأمر و ينهى و يصبر على الأذى حتى ذاق الموت فى سبيل هداية الناس . إذن الآية أدخلت فلسفة سقراط فيها . واذا فكرنا فى انه هو أوّل من حقق مسألة وحدانية الله وانه محيط بالعوالم الكلية والجزئية . فهذا أيضا من القسم الأوّل والثانى من أقسام الآيات المتقدّمة

واذ فرغنا من الكلام على فلسفة (سقراط) فلنتبعها بفلسفة تلميذه أفلاطون فنقول

﴿ أفلاطون ٤٢٧ ــ ٣٤٧ ق . م ﴾

ولد فى (اثينا) وهو من نسل (سولون) الحكيم المشترع المشهور ، وفى أيامه نشأت الحرب (البلو بونيسية) قبل أن يولد هذا الفيلسوف بنحو أربعة أعوام ، دارت رحاها بين (أثينا) و (أسبرطه) ثم امتدّ لهيبها حتى شملت بلاد اليونان جميعها واستمرّت زمنا طويلا يقرب من ربع قرن وصحبها مايصحب الحروب العامّة من سفك الدماء وازهاق الأرواح وتخريب الأبنية وتبديد الثروة وتغيير أنظمة الحكم . وكان من جرائها أن فقدت (أثينا) تلك المنزلة السامية التى كانت لها بين الولايات اليونانية

شبّ أفلاطون فى هذا العصر وجرّب ويلات الحرب وشاهد كثيرا من النزعات السياسية وعرف مايقاسى الناس من أنواع الحكومة . ولم يفته أن ينتفع بهذه التجارب و يسوقها للايضاح فى كتبه . ولو انك تأمّلت كتابه « الجمهورية » لتبين لك أن الأمثلة الكثيرة التى يؤيد بها دعواه مستمدّة من تجارب المتعدّدة النواحى وانقطع للتعليم مدة (٤٠) عاما كان فى أثنائها بعيدا عن الامور العملية ومشاغل السياسة ومستغرق فى تأمّلاته ونظرياته الفلسفية . ولعلّ هذا هو الذى جعل فلسفته منقطعة الصلة بالحياة وضاربة الى الجانب الخيالى على العكس من فلسفة (سقراط) ابن الشعب وربيبه . ولما استكمل إحدى وثمانين سنة من عمره مات ودفن بالبساتين فى (أقاديميا) وتبع جنازته كل من كان بأثينس

وقد كان يرى أفلاطون أن المجتمع الكامل يتكوّن من ﴿ ثلاث طبقات * الأولى ﴾ طبقة المنتجين وتشمل الزراع والصناع ووظيفتها تحصيل الغذاء ومؤن الجماعة ﴿ الثانية ﴾ طبقة الجند وعملها توسيع رقعة المملكة وحفظ كيانها ودفع الغارات عنها ﴿ الثالثة ﴾ طبقة الفلاسفة . ولها الزعامة الفكرية وولاية الحكم وعليها أن توفق بين العناصر المختلفة حتى ينقطع كل واحد لتأدية الواجب عليه . واذ ذاك يسود العدل وتتحقق السعادة . هذا هو العدل فى المجتمع . أما فى الفرد فهو ائتلاف قوى النفس وتعاونها وقيام كل قوّة بعملها . وللنفس قوى ثلاث قياسا على المجتمع ﴿ أولاها ﴾ القوّة الشهوانية وعملها تحصيل حاجات الجسم من طعام وشراب وفيها جماح وميل الى الشرّ ومركزها البطن وفضيلتها العفة ﴿ وثانيتها ﴾ القوّة الغضبية ووظيفتها الدفاع عن الجسم وحفظه من الأذى ومقرها القلب وعدّتها الشجاعة والصبر ﴿ وثالثتها ﴾ القوّة الفكرية وموطنها الرأس وهى التى تستجلى الحقائق وتدبر شؤون الانسان العامّة والخاصة وفضيلتها الحزم والحكمة . واذا تأملنا الناس وجدناهم ﴿ ثلاثة أصناف ﴾ صنف تغطى عليه القوّة الشهوانية و يقضى حياته فى تحصيل المال ومايتبعه من اللذات . وصنف تسوقه القوّة الغضبية الى محبة الخصومة واستكمال أسباب الشهرة و بعد الصيت . وصنف تدفعه القوّة الفكرية الى استجلاء الحقائق . ولكل صنف من هؤلاء نوع من السرور يستمتع به . ولو أنك سألت واحدا من كل صنف عن مبلغ مايلقى فى حياته من سرور لوجدته يفضل حياته على غيرها . فجامع المال يرى فى انقطاعه الى عمله سرورا لاحدّ له . ومحب الشهرة يرى أن المال عرض زائل وأن العلم تعب باطل إلا اذا

كان

كان من ورائه شهرة واسعة وذكر بعيد وطالب العلم يحتقر المال والشهرة معا ويجد السعادة فى استجلاء الحقائق والوقوف على أسرار الله فى خلقه . واذا كان الأمر كذلك فمن أين لنا أن نتبين الرشد من الغي ونهتدى الى مكامن السعادة ؟ إن صحة الحكم تتوقف على سعة التجارب ورقى المدارك والحكمة ، فطالب العلم هو الذى يستطيع أن يقضى فى هذا الموضوع بالعدل ، فقد تملك الأشياء وجمع المال وهو صغير ، وجرب احترام الناس له وأفاده علمه الحكمة ، وعلى ذلك أحسن أنواع السرور ما ينبعث فى النفس ويملأ جوانبها اذا وجدت لذة العلم ، وحياة العالم مليئة بالسرور الذى لايعقبه ألم . أما الذين لايعرفون للحكمة طعما ، ولايذوقون للفضيلة حلاوة ويقضون حياتهم فى الاستكثار من ألوان الطعام والشراب وصنوف اللذائذ فانهم كالأنعام يملؤن بطونهم ويتناسلون ويشعرون بقوة فى جسومهم فيعتدى بعضهم على بعض ويقتتلون حتى لاتبقى منهم باقية

هذا ما أردت ذكره من فلسفة (أفلاطون) فلأتبعه بذكر ﴿ المذهب الابيقورى ﴾ وينسب الى أبيقيور (من ٣٤١ — ٣٧٠ ق . م) ويتلخص فى أن الخير الأسمى نوع من السرور يملأ النفس ، وفى أن السرور ﴿ قسمان ﴾ جسمى مملوء بالاضطراب سريع الزوال ، وعقلى هادئ دائم ، ولايستطيع الى الثانى إلا من قللوا رغائبهم وجعلوا مطالبهم محصورة فى الضرورى دون سواه وقد أساء فريق من الناس فهم هذا المذهب وظنوا أنه يدعوهم الى الأخذ بأنواع السرور والتمتع باللذة العاجلة فاستباحوا لأنفسهم كل شئ وجروا وراء شهواتهم البهيمية . وأختم القول بما جاء فى حكمة الرومانيين على لسان حكيمهم (سنيكا) وهذا نصه

« سأقابل الموت بوجه باسم ، وأرى مشاهد الحياة ، ومايجلبه القدر ، خيره وشره ، مطمئن النفس ، هادئ البال ، وسأقوم بنصيبى من أعباء الحياة مهما كان ثقيلا مستعينا بما لى من قوة عقلية اذا وهن الجسم وعز النصير ، وسأحتقر الغنى واليسار سواء أكان لى منه نصيب أم لم يكن ، ولن يملأ قلبى السرور اذا أقبلت الدنيا على بخيرها ، ولن تفيض النفس أسا اذا أدبرت عنى وتولت بزينتها . وسأعتبر جميع بقاع العالم وطنا لى ووطنى ملكا لبنى الانسان جميعا . وسأذكر دائما أنى خلقت لغيرى وأشكر الله على ذلك إذ ليست هناك غاية أشرف من هذه فقد وهبنى للجماعة ووهبت الجماعة لى وسيدفعنى الى خير العمل ضميرى ودمتى وسأصفح عن المذنب قبل أن يسألنى الصفح . ولن يغيب عنى أن الدنيا بأسرها مدينتى التى ولدت فيها . وسأجيب داعى الموت طائعا وأشهد الناس جميعا اننى أحب طهارة الضمير ونبل الغاية » اهـ

هـذا ما اصطفيته من فلسفة الأجيال الفائتة وهى كلها فى تهذيب الأخلاق ومعرفة العالم ونفع الأمم . وتأمل كلام (سنيكا) فهو ينطق بقوله تعالى فى هذه الآيات — واصبر على ماأصابك — وقوله — ولاتصعر خدك للناس — الخ وههنا أقول لأمم الاسلام هـذه عيون حكمة الأمم التى عرفوها بعقولهم . فلما جاء الاسلام وقرأ النبى ﷺ القرآن أدرك هذا المعانى أصحابه كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فنفعوا الأمم شرقا وغربا ثم نام المسلمون نوما عميقا . نبى جاءه وحى لخص فلسفة الأمم التى لم يقرأ عنها حرفا ولم يدرس كتابا فهز الأرض هزا بعلمه وأصحابه بعده . أليس هذا هو قوله تعالى — بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم — فهؤلاء الفلاسفة عرفوا الصبر والثبات ومحاسن الأخلاق وحب الله ونفع الناس والخوف من ربهم بمجرد بحثهم بالعقل فلما جاء نبينا ﷺ أوحى الله اليه هذا كله . إذن هذه أكبر معجزة . ولقد تبين لى حقا وصدقا أن الأجيال المقبلة بعد هذا التفسير هى التى تفهم معنى قوله تعالى — بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم — وهم هم الذين يعقلون آية — ولقد آتينا لقمان الحكمة — وهم المؤمنون الأعلون شرفا . فياليت شعرى ماذا حل بآبائنا الأولين بعد العصور الأولى . كرهوا العلم وكرهوا الحكمة فانقطعت صلتها بينهم وفرت هاربة الى أوروبا وبقى الصوفية وعلماء ظواهر الدين وسيجعل الله بعد عسر يسرا

ولنجم من بعد الرجوع استقامة ✡ وللشمس من بعد الغروب طلوع

ولما وصلت الى هذا المقام اطلع على هذا أخى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير فقال لقد أحسنت صنعا وأجدت وضعا وأبنت كيف كانت نتائج العقل الانسانى فى القرون الأولى هى هى نتائج الوحى المنزل على نبينا ﷺ وكيف يفهم الناس ـ ولقد آتينا لقمان الحكمة ـ وكيف يدركون مغزى ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ وانى ليدهشنى أن أرى أبا بكر وعمر وأمثالهما ساروا فى حياتهم وطرق أعمالهم على المنهج الذى رسمه القرآن وكانت النتائج أشبه بما يقوله هؤلاء الحكماء . فهاهوذا عمر رضى الله عنه قد جاهد فى الله والحق حتى قتله أبولؤلؤة غيلة ومثله سيدنا علىّ لقيامه فى أعماله بالقسط والعدل قتل غيلة ، وهاكن أولاء نرى (سقراط) قام بالحق حتى حكم عليه بالقتل لا لشئ سوى انه يعلم الناس الحكمة ، وهكذا نجد سنيكا الرومانى عاهد الله ألايقول إلا الحق وألايبالى بالمرض ولاالموت ولاالفقر ولايفرح بالغنى وهكذا

إن هذا والله هوالعلم وهوالصدق . اذا لم يكن فى دين الاسلام سوى ﴿سورة لقمان﴾ لكفت فى صدق النبوّة أوّلا وفى نظام الأمة ثانيا . فياغفلة الأمم الاسلامية المتأخرة ، و ياحسرة على المسلمين ما يأتيهم من عالم إلا كانوا به يستهزئون

ثم قال . والآن خطر لى سؤال أحب أن أسألكه . فقلت حبا وكرامة . فقال هـذه هى الحكمة التى أنتجتها عقول الأوّلين وهذا هودين خاتم المرسلين . هما اتفقا أصولا . فلماذا رأينا أمثال أبى بكر وعمر قد شادا دولة ونظاما أمما وأدارا دولاب نحو نصف الكرة الأرضية ولم نر لسقراط ولالأفلاطون ولا لأرسطاطاليس مثل هذا العمل العظيم . ولقد اطلعت على جمهورية أفلاطون وقد سبق فى هذا التفسير جمل منها كالتى جاءت فى ﴿سورة النحل﴾ عند قوله تعالى ـ إن الله يأمر بالعدل والاحسان ـ الخ ففيها علم غزير و بحث وتنقيب ولكن لم نجد لذلك ثمرات كالتى رأيناها فى أمم الاسلام . فقلت إن هذا السؤال حسن وكثيرا ما يخطر لى ، وأجيبك عليه بعون الله . إن دين الاسلام ﴿ قسمان ﴾ اسلام وايمان . فالايمان يرجع للبواطن كالصدق والاخلاص واليقين وما أشبه ذلك ، فان الانسان متى أيقن بأن له خالقا وله أوامر جدّ فى التشمير عسى أن يلقاه . فأما الاسلام فهوالعبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج والنطق بالشهادتين ، فهذه الظواهر تجمع الناس فى عمل واحد فهم يصلون معا وتكون الزكاة رابطة بين الغنى والفقير والحج يجمعهم ، فهذه الشرائع الظاهرة التى يكلف الناس بها نتائجها نظام الدولة والملك . فأما اصلاح البواطن وحده الذى شاركت الفلسفة فيه الدين فهولايعدو إزالة الجهل . فأما اصلاح الظواهر ونظام الأمم فهذا دواؤه . فاذا أرادت أمة اسلامية أن تلم شعثها وتقوم من رقدتها ، فهاهوذا الباب مفتوح على مصراعيه ، وهاهوذا عبد العزيز بن السعود النجدى يقوم بنشر شعائر الاسلام كأيام الصحابة ، فهاهوذا عزيز الجانب مرهوب مع أن الأمم كلها مدججة بالسلاح والكراع والحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٩

﴿ زهرة من بساتين الحكمة ﴾

وهى فيما كان يلقيه آباؤنا الأوّلون على مسامع الشبان ليعشقوهم فى الحكمة ويحببوهم فى جمال هذه الدنيا وبهائها وعجائب الله عزّوجل أيام صولتهم فى إبان دولتهم وقيام عزّهم وظهور مجدهم فى العالمين

فهاك ماجاء فى ﴿ اخوان الصفاء ﴾ المؤلف فى القرون الأولى صفحة ١٩٦ فى المجلد الرابع فى الطبعة الهندية فلألخصه لك حتى تأخذ زبدته ولبه وترمى بقشره والله هوالولىّ الحميد

قال « ذكروا أن ملكا من ملوك الهند كان واسع المملكة عظيم السلطان وكان يعبد الأصنام ولايعرف الأنبياء ولااليوم الآخر ولارب الأرباب ولم يرزق بولد إلا فى كبره وأخبره المنجمون بأنه يطول عمره وينال ملكا وسلطانا وسلطانه لايشبه ملك الأرضين ولاسلطان الجسمانيين بل ملك السماويين وسلطان الروحانيين ، فلما تربى ذلك الغلام وترعرع أفرد له أبوه منزلا و بنى له قصرا أسكنه فيه ووكل به الحفظة وشحنه بالخدم ومنع

أن

أن يصل اليه أحد من العامة ، فلما نشأ الغلام وترعرع رزق من الفهم والذكاء مالم يرزق أحد غيره من أهل بلده ، ثم علم آداب أبناء الملوك من القراءة والكتابة والشعر والفصاحة والنحو واللغة والحساب والنجوم والهندسة ومايليق بأولاد الملوك من العلوم والآداب ، وكان صافى النفس حى القلب ، كثيرالتفكر فى ملكوت السماء وأمر الصانع وكيفية المبدأ وأمر المعاد وأحوال القرون الذين مضوا وانقرضوا ، أترى الى ماذا صاروا والى أين ذهبوا حتى منعتـه الفكرة عن الأكل والنوم والتمتع بلذات النعيم فى الدنيا وشهواتها فأسهر ليله وأطال نهاره وتمنى أن يجدأحدا يسأله عما فى نفسه ويذاكره بما فى قلبه فلم يجد أحدا حتى فشا حديثه فى الناس وكثر الثناء الجميل عليه ، وانتشرذكره فى الآفاق ، فسمع خبره حكيم من حكماء بلاد (سرنديب) فطمع فى رشده ورجا أن يكون هاديا رشيدا وفيلسوفا حكيما فقصد نحو بلادهواحتال حتى دخل اليه ففرح به الفتى ، وكان مماجرى بينهما أن قال له « أخبرنى لم يذم الحكماء أمورالدنيا ويزهدون فى نعيمها وهى دارهم التى نشؤا فيها ومسكن آبائهم الذين ربوهم . فأجاب لأنها تصغر فى أعينهم اذا شاهدوا أمر ملكوت السماء ويستقلون نعيمها فى جنب مايعرفون من نعيم أهل الآخرة كما صغرحال ذلك المسكين فى أعين الملك ووزيره قال كيف الفتى كان ذلك ؟ قال الحكيم ذكروا انه كان ملك من ملوك الهنـد عظيم الشان عزيز السلطان واسع المملكة حسن التدبير والسياسة عادل السيرة فى الرعية ، وكان مع ذلك يعبد الأصنام تقليدا ، يقرب لها القربان ويعظم شأنها ويحسن الى أهلها على عادة جارية قد اعتادها من الحداثة والصبا من غير فكر ورويه فى شأنها وكان له وزيرخير عارف بصيرقد عرف ملكوت السماء وبناء الملأ الأعلى وأمرالمعاد والمبدأ وكيفية الوحى للأنبياء عليهم السلام وعلل سنن الديانات ومرامى مرموزات النواميس وأسباب أحكام الشرائع وما الغرض الأقصى منها ؟ وماحقيقة معانيها وخفيات أسرارها ودقائق اشاراتها وماقصد واضعوها وما النفع العاجل منها ؟ وما المطلب والمغزى فى الأجل منها . ثم إن ذلك الوزيرمكث دهرا طويلا يطلب الفرصة لخطابه الى أن اتفق أن قال له الملك ذات ليلة بعد مافرغا من النظر فى أمرالرعية وتدبيرالسياسة « هل لك أن تخرج الليلة متنكرين لنعرف حال المدينة ونتجسس أحوال الرعية ، وننظرالى آثارالمطر وكيفية حال البلاد ومصالح العباد فخرجا يطوفان حول المدينة متنكرين فبينما هما كذلك إذ هما بضوء من بعيد فامتدا نحوه حتى دنيا منه فاذا هما بمزبلة شبه رابية عظيمة عليها جيف مرمية وسماد طرية منتنة الرائحة واذا فى أسفله ثقبة شبه المغارة واذا فى أقصى داخلها رجل قاعد مشوه الخلقة على دكة قد أصلحها من بين سماد ورماد تلك المزبلة وقد فرش تحته من خرق تلك المزبلة شبه بساط وعليه مدرعة قدخاطها شبه مرقعة وفى رجليه تبان[1] وعلى رأسه شملة مثل ذلك واذا بحذائه امرأة تشبهه فى الخلقة والتشوه وعليها كسوات شبه درع وخمار ومقنعة مثل ماعليه من خرق تلك المزبلة واذا بين يديهما سراج من خزف فوق آجرة شبه منارة وبجنبه جرة مكسورة فيها دردى كالخل وقد مزجه بيسير من ماء والى جنبه سلة خوص فيها تافات كرفس وكراث وبيد كل واحدمنهما مشربة مكسورة يغترفان من تلك الجرة ويشربانها واذاعلى فخذه قصبة قد مد عليها خيطا شبه قوس الندّاف وهو ينقرعليها بقضيب فى يده ويغنى بأبيات غـير موزونة خارجة من الايقاع واذا به يذكر فى تلك الأبيات حسن تلك المرأة ويصف جمالها وشدة عشقه لها وافراط محبته إياها واذا بيدها خشبة غربال مكسورة قد مدت عليهاقطعة جلد غيرمدبوغ جائفة منتنة الرائحة شبه الدف وهى تنقراذاغنى هو وترقص وتثنى بين يديه واذا شرب كل واحد منهما سار صاحبه وحياه بتاقة من ذلك الكرفس والكراث وهى تثنى عليه بالحسن والجمال كأنه يوسف الصـديق وتسميه (شاهنشاه) ملك الملوك وهو يسميها كدبانويه سيدة النساء ويشرب ويسمر بها ويثنى عليها ويصـفها بالحسن والجمال مايقصر وصف الحور العين فى جنب ذلك واذا شربا سألا الله ألا

(١) التبان كرمان سروال صغير يستر العورة

بعدمهما ماهما فيه ولايغيرمابهما من نعمة وأن يبقيهما على تلك الحال أبدا مابقى الدهر . فلما أبصر الملك والوزير ماهما فيه من اللذة والسرور والفرح طال وقوفهما متعجبين من حال ذينك المسكينين ثم قال عندذلك الملك للوزير ما أظن أنى فى طول حياتى وعز سلطانى ونعيم ملكى وأيام شبابى ومجالس الهوى مع تمكنى من شهوتى بلغ منى الفرح واللذة والسرور مايصف هذان المسكينان الحقيران الوضران من حالهما ومع هذا كله أظن أنه لايفوتهما هذه الحال كل ليلة ان أرادا لأنه لايعرض لهما شئ من العوائق التى تعرض لنا من الأشغال المانعة عن فراغ مجلس اللذة واللهو مثل خروج الخوارج فى أطراف المملكة واضطراب النواحى وشغب الجند وطلبهم الارزاق وماشا كل ذلك

ولكنى أظن انه لوكان هذان المسكينان دخلا منازلنا وألبسا ثيابنا وأبصرا مجالسنا وذاقا من طعامنا وعاينا أحوال ملكنا وشاهدا عزسلطاننا وعرفا لذة نعيمنا مرة واحدة مقدار ساعة ثم ردّا الى حالهما لما تهنيا بالعيش بعد ذلك ولاوجدا لهذه الحال النكرة التى هما فيها لذة أبدا وصغر فى أعينهما ماهما فيه من اللذة والفرح والسرور ، فلما فرغ الملك من هذا الخطاب وسمع الوزير قول الملك قال الوزير للملك أخاف أيها الملك أن نكون فيما نحن فيه من عز سلطاننا ونعيم ملكنا ولذيذ شهواتنا وسرورنا بأحوالنا وفرحنا بما خوّلنا مغرورين كغرور هذين المسكينين بما هما فيه ونحن محقرون وجميع أحوالنا فى أعين قوم آخرين كاحتقار هذين المسكينين بالنسبة لأحوالنا ، فلما سمع الملك قول الوزير استكبره واستعظمه ، فقال له وهل تعلم فى الأرض اليوم مملكة أوسع من مملكتنا أوسلطانا أعز من سلطاننا أو بلدا أكثر نعما من بلدنا أومروءة أحسن من مروءتنا ، قال له الوزير لا قال الملك فمن هؤلاء القوم الذين زعمت انه يصغر حالنا فى أعينهم و يستحقرون أمرنا قال قوم يقال لهم النساك فقال الملك أين بلدهم ومن أى ناس هم قال من قبائل شتى متفرّقين فى المدن وفى الآفاق والبلاد يجمعهم دين واحد ومذهب واحد ورأى واحد قال صف لى مذهبهم وحالهم قال هم أمناء الله فى خلقه وخلفاء أنبيائه وأئمة لعباده وليس فى الناس منهم إلا نفر يسير لأنهم فى الأنام كالملح فى الطعام ، بسؤالهم ينزل الله القطر من السماء والبركات فى الأرض و بدعائهم يرفع الله عن العباد القحط والغلاء والوباء ومنهم حفاظ كتب الله وعلماء تأويلها فقال الملك ومن أنبياء الله فقال الوزيرهم طائفة من بنى آدم اصطفاهم من عباده وقربهم وناجاهم وكشف لهم عن مكنون أسرار غيبه وجعلهم أمناء وحيه وسفراء بينه و بين خلقه أرسلهم من عالم الأرواح الذى فى ملكوت السماء الى عالم الكون والفساد فى الأرض وأنزل معهم الكتاب ليدعوا عباده الى جواره فى الجنة التى كان أبوهم آدم فيها ، فقال الملك وما آراء هؤلاء الأنبياء قال آراؤهم يعرفها أتباعهم وأفضل أتباعهم فتيان أذكياء لهم نفوس صافية وقلوب واعية بريئون عن الآراء الفاسدة غير معتادين للعادات الرّدية أومشايخ مهذبون فى العلوم الرياضية . مجرّبون الامور السياسية . محبون للعلوم الإلهية . غير متعصبين فى المذاهب المختلفة والآراء المتناقضة . أونفوس ملكية لها همم عالية فى طلب مراتب الملائكة والامور السماوية والمعقولات الروحانية والوجود المحض والبقاء الدائم والدوام السرمد . قال له أخبرنى ماذا يصفون الحكماء من أصناف الخلائق هناك قال يقولون لايعلم عددهم إلا الله كما لايحصى عدد الخلائق الذين هم فى الأرض من أجناس الحيوان من الأنعام والسباع والوحوش والطيور والهوام والحشرات والدواب وحيوان الماء والبحار أجمع وأصناف بنى آدم من أجناس الأمم من الترك والحبش والزنج والنوبة والعرب والعجم والفرس والروم والهند والسند والصين والنبط والزط والاكراد و يأجوج ومأجوج والسيسان وأمم أخرى غير معروفة عند كثير من الناس وكل هؤلاء مختلفو الألسن والألوان والأخلاق والطباع والعادات والأعمال والأفعال والصنائع والآراء والمذاهب من أهل المدن والقرى والسوادات والسواحل والجزائر والبرارى نحو من سبعة عشر ألف مدينة تملكها نحو من ألف ملك . هذا فى الربع المسكون من الأرض . على أن الأرض بجميع ماعليها من البحار والجبال والبرارى

والانهار

والأنهار والعمران والخراب ماهي في فسحة سعة الهواء إلا كحلقة ملقاة في برية صحراء وفضل سعة كل واحد من الأفلاك التسعة على الهواء كفضل البرية على تلك الحلقة ، أفترى أيها الملك أن الخالق تعالى ترك تلك الآفاق الواسعة مع شرف جوهرها وشرف جوهر تلك الأجرام وطيب نسيم تلك الأمكنة فارغة خالية لم يجعل فيها أهلا وسكانا وخلائق تليق بها وهكذا انه لم يترك البحار الاجاج الأمواه حتى خلق في قرارها الزاخرة أجناسا من الحيوانات وأنواعا من السمك والحيتان وهكذا جوهر الهواء الرقيق لم يترك فارغا حتى خلق فيه أجناسا من الطيور تسبح كما يسبح السمك في الماء وكذلك هذه البراري اليابسة الجافة لم يتركها خاوية حتى جعل فيها أجناسا من الوحوش والسباع والأنعام وكذلك الآجام والآكام ورؤس الجبال و بطون الأودية وشطوط الأنهار حتى خلق في لب النبات وفي ثمر الشجر وفي جوف الحب حيوانات مختلفة الصور والأشكال . انتهى ملخصا من كتاب « اخوان الصفاء » والحمد لله رب العالمين

﴿ آثار الحكمة في الأمم الحاضرة ﴾

لقد تبدّت لك أيها الذكي آثار الحكمة في الأمم القديمة ورأيت روضا نضيرا وعلما غزيرا نبع من قلوب اصطفاها الله وقال لنا ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ـ وقال ـ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ـ

حيا الله الحكمة والعلم ، أسبغ الله النعم على الناس ظاهرة وباطنة وملأ الأصقاع في زماننا بالحكمة فهل في شرعة الانصاف أن يكون المسلمون أوّل أمّة نبغت في أن تحصن من مهاجمة جنود الحكمة بلادها لتعمر أحياءها ونصرتها شياطين الإنس والجنّ على انهزام تلك الجيوش الجرّارة التي أرسلها الله في كل مكان . المسلمون وحدهم هم الذين قهروا الحكمة وصدّوها عنهم . نعم قبلوا أن يقرؤا ألفاظ حكمة لقمان ولكنهم امتنعوا امتناعا باتا عن تناول معناها . أفلاترى أيها الذكي والأسى يملأ الأفئدة أن هذه الأمم الاسلامية فعلت ما تفعله حشرة (الأرضة) التي سيأتي شرحها في ﴿ سورة سبأ ﴾ إذ تذهب جنودها الى الأشجار العظيمة الباسقة وسقوف المنازل وشبابيكها فتأكل مافي داخلها ولايبقى إلاظواهرها تدليسا على أهل المنازل والحقول حتى اذا جلس الانسان الى جانب تلك الأشجار مثلا رآها بمجرّد الملامسة تنهار انهيارا لأنها من داخلها خاوية

هذا والله مثل أضربه لأمم الاسلام من حيث الحكمة . البلاد جاهلة خالية من الحكمة ولكن الناس يقرؤن القرآن ويقرؤن سورة لقمان أي يقرؤن ألفاظها ولكنهم لايعيرون معانيها التفاتا و بالمعاني والعمل تكون الحياة ولا آخرة إلا بدنيا وأين دنيانا ؟ ترك المسلمون علوم الحكمة كلها واكتفوا بالتغني بألفاظها في القرآن فأحكموا الظواهر وخلت البواطن . اللهم اليك المشتكى . أنا من الأمة المصرية التي تبلغ الآن ماينوف عن (١٤) مليونا كلهم لم يتعلموا ولم يتعلم في بلادي إلا أمة القبط الذين لم يبلغوا مليونا ويكادون يكونون جميعا متعلمين رجالا ونساء ، فأما المسلمون فقد يمرّ الانسان في بلاد كثيرة فلا يجد فيها من يحسن الكتابة والقراءة اللهم إلا قارئ القرآن بلاعقل ولافهم . لم يتعلم من المسلمين اليوم أكثر من بضعة أفراد في المائة والبقية جهلاء مع اشتهار مصر الآن بأن التعليم فيها راق . وهذه هي الحقيقة المؤلمة . فاذا كانت نسبة المتعلمين فيها اليوم عد الأصابع في المائة فهذه أكثرها أبناء الأقباط الذين هم الأقلون . أما الأكثرون فانهم جاهلون

كل ذلك بسبب مارسخ في العقول من آراء صغار الشيوخ الجهلاء و بعض رجال الصوفية الذين اتخذوا التصوّف حرفة يعيشون بها . هذه هي الأمّة الاسلامية الآن

أيها الذكيّ . لاتعجب اذا أسمعتك ماجاء في جرائدنا المصرية عند كتابة هذا الموضوع في حوادث فلسطين فهل تصدّق أن أمة من أمم أوروبا تأتي باليهود المشتتين في الأرض وتجعل لهم وطنا قوميا في فلسطين مسكن العرب إلا اذا كان أبناء العرب جهلاء ، فهم في نجد والحجاز واليمن ومصر وشمال افريقيا والسودان لارابطة

تربطهم ببعضهم ولا بأمم الاسلام الأخرى . ذلك كله من عدم الحكمة التي قال الله انها خير كثير ومن عدم العلم الذى لم يسوّ الله بين المتصف به وغير المتصف به بل أمر نبيه ﷺ أن يقول لنا ذلك لنكون على بينة. حقا أسكن الانجليز اليهود فى بلاد فلسطين . لماذا ؟ لأن أمة العرب لاسلاح عندهم كسلاح أوروبا وأوروبا متحدة علينا . لماذا ؟ لأننا جهلاء . فاقرأ ما سأكتبه هنا الآن ولا تعجب لأن الله يقول — واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا — واياك أن تظن انى أكتب هذا وأنا يائس كلا . والله لو تطرف اليأس لقلبي ما كتبت حرفا ولكنى أقول إن هذا التفسير وأمثال هذا التفسير وأحوالا أخرى سترفع هذه الأمة الى العلا مرة أخرى ولكنها ستكون فى المستقبل أعلى وأغلى وأدوم . فهاك ما جاء فى جريدة الاهرام فى يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

﴿ حوادث فلسطين ﴾

﴿ التحقيق فى حوادث فلسطين والحقائق التى ظهرت للآن ﴾

أثبت التحقيق الذى تقوم به الحكومة فى فلسطين الى الآن ما يأتى ملخصا عن تقرير رفع الى حكومة فلسطين

(١) ان الذين قتلوا وجرحوا من العرب فى القدس أصيبوا برصاص بندقيات ومسدسات وشظايا قنابل يدوية

(٢) ان اليهود وحدهم كانوا يستعملون القذائف اليدوية

(٣) ان أوّل امرأة قتلت هى امرأة على مطاوى ، وأوّل طفل قتل هو طفلها ، وأوّل عائلة هوجمت منفردة هى هذه العائلة

(٤) ان حوادث الخليل لم تبدأ إلا بعد قتل العائلة العربية المنفردة فى القدس وذيوع خبر الفظائع التى اقترفت معها وأن تقرير الأطباء البريطانيين الرسمى أثبت أن قتلى اليهود فى الخليل لم يمثل بهم

﴿ حول رجال التحقيق ﴾

راجع الجمعية الاسلامية بحيفا جماعة من عربان الحدون وأبلغوها أن البوليس فى (زمارين) قد داهم بيتى محمد المحمود وحسن السليم من عرب الحدون أيضا للتفتيش عن الأسلحة ولما لم يجد شيأ ألقى القبض على الرجلين وزجهما فى غياهب السجون وأخذ يسيمهما كثيرا من أنواع العدايات ليدفعهما الى الاقرار بأن لديهما الأسلحة التى يزعم وجودها . وللحال أوفدت الجمعية الاسلامية من قبلها الدكتور رشدى أفندى التميمى لمعاينة الرجلين فأبى بوليس زمارين السماح له بذلك لولا أن تصادف وجود قومندان البوليس تيودور عبود هنالك فأذن له فأجرى معاينة الرجلين بحضوره فاذا به يكتشف آثارا فظيعة من الضرب والتعذيب تقشعر منها الأبدان فوضع بذلك تقريرين مفصلين ختمهما بقوله « ان الرجلين سيبقيان معطلين مدة عشرة أيام يلزم بعدها معاينتهما ثانية لينظر فى حالة العوارض المرضية المحتمل حدوثها »

وكتب أحد سجناء الخليل الوطنيين يصف الآلام المبرحة التى يقاسيها ومن معه والمعاملة السيئة التى يلاقونها من سجانيهم قال « مضى لى ١٦ يوما وأنا موقوف لسبب لا أدريه ، وانما بلغنى أن أحدهم قد وشى بى بأنى كنت أحض الأهلين على قتل (المستر كفرانا) ضابط البوليس فى أثناء الاضطرابات ، وقد بقيت الثلاثة الأيام الأولى بدون طعام وشراب حتى كدت أهلك جوعا وعطشا لولا أن قدّم لى مأمور السجن فى اليوم الثالث قطعة من الخبز الجاف وبعد إلحاح شديد جاء الىّ طبيب مع ضابط وطنى لمعاينتى ، فبعد أن نظر آثار الضرب المبرح والتعذيب القاسى ظاهرة على جسدى لم يسعه إلا أن حوّل وجهه عنى متمتما قائلا « لا حول ولا قوة إلا بالله » وكذلك اقشعر وجه الضابط من هول ما رأى »

أما باقي السجناء و يبلغ عددهم المائتين فلا تسألوا عن حالتهم المؤلمة فقد حشروا في غرف ضيقة وهم ينامون أكداسا وكلهم جائع و يلاقون صنوفا من العذاب اه . و يقال ان حالة الموقوفين العرب في السجون الأخرى لاتقل عن حالة مسجوني الخليل وزمارين

(عطف السلطة على اليهود)

طلب فخامة المندوب السامي من وزارة المستعمرات أن تصادق على صرف عشرة آلاف جنيه لمنكوبي اليهود ، وقد وافقت الوزارة على هذا الطلب وصرف منه بصورة مستعجلة مبلغ ألفي جنيه كما أن فخامة المندوب السامي قد صادق على قرار اعفاء بلدية (تل أبيب) اليهودية من مبلغ (٧٥) ألف جنيه كان دينا عليها لخزينة البلاد كما انه عمم على كافة دوائر الحكومة نشرة جاء فيها انه يرغب في أن تساعد هذه الدوائر المؤسسات والسلطات اليهودية على عمل الاسعاف والبناء الجديد الذي أصبح ضروريا بعد الاضطرابات الأخيرة . هذا عدا أن هناك نحو (٩) آلاف يهودي في القدس وأكثر من ألف يهودي في حيفا من سكان المستعمرات الذين تعتبرهم الحكومة لاجئين وهم في الحقيقة نجدات جاءت لمقاتلة الوطنيين . وهناك أيضا مطالب بالتعويضات عن الخسائر قدمها اليهود و ينظر فيها المستر ابراسون الصهيوني القح . وهناك دعاوى واتهامات من اليهود على العرب ينظر فيها المستر (بنتويش) رئيس النيابات العامة والمشرع الفلسطيني الصهيوني

هذا ومن حوادث عطف الحكومة على اليهود أن مفاوضات جرت بين الجمعية الصهيونية والحكومة قرر فخامة المندوب السامي بعدها أن ترسل قوة الى غزة مع منكوبي غزة اليهود الذين لجؤا الى (تل أبيب) في الاضطرابات الأخيرة ليتفقدوا بيوتهم ومحلاتهم و يحضروا مافيها الى (تل أبيب) حيث قرروا أن تكون سكناهم نهائيا . ولذلك روع الغزيون عندما رأوا رجال البوليس يرابطون في بعض شوارع البلد يحملون العصي الطويلة ثم فهموا السر عند مارأوا القطار يصل مقلا عددا من اليهود يحرسهم الجند الانكليز فيذهبون الى بيوتهم و يأخذون مافيها و يعودون من حيث أتوا

﴿ معاملة العرب في فلسطين واحتجاج اللجنة التنفيذية في القاهرة ﴾

تلقت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تقارير مطولة من جميع أنحاء (فلسطين) تثبت بالوثائق والأرقام أن السلطة تقبض على العرب زرافات زرافات مستندة على أقوال الصهيونيين حتى غصت السجون بالأبرياء وأنها تعامل المعتقلين بقسوة لامثيل لها وتهاجم القرى الآمنة وتسوق سكانها الى السجون بلامبرر حتى استولى الرعب على أهالي البلاد وسادها حكم الارهاب من أدناها الى أقصاها مما اضطر كثيرين من سكان البلاد الى الالتجاء الى الجبال . وعلى أثر ورود هذه التقارير أبرقت اللجنة التنفيذية الى المندوب السامي في فلسطين الاحتجاج التالي

« فخامة المندوب السامي بالقدس . كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تؤمل من فخامتكم أن تظهروا من العدل في معاملة العرب مايمحو التأثير السيء الذي أحدثه منشوركم الصادر على عجل في أول سبتمبر ، ولكن الأنباء التي ترد الينا بلاانقطاع من جميع أنحاء فلسطين تدل على أن هذا الأمل لم يحقق لسوء الحظ . فاعتقال العرب زرافات لمجرد افتراآت خصومهم وقبل كل تحقيق ، والقسوة التي يعامل بها المعتقلون في معتقلاتهم والظلم الواقع على قراهم الآمنة والرعب الذي استولى على نفوس الأبرياء من جراء سلوك البوليس وتوالي اعتداآت الصهيونيين . كل ذلك كنا نرجو من فخامتكم تلافيه مراعاة للعدل وحفظا لسمعة بريطانيا في الشرق ، فاللجنة التنفيذية تحتج بشدة على هذه الأعمال المخالفة للعدل والقانون وتلفت نظركم بالحاح اليها آملة من عدالتكم الاسراع في وضع حد لها اه السكرتير العام

ولما كتبت هذا حضر صاحبي الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال هذا حادث يبكي و يحزن

ويجعل فى القلب يأسا . فقلت أين أنت من قوله تعالى ـ ولا تيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ـ هذه أمراض تنتاب الأمم ، ولولا هذه الأمراض لم تستيقظ الأمم ، نحن نجوع وجوعنا ضربة لازب لصحتنا ، الجوع ألم ولكن هذا الألم نعمة وعدم هذا الألم نقمة ، الأمة كلها جسم واحد واصابة فرد أوأفراد منها إصابة لأعضائها و بهذه الاصابة يكون الألم وهوكألم الجوع ، فلاسبيل لرقى الأمة واستيقاظها إلا بألم تحس به الأمة فى أفرادها كما يحس الانسان بألم فى أعضائه . إذن هذا الألم بالتعدى على فلسطين نعمة لانقمة ، ولن يكون نعمة إلا اذا أدرك المسلمون الخطر وأخذوا يتعلمون الحكمة والعلوم والا كان نقمة ، وهذا إن شاء الله لا يكون كما قدمناه ، ولقد جعل الله الجوع لسان صدق يخبرنا بالحاجة الى الطعام فنحن نأكل اتقاء ألم الجوع واستلذاذا بالطعام ومتى أخذنا حاجتنا سمعنا مناديا ينادينا من الداخل أن اتركوا الطعام وهوالمسمى بالشبع ، هذا هوالجوع اللازم للانسان ولكل حيوان عند افتقار الجسم لما يقويه ، وهناك ألم أعظم للمحافظة على الجسم كله وهوالمرض الكثير الأنواع يظنه الناس نقمة ولكنه نعمة ، انه كالجوع فنسبة آلام المرض الى تعاطى الدواء كنسبة آلام الجوع الى تعاطى الغذاء ، ولو أن الناس لم يجوعوا لم يأكلوا أولم يتألموا من المرض لم يتداووا ، فالألمان نذيران وماعليهما إلا البلاغ ، ومن اطلع على طبقات اليد وهى (١٦) فى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ مرسومة وقرأ أن تحت طبقة الجلد طبقة الأعصاب (وما الأعصاب إلا جنود الجسم) أدرك السر المصون وعرف أنه لولاهؤلاء الجنود لمات أكثر الحيوان بالعوارض ، فهذا النذير هو العاصم من تمام الاتلاف ثم إن الجوع كالشرطة لحفظ الجسم من داخله ، وألم الأمراض الذى تحمله الأعصاب وتوصله الى محل الادراك من الجسم أشبه بالجند المحار بين ليدافعوا عن الدولة ثم ان الأمة كالجسم والأفراد كالأعضاء والأخبار المنشورة فى الجرائد مثلا كالاحساس السارى فى الأعصاب الى مركز الاحساس فى المخ ، فأمم العرب و بقية المسلمين اليوم يألمون لما أصاب طائفة منهم بجهة فلسطين ، فاذا فعلوا مافعل الجائع من الأكل والمريض من التداوى فقد أفلحوا وهم فائزون . ومثل الجوع والمرض الغيرة والحسد والغبطة وأمثالها كالعداوة فهذه كلها خلقت للمسابقة فى الحياة

فقال صاحبى أراك اليوم تلهج بالحكمة كثيرا فهل للحكمة دخل فى مثل هذه الحوادث ؟ وأى مناسبة بين استيطان اليهود ربوع (فلسطين) و بين الحكمة . فقلت الحكمة تقدم ايضاحها و بيان انها نظام العلوم كما أن الشمس نظام المجموعة الشمسية ، فمن الشمس تستمد السيارات ومنها الأرض ومنها يكون الليل والنهار ، فهكذا الفلسفة أوالحكمة كما تقدم عن (بيكون) الفيلسوف إذ جعل العلوم الرياضية والطبيعية مسماة باسم التواريخ وجعل نظام الطبيعة وعلم النفس والأخلاق ونظام المنزل والسياسة وعلم الجمال كلها علم الحكمة وهكذا معرفة صانع العالم الخ فالحكمة تشرف على العلوم وتنظمها . إذن لابد لها من العلوم والعلوم بها حفظ كيان الأمم . فلوعرف المسلمون العلوم كما عرفها اليهود المشتتون النابغون فى حوز المال والاقتصاد والعلم والحكمة ماحقرهم الانجليز وأنزلوا اليهود بساحاتهم ، ولكن هوالجهل المخيم فى ربوع الاسلام قد فتك بهذه الامم وأطمع فيها الأمم الحكيمة التى سلطها الله علينا لايقاظنا

فقال صاحبى . إن اتصال الحكمة التى شرحتها هنا تفسيرا للآية بأحوال الأمم الاسلامية وغيرها ماهو إلا قول مجمل . فلوانك ذكرت طرفا مما أبدعت الحكمة فى الأمم الآن لكان لها أثر وكان ذلك نورا و بهجة وجمالا . فقلت انظر مايلى

﴿ عجائب الضباب فى العصر الحاضر . وقدرة الانسان على الطواف حول الأرض فى أقل من شهر وعجائب « جراف زبلن » وغيرها ﴾

ها أنا ذا أحدثك عن بعض نتائج العلوم الطبيعية فى رقى الأمم وغلبها وقد حرمها المسلمون (انظر

ماجاء فى تلغراف من برلين فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٩ حين كتابة هذه الأسطر وهذا نصه

﴿ نتائج تجربة الضباب الصناعى ﴾

« أجريت التجربة الثانية بنشر الضباب الاصطناعى فى (ترافيموند) وقد حلقت فى الجوّ سبع طيارات لمراقبة فعل الضباب ، ولما بدأت التجربة أطلق ضباب كثيف ، فبعد انقضاء عشرة دقيقة غطى جوّ الأماكن التى أطلق فيها حتى اضطرت السيارات الى الوقوف عن السير لعدم تمكنها من رؤية الطريق ، وظهر للطيارات المراقبة أن هذا الضباب يستر وجه الأرض حتى لو كانت هناك طيارات مهاجمة لما استطاعت أن تصيب هدفا » اهـ

ولئن عجبت مما تقدّم ليزيدنك عجبا ما يأتى فقد جاء فى « مجلة كل شئ » مانصه

﴿ تاريخ التطواف حول العالم ﴾

(من ماجلان الى اكنر ، أوّل رحلة حول العالم تستغرق أكثر من ثلاث سنوات وآخر رحلة تتم فى بضعة أيام)

(بمناسبة رحلة « جراف تسبلن » الأخيرة حول العالم)

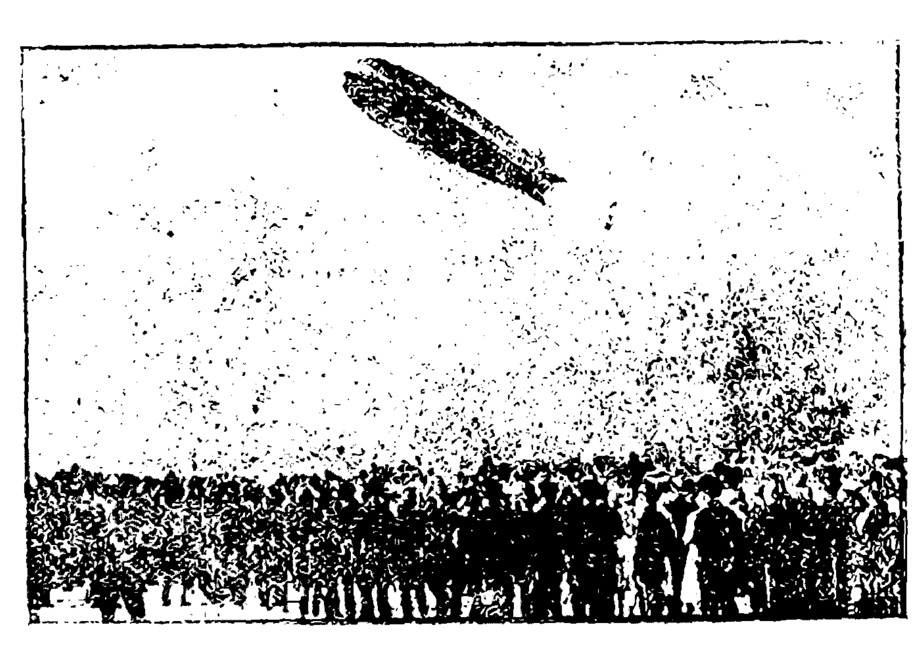
دار البلون الألمانى (جراف تسبلن) حول العالم فى بضعة أيام وكان يحمل المسافرين من قطر الى قطر أومن قارّة الى قارّة ، وما زال فى مطافه حتى رجع الى (فردريكسهافن) البلدة التى خرج منها واتجه نحو الشرق ، ومازال فى هذا الاتجاه حتى بلغها ثانيا ، ومثل هـذه الرحلة تذكر الانسان بتلك المحاولات النظرية والعملية التى حاولها كثيرون لاثبات كروية الأرض والدوران حولها بالاتجاه فى ناحية واحـدة ثم الارتقاء العظيم فى السرعة . وأوّل المحاولات العملية فى الدوران حول الأرض كانت محاولة (ماجلان) الاسبانى الذى خرج من اشبيلية (الميناء الاسبانية) فقد غادر (ماجلان) هذه الميناء فى ١٠ أغسطس سنة ١٥١٩ ومعه خمس سفن بها ٢٣٧ رجلا ، ومازالت السفن تتجه نحو الغرب حتى بلغت جنوب أمريكا وهناك دارت حول الجزء الجنوبى من أمريكا حيث مضيق (ماجلان) الآن ثم اتجهت نحو الغرب حتى بلغت (جزر فيلبين) وهناك قتل (ماجلان) فى شجار مع الأهلين ، وكانت الأمراض تفتك بالبحارة ولذلك لم يعد الى (اشبيلية) سوى سفينة واحدة ولم يبق من البحارة سوى (١٨) رجلا من (٢٣٧) ولما بلغوا الميناء الاسبانيـة نزلوا من السفينة يحملون الشموع وساروا الى الـكنيسة حيث صلوا لله شكرا على نجاتهم . وقد احتاجوا لقضاء ثلاث سنوات وتسعة وعشرين يوما فى الدوران حول العالم . و بعـد نصف قرن تقريبا خرج (السير فرانسس دريك) الانجليزى فى خمس سفن أيضا وكان رجاله (١٦٨) فاتخذ طريق (ماجلان) الاسبانى ودار حول جنوب أمريكا ثم سار فى المحيط الهادى الى أن بلغ (جاوه) ودار حول جنوب (افريقية) حـتى بلغ سيرا (ليون) ثم اتجه نحو الشمال حتى بلغ انجلترا التى خرج منها وعاد ومعه من البحارة خمسة أشخاص فقط ، واحتاجت رحلته الى أقلّ قليلا من ثلاث سنوات . وألف (جول فرن) قصته المسماة ﴿ حول العالم فى ثمانين يوما ﴾ وفرض أن المسافر يستعمل كل أنواع المراكب من سفن الى عربات الى فيلة الى زلاقات

وجاء عصر (الطيارات والبلونات) فجعل الناس ينسون البواخر والقطرات وصاروا يعدّون الأيام للتطواف حول العالم بدلا من السنين أوالأشهر ، وآخر من استعمل الطيارات والبواخر والقطرات هو (أدوارد ايفانز) ورفيق آخر له طافا حول العالم فى (٢٨) يوما و (١٤) ساعة و (٣٦) دقيقة و (٥) ثوان ، وكان متوسط سرعتهما (٣٠) ميلا فى الساعة وكان ذلك فى سنة ١٩٢٦

وفى سنة ١٩٢٨ طاف (هنرى ميرز) وهو أمريكى حول العالم فى (٢٣) يوما و (١٥) ساعة و (٢١) دقيقة و (٣) ثوان ، ولم يحسب للآن عدد الأيام والساعات التى قطعها (البلون تسبلن) فى تطوافه حول العالم وانما المفروض الآن أن السبق فى المستقبل سيكون للطيار الذى يستعمل البلون فوق المحيطات و يستعمل الطيارة

فوق اليابسة ، فالطيارة أسرع من (البلون) ولكنها غير مأمونة مثله فى الأسفار الطويلة فوق المحيط الهادى أو المحيط الاطلنطى

وقد عاد المنطاد الألمانى «جراف زبلن» الى (فردريكسهافن) بعد أن طاف حول العالم وفتح فتحا مبينا فى عالم الطيران ، وتراه فى الصورة عند وصوله الى المطار وقد وقفت الجنود صفوفا لتمنع تدفق الجماهير المتحمسة على المنطاد عند هبوطه (انظر شكل ٢١)



(شكل ٢١ — جراف زبلن)

ثم انظر مانشر يوم ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢٨ م وهذا نصه

﴿ أعجوبة البحار ﴾

تحت هذا العنوان نشرت جريدة (الايفننج بوست) النيويركية برقية تلقتها من (برلين) نلخصها فيما يلى

« ليتصور القارئ عمارات من البوارج الحديثة تتقدم مسرعة الى الأمام نحو ثغر للعدو ثم تنتشر على سطح الماء فى صفوف منظمة تأهبا للقتال ولا تلبث أن تصوب نيران مدافعها الى المدينة فتدمر العمارات بقنابلها تدميرا ثم تنقلب الى الوراء متراجعة أمام حركة مضادة من بطاريات ساحلية ، وليتصور فوق هذا تحطم البعض وغرق البعض الآخر من تلك البوارج ولكن دون أن يقتل أو يغرق انسان ومع هذا فان بارجة قائد الاسطول تقف على بعد مئات الأميال من البوارج المحاربة وتتلق أخبار المعركة بواسطة الراديو من طيارات محلقة فوق البوارج ثم تبعث اليها بتعليمات لادارة حركتها بواسطة الراديو كذلك وبدون أن تغامر بحياة نوتى أو ضابط من القوى المهاجمة

إن ماتقدم بسطه هو الحقيقة لما يمكن أن يحدث فى الحروب البحرية المقبلة وهذا بناء على الاختراع المدهش الذى أسفرت التجربة عن نجاحه فان الطرادة (زيهرنجن) الألمانية القديمة وحمولتها أحد عشر ألف طن قد ركبت فيها أجهزة كهربائية سيرتها بسرعة كبيرة فى طول البحر الشمالى وعرضه دون أن يكون فيها أى انسان . وقد عادت هذه الطرادة الى المرفأ الذى غادرته فى الموعد المحدد لعودتها دون أن تضل الطريق ولم يطرأ عليها أى خلل أثناء رحلتها . ويؤكد الخبراء الفنيون أن الاختراع الألمانى الجديد سيؤدى الى احداث انقلاب عظيم فى نظام الحروب البحرية المقبلة . وقد أجمعوا على أن الطرادة (زيهرنجن) هى اليوم

أعجوبة البحار لما تشتمل عليه من الآلات الكهربائية الحديثة التى تسيرها حيث تشاء وهذه الآلات والأجهزة مركبة فى غرف المواقد وهى بمثابة اليد التى تحركها والسواعد التى تديرها نحو الاتجاهات المطلوبة بواسطة التعليمات التى تتلقاها من سفينة أخرى أو من طيارة محلقة فوقها على مسافات فى الجو بعيدة، وهكذا تكون الأساطين البحرية القديمة التى تشير الى وجود سفن بدون (نوتية) وسيرها بدون قيادة قد تمثلت فعلا للعيان عند ماقامت الطرادة (زيهرنجن) برحلتها الأولى فى البحر الشمالى وبمناورة حربية قبالة ساحل (هيلوجلاند) أما النفقات لتجهيز هذه الطرادة بالآلات الحديثة فبلغت (٥٠٠) ألف دولار. وأذاعت حكومة ألمانيا أن الغرض من عملها هذا هو أن تكون (زيهرنجن) هدفا لتمرينات الاسطول الألمانى. وفى بيان لوزارة البحرية الألمانية أن النتائج التى ظهرت من التجربة الآنفة الذكر تفوق كثيرا ماكانت تنتظره لأنها لم تدل على تسيير البوارج الحربية والبواخر التجارية بدون نوتية وقائد فقط. بل دلت على امكان اطلاق المدافع من البوارج بمنتهى الدقة فى اصابة المرمى بواسطة الأجهزة الكهربائية. ويؤخذ من النشرة التى أذاعتها وزارة البحرية الألمانية بشأن التجربة للطرادة (زيهرنجن) انه بعد أن ركبت فيها الأجهزة الكهربائية الحديثة ركب ظهرها جميع ضباطها ونوتيتها وعدد كبير من الضباط البحريين الذين حضروا لمشاهدة التجربة ثم أبحرت الطرادة وبجانبها السفينة (بليتز) التى رافقتها على مسافة (٥٠) ميلا، وعند ماوصلت الى عرض البحر انتقل من كان على ظهر الطرادة (زيهرنجن) الى السفينة (بليتز) واذ ذاك بدت (زيهرنجن) للعيان كأنها سفينة مهجورة لاحياة فيها ثم بدأت التجربة بأن ضغط قائد السفينة (بليتز) على زر فى جهاز خاص داخل سفينته وسرعان ماتصاعد الدخان من مداخن (زيهرنجن) وأخذت تتحرك ثم زادت سرعتها فى بضع دقائق الى مسافة (١٠) أميال فى الساعة ثم ضغط القائد على زر آخر فتحولت (زيهرنجن) عن وجهتها وأخذت تدور على محورها ثم وقفت وتراجعت الى الوراء ثم تقدمت الى الأمام فاليمين فالشمال حسب الاشارات التى كانت تتلقاها من قائد السفينة (بليتز) وحدث أثناء هذه الحركات المختلفة أن تصاعد من جوانبها فجأة دخان كثيف أخفاها عن الأبصار ثم تصاعد من ظهرها سهم نارى رمزا الى اطلاق مدافعها، وبالاجمال أن التجربة استغرقت مدة ساعتين والطرادة (زيهرنجن) قائمة بمناورات تشتمل على جميع الحركات الحربية البحرية بمنتهى الدقة والنظام. أما التفاصيل الفنية الخاصة بالأجهزة الكهربائية الحديثة فلم تزل سرا من الأسرار التى تحرص ألمانيا على كتمانها كل الحرص اهـ

وقد جاء فى جريدة الاهرام يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٩ م مانصه

﴿ رحلة المنطاد تسبلن الى القطب الشمالى ﴾

لم يصل (المنطاد تسبلن) من رحلته حول الكرة الأرضية حتى اتجهت الأنظار الى الرحلة التى عزم على القيام بها الى القطب الشمالى فى شهر ابريل القادم، وسيبدأ الدكتور (اكنر) بعد عودته الى برلين فى التأهب لهذه الرحلة واعداد معداتها، ولاينتظر أن يصحبه فيها إلاعدد قليل من الذين يكون وجودهم فى المنطاد مفيدا

أما شركة (هرست) التى تكفلت بالقسم الأكبر من نفقات المنطاد فقد قررت انتداب اثنين من مراسليها ولا يكون للصحف الأخرى كلها غير مندوب واحد. وسيسافر المنطاد من ترونسو (نروج) متجها نحو الجانب الأمريكى من القطب الى أن يصل الى الاسكا حيث يعد له مكان للنزول، وستكون بلدة فيربانكس فى (الاسكا) القاعدة الحقيقية لرحلة المنطاد فيقيم فيها بضعة أيام ثم يحلق فوق القطب فاذا وجد مكانا يصلح لأن ينزل فيه على الجليد فعل ذلك لتمكين العلماء من القيام بأبحاث مفيدة. ويعود المنطاد بعد طوافه حول القطب الشمالى الى (فيربانكس) ثم يتجه نحو الجانب الاسيوى. وسيقوم بحركة التفاف تنتهى فى برديسو وتبلغ مسافة هذه الرحلة (١٨) ألف كيلومترا وتستغرق من (٢٠) الى (٢٥) يوما. وسينقل المنطاد معه علاوة

على المؤن اللازمة وأدوات الراديو والملاحة أجهزة كاملة تمكن كلا من ركابه من الحياة فى القطب كالعربات الصغيرة والكلاب والأسلحة وأدوات نقالة للتلغراف اللاسلكى وماشاكل ذلك مما يحتاج اليه الركاب اذا طرأ عطل على المنطاد . وستكون الغاية من هذه الرحلة درس الحالة الجوّية فى الجهات القطبية توطئة لانشاء خط جوّى يصل أمريكا بأوروبا وآسيا بطريق القطب الشمالى . وسيرأس البعثة التى تعنى بهذه الأبحاث الاستاذ نالش يساعده الاستاذ برسون والكبتن برونس . و يعتقد الدكتور (اكنر) أن النزول على الأرض بجوار القطب ممكن بشرط أن لاتكون الرياح شديدة اه

هذا ما وصل اليه العلم الآن من استخدام الضباب وجعله حصونا بدل الحصون الحجرية ومن الطواف حول الأرض والسير فوق القطب بالطيارات . أفليس لهؤلاء القوم الحق أن ينظروا للأمم الجاهلة نظرهم الى أمر ضئيل لايؤبه له . للنحل حمة وللزنبور حمة أشدّ وللعنز والغزال قرنان وللأسد صولة وأنيابه المحدّدة وأظفار لم تقلم والانسان سلاحه يستنتجه من الحكمة التى حضّ الله عليها . طمع العلماء فى أوروبا بعد ماتبينت لهم هذه العجائب ورأوا أن المستقبل غير الحاضر وأن العلم اذا سار على هذا المنوال أخرج أمما لم تحلم بها الدهور . فانظر ماجاء فى بعض المجلات العلمية التى تخرجها دائرة « مجلة الهلال » وهذا نصها

﴿ قوى الطبيعة لاتنفد ﴾

(القوى التى فى أشعة الشمس ، وفى باطن الأرض ، وفى المياه المنحدرة)

كلما انقضى عام شعر العالم بحاجته الى قوى جديدة يستخدمها فى ادارة آلاته وفى ايجاد الحرارة والنور ولقد ثبت أن الفحم والزيت لا يكفيان كثيرا ولاطاقة لهما على احتمال طلباتنا المتعدّدة . وقوى الطبيعة لا تقتصر على الفحم والزيت فقط إذ هناك أيضا المياه المنحدرة والرياح المتناوحة ، وقد عرف أجدادنا قيمتها فاستخدموها فى ادارة الطواحين وتسيير السفن ، ولكن هناك قوى أخرى فى بعض عناصر لم تستثمر كما يجب فرض (الراديوم) قوّة إلا ان الناس يجهلونها وقد يحلون لغزها بعد مضى عدّة قرون . وأشعة الشمس قوّة لايستهان بها ، ونحن اذا وفقنا الى تسخيرها ربحنا كثيرا واستغنينا بها عن قوى أخرى مهدّدة بالزوال و باطن الأرض يضطرب بالقوى الهائلة ، فهل من سبيل الى اخراجها والتمتع بخيراتها و بركاتها ؟ ولقد أوقف بعض العلماء جهودهم على درس مسألة الحرارة الأرضية الكامنة فتوصلوا الى نتائج قد يظهر أثرها فى المستقبل القريب ، ولاريب أن مجال العمل فى ذاك المضمار واسع أمام دولة ايطاليا ، فأرضها نارية و براكينها أصدق برهان على ذلك . وفى الواقع أن ايطاليا استخدمت بعض القوى الطبيعية فظفرت بما لم تظفر به دولة سواها

وفى مقاطعة (كوسكانيا) بين مدينتى (تبزا) و (سينا) فى الاقليم الواقع حول (فولتيرا) تنبعث العيون بالماء الحار الملتهب . ولماء تلك العيون خصائص عظيمة فاستعان الطليان بالبخار البركانى الذى استخرجوه من من بعض ثقوب عميقة مجاورة على تبخير الماء و بذلك أخرجوا منه حمض البوريك . وكانوا فيما مضى يستخدمون البخار البركانى فى ايجاد الحرارة فقط . أما الآن فحركوا به الديناموا واستخرجوا الكهرباء فكأن البراكين ومايتصل بها تقوم الآن بمهمة الفحم أوالزيت وذلك تقدم عظيم فى عالم الصناعة . ولعلّ الناس فى الأزمان القادمة لايفرقون كثيرا اذا نضب معين الفحم أوالزيت من بين أيديهم إذ سيجدون فى الحرارة الارضية أوفى أشعة الشمس نعم العوض اه

﴿ ماذا سيحدث فى عام ٢٤٢٨ ؟ ﴾

(الكيمياء تخلق رجالا ونساء)

قال المستر (هـ . ت . ف . رودز) السكرتير العمومى لجمعية الكيميائيين البريطانيين مايأتى

« إن كيميائى عام ٢٤٢٨ سوف يصنعون رجالا فى معاملهم لاتختلف عنا فى شئ لأن علم الكيمياء كشف الآن عن خواص التحليل والتركيب واستطاع أن يبنى و يخلق أشياء ثمينة من موادّ ضئيلة حقيرة ، وترى أثر ذلك فى صناعة الصبغة والحرير »

وعلماء الكيمياء يعلمون الآن كيف تتكوّن (البروتو بلاسم) المادّة التى هى أساس الحياة وملاكها وهى كربون وهيدروجين ونتروجين ، ولا يستبعد أن كيمائى الأجيال المقبلة يخلقونها و يصنعون منها حياة ، وعلى مرّ الأيام سوف يكتشفون طريقة يعالجون بها (البروتو بلاسم) لتخرج أناسا مثلنا ، فاذا تحقق ذلك الأمر واستطاع الانسان أن يخلق أناسا دفعنا الأخير الى عالم الصناعة والزراعة وما الى ذلك واقتصرنا نحن على البحوث العلمية علنا نعثر على فتح جديد اه

هذا مايتخيله القوم ، وأشدّ الخيالات اغراقا فى الوهم أن يكون هناك انسان على يد انسان ، وهذا من الخيالات التى لايمكن تعقلها ولوأمكن حصولها لم نزد على مايفعله الزراع فانهم يضعون البزرة فى الأرض فينزل المطر عليها فتحيا وتنمو بعمل خارج عن طاقتنا ، وليس هذا خلقا منا . كلا . ثم كلا . فهذا مع انه خيال أو وهم أوفكرة خطرت ليس من عملنا بل هو من عمل الإله عزّ وجل كظهور النبات والحيوان فما نحن بخالقى هذا الحيوان ولاهذا النبات مع اننا نحن الذين نتعهدهما ، بل نحن نعلم التلاميذ ومانحن لهم بخالقين ، بل نحن نلد الأولاد ومانحن لهم بخالقين

فقال صاحبى هذا البيان حسن ولوانك تركته بلابيان لظنّ الجهال أن ما كتبه القوم ونقلته قد أرضاك وانك تؤمن بأن الانسان الجهول الكفار المسكين الضعيف يخلق و يرزق ، فأنت بهذا ألجمت الأفواه التى يستخدمها الحقد والحسد فتعترض بلاعلم ولاهدى ولا كتاب منير

هذا وأن هذه النبذ التى ذكرتها الآن حسنة جميلة تشوّق المسلمين وتزيدهم حبا فى العلم والحكمة فالاجمال لاتشويق فيه . فهاأناذا أطلب منك نبذة أخرى من هذا القبيل وكفى . فقلت انظر مانشر فى إحدى جرائدنا المصرية يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

﴿ المكتب الدولى للصحة العامة بباريس ﴾

وجه رئيس اللجنة الدائمة للمكتب الدولى للصحة العامة بباريس الدعوة الى وكيل وزارة الداخلية للشؤن الصحية لحضور جلسات هذه اللجنة التى ستعقد بباريس فى المدّة من (٢١) الى (٣٠) اكتوبر سنة ١٩٢٩ مندوبا عن الحكومة المصرية فى اللجنة المشار اليها . وسيتناول البحث الموضوعات الآتية

﴿أوّلا﴾ تطبيق معاهدة سنة ١٩٢٦ الصحية الدولية والمسائل المتعلقة بها وهى

(ا) تقرير مجلس الصحة البحرية والكورنتينات بمصر عن الحج الى مكة المكرمة سنة ١٩٢٩ ومتابعة درس المسائل المختلفة المتعلقة بالحج كجواز سفر الحاج ومراقبة الحجاج المارّين من بعض البلاد مراقبة صحية وغير ذلك

(ب) الشروط التى يسير بموجبها العمل فيما يختص بشهادة إبادة الجرذان أوالاعفاء من إبادتها (المادّة ٢٨ من المعاهدة) وابادة الجرذان فى السفن الجديدة

(ج) ارسال البلاغات الصحية بواسطة التلغراف اللاسلكى (ووضع أورنيك موحد لهذا الغرض)

(د) الشروط الواجب توفرها فى حواجز الجرذان لاعتبارها وافية بالغرض الذى أنشئت لأجله

(ه) الاحتياطات التى يمكن اتخاذها لمنع ماقد يحدث من انتشار الأمراض الوبائية بواسطة الطيارات

﴿ثانيا﴾ تقرير لجنة الأفيون عن المسائل المقدّمة للمكتب الدولى للصحة العامّة تنفيذا لأحكام معاهدة سنة ١٩٢٥ بشأن الأفيون

﴿ ثالثا ﴾ « الحمى الصفراء » معلومات جديدة عن السم النوعى وطريقة انتقاله . وعن تأثير المرض من الوجهة الوبائية وطرق الوقاية منه

﴿ رابعا ﴾ معلومات حديثة عن تأثير الكوليرا والطاعون من الوجهة الوبائية ومنشأ الاصابة بهما وعن مفعول اللقاح ضد الطاعون

﴿ خامسا ﴾ الجدرى واللقاح المستعمل ضده والاصابات التى تعقب التطعيم به

﴿ سادسا ﴾ « التدرن » نسبة الوفيات بالتدرن بين الأطفال المقيمين فى وسط ملوّث بهذا المرض واكتساب المناعة ضد التدرن . معلومات خاصة فى الأوساط الصناعية

﴿ سابعا ﴾ الحمى المتموجة وقوة باشيلس بابج فيما يتعلق باحداث المرض فى الانسان والوقاية منه

﴿ ثامنا ﴾ التهاب مقدم مادّة النخاع الشوكى السنجابية الحاد . تأثير المرض من الوجهة الوبائية وسبب الاصابة به

﴿ تاسعا ﴾ الالتهاب السحائى الناشئ عن الميكروب النوعى لهذا المرض وتأثيره الحالى من الوجهة الوبائية وطرق الوقاية به

﴿ عاشرا ﴾ « المستشفى العصرى » عدد المستشفيات وتوزيعها الجغرافى بالنسبة لعدد معين من السكان

﴿ حادى عشر ﴾ استعمال الملونات والمواد الحافظة للأغذية

﴿ ثانى عشر ﴾ بحث مقارنة بين نسبة الوفيات فى المدن والريف بشأن الاحتياطات الواجب اتخاذها لتحسين الحالة فى الريف

﴿ ثالث عشر ﴾ « الصحة الاجتماعية » التشريع الخاص بالتدرن وبالأمراض الزهرية والاسعاف الطبى للشعوب المتوطنة

﴿ رابع عشر ﴾ تعدّد حدوث اصابات الزهرى الأولى فى الوقت الحاضر ونتائج الاحتياطات الوقائية التى اتخذت ضد الأمراض الزهرية

﴿ خامس عشر ﴾ الاحتياطات الواجب اتخاذها ضد التسمم بالكؤول اهـ

أفلاترى أيها الذكى أن هؤلاء القوم كما نبغوا فى احداث الآلات المهلكة هكذا هم نبغوا فى علم الطب وعلم الطب فرع من العلوم الخاصة بالجسم الانسانى والجسم الانسانى والنفس الانسانية يذكران فى العلوم الطبيعية عند القدماء ، فأما عند المحدثين فلقد أريتك ماذكره العلامة (بيكون) أن علم النفس من العلوم الفلسفية أما علم التشريح فمن العلوم المسميات بالتاريخ الطبيعى ، فأهل أوروبا بهذا المكتب يبحثون عن الصحة العامّة فى الأرض كلها وحكومتنا المصرية تشاركهم . أفليس من العار على أمة محمد ﷺ الذى نشر العلم فى الأرض كلها أن تكون ذيلا للأمم وعالة على دول أوروبا ، أفلا يحق لهم اذا رأونا عالة عليهم أن يفعلوا معنا مايشاؤن ، هاهم أولاء يخافون أن تكون الطيارات من الناقلات للوباء كما تقدم ذكره فى هذا التفسير . إن البراغيث تركب متون الفيران وهذه تنقلها من منزل الى منزل ، ومن قرية الى قرية لتوزع الأمراض عيانا على الناس بلا تمييز بين صالح وطالح ، فهكذا هنا الطيارات يخافون أن تفعل هذا الفعل ، فهاهم أولاء منه يحترسون . ومن عجب أن هؤلاء يطلبون مشاركة الأمم . عمل والله عظيم . ولوأن دين الاسلام وجد أمما بعد القرون الثلاثة الأولى تحمل هذا الدين وتفعل فعله ﷺ إذ كان يود أن يجعل الناس أمة واحدة كما تقدّم فى أوّل ﴿ سورة العنكبوت ﴾ عند قوله تعالى ـ ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ـ وانه أرسل الى الملوك والأمراء شرقا وغربا يطلب أن يكونوا معه يدا واحدة . أقول لوأن الاسلام وجد أمة على هذا النمط لكانت هى القائمة بالنفع العام ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لخففت العبء عن أهل أوروبا فى حفظ الانسانية ولكان لها مركز سام

شريف يمنع الأمم من التدخل فى شؤنها ولكن — لله الأمر من قبل ومن بعد —

فقال صاحبى العالم المتقدم ذكره . إن اتصال هذه الأعمال الصناعية من حربية وطبية بالعلوم والحكمة لايزال يحتاج الى بيان . قلت حقا وهذا البيان سيأتى إن شاء الله فى ﴿سورة محمد﴾ ﷺ عند قوله تعالى — فاعلم أنه لا إله إلا الله — الخ إذ سأذكر هناك إن شاء الله ﴿رسالة مرآة الفلسفة﴾ التى أشرت لها سابقا فى هذا التفسير ، وقد كنت أريد كتابتها فى آخر ﴿سورة النمل﴾ أوفى آخر ﴿سورة القصص﴾ ولكنى وجدت أن ذلك يورث السآمة هناك فأخرتها الى تلك السورة الآتية

فقال صاحبى هذا حسن ولكن هى أليق بهذا المقام . قلت نعم ولكن هذا الوعد قدتقدم فى ﴿سورة النمل وغيرها﴾ فلاأخلفه . فقال إنى علمت منك أن تلك الرسالة تشتمل على مقدمة وبابين والمقدمة مشتملة على قواعد تنفع فى فهم هذا الوجود « الباب الأول » فى ذكر مذاهب الفلاسفة اجمالا « الباب الثانى » فى تقسيم العلوم ، وانى أرى أن تذكر الباب الثانى هنا لأنه أمس بهذا الموضوع لأنه جمع أقسام علوم الحكمة قديما وحديثا اجمالا ، غاية الأمر أن القدماء جعلوها كلها حكمة ، والمحدثين سموا العلوم الجزئية (تواريخ) والعلوم الكلية سموها فلسفة ، ومتى ذكرت هذا التقسيم اتضح لنا كيف يكون الضباب الذى حجب السفن مفرعا على العلوم ، وكيف تكون الصناعات كالطب والزراعة وكالحياكة والنجارة والحدادة مفرعة على العلوم ، فالأول تبع علم الانسان . والثانى تبع علم النبات . والثالث تبع قسم من النبات . والرابع تبع قسم آخر من علم النبات . والخامس تبع قسم من علم المعادن . وهذه العلوم كلها طبيعية والعلوم الطبيعية من الحكمة على رأى القدماء أومن مقدماتها الجزئية على رأى (بيكون) الانكليزى كما تقدم الذى اتبعه جميع أهل العصر الحاضر . ومن هذه الصناعات الضباب المتقدم وعلم الطيران بقسميه وهى (البالونات) التى ترتفع بالغازات الخفيفة كالهيدروجين والطيارات المرتفعات بالمحركات . فالأولى ارتفاعها الى أعلى بالخفة كسقوط الحجر الى أسفل بالثقل . والثانية بآلات محركة كما يطير الطير . وهذا كله من علم الطبيعة والكيمياء لأن الغازات من الثانى والمحركات من الأول وبهذا يكون السير إما على اليابسة أوفى سائل أوفى غاز

ثم قال . اذا كتبت هذا هنا كان ذلك نعم الذخيرة لقراء هذا التفسير وتحضرهم صورة واضحة للحكمة المذكورة فى الآية وبها يفرح المسلمون بل هم بذلك سريعا يرتقون . فقلت أنا الآن انشرح صدرى لأن أكتب تقسيم العلوم هنا وأدع آراء الفلاسفة ليذكرهناك فى تفسيرسورة محمد ﷺ وهناك يقال ان القسم الثانى قد ذكر فى ﴿سورة لقمان﴾ وهذا القسم الذى أنقله الآن من ﴿رسالة مرآة الفلسفة﴾ نقلتها فيها من كتابى بهجة العلوم فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم الحديثة . وهذا نص ماجاء فيها ملخصا

﴿ الفلسفة العربية ﴾

(مقدمة)

(فى قبول الفطرة الانسانية للفلسفة وفى تاريخ علومها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

جبلت النفوس على حب الاستطلاع وشغفت بالبحث عما تشاهده من مناظر بهجة ومحاسن باهرة . وشاقها ذلك السقف المرفوع . المزين بالنجوم المتلألئة . المختلفة الأشكال . الجميلة الألوان . السارة للناظرين . ثم راعها ماعلى الأرض من زينة وجمال وحسن وبهاء واعتدال وكمال من سحاب ماطر وبرق لامع ورعد قاصف وهواء لطيف ونور شريف وجبال شاهقات وأنهار جاريات وبحار واسعات ومعادن نافعات ونبات متسق الأوراق بديع الأزهار يانع الأثمار زين الأرض بمحاسنه وزوقها بأنيق بدائعه عاش به الانسان

والحيوان فكان منه غذاؤهما ودواؤهما وبهجتهما . وأودع فيه من الغرام به والشهوة له ماساقها الى السعى والبحث عنه كل حين

الحيوان مكتف بما لديه من غذاء حاضر وجلد قوى وو بر وشعر وصوف وأنياب محددة ومخاليب قانصة وقوة جثمان وعدو سريع وإلهام يهدى الى سبل المعاش

أما الانسان فانه خلق عاريا ، كثيرالحاجات ، يسعى لغذائه وملبسه ومسكنه وتعليمه وسفره ، فضعفه ظاهر ووهنه حاضر . لذلك اقتضت الحكمة أن يمتاز بالعقل فيسعى به لما ربه من الغذاء والدواء واللباس والمسكن والتعليم والتهذيب والمعاشرة ونظام الجمعية الانسانية ، فما أكثر حاجة الانسان ، وما أحوجه الى العلم والمعرفة وما أقل حاجة الحيوان ، وما أحراه بالحرمان من معارف الانسان . إن النتائج تتبع المقدمات والثمار على حسب النبات ، فمن كفاه غيره السعى والطلب عاش خاملا ومات جاهلا ومن قام بأمر نفسه وسعى لها سعيها أكسبها قوة وأنالها حرية وكانت حرية بالاجلال والاعظام

هذه هى المزية التى اختص بها الانسان وبها سعادته ، ألا ترى أن كل كل شئ فيما اختص به ، فالفرس كماله فى العدو السريع وأن يكون مكرا مفرا مقبلا مدبرا معا . واذا عجز عن ذلك نزل الى مرتبة الحمير وعومل معاملتها فى الحمل والأعمال الخاصة بها . هكذا السيف كماله أن يكون صارما سريع القطع فان تنزل عن هذه الدرجة الرفيعة استعمل استعمال السكين ونبذه الشجعان وخرج من الميدان . هكذا الانسان لم يمتز إلا بالعقل والعلم فاذا ما كان غافلا نزل الى رتبة أدنى من الحيوان . أولئك كالأنعام بل هم أضل منها لأنها كاملة فى ذاتها لقيامها بما يناسبها فاذا انحط اليها الانسان وشاركها فى منازلها فهو فى خسران مبين

إن الفطرة الانسانية شاهدة بما قلنا فانه وان نال الانسان مايبتغيه من المال ومايحب من الجاه لايفتأ يفرح بحلو الحديث وجمال العلم وتاريخ الفضلاء ويشتاق لذلك ويحرص عليه . ولقد نرى أكثر الناس جهلا وأبعدهم عن العلم مجلسا اذا عيروا بالجهل عدوه إثما عظيما وناووا من عيرهم وشاكسوه وذلك لأن فطرهم شاهدة أن كمالهم بالمعرفة ونقصهم بالجهل

وترى الصبى يسأل أبويه عما حوله ليعرف أسباب الأشياء ومسبباتها . كل ذلك شواهد ناطقة على ماقررناه

وترى جميع الناس فى مشارق الأرض ومغاربها من أى دين أونحلة يجلون العظماء ويعظمون الحكماء وان كانوا هم أنفسهم جاهلين لما ركز فى طبائعهم ووقر فى نفوسهم من شرف العلم وجماله واختصاصه بالانسان

تطابقت فطرة الانسان وحاجته . فكماله النفسى بالعلم وسعادته فى الحياة بالعلم . نظر الانسان فرأى فى نفسه شهوات لازمة وحاجات قائمة وعادات متراكمة فاحتال فى تهذيبها وجد فى تكميلها فكان علم الأخلاق ثم رأى زوجة وولدا وخدما فكانت سياسة المنزل ثم كان اجتماع أهل المدينة وكان لابد لهم من نظام وقوانين وحكام فكان سياسة المدينة

قرأت الأمم العلوم الرياضية لتعرف السنين والحساب والمعاملات ثم الطبيعية لتستخرج بها مافى الأرض من منافع . ونظرت فى العوالم فأقرت بإله نظمها وحكيم أبدعها

أهل المدينة كلما كانوا بالعلم مغرمين . وعلى الفضيلة عاكفين . كملت مدنيتهم وازدادت سطوتهم . وكلما غفلوا عن ذلك ساءت حالهم وبئس المصير

وأقدم أمة عرفها التاريخ فى الحكمة قدماء المصريين وهكذا السريانيون وقفى على آثارهم الكلدانيون ثم الفرس واليونان . وقد حمل الحكمة من هؤلاء أساطينها مثل (سقراط) وتلميذه (أفلاطون) وتلميذه (أرسطو) ولقد كان هذا أرسخهم فى العلوم ولذلك يسمى المعلم الأول

ولما انقرض أمر اليونانيين وصار الأمر للقياصرة نالوا من حكمة اليونان حظا عظيما ونبغ فيهم نابغون

مثل (سنيكا) و (شيشرون) ولما تنصروا وهجروا تلك العلوم بقيت كتبهم فى خزائنهم . ثم جاء الاسلام وظهر أهله عليهم وامتد سلطانهم وعظمت شوكتهم ودانت لهم الأمم شرقا وغربا فاشرأبوا الى ما نالته الأمم السالفة من روائع الحكمة وبدائع العلم والاحاطة بما فى هذا الوجود على ما يقتضيه العمران ويتطلبه الملك وتعظم به الدولة ☆ وكان خالد بن يزيد بن معاوية ويسمى حكيم آل مروان رجلا فاضلا محبا للعلوم فأحضر جماعة من الفلاسفة وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة وغيرها من اليونانى الى العربى وهذا أوّل نقل فى الاسلام

ولما نسخت الدولة العباسية الدولة الأموية ودانت لها البلاد واستتب الملك أرسل أبو جعفر المنصور الى ملك الروم أن يرسل له كتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب (اقليدس) و بعض كتب الطبيعيات وقرأها المسلمون وفهموها وزادوا حرصا وشوقا الى علوم الحكمة كما روى « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » فلما كان أيام المأمون وقد كان أشرب قلبه حب العلم وأغرم بالحكمة أرسل الى ملك الروم فى استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى و بعث المترجمين لذلك فأخذ منها واستوعب فترجموا منها الكثير وتلقاها النظار من أهل الاسلام بالقبول وعكفوا عليها ونبغوا فى فنونها . ولقد خالفوا المعلم الأوّل فى كثير من المسائل وردّوا عليه ودوّنوا فى ذلك الدواوين وكثرت التآليف ، ثم ان العلماء الذين ترجموا الكتب للمأمون كحنين بن اسحق وثابت بن قرّة جاءت كتبهم مخالفة مخلوطة غير ملخصة ولا محرّرة ولم توافق ترجمة واحد منهم الآخر فبقيت تلك التراجم غير معمول بها ولا نافعة الى زمن منصور بن نوح السامانى فالتمس من أبى نصر محمد بن محمد ابن طرخان الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ أن يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محرّرة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابى وفعل كما تقتضيه وسمى كتابه بالتعليم الثانى فلذلك لقب بالمعلم الثانى وبقى هذا فى خزانة المنصور الى زمن السلطان مسعود من أحفاد منصور بن نوح كما هو مسودا بخط الحكيم الفارابى إذ لم تكن له عناية بجمع مصنفاته وانما يغلب عليه السياحة على هيئة الصوفية مع الزهد والقناعة . وكانت تلك الخزانة بأصفهان وتسمى « بصوان الحكمة » وكان الشيخ أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا الطبيب الفيلسوف المولود (سنة ٣٧٥ هـ) المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (سنة ١٠٣٦ م) وزير المسعود وتقرّب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها التعليم الثانى ولخص منها ﴿ كتاب الشفا ﴾ ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت وقد اتهم بعض الناس الرئيس بأنه أحرق الكتب لئلا يطلع الناس على الحكمة التى نقل عنها وهذا باطل لما يرى فى ﴿ كتاب الشفا ﴾ من تصريحه بأنه تلخيص التعليم الثانى

ومن الحكماء فى هذه الأمة أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى الفيلسوف من أمراء بنى كندة ، وكان من المكرمين لدى الخلفاء من المأمون الى المتوكل ، ولد سنة ٢٤٠ فى البصرة ثم سكن بغداد واشتغل بترجمة الكتب اليونانية الى العربية و بتأليف كتب فى الفلسفة والرياضيات والطب والهيئة والموسيقى . وعدد مؤلفاته (٢٦٥) وأكثرها ضائع الآن

ومن المترجمين ابن البطريق فى أيام المنصور بن يحيى الذى نقل المجسطى واقليدس للمأمون وحسين بن بهريق فسر للمأمون عدّة كتب وكثير غيرهم . هؤلاء فى المشرق [1] أما فى المغرب فكان القاضى أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصائغ بالأندلس ، فهؤلاء نشروا كتبهم فارتقت الدولة واستبحر العمران حتى اذا تغير الزمان وقلب ظهر المجن وذهبت الدولة نادى ابن خلدون فى مقدّمته بالويل والثبور وقال « أيها الناس لا تغفلوا عن الصنائع والعلوم فقد ركدت ريح مدنيتكم وخرّ عليكم السقف من فوقكم فأصبحتم من الخامدين »

ولما فتح الترك (القسطنطينية) وقد نالوا حظا وافرا من العلم حرّم بعض علماء الدين كتب الحكمة على

(١) انظر ملا كاتب چلبى وابن أبى أصيبعة والقفطى ان أردت الاستيعاب اهـ

المسلمين فمالت شمس الحضارة هناك الى الغروب ونادى عالمهم (ملا كاتب جلبى) المتوفى فى القرن الحادى عشر الهجرى بالويل والثبور وقال ماملخصه «كان شرف الرجل فى الأعصار السالفة بمقدار تحصيله واحاطته بالعلوم العقلية والنقلية» وكان فى الدولة فحول ممن جمع بين الحكمة والشريعة كالعلامة شمس الدين الفنارى والفاضل قاضى زاده الرومى والعلامة خواجه زاده والعلامة على قوشجى والفاضل ابن المؤيد وميرجلبى والعلامة ابن الكمال والفاضل ابن الحنائى وهوآخرهم ، ولما حل أوان الانحطاط ركدت ريح العلوم وتناقصت بسبب منع بعض المفتين من تدريس الفلسفة وسوقه الى درس الهداية والأكمل فاندرست العلوم بأسرها إلا قليلا من رسومه فكان المولى المذكور سببا لانقراض العلوم من الروم كما قال العلامة شهاب الدين الخفاجى فى خبايا الزوايا وذلك من جملة أمارة انحطاط الدولة اهـ

فانظر كيف شكا علماء العرب والترك قديما من الجهالة العمياء والداهية الدهماء الحالة بالأمم الاسلامية من ترك العلوم الفلسفية ، ولما كانت الأمم الاسلامية اليوم مستعدة للنهوض السارى فى أمم الشرق وأخذت تجدّ فى أسباب الرقىّ وأوّلها أمّتنا المصرية فانها قد استيقظت من رقدتها وقامت من نومتها من أيام المصلح الكبير المغفورله الحاج محمد على باشا رأيت أن أؤلف كتابا يجمع شتات العلوم الحكمية الباقية فى الكتب الموروثة عن القدماء خالصا من الشوائب ، سهل العبارة ، حاويا خلاصة الفنّ لاهو بالطويل الممل ، ولابالقصير المخل ، واصلا القديم بالحديث ، بحيث يعرف القارئ الى أين انتهى القدماء ، ومن أين ابتدأ المحدثون ، ليستغنى به عن سواه فان بعض الكتب القديمة معتاصة الفهم بعيدة الغور على المتوسطين فأقول ومن الله التوفيق

﴿ تعريف الفلسفة ﴾

قد استبان فى المقدمة أن الانسان محب للبحث والمعرفة ، مغرم بالاطلاع وكل له غرض يسعى ليدركه على مقتضى همته ومقصوده ودرجته فى الفهم ، وليس يعرو من هذه الصفة الشريفة إلامن غمرته اللذات وانغمس فى العداوات فاستعبدته الشهوتان البهيمية والسبعية ، فينحطون الى أسفل الدركات فى البحث ويعكفون على معرفة عيوب الناس والحكايات المبتذلة ويتسلون بذلك عما تطالبهم به نفوسهم من المعرفة والعلم ويسرّون بثلب أعراض الباحثين ليكون ذلك تعزية لهم وليسدلوا أستارا وحجبا على مطالب أنفسهم وهم لها ظالمون

لايفتأ الانسان يسأل ؟ من أين والى أين ؟ ولم ذلك ؟ طلب دائم * قال أرسطاطاليس «إن الدهشة أوّل باعث على الفلسفة» والكلمة المستعملة عند الأمم وهى ﴿فيلسوف﴾ تدل على ماتقدم فان كلمة (فيلو) معناها محب و(سوفيا) معناها الحكمة ، فالفيلسوف محب الحكمة . وقد أطلق لفظ فيلسوف فى هذا العصر عند العامّة ببلادنا على من برع فى علم أونبغ فى قوّة الحجة والجدل أوأنكر الديانات أوأخذ يذم علماء زمانه ويقدح فى كفاءتهم فى المجالس فيقول الناس لولا انه أعلم منهم ماسفه أحلامهم ولارماهم بكل كريهة شنعاء . ويقابل لفظ الفلسفة عندنا الحكمة . ويقال «الفيلسوف الحكيم»

الحكمة لايتصف بها إلا من استكمل قوّتى العلم بالرياضيات والطبيعيات والإلهيات والعمل بالأخلاق وتدبير المنزل وتدبير المدينة أوالسياسة العامة . وباطل مادار على ألسنة الناس فى زماننا من المعانى السابقة ولم ينل هذه المزية إلا قليل والتعريف المشهور لعلم الحكمة انه علم يبحث عن حقائق الأشياء على ماهى عليه فى نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية والمعتبر فى تلك الطاقة أواسط الناس الذين لاهم فى غاية العلوّ ولافى نهاية السفل

وأنت ترى أن هذا التعريف لايشمل إلا القوّة العلمية فمن كان عالما بتلك العلوم فهوحكيم . وقدخرج منها العمل بالأخلاق وتدبير المنزل والسياسة . وقد جعل الرئيس (ابن سينا) ذلك العمل غاية للحكمة العملية واعلم أن الحكمة لها ﴿ثلاث درجات * الأولى﴾ حب البحث ﴿الثانية﴾ استكمال العلم ﴿الثالثة﴾ العمل به وهوالثمرة . والتعريف المتقدم شمل أهم هذه الدرجات وهو العلم . وقد جاء فى ﴿اخوان الصفاء﴾

ماشمل

ماشمل الدرجات الثلاث وهو أن الفلسفة أولها محبة العلوم . وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم . وليس المعنى أن يعرف الانسان كل شئ وانما يزاول المعارف ويحيط بالكليات فى العلوم التى سنذكرها ثم يختص بفن كالطب أو الهندسة مثلا . فأما أولئك الذين يقرؤن بلا نظام مسائل شتى فى المجلات والكتب فقط فهم عن الحكمة معرضون لأن العلوم الجزئية والمسائل الداخلة فيها لانهاية لها . ولو أن امرأ قرأ علم الحيوان أو النبات وأضاع فيه عمره لم يحط به ولم يأت على آخره ، وانما بقراءة العلوم الجامعة الآتية يصبح هذا العالم عنده حاضرا فى عقله بصفة عامة حتى اذا صادفه شئ من مسائل العلوم الجزئية زادته علما وعرف مكانتها من نفسه وضمها الى أخواتها ، وليس يكون ذلك النظام إلا بالاطلاع على علم الفلسفة ودرس علومها ، ومامثل الحكماء مع العلماء والأمم إلا كمثل الملوك مع الوزراء والأمراء و بقية الدولة أو كمثل رئيس الجيش بالنسبة للقواد

﴿ أقسام العلوم الحكمية ﴾

العلوم الحكمية ﴿ أربعة أنواع ﴾ الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والإلهيات ، فالرياضيات ﴿ أربعة أنواع ﴾ الارتماطيقى وهو علم العدد ، والجومطريا وهو الهندسة ، والاسطرونوميا ، والموسيقى

فالارتماطيقى هو علم العدد وماهيته وكيفيته وخواصه . وهذا العلم أصل الحكمة ومبدأ المعرفة ويبين فيه النسب العددية والهندسية والتأليفية وثمرتها التوصل الى حقائق المعارف وتبيان أن هذه العوالم المختلفة الأشكال والصور والصفات اذا جمعت على النسبة المتعادلة انتظمت واتحدت وكان منها ثمرتها ونتائجها المرضية . أما اذا جمعت على النسبة التى لم تعتدل فانها تتنافر وتتباعد ولاتتفق ، فاعتدال الأشياء بالنسبة الصحيحة واختلالها بالنسبة المنحرفة . وفيه ذكر الحساب الذى لايهتم به إلا الفلاسفة وليس لكتاب الدواوين فيه من خلاف اهـ

ومنفعة هذا العلم انه يعوّد الذهن على النظر فى المجردات عن المادة ولواحقها ولذلك كانت القدماء تقدّمه فى التعليم على سائر العلوم وأن الأعداد كما نشأت من الواحد وهو ليس بعدد هكذا نشأ العالم عن الله . ومن الكتب المختصرة فيه سقط الزند فى علم العدد ومن المتوسطة الارتماطيقى الذى من كتاب الشفاء ومن المبسوطة كتاب نيقوماخس الجهراسينى . وهذا الفن يدخل فيه براهين الحساب وقد ألف فيه المتقدمون وأدخلوه فى التعاليم ولم يفردوه بالتأليف كما فعل (ابن سينا) فى الشفا والنجاة وغيره . أما المتأخرون فهو عندهم مهجور وليس بمتداول لأنهم أخذوا مايحتاجون اليه منه فى الحساب للبرهنة فحسب كما فعله (ابن البنا) فى رفع الحجاب مثل المتوالية العددية والمتوالية الهندسية . وأما المهجور فمثل مايأتى هنا . ان عدد (٥) دائر أى يحفظ الآحاد والعشرات وهى (٢٥) اذا ضرب فى نفسه مرات بالغاما بلغ وأن هذه الخاصة لايشاركه فيها سواه

﴿ الهندسة ﴾

وأما الجومطريا فهو فن الهندسة و بيان ماهيتها وكمية أنواعها وأحوال المقادير ولواحقها وأوضاع بعضها عند بعض وموضوعه الجسم التعليمى والسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل . وأوّل ماترجم من اليونانى للعربى فى هذا العلم ﴿ كتاب الأركان ﴾ لاقليدس أيام أبى جعفر المنصور . واختلفت نسخه باختلاف المترجمين كحنين بن اسحق وثابت بن قرّة ويوسف بن الحجاج ويحتوى على خمس عشرة مقالة وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله (ابن سينا) فى تعاليم الشفاء ومثله (ابن الصلت) فى كتاب الاقتصار

وكما أن فن خواص الأعداد المتقدم يرقى الذهن فى فهم الامور العالية والمجردات من المادة ويوقظ الذكر هكذا الهندسة يشرق عقل المشتغل بها ويستقيم رأيه لما يرد عليه من البراهين البينة والأحوال المنظمة والأشكال المتقنة والعقل يعتاد ماعوّد ويكون مزاجه بحسب ما ارتسم فيه وهو هنا الدقة والنظام والصدق والحق كما أن الجسم يصح ويستقيم اذا جاد غذاؤه وتباعدت عنه أسباب الفساد

﴿ علم الفلك ﴾

وأما (الاسطرونوميا) فهوعلم النجوم وصفة البروج وسيرالكواكب ويتبين فيه تاريخ آراء الفلاسفة فى العصورالمختلفة فى سيرالشمس ويبين ماذكره القدماء من الرأيين ، الرأى القائل بدوران الأرض حول الشمس والرأى القائل بدوران الشمس حول الأرض وأدلة الفريقين المبسوطة فى المواقف وبيان ترجيح الرأى الأول وأن ذلك كان قبل ظهوره للافرنج بنحو مائة وخمسين سنة ، ويبين فيه حساب الشمس والقمر والسنين الشمسية والقمرية وسيرالكواكب والفصول الأربعة ، ويذكر المذاهب الحديثة بطريق الاجمال من أن فى العالم شموسا كل شمس لها سيارات ونحن فى مجموعة من تلك المجموعات وبعضهم كان يلحق بهذا الفن علم تخطيط البلدان

﴿ الجغرافيا ﴾

وهوصورة الأرض والأقاليم السبعة والدرجات الأرضية التى تنتهى اليها ومعرفة الجبال والبرارى والأنهار والمدن والقرى ومسالكها وعلم الهيئة عند القدماء والمحدثين انما يتم بالرصد وكلما اتقن ازداد العلم وكلما قل كان العلم على حسبه ، وكتاب المجسطى الذى ألفه بطليموس جامع لمقصود هذا العلم وقد اختصره (ابن سينا) فى الشفاء وابن رشد وابن السمح وكذا ابن الصلت فى كتاب الاقتصار

﴿ الموسيقى ﴾

وأما الموسيقى فهوعلم يتبين فيه قوانين النغمات والألحان وتأثيرهما فى نفوس السامعين تأثيرا بينا يضارع ماتفعله العقاقير الطبية فى الأجسام الحيوانية ويبين فيه النسب العددية والتأليفية وثمرتها التوصل الى حقائق المعارف وتبيان أن هذه العوالم المختلفة الأشكال والصور والصفات اذا جمعت على النسبة المتعادلة اتحدت وكان منها ثمرتها ونتائجها المرضية . أما اذا جمعت على النسبة التى لم تعتدل فانها تتنافر وتتباعد ولاتتفق . فاعتدال الأشياء بالنسبة الصحيحة واختلافها بالنسبة المنحرفة . وفيه ذكرالحساب الذى لايهتم به إلاالفلاسفة وليس لكتاب الدواوين فيه من خلاق . وهذا الفن كفن الشعرتتركب أصولها من ﴿ ثلاثة ﴾ السبب والوتد والفاصلة ﴿ الأول ﴾ مثل (هل . بل) ﴿ والثانى ﴾ مثل (نعم . بلى) ومثل نحن وكنت وشئت ﴿ والفاصلة ﴾ مثل فهمت ورضيت . والذى تركب من الغناء فى اللغة العربية ﴿ ثمانية أنواع ﴾ الثقيل الأول وخفيفه والثقيل الثانى وخفيفه والرمل وخفيفه والهزج وخفيفه وسنفصله . وهذا الفن يحتاج الى ﴿ ثلاثة علوم ﴾ النحو والحساب والشعر . وألف فيه أبو نصرالفارابى وابن سينا فى جملة كتاب الشفاء وصفى الدين بن عبد المؤمن وثابت بن قرة الصابى وأبوالوفا البورجانى

ومنفعة هذا العلم بسط الأرواح وتعديلها وتقويتها تارة وقبضها تارة أخرى . أماالأول فيكون فى الأفراح والحروب وعلاج المرضى وبه يظهرالكرم والشجاعة ونحوها . وأماالثانى فيكون فى المآتم وبيوت العبادات فيقبض النفوس عن هذا العالم ويحركها الى مبدئها فتفكر فى العواقب وهذا آخر مايحدث من الصناعات فى الدولة لأنه كمالى وأول ماينقطع من العمران عند اختلالها

﴿ ملحقات الرياضيات ﴾

قد تفرع عن الارثماطيقى من العلوم علم الحساب المفتوح والتخت والميل وعلم الجبر والمقابلة وعلم الدرهم والدينار وما شابه ذلك ، وتفرع عن الهندسة علم البنكامات (آلات قياس الزمن) وعلم جر الأثقال وعلم استنباط المياه وعلم الآلات الحربية وعلم المساحة وعلم مراكز الأثقال وعلم المرايا المحرقة وعلم عقود الأبنية لمعرفة أوضاع الأبنية وشق الأنهار وتقنية القنا لعمارة المدن والقلاع ويتفرع على علم الفلك علم الزيجات والتقاويم ﴿ تنبيه ﴾ الفيلسوف انما يدرس العلوم الأصلية . أما الفروع كعلم المساحة وعلم الآلات الحربية فانما تدرس

فى مدارس خاصة للأعمال النافعة . انتهى فن الرياضيات

﴿ المنطق ﴾

(وهو القسم الثانى من علوم الفلسفة الأربعة)

المنطق قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد فى الحدود المعرّفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات والطرق الموصلة للتصوّر والتصديق إما أن تكون صحيحة واما أن تكون فاسدة وتمييز أحدهما من الآخر انما يكون بتلك القوانين . وقد كان المتقدّمون يتكلمون به جلا جلا لم تهذب طرقه ولم ترتب أصوله حتى ظهر (أرسطو) فهذب مباحثه ورتب مسائله وجعله أوّل العلوم الحكمية والنظر فى هذا العلم على (قسمين) نظر فى صورة القياس ، ونظر فى مادّته ، فالنظر فى صورة القياس يكون ﴿ أربعة أقسام ☆ القسم الأوّل ﴾ الكليات ويسمى ايساغوجى وهى الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض العام ﴿ القسم الثانى ﴾ الأجناس العالية وتسمى (قاطيغورياس) وهى المقولات العشرة مثل الجوهر والكم والكيف وكل واحد منها اسم لجنس من الأجناس وجميع مافى العوالم من أجسام وعناصر وصفات وأحوال داخلة تحت هذه الألفاظ وبمعرفتها يتصرّف عقلاء المنطق بالدليل فى كل ما شاهدوه أوعقلوه واليها ترجع جميع الأجناس وفصولها وأعراضها وخواصها ﴿ القسم الثالث ﴾ القضايا التصديقية وتسمى (باريمنياس وأنواعها) و بيان النقيض والممكن والممتنع والعكس والايجاب والسلب ﴿ القسم الرابع ﴾ القياس و يسمى (أنولوطيقيا الأولى) والنظر فيه على «قسمين ☆الأوّل» فى صورته من أنه حملى وشرطى ، وصورة انتاجه سواء أكان ظنيا أم يقينيا أم غيرهما وانه ميزان الحكمة يزن به الحكماء حججهم فى المناظرات والآراء والمذاهب . وضعه الفلاسفة احقاقا للحق وازهاقا للباطل وهذا آخر النظر المنطقى فى صورة القياس وهو ينتج انتاجا صحيحا اذا استوفيت الشرائط ويكون على حسب المادة التى صيغ منها فقد يفيد اليقين وقد يفيد الظنّ وقد يكون كاذب النتيجة وان وقع فى الوهم انها صادقة «القسم الثانى» النظر فى مادّة القياس وهو «خمسة أنواع ☆ النوع الأوّل» البرهان ويسمى (أنولوطيقيا الثانية) وسنذكر له شروطا ككونه ذا مقدّمات يقينية كالبديهيات والمشاهدات والمجربات ، ويذكر فى هذا المقام المعرّفات والحدود لأن المطلوب بالبرهان اليقين فى التصديقيات وبالحدود اليقين فى التصورات فجعلها القدماء فى كتاب واحد «النوع الثانى» الجدل وهو لايقصد منه اليقين وانما يراد منه قطع المشاغب وافحام الخصم ويستعمل فيه المسلمات والمشهورات كالمناظرات الفقهية المذهبية ، كل يردّ على صاحبه باعتبار ماهو مسلم عنده «النوع الثالث» الخطابة وهى القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم كجميع مقالات الوعاظ الحاثة على الصدق ونحوه الخ «النوع الرابع» السفسطة وهى القياس الذى يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وانما يتعلم لأنه يعرف به قياس المغالطة فيحذر منه كقولك فى صورة فرس هذا فرس وكل فرس صاهل «النوع الخامس» الشعر . وهو القياس الذى يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشئ والنفرة منه كأن تقول فى العسل هذا قىء الزنابير فينفر منه السامع

﴿ ضرب مثل لمادّة القياس وصورته ﴾

ولنضرب مثلا لمادة القياس وصورته بالدينار ونقشه . إن الدينار المصنوع من ذهب له مادّة وصورة . فالصورة هى الاستدارة والنقش وجمال الصنعة والمادة هى الذهب والفضة . والذهب إما أن يكون ابريزا لاغش فيه واما أن يكون قليل الغشّ واما أن يكون ذهبا كثير الغشّ واما ألا يكون ذهبا أصلا . هكذا الاعتقاد وهو مادة القياس إن كان لايخطر نقيضه بالبال فهو البرهان كقولك عدد (١٦) عدد مربع مجذور وكل عدد مربع مجذور اذا زيد عليه جذراه وواحد فهو مجذور واذا نقص منه جذراه إلا واحدا فالباقى عدد مجذور

ينتج عدد (١٦) اذا زيد عليه جذراه وواحد فالعدد المجتمع مجذور وان نقص منه جذراه إلا واحدا فالباقى مربع مجذور . فهذا قياس حلى مقدّمتاه يقينيتان ونتيجته كذلك . وان كان الاعتقاد مقاربا لليقين مقبولا فى الظاهر ولايشعر بامكان نقيضه إلا دقيق الفكر فهوالجدل . وان كان ظنيا اقناعيا مع حظور نقيضه بالبال بسهولة فهوالخطابة . وان كان مشبها لليقين أوالمشهور فى الظاهر وليس كذلك بالحقيقة فهو السفسطة

ثم إن الخامس وهوالقياس الشعرى ليس يدخل فى افادة يقين ولاظنّ ولامغالطة فالمخاطب قد يعلم حقيقته وانما يذكر لترغيب الجهور أولتنفيره أوتشجيعه كما ينفرمن الحلو الأصفر بتشبيهه بالعذرة وكما ينفر من شرب العسل فى المحجم النظيف . ومن هذا القبيل الحض على الفتك بقول القائل

ليت هندا أنجزتنا ماتعد ☆ وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرّة واحدة ☆ انما العاجز من لايستبد

فهذا القول حمل سامعه على الاسراع بالفتك بأعدائه ، وكالحض على التهوّر وعدم الحزم فى الحرب كقول المتنبى رحمه الله تعالى

يرى الجبناء أن الجبن حزم ☆ وتلك خديعة الطبع اللئيم

فانه جعل الحزم جبنا كما ذكره الامام الغزالى ولذلك فتكت بقائله يد المنون واغتالته غوائل الموت وهو يناوئ من هم أقوى منه بطشا وأكثر جمعا وأوفر عددا فطاح بتهوّره وورى فى الرّمس وذلك جزاء المتهوّرين انتهى القياس الشعرى

هذا ولقد ترجمت هذه كلها فى الملة الاسلامية ، فترجم المقولات (حنين) وفسرها (فرفوريوس) والفارابى وترجم حنين القضايا من اليونانى الى السريانى . ونقل (متى) نقل اسحق الى العربى وشرحه الفارابى وتداول المسلمون هذه الكتب بالشرح والتلخيص . وألف فيها الفارابى وابن سينا فى كتاب الشفا وابن رشد

ولقد تصرّف المتأخرون فى المنطق فنقلوا الحدود من البرهان الى الكليات الخمس وحذفوا المقولات العشرة ولم يعبؤا بعلوم المادة الخمس كما هومتداول الآن فى الأقطار الاسلامية مع ان المنطق بغير ذلك شجر بلاثمر وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الجهل عنده فأوقعه فى الخبال

ثم إن هذه الصورة المنقوصة من المنطق أطال المتأخرون فيها الكلام كأنه علم مستقل بنفسه مع انه آلة لغيره . وأوّل من فعل ذلك الامام فخرالدين بن الخطيب ومن بعده (أفضل الدين الخونجى) ويدرس فى زماننا كتاب ايساغوجى لأثيرالدين الأبهرى المتوفى فى حدود المائة السابعة الهجرية وكتاب الشمسية فى الفوائد المنطقية لعمر بن على الكاتبى القزوينى من أهل القرن السابع للهجرة تلميذ (نصيرالدين الطوسى) المطبوعة ولها شراح كثيرة . وكتاب الخبيصى وغيرها من الكتب فيجب العدول عن هذا المنهج الى ماهو أتم وأكمل . انتهى الكلام على العلوم المنطقية

﴿ القسم الثالث العلوم الطبيعية من العلوم الفلسفية العلمية ﴾

العلم الطبيعى مايبحث فيه عن الجسم من جهة مايلحقه من الحركة والسكون فى العوالم العلوية والسفلية من السموات والعناصر ومايتولد عنها من نبات وحيوان وانسان ومعدن ومافى الأرض من زلازل وعيون ومافى الجوّ من سحاب وبخار ورعد وبرق . وقد ألف فيه (أرسطو) وقد ترجمت كتبه مع غيرها من العلوم أيام المأمون وحذا الناس حذوها كابن سينا فى كتاب الشفا وفى النجاة والاشارات . ويخالف (أرسطو) فى كثير من المسائل بخلاف (ابن رشد) فانه لخص كتبه تابعا له غير مخالف . وقد شرح كتاب الاشارات الامام ابن الخطيب والآمدى ونصير الدين الطوسى

﴿ أقسام العلوم الطبيعية ﴾

العلوم الطبيعية « ثمانية » سماع الكيان . السماء والعالم . الكون والفساد . الآثار العلوية . المعادن النبات . الحيوان . الانسان

(١) ـ ﴿ سماع الكيان ﴾ يبين فيه الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ومايخص الجسم من الأعراض الزائلة واللازمة

(٢) ـ ﴿ السماء والعالم ﴾ يبين فيه شكل العالم ونظامه العام فى أفلاكه وكواكبه وطبقاته

(٣) ـ ﴿ الكون والفساد ﴾ يبين فيه كيف يتكوّن المعدن والنبات والحيوان من العناصر ، ثم يبين الرأى الحديث القائل « إن المعادن السبعة غير مركبة من العناصر » ثم ينظر أى الرأيين أقرب للصدق

(٤) ـ ﴿ الآثار العلوية ﴾ يبين فيه مافى الجوّ من حوادث الحرّ والبرد والسحاب والمطر والثلج والبرَد والرعد والبرق وقوس قزح والهالات ، وكيف كان منشأ السحب من البخار ثم يدفعها الهواء الى الأودية فتصدّها الجبال فتمطر على اليابسة ، وغير ذلك من النور والظلمة وتصاريف الرياح من الأنهار والبحار ، وما يكون منها من الغيوم والضباب والظلّ والندى والشهب وذوات الأذناب وماشاكل ذلك

(٥) ـ ﴿ تكوين المعادن ﴾ مما فى التراب والطين والأرض السبخة كالكباريت والأملاح والشبوب والزاجات ، أوفى قعر البحار كالدرّ والمرجان ، أوفى كهوف الجبال وجوف الأحجار وخلل الرمل كالذهب والفضة والنحاس

(٦) ـ ﴿ علم النبات ﴾ يذكر فيه أجناسه وأنواعه وخواصه ومنافعه ومضارّه ، وأن مرتبة النبات متصلة بالمعادن من أدناها مرتبطة بالحيوان من أعلاها ، و بيان أن منه ما ينبت فى البرارى والقفار ومنه ماينبت على رؤس الجبال ، ومنه ماينبت على شطوط الأنهار ، ومنه ما يكون فى الآجام . ومنه ما يغرسه الناس فى القرى والبساتين . ومنه ما يكون تحت الماء . ومنه ماينبت على وجه الماء . ومنه ماينسج على الشجر . ومنه ماينبت على وجه الصخور . وهكذا من الأحوال والأوصاف والأشكال والأزهار والأوراق والقضبان وما أشبه ذلك . و يبين فيه القوّة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمولدة وما أشبه ذلك من الأوصاف الظاهرة والباطنة

(٧) ـ ﴿ علم الحيوان وعجائبه وطبائعه ﴾ انه متصل بالنبات من أدناه مرتبط بالانسان من أعلاه و بيان أن الحيوانات الناقصة الخلقة مقدمة بالوجود على الحيوانات التامة الخلقة . وأن حيوان الماء متقدّم بالوجود على حيوان البرّ . وأن الحيوان متقدّم الوجود على الانسان . ثم بيان أن التى تلد أعلى من التى تبيض والتى تبيض أعلى من التى تتكوّن فى العفونات ولا تعيش سنة كاملة لأنها يهلكها الحرّ والبرد . وكيف كان بعضها آكلا كالآساد و بعضها مأكولا كالأرانب والغزلان . وما حكمة ذلك ؟ ومافوائده ؟ ثم بيان تناسلها وتوالدها واختلافها فى ذلك وتربيتها أولادها واتخاذها أعشاشها و بيان سكان الماء والهواء والبرّ والتراب كالسمك والطير والأنعام والهوام و بيان قوّة الحس والحركة فى سائر الحيوان

(٨) ـ ﴿ الانسان ﴾ وتركيب جسده . و بيان حواسه الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس وأن صورمحساتها تصل الى الحس المشترك فى الدماغ و بيان أن تلك الحواس جسمانية من جهة الظاهر معنوية روحية من جهة الباطن لاتصالها بالأجسام أوّلا و بالحس المشترك آخرا . فأما الحس المشترك الذى هو كالمركز للحواس المؤدية اليه فهو معنوى روحانى . ثم بيان أن معارف الانسان من ﴿ ثلاث

طرق ﴾ الحواس والعقل والبرهان الذى يختص به العلماء والحكماء . وأن المدركات بطريق اللمس « عشرة أنواع » و بطريق الذوق « تسعة أنواع » و بطريق الشم (اثنان) و بطريق السمع (خمس) و بطريق البصر « عشرة أنواع » فجميع ماتدركه الحواس ست وثلاثون نوعا من المدركات و بيان أسباب خطأ الحواس وكيف احتاجت الى العقل ليذلل سبلها وتستبين السبل وتظهر الحقائق وغير ذلك من عجائب العلم و بدائع الحكمة . تم الكلام على اجمال العلوم الطبيعية

﴿ القسم الرابع العلم الإلهى أوالكلى ﴾

وهو علم يبحث فى كل الموجودات من حيث تعينها وتكوينها وتحقق حقائقها ومايعرض لها ونسب مابينها ومايخصها من حيث هى موجودات وهو أنواع

﴿ النوع الأول ﴾ فى الامور العامة مثل الوجود والماهية والوحدة والكثرة والوجوب والامكان والامتناع والقدم والحدوث والأسباب والمسببات

﴿ النوع الثانى ﴾ النظر فى مبادئ العلوم كلها وتبيين مقدماتها

﴿ النوع الثالث ﴾ النظر فى اثبات وجود الإله الحق والدلالة على وحدته وتفرده بالربوبية واثبات صفاته و بيان انها لاتوجب كثرة فى ذاته

﴿ النوع الرابع ﴾ النظر فى اثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس والملائكة وما أشبه ذلك

﴿ النوع الخامس ﴾ أحوال النفس البشرية بعد الموت ومفارقتها الهياكل الانسانية وحال المعاد وكيفية ارتباط الخلق بالأمر

هذا آخر القسم العلمى . وهذا العلم يسمى أيضا « علم ما وراء الطبيعة » ولخصه (ابن سينا) فى كتاب الشفا والنجاة والاشارات وكذلك لخصه ابن رشد من علماء الأندلس . ولقد حدث فى الأمة الاسلامية بدع ومقالات خالطت العقائد فأورثت شبها أدت الى انقسام الأمة شيعا وأحزابا كل يؤيد رأيه و يقوى مذهبه . ومن أسباب ذلك انتشار الفلسفة اليونانية . ألا ترى أن الامام الغزالى ألف كتابا سماه ﴿ تهافت الفلاسفة ﴾ يدحض به بعض المسائل الفلسفية وهى قليلة جدا ثم هو أيد أن باقيها موافق للدين غير مخالف له ورد عليه ابن رشد بكتاب سماه ﴿ تهافت التهافت ﴾ ثم جاء آخر ووضع كتابا ليحكم بينهما ، فهذا وأمثاله أدى الى تدخل مسائل العلم الإلهى فى علم الكلام المسمى بعلم التوحيد أيضا الذى وضعه علماء الاسلام لرد الشبه والبدع التى استهوت الكثير من الأمة الاسلامية . ولقد تجاوز الحد قوم من الذين لاتحقيق عندهم فظنوا كل مانسب للفلسفة زورا وذلك منهم جهل وغرور . ولقد صار علم الكلام فنا يحوى كثيرا من علوم الفلسفة كما ترى فى كتاب المواقف وأمثاله . وتراهم مزجوا العلم الطبيعى بالالهى وأصبح من لاعلم عنده يظن أن علم الكلام والعلم الالهى واحد وليس كذلك . إن علم الكلام أدلته شرعية جاءت عن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام أما أدلة الالهيات فانها صادرة عن العقل البشرى بعد قراءة الرياضى والطبيعى . فأما تخلل مسائل الفلسفة من الطبيعى والالهى فى علم الكلام والاستدلال بأدلتها فذلك ليس مقصودا لذاته وانما ذكر ليقوى ماورد بالدليل السمعى فتكون تلك الأدلة العقلية لتقوية النقلية ولافحام الخصم واثبات العقائد عند من لايصدق بالسمع وانما دعا المتكلمين الى ذلك مقالات الذين ادعوا الفلسفة وهم لم يستوعبوها فعارضوهم بأدلة من من القبيل الذى استهواهم ، وعلى ذلك كان ادخال الطبيعيات والالهيات فى هذا العلم وتصحيح مسائلهما وابطالها ليس من موضوع علم الكلام ولامن جنس أنظار المتكلمين ، وانما الموضوع هو الرد على المعارضين والملحدين ، ثم ان الصحابة والتابعين كانوا على سنن الحق وطريق الهدى والاعراض عن زخرف الدنيا . ولما كثر الاقبال على الدنيا اختص أولئك المتبتلون باسم الصوفية نسبة للبس الصوف كما قيل فكان لهم كلام

فى

فى المجاهدات والأذواق والمقامات والكشف وعلم الغيب والتصرّف والشطحات والقول بوحدة الوجود كما فى كلام ابن دهقان والوحدة كما فى كلام الهروى فى كتاب (المقامات) وغيره وتبعهم ابن العربى وابن سبعين ومن تبعهم كابن العفيفى وابن الفارض والنجم الاسرائيلى فى قصائدهم وكلامهم ككلام الاسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين بالحلول ، و بأن الأئمة آلهة لأن سلف الطائفتين كانوا قد اختلطوا من قبل هؤلاء فتدخل المذهبان وتشابه الرأيان فهؤلاء الصوفية خلطوا كلام علماء الكلام الاسلامى بالعلم الالهى الفلسفى مع الوجدانيات الذوقية الخاصة بهم وليس عليها دليل سمعى ولاعقلى ، فثبت إذن أن العلم الالهى مستمدّ من العقل وعلم الكلام مستمدّ من الشريعة وعلم التصوّف مستمدّ من ذوق أربابه وليس للدليل العقلى ولاالنقلى فيه من سبيل ، فهذا تحقيق المقام ، فاذن هذه العلوم الثلاثة متباينة

﴿ العلوم العملية ﴾

أما العلم العملى فهو ﴿ ثلاثة أقسام * الأوّل علم الأخلاق ﴾ فى البحث عن (القوى الثلاث) الشهوية والغضبية والعاقلة ثم العفة للشهوة ، والشجاعة للغضب ، والحكمة للعقل ثم العدل ومايتفرّع على ذلك كله من الرذائل والفضائل من البخل والتبذير والكرم والحلم وما أشبه ذلك ﴿ الثانى ﴾ علم تدبير المنزل فى معرفة معاشرة الأهل والخدم وسياستهم ونظامهم مثل انه يجب على ربّ الأسرة أن يسير معهم على نمط واحد ووتيرة لايغيرها حتى لاينهدم اذا تغيرت أخلاقهم الى غير ذلك ﴿ الثالث ﴾ السياسة المدنية ، هوعلم يبحث فيه عن أنواع الجامعة الانسانية كالجنس والدين والوطن واللغة والملك الجامع للأمّة ، وكيف كانت هذه تنافى حال المدينة الفاضلة ثم النظر فى أن سياسات الأمم مبنية على عقائدها ، ثم بيان المدينة الفاضلة والمنحرفة والجاهلة مما أوضحه الفارابى فى كتابه كتيبان أن نظام المدينة الفاضلة يرجع الى نظام الجسم الانسانى مقيسا عليه فى الأعضاء الخادمة والمخدومة المفصلة فى علم التشريح . و بيان أن نظام الأمة يرجع الى الزراعة والتجارة والصناعة والامارة وأن الامارة على العامّة للوعاظ وعلى الخاصة للحكماء وعليهما معا للأنبياء وعلى الأجسام فقط للملوك والأمراء . انتهى الكلام على العلوم العملية

فهذه (سبعة عشر علما) أربعة فى الرياضيات فالمنطق فثمانية فى الطبيعيات والعلم الالهى فالعلوم العملية الثلاثة . والى هنا تمّ الكلام على (سورة لقمان) والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة السجدة

(هى مكية)

(إلا من قوله تعالى ـ فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ـ الى قوله تعالى ـ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ـ فمدنية)

(آياتها ثلاثون ـ نزلت بعد المؤمنون)

﴿ هذه السورة قسمان ﴾

﴿ القسم الأوّل فى تفسير البسملة ﴾

قد تقدّم فى « سورة الفاتحة » الكلام على الرحمة العامّة وفى « سورة هود » الكلام على رحمة الحيوان وتقصير بعض الأمم الاسلامية فى رحمته بسبب الصيد بلاقيد و بلاشرط وهناك الأحاديث الواردة فى تلك الرحمة وفى « سورة الروم » بيان أن مايعترى الحيوان من الألم والمرض والجوع والعطش ، كل ذلك يقصد به نفعه فالجوع هو اللغة التى يخاطب بها الحيوان ليأكل والمرض انذار ليطلب الدواء وهكذا ، وفى « سورة لقمان » استبان الكلام على معانى (الله . الرحمن . الرحيم) وأن الله والرحمن اسمان خاصان بالله تعالى ، و بيان أن من عرف أسماء الله ولم يفهم معناها أوفهمه بلا بحث فهوجاهل بل هو لم يفق فى ذلك البدوى القح فى البادية وانما معرفة أسماء الله تعالى يجب أن نلحظ فيها معرفة الآثار التى تقتضيها تلك الأسماء . ومن اطلع على ماجاء فى هذا التفسير أوأكثره حصل عنده علم لاشك فيه ووثوق وثوقا بالمشاهدة أن الرحمة عامّة شاملة وأن هذا الوجود منظم نظاما مدهشا وأن هناك عناية تفوق كل وصف وتقدير ، فبهذه وحدها تكون السعادة النفسية والحكمة العقلية العملية ويكون هذا الاعتقاد كالمحسوس المشاهد بل كالقضايا البديهية التى لاتقبل الشك . وهناك ترى كيف تؤثر تلك المشاهدة فى الآثار رحمة فى قلب المؤمن فان من أعجب بصفة لامحالة يودّ الاتصاف بها ، وعلى ذلك تراه يعطف على الفقير والمسكين كأنّ ذلك غريزة فيه لأن الصفة التى شاهد آثارها قد أثرت فيه فهولذلك رحيم ، وهذا هو التخلق المطلوب إذ يتخلق بأخلاق الملائكة فيقرب من ربه . وهناك ترى المبحث الهام « كيف يتخلق العبد بأخلاق ربه والله ليس كمثله شئ ؟ » و بيان أن هذه الشبهة انما تحضر عند العامّة وصغار العلماء وهى شبهة واهية داحضة لأن الله موجود والناس موجودون ، حى ونحن أحياء . وهكذا نقول فى الصبر والشكر والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام . كل ذلك لاينكره مسلم فى الأرض ، فهذه الصفات مشتركات بين العبد والرّب ، فلوكان هذا الاشتراك يوجب المماثلة الممنوعة لكان جميع المسلمين مشبهة وهو باطل ، إذن المشاركة الممنوعة هى التى تكون فى نفس مقوّمات الذات وذات الله وصفاته لايعرفها إلا هو . واذا كان الساحر لايعرف سحره على وجه الحقيقة إلا ساحر مثله فما بالك بالنبىّ ﷺ وما بالك بالله تعالى . فاذا كان الناس جميعا قد يئسوا من النبوّة بعد الأنبياء فلا يمكن أن يدركوا معنى النبوّة على وجه التحقيق . واذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم وجميع الناس فى الأرض لا يمكن أن يتصفوا بصفة الله ولا يكونون آلهة فمحال عليهم أن يعرفوا الذات الالهية ولاحقيقة الصفات وانما تتجلى لهم المعانى التى دلت عليها الأسماء الدالة على الصفات السبع وعلى الذات الواجب الوجود الخ وعلى مقدار علمهم بتلك المصنوعات يكون اشراق نفوسهم كل بقدره . راجعه هناك فانه واضح ولكن لابد أن أوضح مالم أكن لأوضحه هناك فان صاحبى العالم الذى اعتاد مناقشتى فى هذا التفسير قال لى انه ليحسن بك أن تبين معنى كون النبى ﷺ رؤفا رحيما فى قوله تعالى ـ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ـ وههنا فى البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) فالله رحيم والنبىّ رحيم والله سميع و بصير ونحن كذلك . فقلت

ان

ان الشمس سراج كما قال الله تعالى — وجعلنا سراجا وهاجا — والسراج أيضا ما نوقده فى منازلنا . قال نعم . قلت فالذى فى منازلنا سراج يوقد أمامى (البترول) وهو السائل المستخرج من الأرض ، واما من الغاز المستخرج من الفحم ، واما من شمع العسل ، واما من زيت الزيتون وغيره ، واما من شحم الحيوان . واما من الكهرباء . فكل سراج فى الأرض إما من معدن أونبات أوحيوان . وأنت تعلم أن الأرض قطعة من الشمس وأن كل نبات وحيوان مستمدات أنوارها وحرارتها المخزونة فيها من نور الشمس مع انا نسمى ذلك سراجا والشمس سراج . فاذا كانت الشمس الحادثة تسمى سراجا باسم القنديل الذى نضعه فى منازلنا وما القنديل إلا أثر من آثار الشمس وضوؤه بالنسبة لها كالعدم بالنسبة للوجود . أوكالخيال بالنسبة للحقائق . أفلا يسهل هذا المثال علينا كيف يكون الله رحيما والنبى ﷺ رحيم . وكيف يكون الله سميعا بصيرا ونحن كذلك ؟ وهنا ظهر المقام ظهور الشمس لأولئك الذين لا يفقهون العلم إلا بضرب الأمثال . وبهذا زالت الشبهة التى تغشى على عقول أكثر الناس وهذا قول الله تعالى — ليس كمثله شئ وهو السميع البصير — فعدم المماثلة فى الحقائق الذاتية وليس اثبات السمع والبصر لله مقتضيا المماثلة بل ذلك مجرّد مشاركة فى أوصاف نسبة صفات العبد فيها الى صفات الله كصفات سراجنا الى الشمس . فسراجنا ثمرة من ثمرات الشمس وهو بالنسبة لها كالخيال بالنسبة للحقيقة هكذا قدرتنا وعلمنا وكلامنا وحياتنا فكلها على هذا النمط مشاركة فى الاسم وضرب مثل لاغير . وانما ذكرت هذا الملخص هنا لتعلم أن ما أكتبه الآن غير ما تقدم كله . ولأقدم لك مقدمة فأقول

أنا أكتب هذا المقال ليلة الاثنين ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٩ م أذكر فيه ما زاولته من العمل يوم الجمعة (١٨) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وانما أذكر ذلك لأنى كنت فى نفس العمل أفكر فى هذه المعانى . ياسبحان الله . اللهم انى أحمدك وأشكرك على نعمة العلم والحكمة . خرجت من القاهرة صباح ذلك اليوم ولست أقول إلا ماقلته من قبل وهو انى اذا تركت قطار سكة الحديد الواصلة من القاهرة الى محطة المرج أنتهز فرصة الذهاب الى مزرعتنا وأمشى على قدمى علما منى بأن الله عزّوجل هيأ لى هذه الفرصة لأنتهزها طلبا للصحة واستنشاقا للهواء ونظرا للحقول ودرسا يقرؤه المسلمون . فبهذا المشى تكون صحة البدن ودرس العلم ﴿ وبيانه ﴾ أنى فى ذلك اليوم لم أرد أن أسير فى الطريق المسلوك ولا أدرى لم هذا الميل فانى كثيرا ما أميل الى السير فى وسط تلك الأرض تحت النخيل تارة وفوق الأعشاب تارة أخرى . إن هذه الأرض سبخة وكنت أشاهد فوقها موادّ ملحية طافية فوقها تارة وتارة أجداء آسنا أشبه بالزيت فى لونه وأكثر الأرض مغطاة بحشائش ترعاها الغنم والبقر والجاموس . وهنا أخذت أتأمل فى هذا الوجود وأقول هذه الأرض لا تصلح للزرع . لا يمكن زرع القطن ولا القمح ولا الأرز ولا برسيم البهائم . فهى أرض قال الله فيها — والذى خبث لا يخرج إلا نكدا — ولكن ما أشدّ دهش العاقل إذ يرى أن الحشائش التى تنبت فيها تخرج قوية خضراء لا تبرح الأنعام تتردّد عليها صباحا ومساء لا تضرها وكلما أكلت منها حشائش نبت غيرها على الأثر ولم يقم ببذرها ولا حرثها ولا سقيها أحد ولا تضرّها الحشرات ولا الحرّ ولا البرد ولا الآفات السماوية والأرضية . ونظرت فى تلك المجارى (التى تتخلل تلك الأرض المملوءة بالماء الآسن الذى جاء من سقى الأرض بالماء ويسمونه (الرشاح) أى الذى جعل لاجتماع الماء الذى تغسل به هذه الأرض السبخة عسى أن تصلح للزراعة فيما بعد) نباتا مرتفعا قويا متينا أجمل وأبهى من مزارع الفلاحين فى الأرض الطيبة وقد سمدوها بالسماد وحافظوا على مواقيت سقيها . فهذا النبات الذى يسمون بعضه (الديس) وبعضه يسمونه (البرده) النابت فى ذلك الماء الآسن فى تلك المجارى لا يعتريه اصفرار ولا ضعف مثل مايعترى المزارع التى قام الناس بحفظها . ههنا تذكرت الرحمة التى وسعت كل شئ وأن الله لا يذر شيأ فى الوجود بلامنفعة . فاذا رأينا الزرع لا يجود ولا يثمر أحسن ثمر إلا اذا سمد وخير السماد ما كان من جوف حيوان . فهذه القاذورات التى يأنف الناس منها هى التى عليها مدار ثروتنا وحياتنا . فاذا

كان الأمر كذلك فيما اردريناه مما خرج من الانسان والحيوان . فهكذا فعل فى الأرض السبخة فقال لنا الأرض الطيبة لكم فاعملوا فيها ، أما الأرض السبخة وهى الخبيثة فهى لحيوانى والحيوان لاقدرة له على التسميد والسقى فأنا الذى زرعت الأرض له وجعلت هذه الحشائش ذات قوّة لتحتمل ماتحمل من ظمأ ومن ماء ومن حر ومن برد ولا يعوزها سماد ولايؤذيها دوس الحيوان صباحا ومساء عليها فأنا المتكفل برزقها ، فهكذا كانت حكمتى فحكمتى أن أجعل البرد على قدر الغطا ، وههنا تذكرون أيها الناس أن من النبات مالايعيش إلا فى الماء وهو الارز ، ومنه مايعيش فى الماء وغيره كنبات على شاطئ النيل ، ومنه مالايعيش إلا فى البرّ ويسقى وقتا بعد وقت ، فأنا لطيف أعطى لكل مقام مقالا

أقول . خطرت فى نفسى هذه المعانى فحمدت الله عزّوجل إذ جعل نظرى عبرة وصمتى فكرة ، فبينما أنا كذلك أفكر فى هذه الرحمة الواسعة التى شملت الانسان والحيوان إذ خطرلى أن فى كتاب «علوم للجميع» الذى ترجمت منه كثيرا فى هذا التفسير نباتات مرسومة نابتة تحت الماء على أعماق مختلفة ، فها أنا ذا الآن أراجعه والرسوم أمامى ، فأنا الساعة أشاهد العجب ، أشاهد فى المجلد الثالث مقالا عاما فى نبات البحر وحيوانه وانه لاحدّ لوجود الحيوان فى البحر ، وقد وجدوا الاسفنج على بعد (١٠٠٠) قامة عند شواطئ البرتغال والبرازيل ، أما فى شمالى المحيط الباسفيكى فانه يكون على عمق (١٨٧٥) قامة وعلى بعد (٢٩٠٠) قامة بساق طوله ستة أقدام ، وترى عمق المحيط الاطلانطيق قد يبلغ (٣٨٧٥) قامة فأكثر وفى البحر الأبيض المتوسط يصل العمق الى أربعة آلاف قامة فأكثر ، وترى فى صحيفة ١٦٥ من ذلك الكتاب فى الجزء الثالث صورة شجرة نوع من (الزنبق) نابتة فى قاع البحر ، وبعد ذلك ترى شجرة عجيبة يسمونها (بنت البحر) بهيئة غريبة بحيث تميل أغصانها الى الجوانب وتظهر للناظر كأنها طبق بيضاوى الشكل وهكذا من النباتات العجيبة النابتة فى قاع البحر وفوقها ألف قامة أوثلاث آلاف وهكذا . كل تلك ماء فوقها وهى خضراء بديعة قوية متينة . كل ذلك أذكره لمناسبة هذه المناظر التى شاهدتها فى العراء وأنا ذاهب الى مزرعتنا ، أشاهد رحمة الله فى تلك الأرض السبخة وأشاهدها فى حقولنا ونحن ننصب ونتعب وكأن الله يقول لنا ــ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير ــ الله خبير وبصير وبهذه الخبرة والبصر أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، فقال أيها الفلاحون انصبوا واتعبوا فان أجسامكم وعقولكم اذا لم أشغلها بذلك انحطت وسفلت وجعلت الحياة لاتطاق ، لذلك جعلت مآكلكم وملابسكم كلها بنصب وتعب وهذه هى الرحمة ، أما أنت أيتها البهائم ، وأنت أيتها الطيور ، وأنت أيتها الأسماك فى البحار فاعلمن جميعا أنى أنا الراحم لكن بنفسى فأنبت الحشائش فى الأرض السبخة وأنبت حشائش وأشجارا فى أعماق البحار التى تبلغ آلاف القامات ليكون ذلك منفعة لمخلوقاتى الحيوانية فى الماء ، فهذه رحمتى ، وهنالك أخذت ألحظ أن كثيرا من أسماء الله الحسنى تطبق على تلك المناظر ، فالله رحمن رحيم وهو ملك لأنه يحتاج اليه كل أحد وليس محتاجا هو الى أحد فنجد حاجات الفلاح والبهائم والسمك كلها متجهة اليه وهو بها قائم وهى كلها آمنة فى سربها فرحة بحياتها وهو مؤمنها ، فالله هو (المؤمن) الذى يعزى اليه الأمن والأمان فانى أمرّ فى تلك الأرض السبخة الواسعة فأرى أسرابا من الخطاطيف تطير بفرح وسرور . وهكذا أنواع العصافير والغربان والدواب ترعى وهى آمنة مطمئنة وهو (السلام) لأنه سلمت أفعاله من الشرّ وكل شرّ فى الوجود لم يخلق إلا لخير كامن فيه ولايعقل هذا إلا من درس أكثر هذا التفسير أوقرأ كتبا نظيره وهو (العزيز) الذى يقلّ مثله وتشتدّ الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه ولاجرم أن جميع الخلق محتاجون اليه فى كل لحظة وهو (الجبار) فهو الذى ينفذ مشيئته على سبيل الاجبار فى كل أحد ومن ذلك مخلوقات البرّ والبحر التى ذكرتها لك وهو (الخالق البارئ المصور) فهو الذى قدّر هذه النباتات وعلى مقتضى التقدير (بحيث يكون هذا فى الأرض السبخة

وهذا

وهذا فى الماء وهذا فى الأرض الطيبة وهذا فى البحر) يوجد ذلك النبات وليس للايجاد تمام إلا بالتصوير فهذه المعانى واضحة فى هذه المشاهدات (الخالق البارئ المصوّر) وهكذا الى آخر أسماء الله الحسنى وعلى ذلك أبدا فقس . ولما كان وقت المغرب نظرت وأنا فى القطار اذا الشفق فى الأفق بعد الغروب . فماذا رأيت ؟ رأيت منظرا بديعا بهجا ، شفق لونه الصفرة البهجة التى بنظرها ابتهجت نفسى ، ولكن من ناظر الشفق و يعوزه هو الاشفاق عليه ، ذلك لأن ما اعتاده الناس غالبا لايحسون بجماله . وأكثر الناس مغمورون فى الجمال ولا يشعرون به . هنالك أخذت أفكر فى نفسى كيف أحسست بالجمال فى الشفق بعد الغروب ، ماهو الشفق ؟ إن هو إلا شعاع جرى من الشمس تحت الأفق وانتشر فوقه مختلطا بالهواء الجوّى ، ثم ماهو الهواء وماهو الضياء ؟ الهواء مادّة مركبة من عناصر قليلة مثل (الاكسوجين) و (الاوزوت) وهناك مادّة الفحم و بخار الماء . ولا جرم أن ذلك كله إماعنصر أوراجع للعناصر والعناصر جميعها ضوء والضوء حركة . إذن كل هذا حركات ونفس ضوء الشمس المذكور هنا ماهو إلا حركات فيما سماه الناس (الأثير) وهكذا الزرع والشجر والحيوان وأجسام الناس . كل هذه ماهى إلا عناصر (اقرأ ماتقدّم فى سورة النور عند آية النور واقرأ الكشف الحديث هناك موضحا فى قطرة ماء) إذن هذا الكون كله ضوء والضوء حركات والحركات فى الأثير والأثير (كما اتضح وضوحا تاما عند علماء الأمم عموما) أمر فرضىّ فرضوه ولم يعرفوه ، ولكن لنا الحق نحن (اذا عجز جميع العقلاء فعلا) أن نقول فلنسم هذا الذى به كان الخلق (رحمة الله) لأننا لانعرف الأثير بل هو فرض فرضوه فقط ولنقرأ قوله تعالى — ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه — الخ وهذه خيرمايقال فى هذا الزمان

فاذا كانت المادّة لاوجود لها وماتمحلاوه فسموه (الأثير) أمر موهوم ، إذن يكون أصل هذا العالم أمر يرجع الى آثار الرحمة والا فنحن ننظر لهذه الصور الأرضية والسماوية بعيوننا فنراها ظاهرة ونلمسها ونشمها والحقيقة انه لاشئ هناك (كما هى نظرية اينشتين) الذى تقدم فى هذا التفسير وأن السكون سكون فى سكون وماهى إلا حركات والحركات باختلاطها و بتنوّعها صارت أشكالا . إذن الفضل كل الفضل لأرواحنا وحواسنا وعقولنا فهى التى ظهرت لها هذه المشاهدات وصارت فيها على هذا النمط

الله أكبر . إذن درس النهار فى الحشائش وتذكر الحقول وأشجار البحار العميقة ظهرت ثمرته بعد الغروب إذ كان الشفق هو الذى ذكرنى أن كل مارأيته فى النهار ماهو إلا حركات لاترى و بالذى شع منها حصل تنوّع صار نباتا وحيوانا وأرضا وسماء . إذن المدار على احساس حواسنا ولاعبرة بالخارج فلو أحست نفوسنا وحواسنا بأمر سار أوضار تم الأمر ، وعليه أصبح أمر الموت أمرا صوريا لاغير لأن الناس الآن ليسوا فى مادة باجماع علماء الطبيعة فى عصرنا و بالموت قد تجرّدوا عما توهموه مادة . إذن نحن بالموت نخرج من الوهم الذى نشى على عقولنا . إذن العلم الحديث أظهر لنا سر مايروى « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » و بهذا نفهم ماتقدّم فى هذا التفسير عن أفلاطون انه يرى « انه اذا كانت المادّة لاثبات لها فهى لايصح أن تكون مناط العلم لأن العلم ثابت فى نفوسنا وهى غير قارة وغير القارّ لا يكون مناط القار الثابت » فلامخلص عنده إلا بأن يقول ان المادة صورها صور مطابقة (المثل) معنوية جوهرية لطيفة سماها الناس (المثل الأفلاطونية)

ولقد طال الجدال فيها بين علماء الأمم . ولكن الذى يهمنا الآن أن نقول . اذا كانت المادّة يقول فيها أفلاطون انها لايصح أن تسمى موجودة فضلا عن أن تكون مناطا للعلم حتى اضطر الى تلك المثل . أفليس من العجب أن علماء العصر الحاضر قد نفوها بتاتا . كان الرجل كان ذا نظر ثاقب حتى ظهر الآن ظهورا علميا كلامه

فهذا بلاريب يفسر قوله تعالى — كل شئ هالك إلا وجهه — واذن نقول . اذا كانت السموات والأرض ومافيهما لاتصلح مناطا للعلم وليست موجودة موادّها وانما الموجود ماهو إلا ظواهر اخترعتها حواسنا أى ان هذا وجود بالنسبة لحواسنا لاغير فهو وجود نسبى . إذن الوجود الحقيقى هو الذى ينبغى التعويل عليه والموجود

الحقيق هو الله والله لم نعرفه إلا بآثار صفاته وصفاته ظهرت بأسمائه التسعة والتسعين ومنها (الله الرحمن الرحيم) فى أوّل هذه السورة . وهذا بعض السر فى تكرير البسملة فى أوّل كل سورة . فهذا التكرار عند الجاهل أشبه بما ينظره كل يوم فى الحقول والحدائق والفلوات من العجائب فلا يعقلها ، أما العالم فانه يقول . كلا . ألم يظهر عند العلماء قاطبة فى عصرنا أن المادّة لا وجود لها وهذه الظواهر موجودة عند حواسنا وحواسنا هذه الظواهر معها منسوبة الى من نظمها وهو الثابت الدائم وصفاته التى رأينا آثارها . إذن بها نستغنى عن (المثل الأفلاطونية) وهـذا هو سبب تكرار هذه الأسماء الثلاثة فى أوّل كل سورة . يقول . أيها الناس الخلق كلهم من رحمتى أما الأثير فكلمة جوفاء . ألم تقرؤا — ورحمتى وسعت كل شئ — ألم تقرؤا — ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما — فالرحمة لابد معها من العلم حتى تتم نتائجها على الوجه الأكمل ، فقولى — رحمة وعلما — يغنيكم عن المثل الأفلاطونية وعن العالم الأثيرى ، فكل هذه فروض لا دليل عليها و يغنى عن هذا كله أن تقولوا (رحمتى وعلمى)

أقول . يعجبنى قول من قال فى عصرنا ﴿ إن العوالم ماهى إلا فكر مجسم ﴾ أى أشبه بخيالنا إذا تجسم مافيه أمام أعيننا لاغير — فتبارك الله أحسن الخالقين — وهو أرحم الراحمين

اللهم انى أحمدك على العلم وعلى الحكمة ، أحمدك على أن ماتراه فى المزارع مفسر لمعنى الرحمة . و يقول علماء التربية فى عصرنا ﴿ إن العلم والدراسة كلما كانا أقرب الى الأحوال المشاهـدة والامور المحسوسة المحيطة بالناس كانت أقرب الى رقىّ الأمم ، وكلما كانت العلوم متباعدة عما يزاوله الانسان كانت أقل فائدة وأبعد عن رقىّ المتعلمين ﴾ وهذه الفكرة هى التى أوضحها العالم فى علم فنّ التعليم (البيداجوجيا) الذى أوفدته حكومتنا المصرية فى هذا العام سنة ١٩٢٩ م لدراسة أحوال الأمّة المصرية من حيث التعليم فذكر أن التلاميذ اذا دخلوا المدرسة فقد انقطعت صلتهم بأحوالهم المعتادة الخ

فهل تحب أيها الذكى أن أقصّ عليك ما خطر لى يوم الأربعاء (٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وانما أقصه عليك تبيانا لمعنى الرحمة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ تفسيرا للبسملة . هذا الخاطر خطر لى فى القاهرة لافى الحقل كالخاطر المتقدّم . ذلك انى كنت متوجها الى محطة القاهرة ماشيا على قدمى كما كنت أمشى فى الحقل قبل ذلك فأخذت أفكر فى معنى الرحمة وأقول سبحانك يا ربنا أنت القدّوس السلام . أنت الرحيم . أنا الآن أمشى فى شوارع القاهرة الجميلة ولكنى أعتقد أن هواء هذه الشوارع مملوء من المواد الفحمية فهو ضار لصحتى . أنت خلقت ذلك الضرر فى أنفاسنا وجعلته سببا للأمراض والموت بحيث لونام جماعة كثيرون فى حجرة ضيقة وأقفلوها ليالى فان وجوههـم تصفر و يضعفون كما هو معلوم فى كل أمة . إذن سيرى على القدمين فى الحقول صحى وفى المدن قليل الفائدة لأن الفائدة من المشى هو كثرة التنفس ولا فائدة فى التنفس إلا فى الاكسوجين وهو المادّة الحيوية التى تدخل فى أجسامنا وتسرى فى دمائنا . أنت يا ربنا لم ترد بهذا الضرر إلا الخير . ذلك انك خلقت هذه الأرض وأوسعتها وخلقتنا عليها ، وكان من سياستك فى خلقنا أن جعلت ذكرا وجعلت أنثى جريا على نظامك فى النبات والحيوان . فالاناث يلدن والآباء يربون وهناك تمتلئ المنازل ووضعت فى نفوس الأبوين رأفة ورحمة بالذرية ولكنك وضعت الغبطة والحسد والحقد والضغائن بين بعض الذرّية . فالشفقة فى الأبوين للعناية بالذرية والبغضاء والشحناء والعداوات فى الذرية والأقارب نعمة كبرى لأن هذه العـداوة وهذه المنافسة وهذه الغيرة وهذه الغبطة ماهى إلا مسوقة الى تدبير العيش ونظام الأسرات . و بهذه المنابذة والمشاحنة والمقاطعة يتفرّقون وتفرّقهم هو عين الرحمة ليجدّ كل واحد لنفسه ولا يتكل على غيره . وأيضا ليتفرّقوا فى أرض الله فاذا بقوا فى مكان واحد قلّ الغـذاء وكثرت الأنفاس والمضار والأمراض . إذن الحكمة قضت بالمحبـة وقضت بالعداوة رحمة بالناس فى الأمرين فيتفرقون و يستخرجون من الأرض النعم الجزيلة . سبحانك اللهم أودعت الرحمة فى

قلوب

قلوب الأبوين لتسوقهما لتربية الذرية وألقيت العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فى قلوب الذرية والأمم ليتفرقوا فى الأرض و يستخرجوا منافعها وليتنافسوا كما يقول الشاعر

عداتى لهم فضل علىّ ومنة ☆ فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا

هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها ☆ وهم نافسونى فاجتنبت المعاليا

وهذان البيتان مع غيرهما تقدما فى هذا التفسير وقد خمستهما ، العداوة اشتركت فى ترقية النوع الانسانى غاية الأمر أن العداوة ليست مقصودة لذاتها بل لغيرها كما أن الجوع لم يقصد منه اضرارنا بل قصد منه الحث على ارتقائنا ، ولاعمل لعلم الأخلاق إلا تهذيب المحبة وتهذيب العداوة فلا افراط فى الأولى لئلا يكون الميل المجحف بحقوق غير المحبين وتهذيب العداوة بحيث تقف عند حدها فلاافراط ولاتفريط . هذه وظيفة علم الأخلاق مهما طال الخطب فيها فهومشذب لما فينا من الأحوال كمايشذب البستانى شجرالبستان

ثم ان الأمم لما ارتقت فى عصرنا الحاضر ازدحمت المدن بالسكان وعرفوا مضارّ الازدحام . إذن هناك ﴿ زاجران ﴾ للناس عن الازدحام ﴿ الزاجر الأوّل ﴾ ماغرس فى النفوس من العداوات والمنافسات وغيرهما ﴿ الزاجر الثانى ﴾ ماطبع عليه الهواء الجوّى من التعفن بسبب الازدحام وامتلائه بالحيوانات الذرية والموادّ الفحمية القاتلة للمتنفسين من الأحياء المزدحمين

وان أردت إلا البيان فاسمع ماجاء فى ﴿ الزاجر الأوّل ﴾ من كتاب « اخوان الصفاء » ثم اسمع بعد ذلك ما جاء فى ﴿ الزاجر الثانى ﴾ من آراء علماء الاحصاء فى العالم المتمدين الآن . أما ما جاء فى (اخوان الصفاء) فهاهوذا نصه

﴿ فصل فى بيان كمية أنواع الخيرات والشرور فى هذا العالم ﴾

اعلم أن الخير والشرّ على ﴿ أربعة أنواع ﴾ فنها ماينسب الى سعود الفلك ونحوسه ، ومنها ماينسب الى الامور الطبيعية من الكون والفساد ومايلحق الحيوانات من الآلام والأوجاع ، ومنها ماينسب الى مافى جبلة الحيوانات من التآلف والتنافر والمودّة والتباغض وما فى طباعها من التنازع والتغالب ، ومنها ماينسب الى مايلحق النفوس التى تحت الأمر والنهى فى أحكام النفوس من السعادة والنحوسة فى الدنيا والآخرة جميعا ثم اعلم أن هذه الأنواع من الخيرات والشرور التى ذكرناها أسبابا وعللا يطول شرحها ، وقد ذكرنا طرفا فى ﴿ رسالة العلل والمعلولات ﴾ ولكن نذكر فى هذا الفصل منها مالابد منه فنقول

إن الخيرات التى تنسب الى سعود الفلك فهى بعناية من الله تعالى وقصد منه لاشك فيه . وأما الشرور التى تنسب الى نحوس الفلك فهوعارض لا بالقصد ، مثال ذلك اشراق الشمس وطلوعها على بعض البقاع تارة وتسخينها الماء مدّة ومغيبها عنها تارة أخرى كيما تبرد تلك البقاع مدة مّا فهو بعناية من الله تعالى وواجب حكمته لما فيه من الصلاح والنفع للعموم كما قال تعالى ــ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلاتسمعون ــ وقال ــ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ــ وانما ذكر الله تعالى انعامه على عباده واحسانه اليهم وافضاله عليهم فأماالذى يعرض لبعض الحيوانات ولبعض النبات من الحرّ المفرط والبرد المتلف فى بعض الأوقات وفى بعض الأحايين وفى بعض البقاع فليس ذلك بالقصد الأوّل وهكذا أيضا حكم الأمطارفانما يرسلها لكيما يحيى بها البلاد و يصلح بها شأن العباد فان عرض من ذلك أذية لبعض الحيوانات أوتلف النبات أوتحزنت به المجازُ فليس ذلك بالقصد الأوّل وعلى هذا القياس حكم جميع ماينسب الى نحوس الفلك من الامور العارضة للحيوان والنبات والمعادن ومواليد الناس ومايحكم فى تحاويل من السنين واحكام القرانات وماشاكل ذلك وماينسب الى نحوس الفلك من الشرور والفساد جميعا عارضا لا بالقصد الأوّل . وأما الخيرات التى تنسب الى الامور الطبيعية

فهي كون الحيوان والنبات والمعادن والأسباب المعينة لها على النشوء المبلغة لها الى أتم حالاتها وأكمل نهاياتها فهي كلها بقصد من الله تعالى وعناية من تفضله وانعامه . وأما الشرور التي هي الفساد والبلى الذي يلحقها بعد الكون والفساد والأسباب التي تعوقها عن البلوغ الى التمام والكمال فهي عارض لا بالقصد الأوّل ولكن بالقصد الثاني . وذلك أن هذه الكائنات التي دون فلك القمر لما لم يكن أن تبقى أشخاصها في الهيولى دائما في هذا العالم تلطف الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن يكون بقاؤها بصورها وان كانت الأشخاص في الذوبان والسيلان دائما والمثال في ذلك صورة الانسانية التي هي خليفة الله في أرضه فانها باقية منذ خلق الله تعالى آدم أبا البشر الى يوم القيامة وان كانت الأشخاص في الذهاب والمجيء فهكذا حكم سائر الحيوانات والنبات والمعادن وأنواعها باقية بصورها وان كانت الأشخاص في السيلان والذوبان . وانما كان ذلك بواجب الحكمة لأن في القوّة فضائل وخيرات بلا نهاية لا يمكن خروجها من القوّة الى الفعل والظهور دفعة واحدة في وقت واحد لأن الهيولى لا تتسع لقبولها الاشيا بعد شيء على التدرج ومر الأوقات والزمان دائما أبدا . والمثال في ذلك أنه لو خلق الله بني آدم كلهم من مضى منهم ومن هو موجود الآن ومن يحيا من بعد الى يوم القيامة في وقت واحد لم يكن أن تسعهم الأرض برحبها فكيف حيوانهم ونبات غذائهم وأمتعتهم وما يحتاجون اليه في أيام حياتهم ؟ فمن أجل هذا خلقهم قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة لأن الأرض لا تسعهم والهيولى لا تحملهم دفعة واحدة فقد تبين بما ذكرنا أن النقصان ليس من قبل الله تعالى وعلة أخرى أيضا لأسباب الشرور . وذلك أنه لما كانت هذه الكائنات يبتدئ كونها من أنقص الوجود وأضعف القوى مترقية الى أتم الحالات وأكمل الغايات بأسباب معينة لها على النشوء والنموّ ومبلغة الى أكمل غاياتها بعناية من الله تعالى سميت تلك الأمّهات خيرات وكذلك كل سبب عارض بلوغها عن ذلك يسمى شرا وهي عارضة لا بالقصد الأوّل والمثال في ذلك ما تقدّم ذكره من أمر الشمس والمطر

﴿ فصل في بيان القصد الأوّل والقصد الثاني على قول الحكماء ﴾

أما الخيرات التي تنسب الى جبلة الحيوان وما في طباعها وأخلاقها وأفعالها بقصد منها وارادة فهي بالقصد الثاني لا بالقصد الأوّل . ثم اعلم أن معنى قول الحكماء القصد الأوّل والقصد الثاني ، فالفرق بينهما هو أن ما كان من قبل البارى تعالى من الابداع والايجاد والاختراع والبقاء والتمام والكمال والبلوغ وما شاكل ذلك من الأوصاف يسمى القصد الأوّل . والقصد الثاني هو كل ما كان من قبل نقص الهيولى انه لم يجيء منها إلا هذا ولم يقبل إلا هذا وما شاكل ذلك من الأوصاف

وأما بيان أنواع الشرور المنسوب الى بعض الحيوانات والى الجبلة المركوزة فيها فنقول « إن الشرور التي تنسب الى جبلة الحيوانات وما في طباعها هي « ثلاثة أنواع » فمنها الآلام التي تعرض لها دون سائر الموجودات ، ومنها العداوة التي في جبلتها ، ومنها أفعالها التي بقصد منها وارادة . فأما آلامها فتكون من ﴿ ثلاثة أوجه * أحدها ﴾ ألم الجوع والعطش عند حاجة أجسادها الى المادّة والغذاء ﴿والثاني﴾ ألم الضرب والصدم والكسر المضر بأجسادها المتلف لها كلها ﴿والثالث﴾ ألم الأمراض والأسقام المفسدة لمزاج أجسادها وأخلاط أبدانها الى آخر ما تقدّم ﴿ في سورة الروم ﴾ في تفسير البسملة ثم قال بعد كلام طويل ما نصه

﴿ فصل في بيان الشرور التي في جبلة الحيوانات المختلفة الصور والأشكال التي هي بالقصد الثاني ﴾

أما الخيرات التي في جبلة الحيوانات وأخلاقها التي هي الالف والمحبة والشرور التي هي العداوة والغلبة والقهر فهي أيضا بالقصد الثاني . وذلك انه لما كانت الحيوانات مختلفة الصور والأشكال والطباع والعادات والأخلاق والأفعال لأسباب يطول شرحها ، وقد بينا طرفا في ﴿ رسالة العلل والمعلولات ﴾ جعل بين بعضها و بعض ألفة ومحبة ومودّة لكيما يكون ذلك سببا لاجتماعها واتفاقها لما في ذلك من صلاح الكل والنفع على

العموم

العموم ، وجعل أيضا بين بعضها و بين بعض نفورا وعداوة ليكون سببا لتباعدها وتفرّقها لما فى ذلك أيضامن صلاح الجميع والنفع العام ﴿ مثال ذلك ﴾ ألف بعض الحيوانات للانسان وانقيادها للطاعة كالبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والجمل والفرس لما فى ذلك من صلاح ونفع للناس مما هو معروف مشهور فلا حاجة الى تفصيل كيفية ذلك . ولما لها أيضا من النفع فى مراعاة الناس بالعلف والسقى والكنّ من الحرّ والبرد ومنع السباع عنها ومداواتها من الآفات العارضة لها وماشاكل ذلك . ومثال نفور بعض الحيوانات من الانسان وتباعدها عن طاعته مثل السباع والحيات وجملة الحيوانات القليلة النفع الكثيرة الضرّ لما فيه من صلاح الكل والنفع العام . وعلى هذا القياس حال سائر الحيوانات بعضها مع بعض فيما بينها من الألف والمحبة والبغض والعداوة لما فيها من النفع والصلاح . وأما الشرور التى تنسب الى بعض أفعال الحيوانات بالقصد منها والارادة فنها أيضا عارضة من أجل الهيولى التى هى مادة لأجسادها وقوام لها كلها . وذلك أن المنافع لما كانت مشتركة بين الجميع وكانت فى جبلتها طلب المنافع ودفع المضارّ بالقصد الأوّل من الله تعالى كما تقدم ذكره وقعت بينها هذه المنازعة فى طلب تلك المنافع ودفع تلك المضارّ بالعرض لابالقصد . وأما علة كون الحيوانات بعضها آكلة و بعضها مأكولة فقد بينا طرفا منها فى ﴿ رسالة الحيوانات ﴾ والحمد لله رب العالمين

هذا ماأردت تلخيصه من (اخوان الصفاء) وأما ما أشار اليه من الكلام على أكل الحيوان بعضه بعضا فانظر ما جاء فى ﴿ رسالة العلل والمعلولات ﴾ فهذا نص المقصود منه

(١) إن الله تعالى لما خلق أجناس الحيوانات التى فى الأرض وعلم انه لاتدوم بذاتها أبد الآبدين جعل لكل نوع منها عمرا طبيعيا أكثر مايمكن منه ثم يجيئه الموت الطبيعى ان شاء أو أبى وقد علم الله تعالى بأنه يموت كل يوم منها فى البرّ والبحر والسهل والجبل عدد لايحصيه إلا الله تعالى . ثم جعل بواجب الحكمة جثة جيف موتاها غذاء لأحيائها ومادّة لبقائها لئلا يضيع شئ مما خلق الله تعالى بلا نفع ولافائدة وكان فى هذا منفعة لأجسادها ولم يكن فيه ضرر على الموتى

(٢) « وخصلة أخرى » لولم يكن الأحياء تأكل جيف الموتى منها لبقيت تلك الجيف واجتمع منها على ممرّ الأيام والدهور كثير حتى تمتلئ منها الأرض وقعر البحار وتنتن و يفسد الهواء والماء من نتن روائحها فيصير ذلك سببا لكونها هلاكا للأحياء ، فأىّ حكمة أعظم من هذه ؟ إن البارى تعالى جعل فى أكل الحيوانات بعضها بعضا من المنفعة للأحياء ودفع المضرّة عنها كلها وان كانت تنال بعضها الآلام والأوجاع عند الذبح والقتل وليس قصد القابض والقاتل من ذبحها وقبضها ادخال الألم والوجع عليها بل لينال المنفعة فيها لدفع مضرّة بها

(٣) ثم إن الله جعل الناقص منها علة للكامل وسببا لبقائه والأدون خادما للأشرف ومعينا ومسخرا له ، و بيان ذلك من النبات الجزئى انه لما كان أدون رتبة من الحيوان الجزئى وأنقص حالة منه جعل جسم النبات غذاء لجسم الحيوان ومادّة لبقائه وجعل النفس النباتية فى ذلك خادمة للنفس الحيوانية ومسخرة لها وهكذا أيضا لما كان رتبة النفس الحيوانية أنقص وأدون من رتبة النفس الانسانية جعلت خادمة ومسخرة للنفس الانسانية الناطقة وهذه الحكومة التى ذكرناها كلية بينة ظاهرة للعقول السليمة فنقول على هذا الحكم والقياس لما كان بعض الحيوانات أتمّ خلقة وأكمل صورة كما بينا قبل هذا جعلت النفس الناقصة منها خادمة ومسخرة للتامّة منها الكاملة وجعلت أجسادها غذاء ومادّة للأجساد التامّة منها وسببا لبقائها لتبلغ الى أتم غاياتها وأكمل نهاياتها كما جعل جسم النبات غذاء لجسم الحيوان ومادّة لبقائه وسببا لكماله وكما أنه لما كانت النفس النباتية إذ هى أدون رتبة من النفس الحيوانية جعلت خادمة للنفس الحيوانية ومسخرة لها فى رتبتها غذاء لها ومادة لأجسادها . فهكذا جعل حكم نفوس الحيوانات الناقصة خادمة لنفوس الحيوانات

التامة الخلقة الكاملة ومسخرة لها لكبار فى جسمها وتمها وتسلمها الى الحيوانات التى هى أكمل منها وأشرف ليكون ذلك غذاء لأجسادها ومادة لأبدانها وسببا لبقاء أشخاصها زمانا ما أطول ما يمكن وعلة لتوالد نسلها و بقاء صورتها لأن هيولى الأشخاص دائما فى الذوبان والسيلان فيحتاج الى بدل مايتحلل من الأشخاص فاذن قد تبين بما ذكرنا ما العلة فى أكل الحيوانات بعضها بعضا . فالأسباب إذن ﴿ ثلاثة ﴾ ألا تبقى الرمم بلافائدة ، وألايفسد الجو ، وأن يكون الأدنى خادما للأعلى . انتهى من اخوان الصفاء والحمد لله رب العالمين

وأما ما جاء عن علماء الاحصاء فى عصرنا فى ﴿ الزاجر الثانى ﴾ وهو تعفن الهواء بالازدحام وأن هذا السبب والذى قبله جعلهما الله مهماز بن يسوق بهما الناس للتفرق على وجه الأرض ليتم العمران . فهاك ماجاء فى إحدى جرائدنا المصرية يوم الثلاثاء (٢٩) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

﴿ من سنة ٢٠٠٠ الى سنة ٢٥٠٠ ﴾

يقول الاحصائيون ان سكان العالم يزدادون ازديادا متواصلا وانه سيأتى يوم تضيق عليهم الأرض برحبها . أجل ان هذا اليوم لايزال بعيدا عنا ولايبصر نوره إلا أحفاد أحفادنا . فسكان العالم يبلغ عددهم الآن مليارا وتسعمائة وستين مليونا . وسيصبح فى سنة (٢٠٠٠) ستة مليارات . ولابد من القول أن هذا العدد هو أقصى ماتستطيع الأرض أن تعوله . ومن حسن حظنا أن ما تنتجه الأرض من المطعم والمشرب يزيد على حاجتنا اليه . ويقول العارفون « إن أعقابنا يستطيعون بما سيكون لديهم من الوسائل العلمية فى الزراعة أن ينتجوا غذاء لثمانية مليارات من البشر » وعليه لاخوف على الأجيال الآتية من الموت جوعا ولكنها لاتبقى على ماهى عليه الآن من السعة فى العيش لأنه لايبقى إلا كيلومتر واحد لكل مائة وأربعين نفسا . واذا اعتبرنا الأراضى العامرة رأينا أن متوسط عدد السكان فى الكيلومتر الواحد من الأرض العامرة يبلغ (٢٣٧) أى أكثر مما فى نيو يورك فان متوسط عدد السكان فى هذه المدينة العظيمة (٢١٧) فى الكيلومتر المربع . وقد أصبح الموقف حرجا فى أوروبا فان مساحتها التى تبلغ (٣٧٥٠٠٠٠) ميل مربع لاتنتج من الغذاء إلا لخمسمائة وخمسين مليونا من البشر وفيها الآن منهم (٤٨٠) مليونا . أما أمريكا الجنوبية ففيها أراض واسعة مهجورة سيكون لها شأن كبير فى المستقبل وسيتحول قسم كبير منها الى أراض منتجة بقوة اليد العاملة

وليس الخوف على الجنس البشرى من المجاعة بل من تكاثر عدد الناس وتزاحمهم على شواطئ البحار وعلى قمم الجبال وفى السهول والآجام والغابات . ومن الراجح أنه لاتبقى غابات ولا آجام فى سنة (٢٠٠٠) فتزول جميعها وتشيد عليها مدن كبيرة تأوى اليها الملايين من البشر

وقد تتخذ الأرض شكلا خاصا وتمتلئ من السكان بين سنة (٢٠٠٠) وسنة (٢٥٠٠) وهذا مجال للافتكار فى حالة أصحاب البيوت فى ذلك الحين فان أزمة المساكن تبلغ معظمها فلا يكتفون فى المكاتب المخصصة للايجار بالسؤال عن الحى الذى يطلبون فيه مسكنا بل يبحثون فى المصور الجغرافى العالمى للاهتداء الى ضالتهم المنشودة فيأتى أحدهم مثلا الى أحد هذه المكاتب و يطلب أن يستأجر شقة فى أوروبا فيجيبه أحد الموظفين فى المكتب بعد أن يلقى نظرة على الجداول والدفاتر التى لديه « يشق علينا أن نعتذر عن تعذر اجابة سؤلك فلم يبق عندنا شقق للايجار فى أوروبا ولكن عندنا شقق تلائمك فى الأناضول »

وليس الغذاء شيأ مذكورا بالنسبة الى الهواء الذى سينقص الناس حينئذ ، ولا أعنى بذلك الهواء الذى يستنشقونه فى محال العمل والمسارح والشوارع ، بل أعنى الهواء الطليق الذى يخرجون الى العراء لاستنشاقه فى العزلة فانهم أنى وأيان ساروا يلقون الناس أمامهم يملؤن البقاع والبطاح والهضاب والأغوار والأنجاد وقد ضربنا عدد سكان المعمورة فى (٥) فنضرب أيضا المضايقة التى سيلقونها حينئذ فى (٥) ويكون سببها

تكاثر

تكاثر عدد الناس

يقول الآن سكان المدن « لانحب أن نتنزّه فى الشوارع الكبيرة فى أيام الآحاد لأن فيها عددا كبيرا من الناس ، وخير لنا أن نقصد الى الضواحى والرياض حيث نروّح النفس بالهواء العليل »

ويقولون أيضا « لانبتغى الذهاب الى دور السينما فى هذه الأيام لأنها مكتظة بالنظارة » ولكنهم بعد سنة (٢٠٠٠) يفوهون بمثل هذا الكلام فى كل مكان ينزلونه فأيان ذهب الانسان يرى الناس يتزاحمون بالمناكب

ويقولون « إن رجال المستقبل البعيد لا يكفيهم ما عندنا الآن من الوسائل الطبيعية للعيشة فسيحتاج الواحد منهم الى أعصاب أمتن من أعصابنا ورئتين أقوى من رئاتنا وقدمين أشدّ من أقدامنا وذراعين أشدّ صلابة من أذرعنا » اه

إن ما تقدّم نظرية نشرها الاستاذ (البرخت بنك) وهى والحق يقال نظرية تدعو الى اعمال الفكرة واطالة الروية

أقول . أنا الآن لم أكتب هذه المقالة اعجابا بها ولا اعتقادا فيما قيل فيها ، ولكنى ذكرتها لتعلم أن النوع الانسانى قديما وحديثا يعلم أن الازدحام يورث الأمراض بالموت وأن هذا السبب هو الدافع الأقوى لتفرّق الناس حول الأرض . فاذن تفرّق الناس على الأرض سببه ﴿ أمران ﴾ أمر نفسى وهى العداوات والمشاجرات وأمر جسمى طبيعى وهو تعفن الهواء بالازدحام واستضرار الناس فيكون التفرّق ثم الاستمتاع بالخيرات والنعم

لعلك أيها الذكى وقفت فى تفسير البسملة هنا وفيما تقدّم قريبا على شذرة من رحمة الله التى وسعت كل شئ ولعلك أيضا تعرف كيف أدرك آباؤنا الأوّلون منذ ألف سنة بعض هذه الحكم ودوّنوها فى (اخوان الصفاء) وكيف وصلوا الى الحقائق وصولا لم يظهر نظيره فيما جاء عن الفرنجة مما بيناه لك هنا ، فالعبارتان أمامك وأنت تدرك ببداهتك وذوقك ومعرفتك الفرق بين الحكمتين وتعجب إذ ذاك من الأمم الاسلامية التى خلفت تلك الأمم فى الألف سنة الماضية كيف ذهلوا عما فى هذه الكتب ولم تنتشر هذه الآراء فى أممنا الاسلامية ، وذلك بسبب بعض رجال الدين الجهال و بعض رجال الصوفية الذين وقفت عقولهم كما فهموا من شيوخهم فأوحوا الى تلاميذهم الذين يخلفونهم أن العلم خاص بما لقنوه لهم . هنالك أخذ العلم يهرب من بلاد الشرق الى بلاد الغرب ، ولكن ليستبشر المسلمون اليوم قراء أمثال هذا التفسير فهم يجمعون بين خلاصة القديم وخلاصة الحديث ، وسيكونون ـ خير أمة أخرجت للناس ـ واذا قرؤا (بسم الله الرحمن الرحيم) عرفوا معنى الرحمة كما أوردناه . انتهى القسم الأوّل من السورة والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٣١ اكتوبر سنة ١٩٢٩

(الْقِسْمُ الثَّانِى)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

الٓمٓ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ * ذٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِى

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ * وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) قد تقدّم بعض سرّ — الم — فى ﴿ سورة الروم ﴾ والاشارة بها هنا المحضّ على النظر فى أحوال الأمم السابقة وعجائب الطبيعة وذلك فى قوله تعالى — أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ✲ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز — فاذن هذه السور متلاحقة موصى فيها على النظر فى كل كائن طبيعى أو صناعى ، وقوله (تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين) أى منزّل الكتاب لاريب فيه حال كونه من رب العالمين (أم يقولون) أى بل أيقولون أى المشركون (افتراه) أى اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل هو الحقّ من ربك) وههنا ﴿ ست مراتب ﴾ الاشارة الى الاعجاز ولذلك هو منزل من الله ، ثم قرّره بنفى الريب عنه ، ثم أضرب عن ذلك الى التعجب من قولهم فيه على خلاف ما تقدّم ، ثم أثبت انه الحق ، ثم ذكر المقصود وهو الانذار ، فالأوّل بذكر — الم — والثانى بذكر انه منزل من رب العالمين ، والثالث بنفى الريب ، والرابع بقوله — أم يقولون افتراه — والخامس بقوله — بل هو الحق من ربك — والسادس بقوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) لأنهم أهل فترة (لعلهم يهتدون) بانذارك إياهم ، وقوله تعالى (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) قد عرفت فى سورة الفرقان ما الحكمة فى ذكر ستة أيام ، وكيف كان العدد المذكور من عجائب الحكمة تخصيصه ، وفى سورة يونس وهود الاستواء على العرش وفى سورة العنكبوت والروم عجائب هذه الدنيا ونظام العناصر التى بلغت فوق الثمانين . وكيف كان بينها نسب عجيبة فوق مستوى الفكر إذ كان كل عنصر منسوبا لما فوقه فى الجدول وما تحته وما عن يمينه وشماله الى آخر ما مضى . وهذا سيدهش العقلاء عندما يرون أن بين العناصر نسبا عجيبة كالنسبة العددية والنسبة الهندسية والتشابه فى الصفات الكيمائية من جهة والصفات الطبيعية من جهة أخرى . واذن تعلم أن عالمنا مخلوق من الجمال والبهاء والحسن كعالم الكواكب (ما لكم من دونه من ولىّ) ينصركم اذا جاوزتم رضاه (ولا شفيع) يشفع لكم (أفلا تتذكرون) المواعظ (يدبر الأمر) يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر (من السماء الى الأرض ثم يعرج) يصعد (اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون) أى يدبر أمر الدنيا الى أن تقوم الساعة ثم يصير الأمر كله اليه ليحكم فيه فى يوم مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة ✲ وقد جاء أن يوم القيامة خمسون ألف سنة فى سورة المعارج وتكون على بعض المختصين من عباده بقدر صلاة المكتوبة أو كما بين الظهر والعصر (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيكون تدبيره على مقتضى الحكمة (العزيز) الغالب على أمره (الرحيم) للعباد فى تدبيره . ولما ذكر العلم والقدرة المصحوبة بالرحمة أردف ذلك بما نشأ عن تلك الصفات من الآثار الشريفة متصلا لما أجل من التدبير إذ بين تدبير الانسان ثم عروجه ليعرّفنا نسخة من التدبير العام فقال (الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان) أى آدم (من طين ✲ ثم جعل نسله) ذرّيته لأنها تنسل منه أى تنفصل (من سلالة) أى من نطفة تنسل من الانسان (من ماء مهين) أى ضعيف (ثم سوّاه) سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف الروح الى نفسه لتشريفها (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا . وهذا هو بعض تدبير الأمر الخاص بالانسان لأنه أهم لتذكره . وأما عروج الأمر اليه وعوده فنى قوله (وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض) أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الأرض لا يتميز منه (أئنا لفى خلق جديد) استفهام انكارى ثم أضرب عن ذلك الى أنهم ليسوا بكافرين بالبعث فحسب بل كفرهم شامل لجميع ما يكون يوم القيامة فقال (بل هم بلقاء ربهم) الذى هو أهمّ ما فى يوم القيامة (كافرون) وههنا ابتدأ ايضاح عروج الأرواح فى قوله (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء . وهذا نهاية الكلام فى العروج

والصعود . ثم أعقبه بذكر ﴿الطائفتين﴾ المجرمين والمؤمنين فقال فى الأولى (ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزى قائلين (ربنا أبصرنا) ماوعدتنا (وسمعنا) منك تصديق ما أتت به رسالك (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا إنا موقنون) إذ لم يبق لنا شك بعد المعاينة وجواب لومحذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما (ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها) ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح وانما تدبيرى للخلق ونظامى لاتغيير فيه ، وكيف يتغير وهوالنظام التام فانى أضع كل نفس فى مرتبتها على حسب استعدادها كما أضع فى جسم الانسان العين فى موضع لايصلح له الظفر والأصبع ، وكذا المعدة فى موضع لايصلح له القلب ، هذا هو نظام الله . وهذا قوله تعالى (ولكن حقّ القول منى) ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو (لأملأنّ جهنم من الجنة) وهى النفوس التى لا أجسام لها وهى لاتزال ناقصة كهيئة الأشرار من بنى آدم (والناس أجمعين) وانما ملأها بهم لأنهم مستعدّون لها ولا يصلحون لدخول الجنة كما لا يعيش الناموس ولا الذباب إلا فى الأماكن القذرة لتخلص الجوّ من العفونات . ولوجعل الناموس والذباب فى القصور النظيفة المونقة النقية ماعاش فيها إذ لايجد له فيها غذاء ولافائدة . هكذا هؤلاء اذا رأوا العالم المضىء المشرق والأنوار المتلألئة والحياة الطيبة فى الجنة لم يتهيأ لهم دخولها وعجزوا عن ذلك فثلهم كمثل السمك لايعيش فى البرّ وكمثل ذوات الأربع لاتعيش فى البحر . هذا معنى قوله ــ العزيز الرحيم ☆ الذى أحسن كل شئ خلقه ــ فهذا هو حسن الخلق ، فالحسن فى الجنة وفى جهنم وفى الحشرات فى الأرض وفى الحدائق ، واعلم انك لاتوقن بماقلته إلا بدراسة العلوم ، ومن كان ذا فطنة كفاه هذا التفسير ، ثم أبان بعض الأسباب الموجبة لدخولهم جهنم وهما ﴿سببان ☆ الأوّل﴾ عدم التفكر ﴿والثانى﴾ الذنوب أى ظلمة الفكر علما وعملا بالجهل والذنوب فأشار الى الأوّل بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) لأنكم تركتم مواهبكم العقلية فلم تنالوا الحكمة (إنا نسيناكم) جعلناكم كالمنسى المتروك (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) السيئات كما تركتم المعقولات وانما كرر الذوق لتعدّد المذوق ولأن العذاب على الجهل وعلى الذنب يتنوّع بتنوّع السبب كما تتنوّع الآلام فى الدنيا بتنوّع المرض . وأشار الى الفريق الثانى بقوله (إنما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خرّوا سجدا) سجدوا لله تواضعا وخشوعا وشكرا على مارزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزّهوه عما لايليق به وأثنوا عليه حامدين له (وهم لايستكبرون) عن الايمان والسجود (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) أى المواضع التى يضطجع فيها وهى الفرش . وهؤلاء هم المتهجدون بالليل حال نومهم (يدعون ربهم خوفا) من سخطه (وطمعا) فى رحمته أى لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (فلاتعلم نفس ما أخفى لهم) لاملك مقرّب ولانبىّ مرسل (من قرّة أعين) مما تقرّ به عيونهم (جزاء بما كانوا يعملون) أى جزوا جزاء عدلا . ولما أخفى القوم اعمالهم أخفى الله لهم الجزاء بحيث لا يعلمه أحد كما كانوا يخفونه فى الدنيا . ثم بين الفرق بين الطائفتين وأنهما لايستويان (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أى كافرا (لايستوون) حمل الأوّل على لفظ من والثانى على المعنى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) يقال انها الجنات التى يأوى اليها أرواح الشهداء ويقال انها عن يمين العرش (نزلا بما كانوا يعملون) أى عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) أى ملجؤهم ومنزلهم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) أى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) ثم بين سبحانه أن عذاب الآخرة المذكور له مقدّمات فى الدنيا وفى القبر لأن الذنب مستوجب لنتائجه عاجلا وآجلا فقال (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) كما عذب أهل مكة بالجدب سبع سنين إذ دعا عليهم النبى ﷺ أن يجعلها الله عليهم سنين كسنى يوسف . وكما يعذب الناس فى الدنيا بالمحن والأهوال والأمراض وهم فى ذلك غير موقنين بثواب ولا آخرة

فيكون

فيكون العذاب أليما لا يخفف له (دون العذاب الأكبر) أى عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) يتوبون (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فلم يتفكر فيها كالوليد بن عقبة فأخرعليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات (إنا من المجرمين منتقمون) ولاجرم أن من كان أظلم منهم أحق بالانتقام (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلاتكن فى مرية) فى شك (من لقائه) من لقائك الكتاب فانا آتيناك الكتاب كما آتيناه فليس ذلك ببدع وهذا كقوله تعالى ـ قل ما كنت بدعا من الرسل ـ (وجعلناه) أى المنزل على على موسى (هدى لبنى اسرائيل ✲ وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس (بأمرنا) بتوفيقنا (لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) لأنهم نظروا وعقلوا (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) أى يقضى ويحكم (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين . جهلوا وكفروا وعموا عن الحقائق (أولم يهد لهم) أى أولم يبين الله لهم (كم أهلكنا من قبلهم) أى من قبل أهل مكة (من القرون) الماضية (يمشون فى مساكنهم) أى يمرّ أهل مكة فى متاجرهم على ديارهم . وقوله ـ كم ـ مفعول أهلكنا (إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون) سماع تدبر (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز) التى جز نباتها أى قطع وأزيل وكل أرض يابسة غليظة لا نبات بها جرز (فنخرج به زرعا) أى بذلك الماء زرعا (تأكل منه) من الزرع (أنعامهم وأنفسهم) كالتبن والورق والحب والفاكهة (أفلا يبصرون) فيعرفون كمال قدرته تعالى (ويقولون متى هذا الفتح) النصر كقوله تعالى ـ ربنا افتح بيننا ـ (إن كنتم صادقين) فى الوعد به (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون) وذلك يوم القيامة يوم يفصل بين المؤمنين وغيرهم ويوم فتح مكة ويوم بدر وحقا كان ذلك فان الذين قتلوا يوم بدر وغيره لم ينفعهم شئ بل ماتوا كفارا (فأعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) النصر عليهم (أنهم منتظرون) الغلبة عليك . انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

(١) فى قوله تعالى ـ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة ـ

(٢) فى قوله تعالى ـ الذى أحسن كل شئ خلقه ـ الخ

(٣) فى قوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ الى قوله ـ جزاء بما كانوا يعملون ـ

(٤) فى قوله تعالى ـ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون ـ الى قوله ـ أفلا يبصرون ـ

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

إن هذه اللطيفة يراد منها ﴿ أوّلا ﴾ معرفة تنزّل الأمر الإلهى من حضرة القدس الأعلى الى غاية تمامه وكماله ﴿ ثانيا ﴾ رجوع الأمر اليه سبحانه وتعالى ﴿ ثالثا ﴾ بيان جمال الأمر وحسنه ونظامه ﴿ رابعا ﴾ ذكر المقصود من ذلك وهو نشأة الانسان ثم عروجه الى خالقه . وهذه المقاصد الأربعة فى الآية مرتبة على ما ذكرناه . فالله سبحانه هو الأوّل من حيث انه خلق ونظم والآخر من حيث رجوع الأمر اليه أيضا . ولأقدم مقدمة فى الكلام على الله من حيث تقديسه وتنزيهه فأقول

إن الأمم قديما وحديثا لا يبرحون يفكرون فى الحق سبحانه وتعالى . ومعلوم أنه ليس بجسم ولا عرض فى جسم منزه عن الحوادث . فهم اذا ذكروه حضر فى أذهانهم النور . وذلك مشهور فى الديانات . ومعنى ذلك أن الله اذا ذكر يخطر بالهم النور . فالنور مضروب مثلا لذاته لا أنه هو ذاته . وكيف يكون النور هو الله والنور حركات فى الأثير وحركات الأثير تختلف فى السرعة . والنور له مقادير خاصة متى وصل اليها ظهر النور فى العين ومتى قلّ عنها أوكثر لم يكن نور . فاذن النور مذكر بالله عند الأمم القديمة بل كان الصابئون يعبدون الكواكب . وترى ذلك فى لغة العائلة الآرية أو الهند الجرمانية العظمى فان الله عندهم هو النور أو الشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع . ويشتق منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة

على الله . فى لغة السنسكريت (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) و يعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيوس) وعند اللاتين (دووس) الى آخرماتقدم فى ﴿ سورة النور ﴾ فارجع اليه إن شئت

فانظر كيف رجعت الأمم القديمة وألهم علماؤها ولوكانوا ضالين أن يعبروا عن الخالق جل وعلا باسم النور وهذا المقام يناسب ماتقدم فى ﴿ سورة النور ﴾ من قوله تعالى ــ الله نور السموات والأرض ــ وانما ذكرناه هنا لأننا سنبحث فى دائرة الوجود كما سترى

ولما كان الله هو الأوّل والآخر حسن أن نذكر ما يناسب المقام من قدسه وقول العالم فى جماله وكماله . ولما كانت تلك الأمم قد سارت على الدرب ولكنها أخطأت المنهج جاء الاسلام فقال الله فيه ــ الله نور السموات والأرض ــ وأعقبه بقوله ــ مثل نوره ــ الخ فأدخل فيه المثل وقال فى نهاية الآية ــ و يضرب الله الأمثال للناس ــ الخ ☆ وفى الحديث « قيل له عليه الصلاة والسلام هل رأيت ربك ؟ قال نور انى أراه » وفى حديث الاسراء « لما قرب ﷺ من سدرة المنتهى غشى السدرة من النور ما حجب بصره من النظر اليها » وفى كتاب مسلم « إن لله حجابا من نور لوكشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » وفى بعض روايات الحديث « سبعين حجابا من نور » قال ابن رشد إن هذا المثال شديد المناسبة لله سبحانه وتعالى لأنه يجتمع فيه انه محسوس تعجز الأبصار عن ادراكه وكذلك الأفهام مع انه ليس بجسم والوجود عند الجمهور انما هو المحسوس والمعدوم عندهم هو غير المحسوس ، والنور لما كان أشرف المحسوسات وجب أن يمثل به أشرف الموجودات ، وهنها أيضا ﴿ سبب آخر ﴾ وذلك ان حال وجوده من عقول العلماء والراسخين فى العلم عند النظر اليه بالعقل هى حال الابصار عند النظر الى الشمس بل حال عيون الخفافيش وكان هذا الوصف لائقا عند الصنفين من الناس ، وأيضا ان الله تبارك وتعالى لما كان سبب الموجودات وسبب ادراكنا وكان النور مع الألوان هذه صفته أعنى انه سبب وجود الألوان بالفعل وسبب ادراكنا ورؤيتنا لها فبالحق ماسمى الله تبارك وتعالى نفسه نورا ، ولقد سكت الشرع عما هو فوق ذلك فان البحث العلمى يقضى أن الله ليس بجسم ولا عرضا فى جسم ولكن لايعقله إلا من أدركوا ذلك بالبراهين وعرفوا حقيقة النفس الانسانية وانها مجرّدة عن المادّة ثم يترقون الى ماهو أرقى من ذلك . هذا ملخص ماقاله رحمه الله تعالى

فشريعتنا المطهرة ورد فيها التعبير عن الذات العلية بالنور وذلك مقبول عند العوام بلا بحث وعند الخواص على سبيل المثل ☆ وورد « ان المؤمنين يرون ربهم كما يرى القمر ليلة البدر » فالعامّة لايجوز للعالم أن يبحث معهم فى أكثر من هذا ، فأما العالم فانه يفهم أن العروج الى الله انما يكون بانكشاف الحقائق وادراك الدقائق حتى يعرف الانسان ربّه ، فالنور أحسن مثال فى كل مقام عند العامّة وعند الخاصة ، فينتج من كل ماتقدّم أن العلم وانكشاف الحقائق هى المعارج لمعرفة الله تعالى ولقائه والحظوة بشرف الوصول اليه وإذن فلنبحث فى المقام الأوّل من المقامات الأربعة فى اللطيفة الأولى وهو مقام تنزّل العالم من مقام القدس الى تمام غاياته فأقول

يقول الله تعالى ــ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ــ إن تنزيل الأمر من السماء الى الأرض يقتضى البحث فى ﴿ غرضين ☆ الغرض الأوّل ﴾ النظر فى منشأ هذا العالم من مبدئه فان أصله الأثير وفيه تكوّنت المادة الأولى التى اضطرب العلماء فى معرفتها وقرّ قرارهم انها حركات فى الأثير ، فكل عنصر من العناصر المعروفة يخالف الآخر فى نوع حركاته التى هى فى تركيبه ، وباختلاف هذه الحركات اختلفت الخواص واختلفت المركبات ، إن هذه العناصر لم تظهر فى بادئ الأمر ، إن الشمس كانت كرة نارية و بقيت هكذا ملايين من السنين وهى تدور بحركات دورية كما هو المعوّل عليه الآن ثم انفصلت منها السيارات الدائرة حولها ومنها الأرض وذلك بالتبريد المستمر لتلك الحرارة ، وهذه الأرض خلق عليها المعدن والنبات والحيوان والانسان بالتدريج

فهذا

فهذا الترتيب هو المقصود من الغرض الأول فى هذا البيان ﴿ الغرض الثانى ﴾ ان هذه العوالم أثناء تنزّلها من العالم الألطف الى العالم الأكثف جاءت صفا صفا ، ومعنى هـذا انها ليست فى مرتبة واحدة فان العناصر ومركبات العناصر ليست كلها فى درجة واحدة فى صفاتها بل اختلفت الصفات لاختلاف الأغراض

فاذا عرفت تنزيل الله للعوالم من حالها الأوّل حال البساطة والنور الى حال الكثافة والتركيب طبقا عن طبق ودرجة بعد درجة حتى تصل الى الحال الانسانية والانسان يصل الى حال الموت فان العالم أشبه بجيوش مختلفة وكل منها له تعاليم مخصوصة وحركات تناسبه ، أوكتلاميذ فى مدرسة وكل منهم له استعداد خاص ودرجات فى العلم تخالف اخوانه فيكون لهم ترتيب حسب درجات علمهم فاذا خرجوا من المدرسة كان لكل منهم شأن على حسب تعليمه ، ولأوضح لك ذلك ﴿ بأربعة أمثلة ﴾ من علم الكيمياء حتى ترى جمال الله وحكمته وكيف جعل الأشياء مختلفة ليرحنا بها ولوكانت متفقة فى تنزّلها لنا لهلكنا ، واعلم أن هـذه المسائل الأربعة الآتية يدرسها علماء الكيمياء ولكنهم لا يفطنون الى هـذا الجمال والنور الذى سأذكره لك ، إن علماء الكيمياء لايهمهم منها إلا مايهم الطبيب من جسم المريض . يبحث فيه عن علة يداويها ولكن لايخطر بباله النظام والجمال فى تركيبه كما لايخطر ببال الزارع بهجة النظام الداخلى فى الزرع بل كل منهما مهتم بما فيه عمله . واياك أن تظنّ أن ما أذكره من عويص مسائل الفنّ بل هو من متناول أكثر الأفهام فأقول

انظر الى الحديد فى شباك منزلك ، والنحاس فى أوانيك ، والذهب والفضة فى نقودك ، والرصاص فى البنادق وفى أنابيب الماء الجارى فى منزلك . إن هذه المعادن ينتفع بها الناس كما ينتفع الزارع بزرعه والطبيب بتشريحه للجسم ولكنهم قط لايفكرون فى نظامها إلا قليلا ، وأما فكر الكيماوى فللدراسة البحتة

إن هذه المعادن تختلف من حيث قوّة المتانة ومن حيث قابليتها للطرق أى لاحالتها الى صفائح ومن حيث توصيلها للحرارة ومن حيث صهرها (انظر هذا الجدول)

المعدن	المتانة	توصيلها للحرارة	صهرها
الحديد	٢٥٠ كيلوجرام	١١ر٩	٢٥٠٠
النحاس	١٣٧ »	٧٩ر٥	
البلاتين	١٢٥ »	٨ر٤	
الفضة	٨٥ »	١٠٠	١٠٠٠
الذهب	٦٨ »	٥٣ر٢	٤١٢
الخارصين	٥٠ »	١٩ر٣	
الرصاص	٥ر٥ »	٨ر٥	٣٢٤
الصوديوم			٩٥
البوتاسيوم			٦٢ر٥
الزئبق			٤٠

وقابليتها للطرق على هذا الترتيب (ذهب . فضة . الومينيوم . نحاس . رصاص . خارصين . بلاتين . حديد) لعلك تريد ايضاح هذه الجداول فاعلم أن المتانة هى ما يكون فى الفلز من المقاومة عند قطع سلك منه قطره اثنان من المليمتر ، ويلزم لقطع كل فلز وزن مختلف مقدّر بالكيلوجرام ، فلوأنك أتيت بسبعة أسلاك كل منها قطره مليمتران ، وهذه الأسلاك السبعة من المعادن السبعة المذكورة فانه يكفى (٥ر٥) كيلوجراما لقطعه اذا كان رصاصا والحديد يلزم (٢٥٠) كيلوجراما لقطعه فيكون الحديد أمتن من الرصاص نحو (٤٥)

مرة ، ومن الخارصين نحو (٥) مرات . ومن النحاس نحو مرّتين . ومن الفضة نحو ثلاث مرات . ومن الذهب نحو أربع مرات . فأما توصيل الحرارة فان الفضة أكثرها توصيلا لها . فاذا جعلناها مائة أى جعلنا قوّة توصيلها للحرارة مائة درجة فالنحاس نحو ثمانين من هذه المائة والذهب نحو النصف والخارصين نحو الخمس والحديد نحو العشر والرصاص قريب من العشر والبلاتين كذلك

وأما قابليتها للطرق بأن تجعل صفائح فالذهب أوّلها وهكذا ما بعده والحديد آخرها . وأما صهرها فان الزئبق أسرعها صهرا والصوديوم ضعفه تقريبا والرصاص مقداره ثمان مرات والخارصين قدره نحو عشر مرات والفضة قدره (٢٥) مرة لأنها ألف درجة بميزان الحرارة المعتاد والزئبق (٤٠) به والحديد قدر الفضة مرّتين ونصف والعبرة فى الصهر وحده بميزان الحرارة المعلوم . وههنا أيضا أمر خامس وهو التطاير فالزئبق يطير على درجة (٣٦٠) والصوديوم على درجة (٨٠٠) والخارصين على درجة (١٠٠٠) بميزان الحرارة المعلوم . فإذن ميزان الحرارة معتبر فى الصهر وفى التطاير ويعتبر فى توصيل الحرارة وفى الطرق وفى المتانة النسبة بينها كما وضحناه

فانظر أيها الذكىّ الى الحديد مثلا . ألا ترى انه أمتنها كلها . ألم تر انه أمتن من الرصاص (٤٥) مرة كما قدمته لك ، ثم انه هو نفسه لا يصهر إلا على درجة (٢٥٠٠) فهو أبعدها عن أن يسيل وأيضا توصيله للحرارة ضئيل فهو نحو عشر الفضة فى التوصيل وهو آخرها فى الترتيب لقابليته الطرق ليجعل صفائح . إذن الحديد هو أمتنها وأبعدها عن الصهر ومن أقلها توصيلا للحرارة وأقلها كلها للطرق . أفلا ترى أن هذه المزايا فيه جعلته عاما فى كل الصنائع وعلى ذلك نراه كثيرا فى الوجود ، ألست ترى أن الحكمة متقنة بحيث يكون ما منفعته أكثر والناس اليه أحوج فى الامور العامّة كثر وجوده

هذه هى العلوم وهذه هى الحكمة . انظر الى الذهب . انظر الى جماله . إياك أن تقول ان جماله ما يفهمه العامّة و بعض الخاصة من شكله البهج ولونه الظريف المفرح . كلا . ولا من غلوّ ثمنه وارتفاعه . كلا . إن كل ذلك إلا متاع يشترك فيه الناس ولكن الجمال هنا ما نسمعه من صوته الرخيم ووجهه الجميل فى العلم فلو أنه نطق لقال « أنا أقلّ متانة من الحديد نحو أربع مرات . إن المتانة كالحديد فى قوّته لا منفعة لها عندى . وانما متانتى على مقدار الحكمة . ألست زينة للغانيات . ونقودا فى المعاملات . فما عندى من المتانة يكفينى فهل أحمل أثقالا أو أجعل فى سقف أو فى محراث ؟ وأى آلة من الآلات ؟ لذلك لم تكن المتانة إلا على مقدار المنفعة والعمل ، ثم إنى أوّل قابل للطرق والفضة بعدى ليسهل على الناس جعلى نقودا وحليا ، فلو أنى عصيت عن ذلك ولم أقبل الطرق ولم أسهل على الناس كالحديد لتعطلت نقودهم وزينتهم . هكذا الفضة بعدى فأما توصيلى للحرارة وصهرى فانهما على قدر الحاجة . لذلك ترانى فى المعادن تحت الجبال وفى الرمال أقلّ وجودا ولو كثر وجودى لضاعت معاملات الناس ، ولم يجدوا حكما يحكم بينهم فى معاملاتهم ، إنى وضعت على قدر الحاجة فى الأرض ، فأنا القاضى فى المعاملات والقضاة عندكم قليل على قدر الحاجة وحفظ النظام ، فأما الفضة فانها فى معدنها أوفر لشدّة حاجة الناس اليها فى المعاملة ولاضطرار الناس اليها فى صغيرات الامور ودقيقاتها »

و يقول النحاس « أنا أقلّ متانة من الحديد ، وأنا من أسرع الفلزات كلها توصيلا للحرارة وانما كان ذلك لأصلح لطبخ الطعام وغلى الماء . فأنا سريع التوصيل لها . ولست سريع الصهر . أما الماء فانه يغلى و يبخر فى الأمتعة التى تصنع منى . فأنا سريع التوصيل لأحيل غيرى من لحم الحيوان والخضر والماء وجميع ما يصنع الناس فىّ فهو يحوّل الى صور أخرى . أما صورتى النحاسية فهى باقية . فالتوصيل للحرارة سريع وصهرى غير سريع . لذلك كنت أثاثا ومتاعا الى حين . وكثر وجودى . فأنا أكثر من الفضة ومن الذهب لحاجة الناس الىّ »

إن هذا هو الذى تنطق به المعادن اذا نطقت . إن هـذه هى الحكمة التى يسمعها الحكماء اذا مرّوا فى هذه الأرض ليحملوا ذلك الى عالم آخر ينظرون فيها و يتفرجون على مافيها من هذه النظم الشارحة للصدور المسعدة للعقول — إن ربك حكيم عليم — و بهذا تمّ الكلام على المقام الأوّل

﴿ المقام الثانى . رجوع الأمر الى الله تعالى ﴾

اعلم أن هذا العالم كله سائر من الكثافة الى اللطافة كما انه تنزّل من اللطيف الى الكثيف . فانظر كيف ترى الانسان وهو بعض هـذا العالم قد خلق من الموادّ المظلمة الأرضية ثم انها تلطف فيه حتى يرى منها موادّ كالزجاج فى العين ومواد أخرى فى المخ . و بهذه الوسائط قبل أن يتخيل و يعرف هذا العالم و يتصوّر السموات والأرض فيصبح عقله كأنه العالم كله . أليس العالم بعـد أن كان كثيفا فى خارج الحواس أصبح عالما لطيفا داخل النفس بل هو ألطف من الأثير بل هو أشبه به لما كان فى علم الغيب وكأنه رجع الى سيرته الأولى وان كان هنا مختلفا باختلاف العقول لنقصها وهناك لاتغيير لنظامه . فهذا هو المقام الثانى

فالمقام الأوّل يشار اليه بقوله تعالى — يدبر الأمر من السماء الى الأرض — وقد عرفت التدبير بالنشوء أوّلا وترتيب الدرجات ثانيا . والمقام الثانى — ثم يعرج اليه — وذلك بالرجوع الى العالم اللطيف ومبدأ ذلك الرجوع تعقلنا وفهمنا فى الأرض وعملنا . وهناك بعد الموت مفاوز ومسالك يختلف الناس فيها اختلافا كثيرا وهم سائرون وسيأتى شرحه

﴿ المقام الثالث هو الجمال ﴾

والجمال قد عرفت انه فى حسن الوضع واتقان الصنع وايجاد النسب بين المخلوقات كما سمعته فى حديث الذهب والحديد والنحاس ، وأن الانسان يسمع نطق تلك المعادن إن كان من أولى العلم العاقلين ، فهذا هو حسنها اهـ

﴿ المقام الرابع . نشأة الانسان وعروجه ﴾

وهذا هو قوله تعالى — و بدأ خلق الانسان من طين — الى آخر هذا المقام كأن الله عزّ وجل بعد أن ذكر العالم اجمالا من حيث تنزّله من الألطف الى الأكثف بالتدبير وعروجه ثانيا أراد أن يبين لنا مايهمنا نحن فى الأرض و يقول إن المهم للانسان البحث فى حاله هو فانه نموذج العالم كله . فلئن تنزّلت العوالم من كونها أثيرا الى انها صارت سموات وأرضين الى معدن الى نبات الى حيوان . فأنتم كنتم نطفا فصرتم أجنة فمولودين فرضعا وأطفالا فراهقين ولكم سمع وأبصار وعقول فهذا النشوء فيكم كنشوء العالم الذى حولكم — ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة —

ثم انكم بعد ذلك تعرجون الى العالم الأعلى فان فيكم الروح وهى تنمو كما رأيتم الجسم ينمو . ألاترون الى الأطفال لاينظرون إلا الى شهواتهم . ألاترون الى الشيوخ والكبار فى السنّ . ألاترون أنهم يهتمون بأبنائهم و بناتهم . أليس ذلك رقيا فى العواطف وحبا وكمالا . ذلك نموذج لرقى الأرواح فى الأرض ثم انكم تسيرون فى الأرض وأنتم مختلفون فى طبائعكم . فكما أنكم ترون أن الزئبق أسرعها صهرا بحيث يذوب على درجة (٤٠) بميزان الحرارة المعتاد والرصاص مقداره ثمان مرات والخارصين قدره نحو عشر مرات والفضة قدره (٢٥) مرة والحديد قدره نحو (٦٢٫٥) بحيث يحتاج الى حرارة الزئبق مضاعفة اثنتين وستين مرة ونصفا هكذا يكون الناس وهم سائرون الى ربهم فمنهم البطىء كالحديد وهم كثير كما كثر الحديد . ومنهم السريع وهم يقلون كما يقل الذهب والناس فى الأرض سائرون الى الكمال ولكن درجاتهم كدرجات المعادن كما قال النبى ﷺ ﴿ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ﴾ وهذا هو سرّ الحديث و به تفهم قوله تعالى — قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون — وهذا الرجوع مقدّر بألف سنة و بخمسين ألف سنة و بأقل و بأكثر * والعبرة فى ذلك باستعداد الانسان نفسه . إن نفس الانسان فيها ذلك وفيها استعدادها فهى إما

كالذهب استعدادا واما كالحديد واما كالزئبق فى السهولة . وترى المصلحين للأمم أشبه بالراديوم الذى يحوّل المعدن الى معدن آخر وهم قليل وترى الحكماء يقلون عن العلماء على ترتيب المعادن

إن الناس اليوم يشاهــدون نظام المعادن مغروسا فى فطرهم فيه يختلفون . و بعد الموت يرى الانسان الى أين وصل . بل لوآتاه الله ذكاء لعرف فى الدنيا أن الوصول لله على مقدار العلم والحكمة والبعيدعنه على مقدار التمسك بالأرض وحبها . وهذا المقياس هوالأصل والناس درجات فيه . فهذا هوالجهاد الذى يخص كل نفس . فاذا جاء يوم القيامة وقفوا هناك للحساب وكان طول الموقف لكل على مقدار ما كسبت كما تفيده الآيات والأخبار فمن مقدارصلاة ركعتين الى ألف سنة الى خمسين ألف سنة ـ إن الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ ولنذكر هنا ﴿ شذرتين ﴾

﴿ الشذرة الأولى ﴾

اعلم أن الصــلاة فيها مايذكر الانسان بالنشأة الأولى وبالنشأة الآخرة . يقول المسلم ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ﴾ وهــذا هو قوله ـ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ـ ويقول المسلم أيضا ﴿ إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله ربّ العالمين ☆ لاشريك له و بذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين ﴾ وهذا هوالعروج الى الله . ويقول المسلم ﴿ الحمد لله رب العالمين الخ ﴾ وهذا هوتدبيرالأمر وتنزّله ، ويقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ويذكرالمنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وهذا هوالمثال المضروب فيما تقدّم بالمعادن واختلافها وأن الأكثرللأعمال الجسمية كالحديد والنحاس والأقل للعلم والخلوص من المادة كالذهب والراديوم ، ويقول المسلم ﴿ اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيخ الدجال ﴾ وهــذا أشبه بتسليط الحرارة على المعدن حتى يذوب ، وهذه الأدعية تسلط على الأرواح عسى أن تصفو فتخرج من المادّة ، فلا موت ولاحياة جسمية ولا كذب ودجل كما هو حاصل الآن فى الأرض بين الشرق والغرب من الأكاذيب والضلالات والجهالات والظلم وهكذا مابعد الموت فيدعوالمسلم أن يخلص من هذه الأرض بالعمل الصالح والكمال

﴿ الشذرة الثانية ﴾

(محاورة بينى و بين بعض أصدقائى من مفتشى وزارة المعارف)

قال لى . اذا كان أكثرالناس فاسقين جهلاء فأين ارتقاؤهم ؟ إن ذلك أمردرسته فى أوروبا وفى الشرق « ان الناس جميعا لايسـيرون إلا على حسب المصالح لا الأخـلاق ، بل الصالحون فتش عنهم تجد فى قلوبهم خبثا وشهوة إلا قليلا » . فقلت هكذا يكون النظام . فقال إذن أين الرقىّ ؟ فقلت الرقىّ بهذا يكون . قال وكيف ذلك ؟ قلت إن هذه النفوس المنحطة هى شياطين الانس وهم كشياطين الجنّ . قال وأىّ ذنب جنوه قلت المقام ليس مقام ذنب بل هونظام . فقال بين ماتقول . فقلت ألست ترى للذباب فائدة وهكذا الناموس انهما يلتقطان العفونات من الأرض والرطوبات . انهــما خلقا ليطوفا بأنحاء البرك والرطوبات فيصفوالجوّ ثم ينقلان العدوى من زيد الى عمرو ليموت من لم يكن مستعدّا للبقاء ويحيا من هو أهل للبقاء ، وهذا حسن فى النظام ، وترى العين القذرة يضع فيها الذباب بيضه فيصيردودا ايقاظا للناس أن ينظفوا أماكنهم وأجسامهم فكأنه يقول « أنا آكل القذى من أعينكم حرصا عليكم ولكن لابد من الفائدة لى وهى انى أربى أبنائى فى أعينكم ولوأضرّها ذلك لأن الغنم بالغرم ، وهاأنا اذا عملت لى ولكم فلونظفتم أجسامكم وثيابكم ما آذيتكم »

فقال . هلا كانت العملية كعملية علم الجبر . إن الزائد والناقص يتماحيان فلاقاذورات ولاذباب . ولماذا هذا ؟ فقلت له إذن يكون معنى كلامك أن الحياة لا يكون فيها هذه القاذورات . قال نعم . قلت ولا يكون فيها نمل والنمل يأكل الدود والدود يأكل الخشب . و بسبب النمل تعيش أنت تحت هــذا السقف فان الخشب اذا

كان متينا كالسلط فان الفضل فيه انما هو للنمل الذى يأكل الدود الذى يضرّ به . قال كان يكفى أن يخلق الخلق بلا دود . قلت أنت تريد ألا يكون هذا الوجود . قال وكيف ذلك ؟ قلت لأنى الآن أرى فى جسمى معامل تعمل صناعات تعدّ بالآلاف . فكأنك تقول يجب ألا تكون عين ولا أذن ولا أسنان ولا ريق ولا معدة ولا أمعاء ولا كبد ولا طحال لأن أكثر هذه انما هو للعمل فى الطعام . ولماذا يكون الطعام ونحن نجد أن الصبار الذى يزرعه الناس على مقابرهم يعيش بالهواء وبالبخار فيه ولا يحتاج الى الأرض ولا الماء فكان خيرا لنا أن نعيش كما يعيش ذلك النبات . واذا قلت ذلك فانك لا تريد أن أكون انسانا بل أكون نباتا . وأيضا لا تريد أن يكون هذا العالم الذى أعيش فيه عالما منظما بل تريد أن يرجع الى السكون والموت فان هذه الأعمال معناها الحياة وما تقوله موت . والحياة تقتضى الماء والهواء والماء تبقى منه رطوبات وهذه الرطوبات لابد لها من ناموس يلتقطها ودود فى الأشجار فاذا منعت الرطوبات فعناها أنك لا تريد أن يكون فى الأرض ماء والماء من لوازمه أن تبقى له آثار فى الأرض . واذا كان الذباب ومثله ضروريا فى عالمنا الناقص الأرضى فلنقل كذلك انه يلزمه شياطين الإنس والجن وما يفعل الشياطين إلا أنهم يمرضون العقول ويؤخرون ارتقاء الناس وهذا مقصود من العناية الإلهية فان النفوس المنحطة فى أرضنا أشبه بالحديد أو النحاس لابد منهما . فتأخير هؤلاء عن الرقّ من متممات العالم الأرضى ، وأن الدول القوية تؤخر الضعيفة وتمنع عنها العلم ، وهذا فعل شياطين الانس والوجود يحويه كما يحوى شياطين الجنّ

فلما سمع ذلك صاحبى سرّ سرورا عظيما وقال هكذا يجب أن يكون يقين الانسان ، يجب أن يكون يقينه مبنيا على الحكمة كما سمعت . ثم قال وما نتيجة ذلك كله . قلت نتيجته الصعود الى عالم أعلى فان الناس يسيرون فى عوالم وراءها عوالم ، وأن الجنات درجات بعضها فوق بعض ☆ وقد قال علماؤنا فى قوله تعالى ــ ولدينا مزيد ــ هو زيادة الانكشاف ولقاء الله وأهل الجنة يرون ربهم من وقت الى وقت على مقدار ما كانوا يذكرونه فى الدنيا ثم يرتقى منهم طائفة فيغادرون هذه الطبقات ويكونون أعلى منها فى عالم كعالم الملائكة وهو عالم ألذ من عالم الجنة المعتاد عند العامّة . قال وهل قال ذلك أحد من المفسرين . قلت نعم قال الفخر الرازى فى قوله تعالى ــ والنازعات غرقا ☆ والناشطات نشطا ☆ والسابحات سبحا ☆ فالسابقات سبقا ☆ فالمدبرات أمرا ــ فالروح إما أن تخرج بشدّة ، واما أن تخرج بسهولة ، وهى المعبر عنها بالناشطات نشطا ثم انها تسبح فى تلك العوالم ثم تسبق ثم تكون فى عالم كعالم الملائكة بحيث يكون الانسان فى الدنيا يؤهل بعض أفراد منه الى عالم على مقدار علمه وخلقه والباقى أقلّ من ذلك ، ولا يسعد الانسان بلقاء الله على الوجه الأكمل إلا اذا أحبّ نوع الانسان كله وسعى له فى الخير على مقدار امكانه وأحب العلوم وهو مغرم بها . فهذا الانسان ربما يكون فى مصاف تلك الأرواح والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وبهذا تمّ الكلام على اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ــ الذى أحسن كل شئ خلقه ــ ﴾

اعلم أيها الذكىّ أن فى هذا المقال « مقامين ☆ المقام الأوّل » فى احسان خلق النبات « المقام الثانى » فى احسان خلق أفضل الحيوان وهو الانسان

﴿ المقام الأوّل فى إحسان خلق النبات ﴾

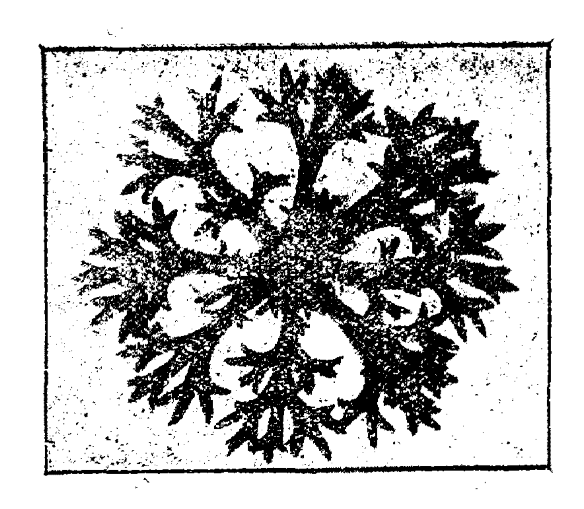
تباركت يا ألله ، أحسنت كل شئ ، ومن أحسن وأبهر ما أحسنت من مصنوعاتك مناظر النبات الجميلة البهية الحسنة الأشكال التى اذا نظرها الحكيم المغرم بالجمال أنشد قول ابن الفارض رحمه الله

تبارك الله ما أحلى شمائله ☆ فكم أماتت وأحيت فيه من مهج
وأرحم البرق فى مسراه منتسبا ☆ لثغره وهو مستحى من الفالج

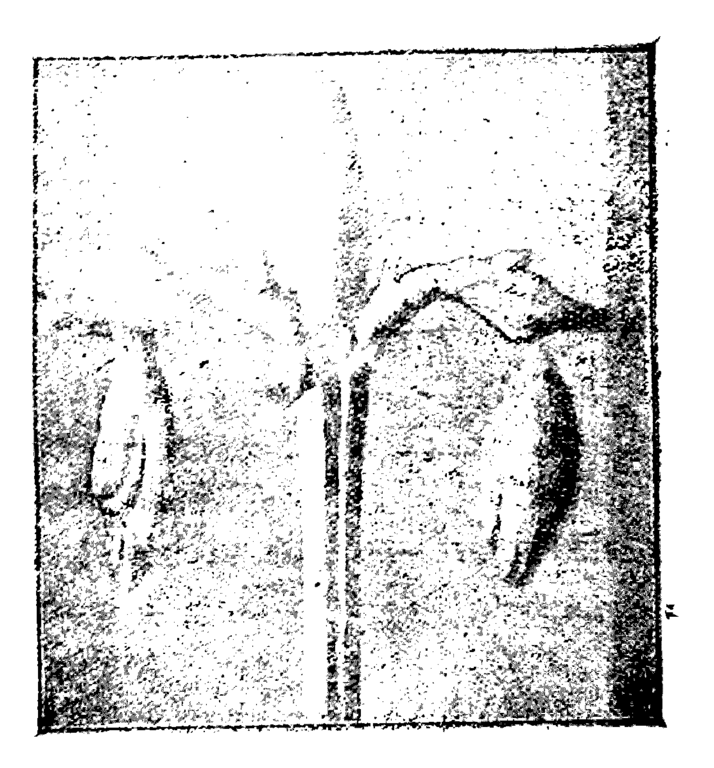
تراه ان غاب عنى كل جارحة ☆ فى كل معنى لطيف رائق بهج
فى نغمة العود والنأى الرخيم اذا ☆ تألفا بين ألحان من الهزج
وفى مسارح غزلان الخمائل فى ☆ برد الاصائل والاصباح فى البلج
وفى مساقط أنداء الغمام على ☆ بساط نور من الأزهار منتسج
وفى مساحب أذيال النسيم اذا ☆ أهدى الى سحيرا أطيب الأرج
لم أدر ماغربته الأوطان وهو معى ☆ وخاطرى أين كنا غير منزعج
فالدار دارى وحبى حاضر ومتى ☆ بدا فمنعرج الجرعاء منعرجى
ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم ☆ بسيرهم فى صباح منك منبلج
فليصنع الركب ماشاؤا بأنفسهم ☆ هم أهل بدر فلايخشون من حرج

كأنى بابن الفارض وقد بهره البرق فى مسراه والغزال فى مرعاه والمطر فى مجراه والندى فى مجلاه والزهر فى بهاه ، قد رسمت هذه المناظر فى لوح خياله فامتلأ جمالا وابتهج اشراقا فنطق بما قرأته الآن

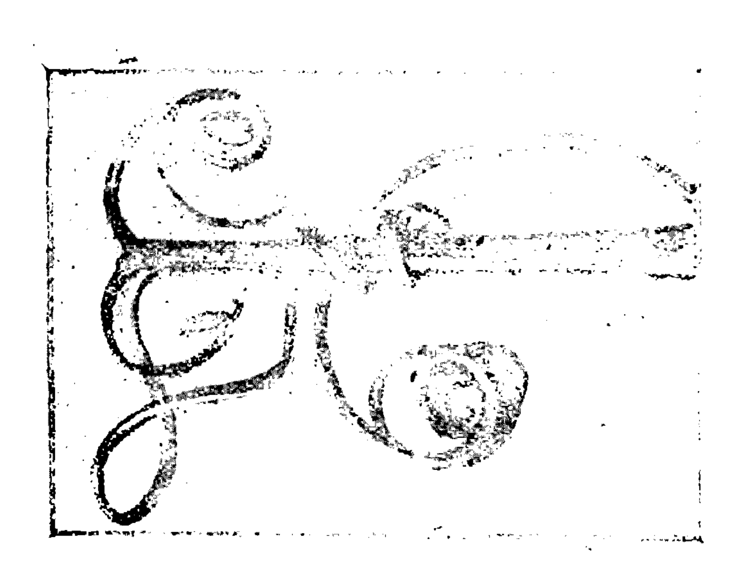
وهاأنا ذا أيها الذكى أرسم لك صورا بهجة جميلة حسنة المناظر بديعة المحاسن لينشرح صدرك بمرآها ، وتبتهج روحك بمنظر حلاها ، والمناظر التى تراها الآن على ﴿ قسمين ☆ القسم الأول ﴾ ماتسر العين بهجته ﴿ والقسم الثانى ﴾ مايبتهج القلب بحكمته ، فالقسم الذى تسر العين بهجته ما نظرته فى بعض المجلات العلمية وهى « مجلة الجديد » (انظر الأشكال الآتية)



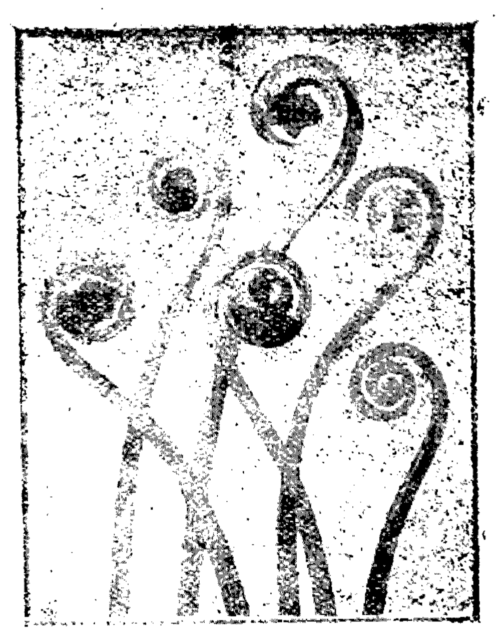
(شكل ٢٢ — ما أبدع أن تنقش هذه الحلية من الخشب أو الحجر أو الحديد ولكنها ليست بحلية بل هى ورق شجرة (سكسيفرانا ويلكومانيانا) وقد كبرها المصور ثمانى مرات)



(شكل ٢٣ ـ نبات ال (فورسيثيا) وله شكل سنان الرمح)



(شكل ٢٤ ـ هذه الحلية البديعة لم يصنعها فنان ماهر بل هي من صنع الله ، انها سيقان وجذور نبات القرع ، مكبرة أربع مرات)



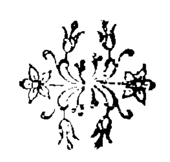
(شكل ٢٥ ــ نبات أميركى يعرف بشعر العذراء واسمه العلمى «اديانتم بيداتم» وقد كبره المصوّر ثمانى مرات ، ألا ترى هذا النبات الغريب فتطنه قضبان الحديد التى كانت تسور الحدائق والقصور فى القرن الخامس عشر)



(شكل ٢٦ ــ نبات ال «دلفنيوم» وشكله يحاكي (الشمعدانات) التى كانت تستعمل قديما)

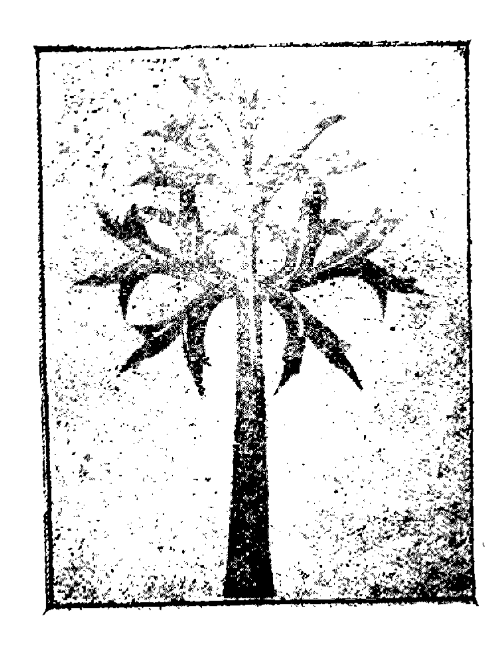


(شكل ٢٧ — هـذه صورة ورق قد جف على عود ، ولك أن تتخيلها مقبض سيف أوحلية تنقش على الأسلحة ويعرف باسم « حوض فينوس » مكبرة أربع مرات)





(شكل ٢٨ - صورة سنان رمح من صنع الله)



(شكل ٢٩ ـ ماذا نرى ؟ أحلية لاحدى نوافذ القرن الثالث عشر، أم شعبة من شعاب الماء ؟
لاهذا ولاذاك بل هى ورقة من شجرة (إرينجو بورقى) قد كبرها المصور خمس مرات)



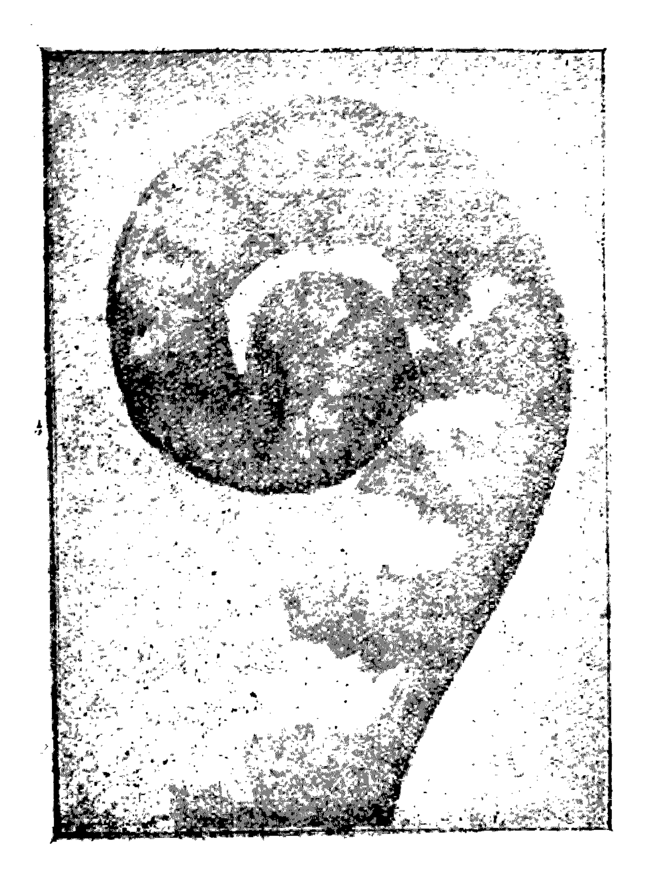
(شكل ٣٠ ـ نبات « اسبلديم فليكس ماس » مكبر أربع مرات
ألا تراه يشبه حلية صليب الأسقف وسواها)



(شكل ٣١ ـ صورة غصن من شجر « الزبيب الأسود » ولعمرى ان حلية تصنع على طراز هـذا الغصن المزهر لتدل على ذوق سليم وجمال فنّ ظاهر ، مكبرة خمس مرات)



(شكل ٣٢ ـ روح الرقص وشكله ، نبات البيش « خانق الذئب »)

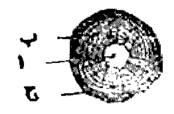


(شكل ٣٣ ـ نبات السرخس)

وبهذا انتهى الكلام على القسم الأول من المناظر التى تسر العين ببهجتها

﴿ القسم الثانى مايبتهج القلب بحكمته ﴾

وذلك مثل ماجاء فى كتاب الاستاذ (پول برت) فى العلوم الطبيعية الذى كان أستاذا فى (السوربون) بفرنسا ، وقد ترجمته الى الانجليزية زوجته (مدام پول برت) فالقسم الأول يعرفه الانسان بمجرد النظر اليه أما هـذا القسم فلابد له من علم وحكمة ودرس وطول تجربة ، وفى هذا العصر قد قرّب رسم الصور المعانى الدقيقة التى سترى بعضها هنا ، فانظر كيف يقول فى (صفحة ٨٥) وما بعدها ماترجمته من كلامه فى علم النبات قال عند الكلام على ساق الشجرة وقد رسم هذا الرسم (شكل ٣٤)



(شكل ٣٤ — (ا) القلب (ب) الخشب (ج) القشر)

« لنتكلم أوّلا عن جذع الشجرة ونشقه ، فانا نراه مقسما ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (ا) و (ب) و (ج) فالقلب (ا) وهو أبيض وناعم ، ويليه الخشب (ب) وهو صلب ويليه (ج) وهو القشر وهو أخضر ولطيف وفى الامكان أن يشق فيجعل سيورا وهذا الامتحان فى الشجرة الحديثة العهد من أشجار (الكمثرى) التى نبتت فى العام الماضى من جذور شجرة قديمة العهد أهلكها برد الشتاء القارس وساقها بلاريب لدن طرىّ ، ولكن اذا نظرنا الى هذا الشكل الذى يمثل شجرة قديمة (انظر شكل ٣٥) فى الصفحة التاليه



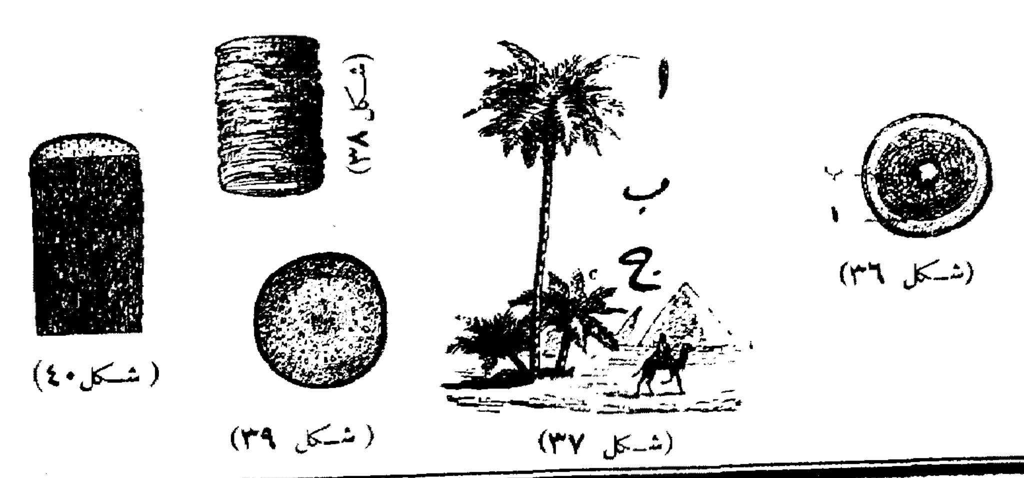
(شكل ٣٥ ــ رسم قطعة من ساق شجرة الكمثرى القديمة)

(ا) قلبها الذى لايزيد بازدياد العمر

(ب) الخشب المركب من دوائر ملتف بعضها على بعض وكل دائرة تقابل سنة من سنى الشجرة

(ج) القشر

وانما رسمناها هنا للموازنة بين الحديث والقديم من شجر الكمثرى ويلحق به غيره ، فأوّل مانلاحظه فى هذا الشكل أن جذع الشجرة الكبيرة أكبر من جذع الشجرة الصغيرة فان قطر الكبيرة يبلغ نحو (٤٠) بوصة ، ومن المدهش أن نقول ان قلب الشجرة الكبيرة لم يكن أكبر من قلب الشجرة الصغيرة ، وهذا وان كان يدهشك هو الحقيقة عينها فليس للقلب نموّ والشجرة دائمة النماء ، أما القشر فانه لاهو أخضر ولاناعم ولكنه خشن وأغلظ من السابقين ، هنالك سأل أحد تلاميذه قائلا . هاهوذا قطع من جذع الشجرة القديمة هل تقدر أن تعدّ هذه الدوائر المنتظمة الملتئمة أمامك ، كم فيها ياجورج ، فقال هذه نحو (٦٥) ياسيدى فقال الاستاذ ولماذا تقول انها (٦٥) يابنىّ ؟ فقال لأن الحلقات (وهى تعدّ بكل سهولة عند القلب) مندمجة مضغوطة أشدّ الضغط بالقرب من القشر بحيث لا أتمكن من تمييزها إلا بصعوبة عظيمة . فقال الاستاذ ولماذا هذا ؟ فقال التلميذ اذا أصغيتم الى ماسأشرحه الآن ظهر لكم الجواب ، إن كل دائرة من هذه الدوائر تدل على سنة واحدة من حياة الشجرة ، واذا كانت هذه الدوائر (٦٥) فهذا عدد سنى عمر هذه الشجرة ، ولاريب أن مانموه الشجرة فى كل سنة لابد أن يتخذ له مكانا وهذا المكان لايخلو إما أن يكون بقرب القلب وهذا لا يمكن لأن هذه الدائرة اذا خلقت بين القلب و بين الدوائر الخشبية (وهى كلها صلبة لقدم مدّتها) حصل هناك تشقق فيها وتلف ، واما أن يكون بين الخشب و بين القشر . وهذا هو الحاصل فعلا . إذن الدائرة الجديدة تكون بعد آخر دائرة وتحت القشرة . وههنا أفاد بعض الطلاب وهو ابن نجار أن هذه الدائرة الجديدة التى تتولد بين القشر و بين الخشب تكون لينة بخلاف القلب فانه يابس جدا . ذلك لأن الأخير قديم العهد والأوّل حديثه . وعلى ذلك يكون إيقاد النار بالقلب أتم من ايقادها بالدائرة الجديدة لأن القلب كثير الاندماج غزير المادّة بخلاف الثانى . ومثاله الأشكال الآتية



(شكل ٣٦) (شكل ٣٧) (شكل ٣٩) (شكل ٤٠)

﴿ ايضاح الاشكال السابقة اجمالا ﴾

(شكل ٣٦) (ا) الخشب (ب) القلب

(شكل ٣٧) هو شجرة النخل وهى اسطوانية الشكل مستو أعلاها وأسفلها

(شكل ٣٨) جذع النخلة وهو مقطع الجريد

(شكل ٣٩) جذع النخلة المقطوع عرضا ، فلا قلب لها ولا دوائر خشبية يوافق أحدها الآخر ولا قشر لها

(شكل ٤٠) جذع النخلة المشقوق طولا مظهرا المادّة الليفية المقوية له

ولما كانت هذه الصور يعوزها الايضاح وجب أن أذكر ماقاله المؤلف فى شأنها فأقول

﴿ هيكل شجرة النخل ﴾

ثم قال المؤلف « هانحن أولاء قد أتممنا الكلام على شجرة الكمثرى وتاريخها الطبيعى وثمراتها فلأمتحن معكم شجرة أخرى تختلف كل الاختلاف عن جميع الشجر وهى (شجرة النخل) ، ومن سوء الحظ أن هذه الشجرة لاتنمو إلا فى البلاد الحارّة ، فاذا أردنا شجرة من هذا النوع فلامناص لنا من استحضارها من البلاد الحارّة ، وستسألون قائلين لماذا خصصت شجرة النخل بالبحث ؟ ألم يكن لك فى أشجارنا الكثيرة فى بلادنا مايكفى للدراسة ؟ حسن جدا أيها الأبناء ، ولكن ما فصلته لكم فى هيكل شجرة الكمثرى ينطبق انطباقا تاما على جميع الأشجار التى تنبت فى بلادنا

(١) فكلها ذات جذع أغلظ عند قاعدتها منه عند قمتها فهو جذع مخروطى الشكل كما يقوله علماء الهندسة

(٢) وأيضا لكل منها قشر على ظاهرها

(٣) وخشب تحت القشر وهو فى قلب الشجرة أصلب منه فى الذى بين القشر والقلب وهذا الخشب حلقات متوافقات منتظمات

(٤) وقلب . ولسوق جميع هذه الأشجار

(٥) أغصان

(٦) أو فروع خارجات من

(٧) البراعم اللاتى يكنّ عند آباط الأوراق

(٨) وهكذا لهنّ حبوب ذوات فلقتين

﴿ وصف النخل ﴾

أما النخل فانه مختلف كل الاختلاف عن ذلك كله وذلك لسبب يجب علىّ أن أخبركم به ، ومن حسن الحظ أنى قد هيأت لى الفرص أن أحوز صورا له تساعدكم على أن تفهموا ماوصفته لكم . فانظروا الى هيئة شجرة النخل (شكل ٣٧) ألستم ترونها تختلف عن أشجار غاباتنا اختلافا مبينا ﴿أوّلا﴾ انكم لاترون غصنا مّا على جذعها وانما ترون على أعلاها حرف (ا) فقط خصلة من الجريد والخوص الطويلات القويات المتينات ﴿ ثانيا ﴾ ان الجذع حرف (ب) من قمته الى قاعدته معتدل المقدار متساوى الأجزاء فهو إذن اسطوانىّ الشكل لامخروطيه فهو كهيئة المداخن . ثم إنكم ترون تحت الجريد والورق عراجين مدلاة وهى ثمرات النخل النافعات . وانكم اذا أردتم أن تعرفوا طول هذه النخلة فاحكموا عليها بموازنتها بهذا العربى الذى ترونه على ظهر الجمل . إذن علوّها (٤٥) قدما ﴿ ثالثا ﴾ انها لنخلة طويلة ولكن بجانبها نخلة صغيرة جدا وهى حرف (ج) لا تزيد على تسعة أقدام ارتفاعا . ولكن جذعها فى غلظه كجذع أختها الكبيرة . ومن العجب العجاب أن النخلة تنمو طولا ولكنها لاتنمو عرضا ولاتزيد عن الحالة الراهنة . وهذه فارقة أخرى

بين شجرة النخل وما لدينا من الشجر مثل الصنوبر وشجر الدردار والتفاح وهكذا . ثم انظروا الى جذع النخلة فى (شكل ٣٨) انكم لتجدون عليه سلاسل منتظمة تشبه السلالم . فما هذه إلا آثار الجريد الذى أزيل عن الجذع فى سنين مختلفات ولم يبق من الجريد إلا مافوق القمة . فهذه هى الخصلة الخصبة البهجة التى تزدهى النخلة بحليتها وبجمالها . إن هذه الشجرة لابرعوم لها إلا مافى قمتها كما رأيت وهنالك فقط يكون نموّها وإثمارها . فهناك لاترى عسلجا جانبيا . فلا يكون جريد ولاأغصان

﴿ الجذع ﴾

فهيابنا الآن نمتحن هذه القطعة الصغيرة من جذع النخلة المشقوقة عرضا (شكل ٣٩ المتقدّم) ما أدق نسيج قوامها المحكم الصنع المتقن الأجزاء . ههنا لاقلب . لاحلقات خشبية دائرات بعضها على بعض . لاقشر ولكن بدل الوضع المنتظم الذى اعتدنا أن نراه فى الأشجار نرى هنا كتلة ناعمة يبدو بها مالايحصى من القطع السود الصلبة اللاتى وضعت وضعا لانظام له ، ولكن لننظر ماهذه القطع السود ؟ اننا لأجل أن نحققها وجب علينا أن نقطع الجذع فى الوسط (شكل ٤٠) طولا لاعرضا لنقف على حقيقتها ، انظروا الى هذه المادّة الليفية الصلبة السوداء التى ترونها ممتدّة فى وسط المادّة الناعمة التى تشبه قلب أشجارنا فيما قدّمناه شبها قليلا أوكثيرا . فهذه المادة هى التى تظهر هيأتها أشبه بنقط سود فى القطعة المقطوعة عرضا التى امتحناها قبل هذه (شكل ٣٩ المتقدّم) ان هذه المادة الليفية اذا نظرنا لها نظرا سطحيا تظهر كأن وضعها غير منتظم وانها تضل فى وسط هذه الكتل الناعمة اللاتى وضعت هى فيها وتخللتها ، ولكن اذا دققنا النظر فاننا نلاحظ أن هذه الخطوط الليفية تأتى أوّلا من تحت خف الجريد على ظهر النخلة وتمتدّ فى داخل الجذع ، ومن هناك ترجع ثانيا الى سطح الجذع وهناك يكون انتهاؤها . إن هذه العروق الليفية ليست شيأ أكثر من خشب النخلة المرتب ترتيبا غريبا خاصا كما رأيت . إن هذه العروق الليفية الكثيرة العدد لتعطى جذع النخلة قوّة المقاومة الكافية لأن تستعمل استعمال الخشب فى منافع الناس ، وعلى ذلك يكون هناك فرق كبير جدا بين النخلة و بين (شجرة الجور) مثلا فى ﴿أمرين﴾ مظاهرها وتركيبها . ثم اننا بينما نرى البذرة فى (الجور) وفى كل ما شاكله فى التركيب لها فلقتان نرى أنها فى النخل لها فلقة واحدة ، وعلى ذلك يجعل النبات كله ﴿ قسمين ﴾ ذوالفلقة الواحدة وذوالفلقتين » اهـ

﴿ معجزة نبوية وعجيبة محمدية ﴾

(فى النخل وموازنته بالأشجار)

أيها المسلمون . هاهوذا العالم الفرنسى نظر فى الأشجار وهو يدرس لتلاميذه كما نظر علماء النبات فى جميع الكرة الأرضية . هؤلاء الذين حدثوا بعد آبائنا الأوّلين وتلقوا مبادئ العلم عنهم كيف نبغوا فى العلم ثم كيف كان هذا العالم هو المؤلف للكتاب بالفرنسية وزوجته هى المترجمة له باللغة الانجليزية لغة قومها . فواعجبا . الرجال والنساء معا يتعاونون على العلم ونحن قوم لم يتعلم أكثر رجالنا فى الشرق وجميع النساء . فماذا يقول ؟ يقول إن شجرة النخل تخالف جميع الأشجار فى هيئتها وفى جذعها وانه اسطوانىّ الشكل وانه لاأغصان له إلا فى أعلاه . وفى أن الخشب فى جميع الأشجار قد جعل بدله هنا ألياف . وفى أن القلب فى الأشجار جىء بدله هنا بمادة ناعمة . وفى أن الألياف القائمة مقام الخشب لم تكن حلقات بعدد السنين كما فى الخشب . كلا . بل وضعت وضعا غريبا

هذه هى آراء علماء النبات فى كرتنا الأرضية ، فلننظر إذن فى حديث البخارى فى ﴿ كتاب العلم ﴾ قال حدّثنا قتيبة ، حدّثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدّثونى ماهى ؟ فوقع الناس فى شجر البوادى ، قال عبد الله ووقع فى نفسى انها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا حدّثنا ماهى يارسول الله . قال هى النخلة . ثم قال باب طرح الامام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم . حدّثنا خالد بن مخلد حدّثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبىّ ﷺ قال إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدّثونى ماهى . قال فوقع الناس فى شجر البوادى . قال عبد الله فوقع فى نفسى انها النخلة . ثم قالوا حدّثنا ماهى يارسول الله قال هى النخلة » اهـ

هاأناذا أيها الذكى ذكرت نص مافى البخارى فقد ذكرها فى ﴿ كتاب العلم ﴾ وكرر الحديث لاختلاف الرواة . فانظر كيف ذكره فى باب العلم وكيف استدل به على طرح الاستاذ الأسئلة على تلاميذه أو الملك أو الخليفة على رعيته

عجب وألف عجب . نرى الاستاذ الفرنسى أظهر أن للنخلة ماليس للشجر فهى تخالفه من الوجوه المذكورة سابقا فأفردها بالذكر

فههنا « بابان من العلم ☆ الباب الأوّل » علم النبات وأن النخلة تخالف كل شجر فى الأرض حتى ان هذا العالم الفرنسى لما لم يجد شجرة نخل فى بلاده استحضرها من مصر عند الهرم موضع نباتها وعلم التلاميذ وهم يشاهدون صورتها « الباب الثانى » أن النبى ﷺ فى أسلوب تعليمه استعمل السؤال والجواب وهذا هو الأسلوب الذى يشحذ أذهان التلاميذ فى علم (البيداجوجيا) وهكذا فعل هذا الاستاذ الفرنسى فى الفرق بين النخلة و بين جميع الأشجار . أما أنا فأقول . إن الله لما علم أننا نحن المسلمين سنكون جهلاء بكل علم فى الأرض ونذر العلوم تفرّ الى أوروبا ، فنها ماأحرق أيام خراب الأندلس ، ومنها مابقى عند الفرنجة فتعلموا وارتقوا حتى اذا كانت هذه الأيام أحاطت بنا هذه الأمم من كل جانب فأخذنا نلم شعثنا ونقرأ كتبهم وانى أنا وأمثالى سنقرأ أمثال هذه المسألة فى كتب الفرنجة ، أقول انه تعالى لما علم ذلك ألهم رسوله ﷺ أن يحادث أصحابه فى شجر البوادى وفى النخلة حتى اذا قرأنا كلام الفرنجة فى علمهم الواسع الذى يطلبه القرآن فى النبات وغيره واطلعنا على هذا الحديث تحسرنا على مجد ذهب وأمم هلكت ولا نصيب لها من دينها ، فهل فى خطة الانصاف أيتها الأمم الاسلامية أن يحرمكم صغار الشيوخ والجهلاء من الأمراء من أن تفتحوا أعينكم لأشجار هى فى نفس بلادكم وأنتم أحق بدراستها ودراسة غيرها من النبات فى الأرض من الفرنجة ، فتمرّون عليها معرضين وهى تنبت فى جزيرة العرب وصاحب الشرع ﷺ من نفس بلادكم وقد أنزل عليه ــ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون ــ وأنزل عليه أيضا ــ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ــ الخ وأنزل عليه أيضا ــ الذى أحسن كل شئ خلقه ــ وهذه هى المحاسن الباطنية للأشجار ولم يكتف الله بذلك بل ألهم رسوله ﷺ أن يعطى أصحابه (وهم لامدارس عندهم ولاقراءة ولا كتابة) درسا فى النبات كله وفى النخل ، و بهذا الدرس فكر القوم فى أشجار البوادى . إن هذه النبوّة والله يشهد لم يقم حاملوها بما يجب لها والافكيف يمرّ هذا الحديث على المسلمين قرونا وقرونا ولايفطن أحد لدرس علم النبات ومن فطن له وللعلوم الأخرى كابن رشد كفروه وقالوا له أنت مارق من الدين . اللهم إن هذه النكبة الاسلامية بهذا الجمود المعيب قد جعلتها سبحانك لنا عظة لنكتب لأبنائنا هذا القول حتى لايقعوا فيما وقع فيه الآباء بسبب جهل كثير من شيوخهم واتكالهم على مشايخ طرقهم وأنا يارب قد أدّيت ماعلىّ بقدر طاقتى وأنت لاتكلف نفسا إلاوسعها ، فألهم اللهم أناسا يهدون هذه الأمم و يعلمونها و يرشدونها الى سواء الصراط ، فلم يبق فى القوس منزع ، ولاعطر بعد عروس وحمّ الأمر واشتدّ الخطب ، وأنت تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء . وأنت على كل شئ قدير . انتهى يوم الاثنين

(٩) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم فى هذا المقام ﴾

هاأنت ذا أيها الذكىّ شاهدت الرسوم الجميلة البديعة فى القسم الأوّل والحكم المستخرجة بالدراسة من القسم الثانى . فياسبحان الله وياسعداته . إن المسلم فى أقطار الأرض شرقا وغربا يمرّ بالأشجار فى الحقول والحدائق والطرقات ويراها تمدّ له أيديها تارة بالأزهار وتارة بالفواكه والثمار وتارة بالروائح العطرية وتارة تعطيه خشبا لصنع أبوابه وشبابيكه وأسرته وكراسيه وسفنه وكثير من آلاته . ألا حيا الله العلم . فياليت شعرى كيف يمرّ المسلمون على هذه العجائب وأكثرهم لايشعرون أنها عجائب . كلا . وكيف يشعرون وهم لايعلمون من الثمر إلا لذته ولا من الخشب إلا أن يكون سقوفا لمنازلهم وسفنا لمسافريهم وعمدا لخيامهم وآلات لأعمالهم أما الجمال وأما الابداع فهم عنهما معرضون

أيها الناس . إن الله قادر أن يعطينا ذلك بلا عمل ولا نصب كما أعطى (حشرة أبى دقيق) ورق قطننا بمصر تأكله أكلا لما ونحن الزارعون — ولايظلم ربك أحدا — فهو الزارع وهى الآكلة وعمل المخلوق من آثار رحمة الله . فإذن لماذا جعلنا الله فى وسط هذه العجائب . إنما فعل ذلك ليوقظنا إليها ويحثنا عليها ؟ وإلا فما هذا الجمال ؟ وماهذا الحسن ، وماهذا الابداع ؟ أوّاه ، أهو رمية من غير رام حتى نكون عنها معرضين ؟ كلا والله فهذا مستحيل بعد ماظهر ظهور النجم فى هذا الكتاب بأجلى برهان وبالحسّ والعيان

انظر أيها الذكىّ الى مارسمته لك هنا آنفا من تلك الصور النباتية البديعة ، فما هذه الزينة ، وماهذا الزخرف ؟ ثم تأمّل قطع الخشب من الكمثرى وكيف كانت الشمس وهى تجرى فى السماء بحسب ظاهر النظر قد تركت فى بواطن الأشجار آثارا وقدارتسمت دوائر وراءها دوائر حافظات بأعدادها كرور السنين ومرور الشهور والأيام

كم جلس بنو آدم فى وارف الظلال تحت الأشجار والنسمات تتلاعب بالأغصان وتثنى على الأوراق والشجرات تتمايل ذات اليمين وذات الشمال وضوء الشمس قد ملأ الحقول والبقاع وكسا تلك الشجرات ملاءة بيضاء مركبة من (سبع طبقات) ذات ألوان من الحمرة والصفرة الى آخره كلهنّ منسوجات نسيجا عجيبا وبه صرن لونا واحدا وهو ذلك الجلباب البديع ، كل هذا وابن آدم لايعلم أن فى باطن هذه الشجرة دفترا يحصى فيه حركات الشمس وتكتب فيه السنون سنة بعد سنة . وإذا أحصى الله كل شئ عددا فهاهو ذا أرانا الاحصاء واضحا فى حقولنا وبساتيننا ، وكم فى الأرض من كتاب نسخ بيد القدر وأحصى السنين الشمسية فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكل شجرة كتاب حساب كما أن كل طبقة من طبقات الأرض عند علماء (الجيالوجيا) سجل سجلت فيه القرون التى قطعتها أرضنا فى تاريخ حياتها البعيد المدى ، إن هؤلاء العلماء يستنتجون من هذه الطبقات وتركيبها مقدار عمر الأرض كما يقدر علماء النبات فيما رأيت مقدار عمر نفس الشجرة بالسنين ، فعمر الأرض وعمر الشجرة تابعان لمسير الشمس الظاهرى حول الأرض . وإذا سمعنا الله يقول — وكل شئ أحصيناه كتابا — فهاهو ذا أبرز لنا من الاحصاء مايوافق عقولنا ويكون كنموذج لما عنده فى اللوح المحفوظ . أفلايحق لى بعد هذا البيان أن أقرأ — وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة — . ظهر الجمال فى ظواهر النبات بالابداع والحسن والزينة . وظهر الابداع فى بواطن النبات والأرض . وهذه نعم تذكرنا بالنعم الباطنة فى نفوسنا من الصحة والعلم والسرور والبهجة — ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين —

﴿ فصل ﴾

هاأناذا أكتب صباح يوم الجمعة (٢٧) سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وهذه السورة ومامعها مقدّمات للطبع . فهاهو ذا حضر صاحبى . قد حضر الآن وقرأ ماكتبته فقال ياسبحان الله ما أجمل هذه الصور وماأبدع هذه

الأشكال . لقد سرّت بها القلوب وانشرحت الصدور وحق لى أن أذكر أوّل قصيدة ابن الفارض التى تمثلت بأبياتها هنا وأنشد

مابين معترك الاحداق والمهج ☆ أنا القتيل بلا إثم ولا حرج
ودّعت قبل الهوى روحى لما شهدت ☆ عيناى من حسن ذاك المنظر البهج
لله أجفان عين فيك ساهرة ☆ شوقا اليك وقلب بالغرام شجى

ومنها
أهفو الى كل قلب بالغرام له ☆ شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحى به صمم ☆ وكل جفن الى الاغفاء لم يعج

ومنها
عذّب بما شئت غير البعد عنك تجد ☆ أدنى محبّ بما يرضيك مبتهج

ومنها
من مات فيه غراما مات مرتقيا ☆ مابين أهل الهوى فى أرفع الدرج

ومنها
أعوام اقباله كاليوم فى قصر ☆ ويوم اعراضه فى الطول كالحجج
فان نأى سائرا يامهجتى ارتحلى ☆ وان دنا زائرا يامقلتى ابتهجى

فلما فرغ صاحبى من انشاد هذه الأبيات من نفس تلك القصيدة قلت له كأنك تحفظ هذه القصائد . قال أكثرها وذلك من أيام صغرى . فقلت له إن الأمم الاسلامية بعد العصور الأولى لما ذهبت دولة العرب وانتقل الملك من أمة الى أمة وتحكم بعض صغار العقول من الفقهاء والصوفية فى عقول هذه الأمة المسكينة ومنعوا دراسة العلوم الحكمية تحوّل أصحاب العقول الكبيرة الى علم التصوّف فظهر فيهم أمثال الاستاذ محيى الدين بن عربى ومن نحا نحوه كابن الفارض ودرجت الأمة على ذلك واكتفوا بهذه الوجدانيات وناموا عن نفس العلوم وبدائع التكوين ومجالى النظر فى السموات والأرض واتبع الخلف السلف وكل حزب بما لديهم فرحون

أذلك خير أم الابتداء أوّلا بالنظر فى عجائب النبات والسحاب والشمس والقمر إذ يقول الله تعالى ــ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ــ ويقول ــ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ــ وهل زين الله أرضه وسماءه للعميان ؟ أم أبرزهما للغافلين ؟ كلا . فانه يقول ــ وزيناها للناظرين ــ فاذا رأيت أيها الذكىّ ميلا الى النظر وفرحا بالعلم فاعلم انك أنت من المقصودين بهذه المناظر وبهذه الزينة ، وستكون أمم الاسلام بعد هذا التفسير أسبق الأمم الى هذا الجمال البديع ، واذن يكونون ــ خير أمة أخرجت للناس ــ

الله أكبر . لاتزف العروس لبعلها إلا بعد اصلاح شأنها وتزيينها بالحلى والحلل والا فلاعرس ولازفاف . القاعدة واحدة . جمال فى المرأة فزفاف فوئام فذرّية وحياة . وجمال فى السموات والأرض وزينة بالنبات والشجر فحب بالجمال فعلم بالنظام فغرام بصانع هذه المخلوقات . فلاغرام إلا بعلم ولاعشق إلا بعد النظر . فأما عشق الحسان فما أيسره لكل انسان وحيوان ، وأما عشق المعانى والبدائع فما أبعده عن عقول صغار الأحلام ومرضى النفوس عباد الأوهام

ثم قلت . فليبدأ المسلم بهذا الجمال الظاهرى وليدرس تلك العلوم . وهنالك يحق له أن يترنم بأبيات ابن الفارض التى ذكرناها . ولست الآن فى مقام أناس اصطفاهم الله فلم يحتاجوا لهذه العلوم لأن نفوسهم صافية وقد أفيض عليها العلم . فنحن لم نؤلف هذا التفسير لهذه الطبقة فانها من طور آخر وانما هذا التفسير لعموم الأمم الاسلامية . أما هؤلاء فليسوا فى حاجة الى كتب يقرؤنها ولامدارس يدخلونها بل كأنهم ليسوا من عالمنا ورسول الله ﷺ انما كان يخاطب العموم

فقال صاحبى والله لقد أجبت على ما اعترضت به عليك فى سرّى فما كاد ذلك يجيش بصدرى حتى كأنك أحسست به فبادرت بالجواب ولكنى أريد أن أسألك فى الصور التى نقلتها فى مظاهر النبات الآن . انك تقول انك نقلت صورها من مجلة مصرية . فقلت نعم . فقال وكيف ترسم فى تفسير القرآن صورا رسمها أناس

في مجلات ونشروها بين العام والخاص . أليس هذا داعية للازدراء والانتقاص . أليس الذين قرؤا تلك المجلات ورأوا تلك الصور فيها يقولون إن هذا التفسير ليس بعيد المدى ولا هو عظيم الشأن . وكيف يضع المؤلف فيه صورا اطلع عليها الجهلة وصغار العقول . ولو كان التفسير ذا بال لم يرسم فيه إلا ما يجهله العظام ولا يعرفه إلا أولوا الألباب . إن كل مبذول مرغوب وكل ممنوع مقبول

فقلت إن ما ظننته أيها الأخ مانعا أراه أنا موجبا . ألا ترى رعاك الله انه كلما كان الشئ ألزم للحياة وأقوم لهذا الوجود كان أكثر انتشارا وأكثر صورا . وكلما كان أقل لزوما للحياة كان أقل وجودا . فهاك الشهوات الانسانية والحيوانية والصور النباتية والحيوانية . بذلت الشهوات لكل حيوان . فجوع وشبق لازمان لهذه الحيوانات ولولاهما لم يعش حيوان ولا انسان بل القوة الغضبية لم تذر حيوانا ولا انسانا إلا لزمته قلة وكثرة محافظة على الأبدان بل إن القوة الشهوية بنوع ما مركوزة في النبات بها امتص من الأرض ومن الماء والهواء الغذاء بل اننا نرى له أثرا ما من القوة الغضبية وان كانت غامضة علينا . ألم تره مدججا بالسلاح كالشوك في شجر السنط والقرطم وغيرهما من الشجر والنبات . ذلك ليدرأ عنه ما يهلكه و يصد ما يقصده بالأذى من الحيوان

هذه حال القوة الشهوية والغضبية . انهما عامتان وعمومهما ابقاء كل نبات وحيوان وانسان . فهما إذن نعمة وحكمة كبرى لا يعقلها إلا الحكماء المفكرون وليس للوعاظ والخطباء فيهما من نظر إلا فيما يتجلى للناس من سوء استعمالهما كالسرقة والقتل في الشهوة والغضب اللذين جعلا نعمة أولا و بالذات ، فاعجب للجمال المحجوب عن الجهال في قوتي الشهوة والغضب العامين ، وأعم منهما الضوء والحرارة والهواء والماء والتراب ثم الجير والحديد والنحاس . فهذه عامة على مقتضى الحاجة اليها . فلا غرو اذا رأينا القرآن يقرؤه الأطفال في المكاتب والجهلاء والعامة في سائر الأزمنة والأمكنة والجهات . لعموم الحياة عمت الشهوات والهواء والماء . ولعموم الحاجة الى العلم والحكمة عمت قراءة القرآن وأكثر القراء في الأرض لا يعقلون ، فلا بدع إذن اذا عم الجمال في صور النبات والحيوان و برز ذلك الجمال للجهال والعلماء على حد سواء . فكما عمت الشهوات سائر الأحياء لينالوا نصيبهم من الحياة بلا استثناء هكذا نشرت صور الجمال في جميع الأصقاع برا و بحرا وسماء وأرضا ليقول الله للناس هذه هي صور الجمال أبحتها لكم فلا بخل اليوم ولا تبذير . أنا سويت بينكم أيها الأحياء في سوقكم لحياتكم بمهماز الشهوات وسويت بينكم في سوقكم الى بهجة العلم بنشر صور الجمال في النبات والحيوان والنجوم والشموس . عمت الشهوات وعم الهواء والماء فكانت الحياة وانتشرت صور الجمال فبرز في أرضكم رجال حكماء علماء فلا حكيم إلا وهو مغرم بالجمال فاذا فقد الجمال انقرض من الأرض الحكماء

يقرأ القرآن الجهلاء والعلماء كما ينظرون صور الجمال والابداع ولكن القراءة شئ والفهم شئ آخر كما ان نظر الجمال شئ والاعجاب به بعد الاحساس أمر آخر . عموم الصور أمر اقتضته الحكمة كما ان عموم قراءة القرآن كذلك وان لم يعقله القارئون . فاذا رأينا بذور النباتات ملأت السهل والجبل وان لم يرها الناس لشدة الدقة والصغر وليست تنمو وتثمر إلا في الأماكن الصالحة لها كالأرز لا ينمو إلا في الماء وكالقمح لا ينبت إلا في الحقول تسقى وقتا بعد وقت وكنوع من النبات في طرفه الأعلى ما يشبه الشعرات البيض أو الريش الأبيض يبلغ طول ذلك نحو قدمين وارتفاع النبات نحو ثلاثة أمتار وهذا نراه على شاطئ النيل بجهة مصر القديمة فهذا ينمو و يعيش في الماء وفي اليابسة . فبذور هذا النبات وغيره من الحشائش في اليابسة تملأ السهول والقفار ولكنها لا تنبت إلا في أماكنها الصالحة لها وكثرة البذور تشبه كثرة الحيوانات المنوية في ماء الرجل وكثرة حبوب الطلع في أعضاء التذكير في النبات . فتلك الكثرة فيهما جعلت للاحتياط في ايجاد الحيوان والنبات ذلك لأن عالمنا الأرضي عالم متأخر فاحتيط له حتى لا يحرم من الحياة فكثرت أسباب الحياة في أرضنا وهذا هو العجب العجاب . أقول فاذا رأينا الأمر هكذا فهكذا فلنقل في حفاظ القرآن وفي العباد (بتشديد الباء)

الذين يقرؤن القرآن فى الصلاة . فكثرة هؤلاء ككثرة البزور وكثرة الحيوانات المنوية . فما كثر أولئك إلا ليتحقق وجود بعض المفكرين والحكماء كما تحققت الحياة بكثرة أسبابها التى لاتحصى وهكذا عموم صور الجمال ونشرها فى الكرة الأرضية والكرات السماوية لايقصد بها إلا الأقلون الذين يعقلونها فهلاك آلاف الآلاف من الحيوانات المنوية والبزور النباتية فى سبيل خلق حيوان واحد ونبات واحد كهلاك آلاف آلاف الصور الجميلة فى إيجاد حكيم واحد فى أمة من أمم الأرض يملؤها جمالا وكمالا ويحبوها عزا واقبالا

وهذا هو عين جوابى لك أيها الأخ فليس عموم الصور فى المجلات المنشورة فى الأقطار الاسلامية بمانع من رسمها فى هذا التفسير بحجة الابتذال فلو كان هذا مانعا من النشر لكانت قراءة القرآن فى الطرقات وعموم قراءة الفاتحة بين رجال الطرق فى كل مناسبة (يقرؤنها وأكثرهم لايعقلون معناها) مانعة من اعتباره كتابا مقدسا فهو مقدّس وان قرأه صغار العقول كما ان السماء جميلة والأرض مزينة بالنبات والحيوان وان برزت للجاهلين

عمت صور الجمال فى أرضنا وعمت قراءة القرآن عند المسلمين لتقام الحجة على الأرواح عند مفارقة الأبدان إذ يرتفع أقوام بأجنحة العلم والأخلاق فوق العلا فيقول آخرون لماذا ساد هؤلاء علينا ؟ فيقال بالعلم والحكمة سادوا . فيقال ولماذا حرمنا من ذلك فيقال لهم صور الجمال وعموم الديانات والعلوم لم تدع عذرا لمعتذر ولاحجة يحتج بها المقصرون ، فالجمال وان عمّ والعلم وان ملأ الأصقاع والدين وان قرأه الخاص والعام يعوزها كلها الاستعداد ، فالاستعداد هو الذى جعل الناس فى مراتبهم وأنزلهم منازلهم فى الدين والدنيا ، فكم من جمال يراه الناظرون بهجة تعمى عنه عقول القاصرين ، وكم من قارئ لسور القرآن غافل عن معانيها وقليل من يتعظ بها وهم شاكرون

فكما أن قراءة القرآن فى المقابر والطرقات وبألسنة الجهلاء ليست بمزرية بأمثال الغزالى والرازى وابن رشد فى الشرق ولا بأمثال (توماس كارليل) و (عبدالله كويلم) و (هنرى الفرنسى) و (اللورد هيدلى) فى الغرب إذ قال هؤلاء ﴿ انه فوق متناول الفلسفة والعلم وانه هو مناط الكمال والجمال ﴾ هكذا ليس عموم الصور النباتية والحيوانية فى الأصقاع والحقول والغابات ودوس الناس عليها وعلى ماجمل من الحشرات ، وهكذا عموم صورها التى صوّرت بالصور الشمسية المنتشرة فى المجلات . بمزرية بما أرسمه منها فى هذا التفسير فهنا لها مغزى أشرف من مغزاها عند الجهلاء كما أن للقرآن معنى عند الحكماء المتقدّمين فوق مايعرفه جهلة المسلمين أضعافا مضاعفة وكما أن الحشرات من النمل والنحل لها مزايا عند العلماء بها يجهلها جميع العامة من نوع الانسان

ان الجاهل يضحك من العلماء ، ولوانك قلت لعامى « إن لله حكمة فى النمل وأن للنملة (٤٠٠) عين كما تقدّم فى سورة النمل لعدّها منك خرافة وسخر واستهزأ وهو من المكذبين » ولولا الاستهزاء والاحتقار لم يكن الناس طبقات

فقال صاحبى . إن للعامى الحق كل الحق أن يسخر من قول العالم أن للنملة (٤٠٠) عين وأن للذبابة أربعة آلاف عين كما تقدّم فى هذا التفسير لأنه لادليل لها عنده ولم يجالس العلماء وله الحق فى الانكار بل اذا صدّق كان مخدوعا . فقلت ليس كل مالايظهر برهانه بمكذوب . ولوأن الناس جميعا عوّلوا على ماقويت محجته وظهرت براهينه هلك نوع الانسان وأصبح فى مرتبة الحيوان . فليست نتائج الزراعة ولا التجارة ولا الصناعة ولاالسياسة بيقينية . لايقين فى هذا كله . ولو كانت النتائج يقينية لم نسمع بهلاك دولة بسبب واقعة حربية اكتسحتها ولابزارع هلك زرعه بآفة سماوية ولا بتاجر غرقت بضاعته فى البحر بزوبعة جوّية ولا بصناعة أصبحت فى السوق مزجاة فأفلس صانعها . فهذه النتائج لم يكن لأصحابها فيها إلا الظنّ فلو كان الناس لايعيشون إلا باليقين هلكوا

ومن هذا الباب كثر الفقراء فى نوع الانسان لأنهم أرادوا اليقين فى المكاسب . فتراهم لايخاطرون فى

متاجرعظيمة ولامكاسب رفيعة حرصا منهم على الدرهم والدينار اللذين عندهم وطلبا ليقين المكاسب فالحياة مخاطرة لا أقلّ ولا أكثر . وما نوّع الناس وميزهم مراتب إلا مافيهم من استعداد فى الفطرة ضعفا وقوّة . فلئن أحجم القاصرون من نوع الانسان عن المخاطرة بالأنفس والأموال فى سبيل المجد والشرف فى الحياة وفرحوا بما عندهم من المال القليل المتيقن ضنا منهم بمالهم وأنفسهم . ليحجمنّ الجهال عن البحث فى عيون النملة وعيون الذبابة اذا سمعوا قائلا يصف لهم ذلك . وذلك لأنهم فرحوا بما عندهم من العلم واستغنوا عن سواه كما فرح ذلك الفقير بماله وقوّته ولم يبذلهما فى المكاسب البعيدة طلبا لليقين . فالمال الذى حازه ذلك الفقير متيقن عنده وجوده والمكاسب يعوزها سعى ومناظر الحشرات والمخلوقات ظواهرها متيقنة عند الجاهل ولكن بواطنها التى يسمع عنها ليست متيقنة يعوزها البحث وهو لاهمة له فى ذلك ولاشوق . وليست تبعث للمكاسب ولالحقائق العلم إلا نفوس اصطفاها الله . فهؤلاء قوّاد الأمم فى المال والعلم وهم يقلون فيها كما يقلّ الملوك ورؤساء الجمهوريات وقوّاد الجيوش ـ وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ـ

كل له غرض يسعى ليدركه ☆ والحرّ يجعل ادراك العلا غرضا

ـ وقليـل من عبادى الشكور ـ وبهذا تمّ الكلام على ﴿ بهجة العلم ﴾ فى المقام الأوّل وهو احسان خلق النبات والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثانى فى إحسان خلق أفضل الحيوان وهو الانسان ﴾

لقد تقدّم فى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ رسم القطاع العمودى لجسم الانسان المشتمل على عشرين عضوا وفيه مجاورة الأعضاء بعضها لبعض ثم جهاز الحركة المشتمل على (٢٩) عضوا وهكذا صورة اليدين وطبقاتهما (١٢) وصورة العين والأذن والأولى فيها (١٩) جزأ مشروحا والثانية فيها (١٣) جزأ كذلك وصورة الدورة الدموية . فاذا علمت هذا فانظر لما أقوله لك الآن واعجب من جمال الله تعالى وحكمته تمما لما تقدّم

(ا) واعجب من جهاز التنفس إذ ترى (١) الرئتين والشعب والقصبة الهوائية (٢) والحويصلات الرئوية وأوعيتها الدموية الشعرية (٣) وتركيب الرئتين

(ب) (١) ومن أعضاء الهضم (٢) وهيئة الجلد

(ج) والمجموع العصبى

(د) وعضو الذوق وهو اللسان

(ه) وعضو الشم وهو الأنف

(و) وعدد الأسنان و بعض صورها

فههنا « ستة فصول ☆ الفصل الأوّل » فى جهاز التنفس « الفصل الثانى » فى أعضاء الهضم « الفصل الثالث » فى المجموع العصبى « الفصل الرابع » فى اللسان « الفصل الخامس » فى عضو الشم « الفصل السادس » فى الأسنان وعددها . كل ذلك ملخص من كتاب ﴿ قانون تدبير الصحة ﴾ تأليف الدكتور (جون سايكس)

﴿ الفصل الأوّل فى جهاز التنفس ﴾

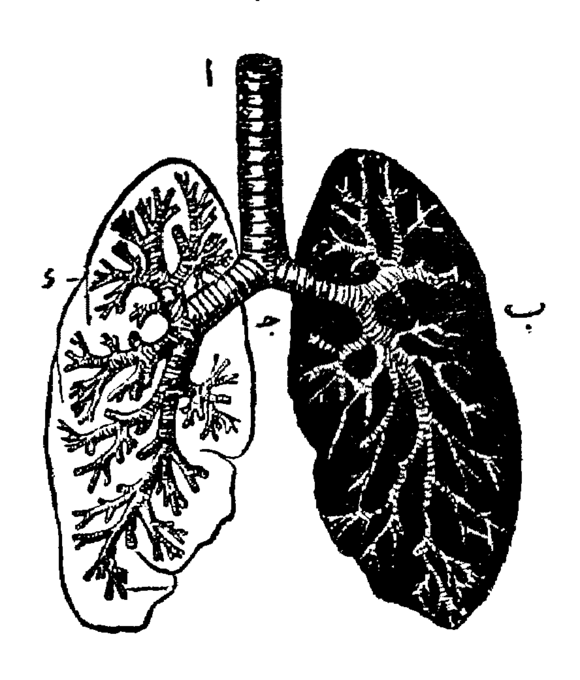
(أعضاء التنفس)

يدخل الهواء من الأنف أو الفم فيصل الحلق ويمرّ بالحنجرة ثم بالقصبة الهوائية ومنها الى الشعب التى تنقسم الى فروع صغيرة تنتهى فى تجاويف صغيرة تسمى بالحويصلات الرئوية وهى تشبه العنيبات المجوّفة وتجرى فى جدرانها أوعية دموية وهى التى يحصل فيها التبادل بين غازات الدم والهواء ويدخل الهواء الى الرئتين بحركة

تسمى بالشهيق ويخرج منها بحركة أخرى تسمى بالزفير وذلك بانبساط وانقباض جميع جدران الصدر (الحجاب الحاجز من أسفل والأضلاع والعضلات التي تحركها والتي بينها من الجوانب والأمام . انظر أشكال ٤١ و٤٢ و٤٣)

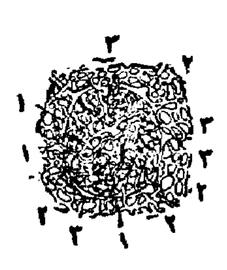
﴿ ميخانيكية التنفس ، أوكيفية التنفس ﴾

يدخل في تركيب الحنجرة والقصبة الهوائية والشعب ماعدا الدقيق منها حلقات أوقطع من حلقات غضروفية وبهذا لاينطبق بعضها على بعض بل تبقى دائماً مفتوحة ومحتوية على هواء



(شكل ٤١ — الرئتان والشعب والقصبة الهوائية)

(ا) القصبة الهوائية (ب) الشعبة اليسرى (ج) الشعبة اليمنى (د) الأنابيب الشعبية الصغيرة



(شكل ٤٢ — الحويصلات الرئوية وأوعيتها الشعرية الدموية)



(شكل ٤٣ — تركيب الرئتين)

« شكل ٤٢ » (١) جدر الحويصلة الرئوية (٢) الأوعية الشعرية الشريانية (٣) الأوعية الشعرية الوريدية

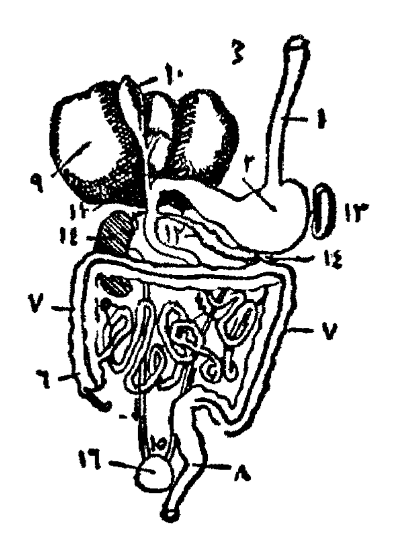
« شكل ٤٣ » (١) الشعب الصغيرة (٢) حويصلات رئوية

﴿ الفصل الثانى . الجهاز الهضمى ﴾

(أعضاء الهضم)

تتكوّن هذه الأعضاء من الفم والأسنان وغدد اللعاب ، ومن البلعوم والمرىء والمعدة والكبد والبنكرياس والأمعاء الدقاق والغلاظ التى تنتهى بالمستقيم ، ويبطن الجهاز جميعه غشاء يفرز مخاطا ويندمج فيه أو تحته غدد عديدة تختلف فى تركيبها بنسبة وظيفتها (انظر شكل ٤٤)

الغذاء مركب من عناصر كيماوية يحوّلها الهضم الى موادّ سهلة الامتصاص بواسطة الأوعية الشعرية للجهاز الهضمى فتصل الى الدم وتمتص الأوعية الشعرية الليمفاوية الموادّ الدسمة وتصبها فى القناة الصدرية وهذه تصبها فى الوريد تحت الترقوة اليسرى ، ويؤثر فى الغذاء أثناء الهضم قبل استحالته نهائيا الى مادّة قابلة للتمثيل جملة من أعصرة هضمية وهى اللعاب وعصير المعدة والصفراء وعصير البنكرياس



(شكل ٤٤ – رسم أعضاء الهضم)

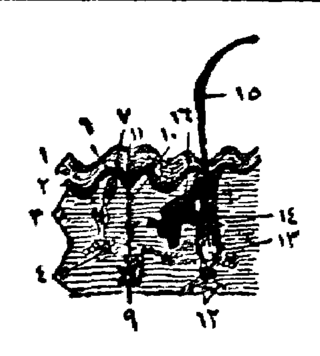
﴿ الكلام على الجلد ﴾

كما أن السطح الباطن لأعضاء الجسم مبطن بغشاء مخاطى فظاهر الجسم مغطى بالجلد ، والجلد يحتوى على طبقة سطحية تسمى بالبشرة وأخرى تحتها تسمى بالجلد الحقيقى وتحتها طبقة من نسيج خلوىّ تعرف بالطبقة التى تحت الجلد ، والمادّة الملونة للجلد توجد فى أعمق جزء من الطبقة السطحية التى طبقاتها السطحية تتقلص دائما ويتكوّن منها أيضا الأظافر والشعر ، ويبرز سطح طبقة الجلد الحقيقية فى البشرة على شكل زوائد تسمى بالحلمات وفيها توجد جسيمات اللمس وفيها تنتهى أعصاب الاحساس للجلد ، وفى طبقة الجلد الحقيقى توجد شبكة من الأوعية الشعرية (انظر شكل ٤٥ فى الصفحة التالية)

ويخزن الشحم فى الطبقة التى تحت الجلد ليقوم بوظيفة وقاية الجسم ، ويوجد بها أيضا غدد العرق التى تخرج أفرازها (العرق) بواسطة فتحات دقيقة على سطح الجلد ، وقد نشعر به أولا نشعر لقلته

« شكل ٤٤ » (١) القناة الهضمية المرىء (٢) المعدة (٣) الاثنى عشرى (٤) الأمعاء الدقاق (٥) الأمعاء الغلاظ (٦) الأعور (٧) الأمعاء الغلاظ (٨) المستقيم (٩) الكبد (١٠) المرارة (١١) القناة الصفراوية (١٢) البنكرياس (١٣) الطحال (١٤) الكليتين (١٥) الحالبين (١٦) المثانة

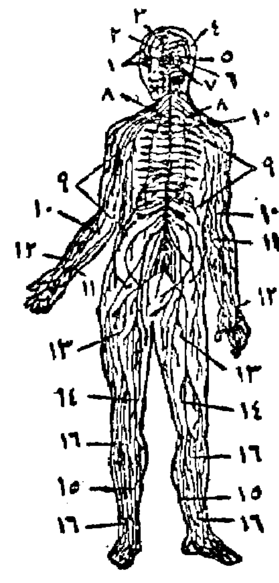
شكل



(شكل ٤٥ - رسم قطاع من الجلد)

﴿ الفصل الثالث . المجموع العصبي ﴾

يتكوّن المجموع العصبي من المخ والمخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي وهي الأعضاء المركزية وتمتد الأعصاب منها لجميع أجزاء الجسم وهي الأعضاء الدائرية والأعصاب إما حساسة أو محركة (انظر شكل ٤٦) فالحساسة هي التي تحمل التأثيرات الدائرية الى الأعضاء المركزية ، والمحركة هي التي تحمل التأثيرات من المركز الى أجزاء الجسم فتحركها أو توقفها ، وهناك أعصاب سمبأثوية تخرج من عقد عصبية موجودة على جانبي العمود الفقري وتتصل بالنخاع الشوكي بفروع دقيقة ، ووظيفتها تنبيه العضلات غير الارادية للأعضاء وتنظيم الوظائف التي لايشعر بها الانسان



(شكل ٤٦ — المجموع العصبي)

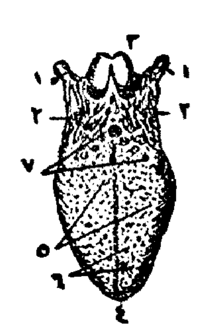
« شكل ٤٥ » (١) البشرة (الطبقة السطحية للجلد) (٢) شبكة ملبيجى (٣) الجلد الحقيق أو الأدمة (٤) الطبقة تحت الجلد (٥) خلايا دهنية (٦) حلمات الجلد (٧) الحلمات العصبية (٨) الخيوط العصبية (٩ و ١٠ و ١١) غدد العرق وقنواتها وفتحاتها (١٢) الشريان لبصلة الشعر (١٣) بصلة الشعر (١٤) ساق الشعر (١٥) الشعر (١٦) الغدد الدهنية

« شكل ٤٦ » — (١) الدماغ (٢) الشق العظيم للمخ (٣) المخ (٤) الفص المؤخر للمخ (٥) قاعدة المخ (٦) المخيخ (٧) البصلة الشوكية (٨) النخاع الشوكي (٩) أعصاب الجذع آتية من النخاع الشوكي (١٠) أعصاب الذراع (١١) العصب الزندى (١٢) عصب الإبهام (١٣) العصب المقدم السفلى للساق (١٤) العصب الحلقي العلوى للساق (١٥) العصب الخلفى العلوى للساق (١٦) العصب العلوى المقدم للساق

﴿ الفصل الرابع فى عضو اللسان ﴾

(حاسة الذوق)

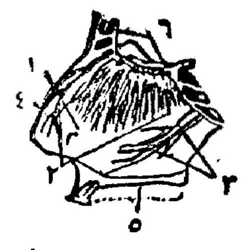
عضو الذوق هو اللسان ، ويحتوى على جسيمات الذوق فى حلماته ، والأشياء التى تذاق تكون حلوة أو مرة أو حامضة أو ملحية مثلا ، واذا أريد معرفة طعم الشئ جيدا يذاق ذائبا ولا يعرف طعمه اذا كان حارا جدا لأن الحرارة الشديدة تميت حاسة الذوق (انظر شكل ٤٧)



(شكل ٤٧ — رسم اللسان)

﴿ الفصل الخامس عضو الشم ﴾

عضو الشم هو الأنف وفيه الانتهاآت العصبية الخاصة بذلك وتؤثر الأجسام الغازية أو الصلبة فى حاسة الشم بذرات دقيقة جدًا ، والسوائل لا تشم جيدا مالم تكن طيارة أو بها مواد طيارة كالروائح الذكية ولا تشم جيدا اذا كان الأنف رطبا ومصابا بزكام (انظر شكل ٤٨)



(شكل ٤٨ — رسم الأنف)

﴿ الفصل السادس فى عدد الأسنان ﴾

عدد الأسنان عند الأطفال الذين دون السابعة من العمر عشرون سنا وتسمى بأسنان اللبن ، وتسقط هذه الأسنان فى السنة السادسة أو السابعة ويخلفها تدريجا الى الثامنة عشرة تقريبا من عمرهم اثنتان وثلاثون سنا (ست عشرة فى كل فك) وتتركب أسنان كل فك من قواطع عددها أربعة وهى لتقطيع الأغذية وأنياب عددها اثنان وهى لتمزيق الأغذية وأضراس عشرة لطحنها وتسمى هذه الأسنان بالثابتة

فاذا لم تحفظ الأسنان فى حالة مرضية اختلت عملية المضغ ، وينتج من ذلك عسر فى الهضم ، وبعض الأطعمة الصلبة تضرّ الأسنان كتكسير البندق بها أو لىّ الأسلاك أو اختبار المعادن لأن ذلك يفصل عنها طبقة المينا التى تغطيها ويجعلها فى استعداد للتسويس بسهولة . انتهى ما أردته من ﴿ كتاب قانون الصحة ﴾

« شكل ٤٧ » — (١) قاعده اللسان (٢) اللوزتان (٣) لسان المزمار (٤) أسلة اللسان « قمته » (٥) الحلمات الخيطية (٦) الحلمات الفطرية (٧) الحلمات الكأسية

« شكل ٤٨ » — (١) الحفر الأنفية (٢) فروع من العصب الشمى (٣) العصب الأنفى الحلقى (٤) العصب الأنفى (٥) قبوة الفم (٦) العظام والخلايا العظمية للحفرة الأنفية

﴿ روضات الجنات ﴾

فى تفسير قوله تعالى ــ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ــ الى قوله تعالى ــ ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون ــ

لك الحمد اللهم على نعمة العلم والحكمة ، ولك الشكر على ما أوليتنا من آلائك ، وحبوتنا من فضلك ، وأذعت الحكمة فى ربوع بلاد الاسلام بعد ماجدت القرائح وماتت الهمم واندرست العلوم وعمّ الوجوم وصارت علوم الحكمة أشباحا بلا أرواح ، فعمّ الجهل وساءت الحال ، فهاهى ذه أيامها قد أقبلت و بشائرها تترى فى بلاد الاسلام ، فهى التى بها أدركنا بعض أسرار كتابنا فى هذه الأيام على مقدار طاقتنا وأىّ حكمة أشرف وعلم أعلى من معرفة نفوسنا وجمالها ومناسبتها للعوالم المحيطة بنا تفسيرا لقولك ــ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ــ وقولك ــ ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه ــ . ذكرت ذلك تتميما لما ذكرته فى السورة السابقة من حكمة لقمان . أنت جعلت تلك السورة باسم لقمان وقفيت على آثارها بسورة (السجدة) التى كلامنا فيها ولم تشأ أن ترهق العقول بجعلها فى سورة واحدة ، فأخذت تشير لنا هنا أن وضع العوالم الأرضية على طراز وضع السموات ، وهذا من أجل علوم الحكمة التى سنشرحها هنا

أدب اللغة العربية . أدبيات اللغة

(وموازنة هذين العلمين بما قاله الحكماء أن الانسان عالم صغير على مثال العالم الكبير مطابقة لهذه الآيات)

لقد جاء فى العلوم اللسانية فى اللغة العربية علم يسمونه « أدب اللغة العربية » وهذا العلم يقرأ فى كتاب الأمالى لأبى على القالى ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الأغانى للأصبهانى ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، وكتاب المثل السائر لابن الأثير ، وملخص هذا الفن يرجع الى الأحاديث المستملحة والأشعار وسير الشعراء والخطباء ومجالس الملوك وطريف التاريخ

أما علم أدبيات اللغة فهو علم مستحدث لم يعرفه أهل الشرق إلا فى زماننا هذا نقلوه عن أهل أوروبا من الانجليز والفرنسيين والألمان وأمثالهم ، وملخصه أن يدرس الشاعر و يعرف تاريخ حياته وأحواله و بيئته وما الذى أثر فيه حتى نطق بهذه الأشعار ، وما أثر حكومته فيه ، وهل كان هناك ضغط عليه أوذل أم كان فى غبطة وعدل ، و بهذا يكون درسا أخلاقيا سياسيا اجتماعيا وتكون نتيجته اصلاح المجتمع الانسانى بمعرفة آثار المتقدمين عزا أوذلا ورفعة وانحطاطا حتى كانت نتائج تلك الأحوال أقوالا منظومة . فبهذه الآثار يزنون ذلك المجتمع البائد و يبحثون فى اصلاح المجتمع اللاحق

هذه هى أدبيات اللغة التى يدرسها الاوروبيون وليس فى ذلك اهتمام بالحفظ كما يهتم علماء أدب اللغة عند أسلافنا بل الهمة منصرفة فى هذا الى التعقل والتفكر ــ ولكل وجهة هو موليها ــ فأدب اللغة العربية يعلم الفصاحة والبلاغة والخطابة والشعر وحفظ الحكم والأمثال ولكن صاحب هذا العاكف عليه لن يكون وزيرا خطيرا ولا أميرا عظيما وانما هذا يصلح أن يكون جليس الأمراء وسمير العظماء كما اتفق للأصمعى فى المشرق وأمثاله . ولن يصلح أن يكون أميرا يصلح أعمال الدولة . ولقد أصاب (كافور الاخشيدى) إذ أبى أن يستعمل المتنبى فى عمل من أعمال الأمة المصرية لأن الشاعر غير الحكيم فهذا خيالى وذاك مفكر . ونظام الدولة لايصلحه الشاعر وانما يقوم به المفكر ولذلك سقطت الاندلس لما تولى وزارتها أمثال (لسان الدين الخطيب) وابن جهور وأمثالهما (انظر هذا فى سورة الشعراء عند آية ــ والشعراء يتبعهم الغاوون ــ الخ)

هذا هو الذى أريد أن أجعله تنظيرا لأجل مافى الحكمة وهو معرفة الانسان نفسه وموازنتها بالعوالم العلوية والسفلية . انظر الى ماذكرته لك فى آخر السورة السابقة من أقسام الحكمة وتفصيل علومها ونعم الله

التى أسبغها على عباده ظاهرا و باطنا . تأمله وانظره . فهـذه ملخصات علم الحكمة كما أن النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والخط والتاريخ وما أشبه ذلك كلها علوم اللسان العربى . فكما كان هناك علوم لما تنطق به من القول هكذا هناك علوم لما خلقنا فيه من الكائنات . واذا وجـدنا لعلوم اللغـة أدبا وأدبيات هكذا وجدنا لعلوم الحكمة العامّة مايشبه ذلك وان لم يسموه أدبا وأدبيات وهم قد فعلوا به مافعلوا فى آداب اللغة ولكن أدب اللغـة الذى هو ثمرات علوم اللغة عام يقرأ فى المحافل والمجالس فى العالم قاطبة . أما نظيره من ثمرات علم الحكمة فليس يعرفـه إلا الفوقة الأكابر وأعاظم الأمم وهم ـ رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة ـ . قوم قلوبهم مشرقة والعالم كله يصبح لديهم كأنه نسخة صغيرة مختصرة . وماهى النسخة المختصرة ؟ هى أجسامهم التى فيها نفوسهم . فهذه الأجسام التى تتباهى بها المرأة وتزينها بأنواع الأصباغ والحلى والحلل و يتبارى أكثر الرجال فى لذاتها وشهواتها وملء بطونها كسائر الحيوانات و يقتتلون على اقتناء الاموال لأجلها هى هى أنفسها كتاب مكنون يقرأ فيه صاحبـه علوم العوالم كلها . علم الله ضعف هذا الانسان وقد جعل بين العوالم مناسبات وأودع فى الأشكال ألاتأنس إلا بأشكالها وحرم على السوقة مجالس الملوك ، فمن باب أولى يمنع الجهال وصغار العقلاء من الأنس به ومشاهدته ، واذا كان الملوك الذين هم من ضعاف خلقه لن يجالسهم السوقة لعدم المناسبة والمقاربة فكيف برب العوالم كلها ؟ فليس يليق لمشاهدته إلا النفوس التى حازت وصفين معا ، صفاء الأخلاق واشراق الحكمة ، وأجلّ الحكمة هذا الكتاب وهو الجسم الانسانى الذى هو صورة مصغرة للعوالم كلها

واعلم أيها الذكى أن هذا القول يسمعه العامّة وأكثر المتعلمين فى ديار الاسلام وأنصاف المتعلمين فى المدارس الذين درسوا ظواهر العلوم فتنبو نفوسهم عن سماعه ويحسبونه أقوالا لاطائل تحتها ، ومعلوم أن من جهـل شيأ عاداه ، وأقرب الناس الى فهم ما أقول الآن من قرؤا علوم الحكمة سواء أكانت قديمة أم حديثة ، أما علماء الأدب أوأدبيات اللغة أوعلماء الفقه والاصول المقتصرون عليها فهؤلاء فى معزل عن فهم هذه المعقولات ولكن أرجو أن أوفق الى أن يكون ما أكتبه الآن قريبا من فهم سائر طوائف الأذكياء فى العالم الانسانى لاسيما المسلمين

جاء فى « اخوان الصفاء » وهو الكتاب المؤلف فى القرن الرابع الهجرى (٥١) رسالة فى فنون الفلسفة وذلك أيام ازدهار العلوم وصولة الدولة العباسية وارتقاء الأمم العربية ، ولقد اخترت فى هـذا التفسير من كل شئ أحسنه قديما وحديثا ، فهاهى ذه الرسالة التى عنوانها « قول الحكماء الانسان عالم صغير » فهذه الرسالة وأمثالها قد جعلت كأنها أدبيات الحكمة ، فسترى أن القول فيها لايقتصر على الفلك ولا علم المعدن ولا النبات ولا الحيوان كما أن علم أدب اللغة لايقتصر على الشعر ولا على النثر ولا على الخطب ولا على الخط ولا على التاريخ بل تجد هذه العلوم كلها قد استعان بها الأديب فيه . هكذا هنا فى هذه الرسالة التى سألخصها لك الآن بأسلوب هذا الكتاب ليأنس بها الأذكياء ويفرح بها العقلاء

واعلم أنار الله قلبك بالحكمة أن الناس منهم الصبيان والعقلاء والعلماء والحكماء ولكل طائفة من هذه الطوائف آراء تخالف الطائفة الأخرى . فالصبيان عقلاء بالقوّة فاذا بلغوا صاروا عقلاء بالفعل والعقلاء بالفعل علماء بالقوّة ومتى تعلموا صاروا علماء بالفعل والعلماء بالفعل حكماء بالقوّة وفلاسفة فاذا قرؤا الحكمة صاروا حكماء بالفعل والحكماء هم مصابيح الأمم ينيرونها بعد عروج أنبيائهم لربهم وتشرق أنوارهم على أهل الكرة الأرضية . وأرجو أن تكون أيها الذكىّ منهم حتى تلحق بالنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

وأمثال هذه الرسالة وماتقدّمها من فنون الحكمة والعلوم فى هذا الكتاب تنقل العلماء الى درجة الحكماء

والتفاوت

والتفاوت بينهم يكون بالتوفيق والإلهام والاشراق الإلهي والاستعداد النفسي وصدق العزيمة والتقوى ومحاسن الأخلاق

لقد نظر الحكماء في هذا الجسد وفكروا في تركيبه وحسن هندامه وجندرته ونظامه وأخذوا يخاطبون الناس بما شعروا به . فأولا أخذوا يضربون له الأمثال ليفهم أكثر الناس . وثانيا غاصوا على جواهر الحكمة وعلومها ونظموها في قلادة وجعلوها حلية لهيكل الانسان . فالأول تعريف للمتوسطين . والثاني تعليم لمن هم أرقى عقولا وأذكى أفهاما . فههنا ﴿ فصلان ﴾ فصل الأمثال المضروبة للنفس مع الجسد ، وفصل قياس الجسد على نظام العوالم العلوية والسفلية وهي العلوم التي تقدم تفصيلها في السورة المتقدمة

﴿ الفصل الأول في الأمثال المضروبة للنفس مع الجسد وهي (١٢) مثلا ﴾

﴿ المثل الأول ﴾ قالوا لما كان الانسان جلة مجموعة من جسد ظلماني ونفس روحانية صار اذا اعتبر حال جسده ومافيه من غرائب تركيب أعضائه وفنون تأليف مفاصله يشبه كأنه دار لساكنها

﴿ المثل الثاني ﴾ اذا اعتبر حال نفسه وعجائب تصرفاتها في بناء هيكل جسده وسريان قواه في مفاصل بدنه يشبه كأنها ساكن في منزله مع خدمه وأهله وولده

﴿ المثل الثالث ﴾ اذا اعتبر الانسان وجد بنية جسده مع اختلاف أشكال أعضائه وافتنان تأليف مفاصله يشبه دكانا للصانع

﴿ المثل الرابع ﴾ هكذا اذا اعتبر نفسه من أجل سريان قواها في بنية هيكل جسده وعجائب أفعالها من أعضاء بدنه وفنون حركاتها في مفاصل جسده يشبه كأنها صانع في الدكان مع تلامذته وغلمانه

﴿ المثل الخامس ﴾ اذا اعتبر بنية جسده مع كثرة تأليفات طبقات بناء هيكله ، وغرائب تركيب مفاصل بدنه وكثرة اختلاف أعضائه وتشعب فروع عروقها وامتدادها الى أطراف أعضائه ، وتباين أوعيته التي في عمق جسده . وتصرف قوى النفس يشبه كأنه مدينة مملوءة أسواقها من الصنائع

﴿ المثل السادس ﴾ اذا اعتبر من أجل تحكم النفس على أحوال الجسد وحسن سياستها وسريان قواها وتصرفاتها في بنية هذا الجسد يشبه كأنها ملك في تلك المدينة بجنوده وخدمه وحاشيته

﴿ المثل السابع ﴾ اذا اعتبر حال الجسد وتكوينه وحال النفس ونشوئها مع الجسد يشبه الجسد الرحم والنفس كالجنين

﴿ المثل الثامن ﴾ اذا اعتبر الجسد من وجه آخر وجد انه كالسفينة والنفس كالملاح والأعمال كالأمتعة للتجار والدنيا كالبحار والموت كالساحل والآخرة كمدينة التجار والله تعالى الملك المجازي هناك

﴿ المثل التاسع ﴾ إن الجسد كالدابة والنفس كالراكب والدنيا كالميدان والعاملون كالسباق

﴿ المثل العاشر ﴾ إن النفس كالحارث والجسد كالمزرعة والأعمال كالحب والثمر والموت كالحصاد والدار الآخرة كالبيدر

﴿ المثل الحادي عشر ﴾ ان النفس كالصبي والجسد كالمكتب فيدرس فيه عجائب الأعضاء وتشريحها وغرائب صنعها وبدائع أشكالها

﴿ المثل الثاني عشر ﴾ اننا اذا اعتبرنا تركيب الجسد وسريان قوى النفس وتصرف أحوال الانسان فيه وجدنا أنه دفتر مملوء من العلوم ويقال انه مختصر من اللوح المحفوظ . انتهى الفصل الأول في الأمثال المضروبة للنفس مع الجسد

﴿ الفصل الثاني في قياس الجسد على نظام العوالم ﴾

لقد ضربت الحكماء لذلك أمثالا كثيرة ونريد أن نذكر من ذلك طرفا مرموزا مختصرا حسب مايليق

﴿ الانسان مختصر اللوح المحفوظ ﴾

(حكى) انه كان ملك من الملوك حكيم من الحكماء سيد من السادات وكان له أولاد صغار محبوبون له مكرمون عليه فأراد أن يؤدّبهم و يهذبهم و يروضهم ليقوّمهم قبل ايصاله الى مجلسه لأنه لايليق بمجالس الملوك إلا المهذبون بالآداب والمرتاضون فى العلوم . المتخلقون بالأخلاق الجميلة . المبرّؤن من العيوب فرأى من الرأى الرصين أن يبنى لهم قصرا على أحكم ما يكون من البنيان فأفرد لكل واحد منهم مجلسا وكتب كل علم أراد أن يعلمهم إياه فى جوانب ذلك المجلس . وصوّر فيه كل شئ أراد أن يهذبهم به ثم أجلسهم فى ذلك القصر وأفرد كل واحد منهم فى حصته المعدّة له ووكل بهم الخدم والجوار والغلمان وقال لأولئك الأولاد انظروا الى ماصوّرت فيه لكم بين أيديكم واقرؤا ما كتبت فيه من أجلكم وتأملوا مابينته لكم وتفكروا فيه لتعرفوا معانيه وتصيروا من ذلك حكماء أخيارا فضلاء أبرارا فأوصلكم الى مجلسى فتكونوا من ندمائى مكرمين سعداء منعمين أبدا مابقيت و بقيتم معى . وكان مما كتب لهم فى ذلك المجلس من العلوم أن صوّر فى أعلى قبة المجلس صورة الأفلاك و بين كيفية دورانها وأبراج طلوعاتها وكذلك الكواكب وحركاتها وأوضح دلائلها وأحكامها وصوّر فى صحن المجلس صورة الأرض وأقسام الأقاليم وخطط الجبال والبحار والبرارى والأنهار ، و بين حدود البلدان والمدن والمسالك والممالك وكتب فى صدر المجلس علم الطب والطبائع وصور النبات والحيوانات والمعادن بأنواعها وأجناسها وأشخاصها و بين خاصيتها ومنافعها ومضارّها وكتب فى الجانب الآخر علم الصنائع والحرف و بين كيفية الحرث والنسل وصور المدن والأسواق و بين أحكام البيع والشراء والربح والتجارات ، وكتب فى الجانب الآخر علم الدين والملل والشرائع والسنن و بين الحلال والحرام والحدود والأحكام وكتب فى الجانب الآخر السياسة وتدبير المملكة ، و بين كيفية جباية الخراج والكتاب والدواوين ، و بين أرزاق الجنود وحفظ الرعية والثغور بالجيوش والأعوان ، فهذه ﴿ ستة أجناس ﴾ من العلوم يراض بها أولاد الملوك وهذا مثل ضرب به الحكماء ، وذلك أن الملك الحكيم هو الله تعالى والأولاد الصغار هى الانسانية والقصر المبنى هو الفلك بأسره والمجالس المتقنة هو صورة الانسان والآداب المصوّرة هى عجيب تركيب جسده والعلوم المكتوبة فيه قوى النفس ومعارفها ، ونحن نبين هذا فصلا فصلا فيما بعد بأوجز الوجوه

وههنا شرع يبين الأنواع الستة من العلوم وسأشرحها لك شرحا مختصرا تبتهج به نفسك وينشرح صدرك ولكنه بدأه أوّلا بمقدمة ذكر فيها فضيلة جوهر النفس فأبان أن منزلتها عند الله كبيرة لأن نسبة الأجسام اليه بعيدة ونسبة النفس اليه قريبة لأنها حية بذاتها وعلامة وفعالة والمادة بخلاف ذلك

ولما كان الله عزّ وجل لاشبيه له ولانظير ولامثيل ، ضرب لنا الأمثال فقال ـ مثل نوره كمشكاة ـ فلننسج على هذا المنوال ونضرب المثل لله بالشمس والضوء بالعقل والنفس بضوء القمر ، ومعنى هذا أن الله الذى لامثيل له ولاشبيه كالشمس والعقل العام كضوئها والعقل العام خلقت منه النفوس الجزئية الأرضية وكما أن ضوء القمر من نور الشمس هكذا النفس فيض من العقل ، وكلما كانت نفوسنا أعلم وأحكم وأعدل كانت أقرب الى تلك العقول التى هى قريبة من ربها و بضدها تتميز الأشياء كما أن القمر اذا امتلأ من نور الشمس حاكى ضوءه ضوءها وصارت هناك مناسبة . ولن تنال النفس الانسانية تلك المرتبة وتحظى بتلك المزية فتتم فضائلها وتحاكى العقول العالية المجرّدة القريبة من الله المشبهات ضوء الشمس بالنسبة للشمس إلا اذا عرفت ذاتها وحقيقة جوهرها ، ولن يتم للنفس الانسانية حقيقة جوهرها إلا اذا عرفت أحوال عالمها وأحوال عالمها كلها مصوّرة فى الصورة الانسانية لأن الله خلق الانسان فى أحسن تقويم وجعل صورته مرآة لنفسه ليرى فيها صورة العالم الكبير . قال وذلك أن البارى جل جلاله لما أراد أن يطلع النفس الانسانية على خزائن علومه و يشهدها العالم بأسره علم أن العالم واسع كبير وليس فى طاقة الانسان أن يدور فى العالم حتى

يشاهده كله لقصر عمره وطول عمران العالم فرأى من الحكمة أن يخلق لها عالما صغيرا مختصرا من العالم الكبير وصوّر فى العالم الصغير جميع مافى العالم الكبير وأشهدها إياه فقال عزّ وجل ـ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ـ قالوا بأجمعهم بلى ، فمن كان منهم شاهدا عالما عارفا حقيقته كانت شهادته عليه حقا ومن كان جاهلا كانت شهادته مردودة لأنه قال عزّ وجل ـ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ـ ألا ترى انه لايقبل إلا شهادة أهل العلم ثم اعلم أن افتتاح جميع العلوم فى معرفة الانسان نفسه ومعرفة الانسان تكون من ﴿ ثلاثة أوجه ﴾ ﴿ الأول ﴾ أن يعتبر أحوال جسده وتركيب بنيته ومايتعلق عليه من الصفات خلوا من النفس ﴿ والثانى ﴾ اعتبار أحوال نفسه ومايوصف من الصفات خلوا من الجسد ﴿ والثالث ﴾ اعتبار أحوالهما مقترنين جميعا ومايتعلق على الجلة من الصفات . انتهت المقدّمة

وههنا آن أن أشرح لك أيها الذكى اعتبار أحوال الانسان بأحوال الفلك فأقول ناحيا منحى علم الفلك الحديث . سبحانك اللهم وبحمدك وتعالى جدّك ولا إله غيرك . جسمى يا إلهى على نمط المجموعة الشمسية وهل هذا الجسم الذى أشقى فى تحصيل مايحتاجه هو صاحب هذا الكمال ؟ إذن كل ما ابتلينا به من هموم الحياة والشقاوة والاستكثار من اللذات والمال والجاه والعداوات والحروب ماهى إلا حجب حجبتنا وسدود جعلتها أنت سبحانك بيننا وبين معرفة هذا الجسم الممتلئ جمالا وحكمة . أنت يا الله الذى رحمتنا بجهلنا بجمال هذا الجسم لأن هذا الجمال وهذا الابداع الذى سأذكره فيه يجعلنا نعتقد اننا عظماء وكبراء واذن لانسعى لكمال أنفسنا . ولو أن كل امرئ فى الأرض عرف ماسأذكره الآن فى جسمه لأصبح مشغولا بجماله معجبا ببهائه لايطلب له كمالا . فهنالك يحتاج الى من يذكره بأنك جئت لهذه الأرض لتكون أكمل من هذه الحال . فاياك أن تغترّ بأنك قد أعدّ لك منزل لاينزله إلا من هم مثل الملائكة الكرام لأن هذه المنزلة العالية صغيرة بالنسبة لعوالم أعلى منا فبدل أن يقال له هذا حكم عليه أن يسعى فى تحصيل الرزق ومدافعة الأعداء هنالك ينسى هذا الجمال فى جسمه ويحصل أخلاقا وأعمالا ترقى نفسه فوق منزلتها حين سكنت هذا الجسم . وأما جمال هذا الجسم المحكم فذلك لأن روحه قبسة من نور الله . والمنسوب لله رب العالم لايسكن إلا مكانا يناسب ذلك المقام واذا كان وزراء الملوك لاينزلون إلا القصور المناسبة لهم فليكن المنسوب لافاضة الأنوار الإلهية أولى بأن تكون مرتبته أشرف المراتب فى سكناه . هذا هو السبب فى احكام وابداع الهيكل الجسمى بدون عمل من الناس بل هبة من رب العالمين . ولذلك تجد أكثر أهل الأرض يجهلون غرائب الجسم التى سأذكرها هنا ومن عرفها منهم كعلماء التشريح تكون معرفته أشبه بمعرفة الانسان علم النحو أو الصرف . وكما أن معرفة النحو والصرف لاتفيد جمال أدب اللغة وبهاءها هكذا معرفة تشريح الجسم لاتفيد نظامه المقيس على نظام الفلك وعوالمه . والذى يحظى بهذا فى العالم كله قليل جدا وهذا القليل وهم حكماء الأمم لايعطون هذه المنحة إلا بعد أن أصبحت العبادة والتفكير ديدنا لهم وصفة لازمة فلايخاف عليهم من ترك الأعمال بناء على ماعرفوا فى أنفسهم من الجمال بل يعملون فى خدمة الانسانية وترقية العقول كما تفعل الأم مع ذرّيتها لاتطلب جزاء ولاشكورا . فهذه الطائفة التى ارتقت عن هذا الانسان وهم خواص الحكماء فى أرضنا هذه وقد أدركوا جمال أجسادهم وأن نظامها كنظام العالم كله يصبحون كالمفطورين على العلم والعمل فلايغرّهم بالله الغرور ولا يكون للشيطان عليهم سلطان

﴿ طبقات جسم الانسان وطبقات المجموعة الشمسية ﴾

اذا عرفت هذا أيها الذكى فهاك نظام جسم الانسان وقياسه على نظام المجموعة الشمسية . اللهم انك أنت جعلت الشمس مركزا وأدرت حولها كواكب فى تسع مدارات وهى عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وهناك كوكب بين كوكبين من الكواكب المتقدّمة فى مدار خاص قد حطمت أجزاؤه وتلك القطع

الطائرات منه لاتزال الى الآن تدور فى مداره وقد تقدّم شرحه شرحا مسهبا فى هذا التفسير

فهذه الكواكب التسع تجرى حول الشمس فى مدارات وتلك المدارات يحيط بها طبقات الأثير وتلك الطبقات طبعا تسع طبقات عينتها تلك المدارات . فأنت يا ربنا لما جعلت المجموعة الشمسية على هذا المنوال جعلت جسمي على مقتضاها حذو القذة بالقذة

ألاترى أيها الذكى أن جسمى وجسمك مركبان من نفس هذه الطبقات التسع وهى العظام والمخ واللحم والعروق والدم والعصب والجلد والشعر والظفر . فجعل المخ فى جوف العظام مخزونا لوقت الحاجة ولفّ العصب على المفاصل كيا يمسكها فلاينفصل وحتى خلل ذلك باللحم صيانة لها . ومدّ فى خلل اللحم العروق والأوردة الضاربة لحفظها وصلاحها وكسا الكل بالجلد سترا لها وجمالا لها وأنبت الشعر والظفر من فضل تلك المادة المار بها فصار مماثلا لتركيب الأفلاك بالكمية والكيفية جميعا لأنها تسع طبقات وهذه تسع جواهر وتلك بعضها فى جوف بعض وهذه مثال ذلك

هذه أيها الذكى طبقات جسمي وجسمك ، فاذا كانت الشمس أحيطت بهذه الطبقات فهاهى ذه نفسى أحيطت بهذه الطبقات المماثلة لها من حيث هذا الاعتبار

﴿ بروج السماء ونظيرها فى جسم الانسان ﴾

ثم انظر معى الى جسمى وجسمك باعتبار بروج السماء بعد اعتبار طبقاتها فاننا نجد الله يقول — ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين — ونجد الأمم كلها اعتبرت الفلك مقسما (١٢) قسما كل قسم يسمى برجا تنزله الشمس فى (٣٠) يوما . ولما نظر الحكماء فى جسم الانسان وجدوا فيه العينين والأذنين والمنخرين والثديين والفم والسرّة والسبيلين ، فهذه (١٢) ثقبة ، ثم نظروا فوجدوا البروج ستة منها شمالية وستة منها جنوبية ، فهكذا وجدوا تلك الثقب فى الجسم ستة منها فى الجانب الأيمن وستة فى الجانب الأيسر تماثلها فى الكيفية والكمية جميعا . والفم به الغذاء للناس فى الحياة الدنيا ، والسرة كان بها غذاء الطفل فى الرحم

هذا مايقولونه ، ولكن الفم والسرّة والسبيلان ليسا فى الجانبين ، ولعلّ الكلام باعتبار الأكثر وقد ترك ذلك لحكم اقتضاها النظام ، ولايعزب عنك أيها الذكى أن هذا أشبه بالأدبيات فى اللغات لاينبغى التعمق فيه وانما هو أشبه بضرب الأمثال وكفى فيه المقاربة

﴿ الكواكب السبعة وآثارها الجسمية والروحية وموازنتها بقوى الانسان الجسمية وقواه الروحية ﴾

إن فى الفلك سبع كواكب سيارة وهذه الكواكب أخرجت منها الأرض لأن هذا المقام يراد به ذكر العوالم التى تفيض بأنوارها على أهل الأرض التى نعيش عليها ، وليس منها أيضا الشمس لأنها ليست من السيارات ولأنها هنا أشبه بالنفس صاحبة هذه المملكة ، فالسيارات فوق الأرض وتحتها حول الشمس (٧) وهى المتقدّمة باخراج الأرض منها وباخراج ذلك الكوكب الذى خرب من آلاف آلاف السنين . فهكذا فى الجسد (سبع قوى) لاحداث آثار جسمية وسبع أخرى لاحداث الهداية كما ان الكواكب محدثات آثارا فى الأجسام بأضوائها وآثارا فى النفوس لهدايتها . ففى مقابلة آثار أضواء الكواكب الجسمية لاصلاح العوالم الأرضية خلقت للانسان القوى السبعة الجسمية وهى الجاذبة التى تجذب الطعام كما يحس به الآكل عند ازدراد الطعام والماسكة التى تمسك الطعام فى المعدة الى حين . وهناك تتولاه الهاضمة لهضم الطعام فاذا فرغت من عملها تولته القوّة الدافعة فتدفعه من المعدة الى الأمعاء وهنالك يكون خالص الطعام بعد دفع فضلاته معدا لتغذية الجسم فيسير مع الدورة الدموية للتغذية . وهذه هى القوّة الغاذية . ومتى تغذى الجسم بخلاصة الطعام فلابد من نموّه . وهذه هى القوّة النامية بها يمتد طولا وعرضا وعمقا بنظام بديع . ولما كانت الأجسام تفنى أعدّت فيها مادّة من خالص الدم وهو المنى لتكون منها صورة حىّ آخر ليبقى النوع

فهذه هى القوّة المصوّرة . فهذه هى القوى السبع الجسمية فى مقابلة قوى الكواكب من حيث أفعالها فى الأجسام . فأما السبع التى فى مقابلة الهداية بأضواء الكواكب فهى (الباصرة والسامعة والذائقة والشامّة واللامسة ثم القوّة العاقلة والقوّة الناطقة) ولكل حاسة من الحواس الخمس مجريان عن يمين وشمال فى البدن فالباصرة فى العينين والسامعة فى الأذنين والشامّة فى المنخرين واللامسة فى اليدين والذائقة الشهوية مجراها فى الفم والفرج . والفم بالجانب الأيمن أشبه والفرج بالجانب الأيسر أنسب . أقول لأن شهوة الطعام يحتاج اليها الضعيف والقوى والصغير والكبير بخلاف شهوة الفرج . ولعلّ أمثال هذا الجواب يناسب ماتقدّم فى البروج من حيث مقابلتها بثقب البدن . وههنا ذكر لكل حاسة من الحواس الخمس المملكة التى تعمل فيها تحت أمر النفس . فالقوّة الباصرة تولت إيصال أخبار الأصوات الحيوانية وغير الحيوانية كالطبل والرعد والحجر والحيوانية منطقية وغير منطقية كصهيل الخيل والمنطقية دالة وغير دالة . والقوّة الباصرة تأتى بأخبار ﴿عشر ممالك﴾ وهى (الأنوار والظلمات والألوان والأشكال والسطوح والأحجام والقرب والبعد والحركات والسكنات)

فهذه الممالك تولت اخبارها القوّة الباصرة ، فهذه القوّة أشبه بالديدبان الواقف على باب قصر الملك أو صاحب البريد الى الملك يأتى بالاخبار اليه كما أن القوّة السامعة تولت ايصال أخبار الأصوات ، ومن عجب أن كلا منهما لاتشارك الأخرى فى عملها ، فالباصرة تجهل الأصوات والسامعة لاعلم عندها بالألوان والأنوار ، ولكن القوّة المتخيلة فى مقدم الدماغ هى التى تتقبل أخبار هذه الممالك العشر كما تقبلت من القوّة السامعة عالم الأصوات وهى التى توصلها الى صاحب العرش وهى النفس ، ومثل هذا يقال فى القوّة الشامّة والذائقة واللامسة ، فالشامّة الروائح الطيبة والمنتنة وما تحتهما مما لاحصر له ولاأسماء للمشمومات على كثرتها إلا بنسبتها الى حاملها كرائحة المسك والورد وهكذا ، فهذه الممالك لاحصر لأفرادها كما لاحصر لأفراد الألوان فى العالم والأشكال والسطوح وألفاظ اللغات وأصوات الأحجار والأشجار وهكذا ، وللذائقة ومجراها اللسان الحلاوة والمرارة وأولهما ملائمة للطبع وثانيتهما منافرة أشد المنافرة ، وهناك وسائط وهى (٧) الحموضة والملوحة والدسومة والعفوصة والحرافة والقبوضة والعذوبة . والقوّة اللامسة ومجراها اليدان لها ﴿عشرة أنواع﴾ الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة . ولكل واحد من هذه أنواع وتحت الأنواع أصناف وهكذا مما لايحصى

أفلايعجب الانسان من أمر نفسه الجالسة على عرش مملكته وقد فوّضت أمرها الى خمسة أمراء لكل أمير ممالك ونواح كثيرة وليس يعرف أمير ماعند غيره من الأمراء

﴿ الكلام على القوى الخمس الباطنة ﴾

إن للنفس الانسانية خمس قوى أخر نسبتهنّ الى النفس غير نسبة هذه الخمسة التى تقدّم ذكرها وسريانهنّ فى أعضاء الجسد خلاف سريان أولئك . أفعالهنّ لاتشبه أفعالها . وذلك أن هذه الخمس هنّ كالشركاء المتعاونات فى تناولهنّ صور المعلومات بعضهنّ من بعض . وثلاثة منها نسبتها الى النفس كنسبة الندماء من الملك الحاضرين مجلسه دائما المطلعين على أسراره المعينين له فى خاصة أفعاله وهى القوّة المتخيلة التى مجراها مقدم الدماغ والثانية القوّة المفكرة التى مجراها وسط الدماغ والثالثة القوّة الحافظة التى مجراها مؤخر الدماغ . وواحدة منها نسبتها الى النفس كنسبة الحاجب والترجمان عن الملك وهى القوّة الناطقة المخبرة عن معانى مافى فكرها من العلوم والحاجات ومجراها فى الحلقوم الى اللسان . وواحدة منها نسبتها الى النفس كنسبة الوزير الى الملك المعين له فى تدبير مملكته وسياسة رعيته وهى القوّة التى بها تظهر النفس الكتابة والصنائع أجمع ومجراها فى اليدين والاصابع فهذه القوى الخمس هى كالمتعاونات فيما يتناولن من صور المعلومات ﴿ بيان ذلك ﴾ ان القوّة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات من القوى الحاسة إذ أدركت وأدّت اليها فانها تجمعها كلها وتؤدّيها

الى القوّة المفكرة التى مجراها وسط الدماغ حتى تميز بعضها من بعض وتعرف الحق من الباطل والصواب من الخطأ والمضارّ من المنافع ثم تؤدّيها الى القوّة الحافظة التى مجراها مؤخر الدماغ لتحفظها الى وقت الحاجة والتذكار ثم ان القوّة الناطقة تتناول تلك الرسوم المحفوظة وتعبر عنها عند البيان للقوّة السامعة من الحاضرين فى الوقت ولما كانت الأصوات لا تمكث فى الهواء إلا ريثما تأخذ الأسماع حظها ثم تضمحل اقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية واحتالت الطبيعة بأن قيدت تلك الألفاظ بصناعة الكتابة ، وذلك أن القوّة الصناعية اذا أرادت تقييدها صاغت لها صورا من الخطوط بالقلم وأودعتها وجوه الألواح و بطون الطوامير ليبقى العلم مفيدا فائدة من الماضين للغابرين ، وأثرا من الأوّلين للآخرين ، وخطابا من الغائبين للحاضرين ، وهذا من جسيم نعم الله تعالى على الانسان كما ذكر فى كتابه فقال ـ اقرأ وربك الأكرم ☆ الذى علم بالقلم ☆ علم الانسان مالم يعلم ـ وبهذا تمّ الكلام على الحواس الخمس الظاهرة ونظائرها الباطنة

فأما القوة الناطقة فمجراها الحلقوم الى اللسان ، والقوّة العاقلة مجراها وسط الدماغ ، ونسبة القوّة الناطقة الى القوة العاقلة كنسبة القمر الى الشمس ، وذلك أن القمر يأخذ نوره من الشمس فى جريانه فى منازل القمر الثمانية والعشرين والقوّة الناطقة من العقل تأخذ معانى ألفاظه بجريانها فى الحلقوم فيعبر منها بثمانية وعشرين ونسبة (٢٨) حرفا للقوة الناطقة كنسبة (٢٨) منزلة للقمر . انتهى الكلام على موازنة أطباق الأفلاك والبروج والمنازل والكواكب لنظائرها فى جسم الانسان وهو المقصد الأوّل من المقاصد الست

﴿ المقصد الثانى ﴾

(الموازنة بين تركيب جسد الانسان . وطبقات العوالم السفلية وهى الأرض والماء والهواء وفوق الجميع المشرقات النيرات)

فكما أن الكواكب والشموس والأقمار أعلى هكذا الرأس فى أجسادنا أعلى موازية للمشرقات النيرات لما فيها من الحواس والعقل . والصدر يوازى الهواء الذى هو أسفل تلك المشرقات . وما النفس إلا جزء من الهواء متصل به كما أن العين متصلة بشعاع الكواكب فى الرأس . والبطن لما فيه من الرطوبات يوازى الماء وهو تحت الهواء . وما تحت البطن الى القدم يوازى الأرض لأنه عليها استقرّ الثلاثة المتقدّمة كما استقرّ الثلاثة الأخرى على الأرض . وكما أن من هذه الطبقات الأربع تتحلل البخارات وتتكوّن الرياح والسحاب والأمطار والحيوانات والنبات والمعادن كذلك بهذه الطبقات الاربع تحلل البخارات فى بدن الانسان مثل مايخرج المخاط من المنخرين والدموع من العينين والبصاق من الفم والرياح التى تتولد فى الجوف والرطوبات التى تخرج مثل البول والغائط وغيرهما . فبنية جسده كالارض وعظامه كالجبال والمخ فيه كالمعادن وجوفه كالبحر وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ومنبته كالتربة الطيبة وحيث لا ينبت الشعر كالأرض السبخة ووجهه الى القدم كالعمران وظهره كالخراب وقدام وجهه كالمشرق وخلف ظهره كالمغرب ويمينه كالجنوب ويساره كالشمال وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وضحكه كضوء النهار وبكاؤه كالمطر وبؤسه وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وأيام صباه كأيام الربيع وأيام شبابه كأيام الصيف وأيام كهولته كأيام الخريف وأيام شيخوخته كأيام الشتاء وحركاته وأفعاله كحركات الكواكب ودورانها وولادته وحضوره كالطوالع وموته وغيبوبته كالغوارب . انتهى المقصد الثانى

﴿ المقصد الثالث ﴾

فى أن العناصر التى على هذه الأرض من خواصها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وهذه الصفات يشاركها فيها الانسان

(المقصد

﴿ المقصد الرابع ﴾

فى أن المعادن يحصل لها كون وافساد هكذا الانسان

﴿ المقصد الخامس ﴾

ان النبات يتغذى وينمو و يلد ويموت والانسان شاركه فيها

﴿ المقصد السادس ﴾

فى أن الحيوان يحسّ و يتحرّك والانسان شاركه فيهما ، وزاد على ذلك بالعقل والنطق

﴿ زيادة شرح لبعض ماتقدّم ﴾

ذلك أن الحيوانات لها أنواع كثيرة ، ولكل نوع منها خاصية دون غيره ، والانسان يشاركها كلها فى خواصها ، ولكن لها خاصيتان تعمها كلها وهى طلبها المنافع وفرارها من المضار ، ولكن منها مايطلب المنافع بالقهر والغلبة كالسباع ، ومنها مايطلب المنافع بالبصبصة كالكلب والسنور ، ومنها مايطلب بالحيلة كالعنكبوت وكل ذلك يوجد فى الانسان . وذلك أن الملوك والسلاطين يطلبون المنافع بالغلبة والمكديون بالسؤال والتواضع والصناع والتجار بالحيلة والرفق وكلها تهرب من المضارّ والعدوّ ولكن بعضها يدفع العدوّ عن أنفسها بالقتال والقهر والغلبة كالسباع ، و بعضها بالفرار كالأرانب والظباء والطير ، و بعضها يدفع بالسلاح والجواشن كالقنفد والسلحفات . و بعضها يتحصن فى الأرض كالفأر والهوام والحيات . وهذه كلها توجد فى الانسان . وذلك انه يدفع عن نفسه العدوّ بالقهر والغلبة فان خاف على نفسه لبس السلاح وان لم يطقه فرمنه فان لم يقدر على الفرار تحصن بالحصون . وربما يدفع الانسان عدوّه بالحيلة كما احتال الغراب على البوم فى كتاب ﴿ كليله ودمنه ﴾ انتهى الكلام على مشاركة الانسان للحيوانات كلها فى الطلب والهرب

فأما مشاركته لها جميعها فيما تختص به ومشاركته لسائر الكائنات فى خواصها فاعلم أن لكل نوع من الحيوانات خاصية مطبوع عليها وكلها توجد فى الانسان . وذلك انه يوجد شجاعا كالأسد وجبانا كالأرنب وسخيا كالديك وبخيلا كالكلب وعفيفا كالسمك وفخورا كالغراب وحشيا كالنمر انسيا كالحمام محتالا كالثعلب سلما كالغنم سريعا كالغزال بطيئا كالدب عزيزا كالفيل ذليلا كالجمل اصا كالعقعق تائها كالطاوس هاديا كالقطاة ضالا كالنعامة ماهرا كالنحل شديدا كالتنين مهينا كالعنكبوت حليما كالجمل حقودا كالحمار كدودا كالثور شموسا كالبغل أخرس كالحوت منطقيا كالهزارداستان والببغاء مستحلا كالذئب مباركا كالطيطوى مضرا كالفأر جهولا كالخنزير مشوما كالبوم نفاعا كالنحل

و بالجملة مامن حيوان ولامعادن ولا نبات ولاركن ولاافلاك ولا كوكب ولابرج ولاموجود من الموجودات له خاصية إلا وهى توجد فى الانسان أومثالاتها كما بينا قبل من كل شئ طرفا . وهذه الأشياء التى ذكرنا فى أمر الانسان لاتوجد فى شئ من أنواع الموجودات التى فى هذا العالم إلا فى الانسان . فمن أجل ذلك قال الحكماء « ان الانسان وحده بعد كل كثرة كما أن البارى جلّ ثناؤه وحده قبل كل كثرة » ومن أجل ما عددنا من عجائب تركيب جسد الانسان وغرائب تصاريف نفسه . ومايظهر من جلة بنيته من الصنائع والعلوم والأخلاق والآراء والطرائق والمذاهب والأعمال والأفعال والأقاويل والتأثيرات الجسمانية والروحانية سموه « عالما صغيرا »

ولم يقتصر القدماء على موازنة جسم الانسان بالأفلاك والكواكب والبروج والعناصر والمعادن والنبات والحيوان بل تمادوا فى ذلك حتى قالوا انه لايموت كما ان الملك لايموت فهوكما يشبه البهيمة والنخلة هكذا يشبه الملك لأنه ملك بالقوة اذا كان حكيما فاذا مات صار ملكا بالفعل . وهكذا استمرّ القوم فى درس أعضاء الجسد الانسانى والعوالم العلوية وغيرها حتى انهم غاصوا فى باطن الهيكل الانسانى على (القلب والطحال والكبد

والمرارة والمعدة والدماغ والرئة) ووازنوا هـذه السبعة بالشمس وزحـل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد والقمر . فـكل واحد من تلك الأعضاء عندهم فيه خواص نظيره من الـكواكب . فالقلب يجرى الدم منه الى أطراف الجسد في الأوراد والشرايين فهو كالشمس المشرق نورها على جيع المجموعة الشمسية والطحال فيه الخلط السوداوىّ على حسب اعتقاد المتقدمين وهو بارد يابس فيجرى مع الدم فبه يكون جود رطوبة الدم وتماسك أجزائه كما ان زحل فيه روحانية تنبث فى العوالم تورث حفظ الأجسام وتماسكها . وجرم الـكبد مناسب لجرم المشترى من حيث ان المشترى له روحانية يكون من آثارها النظام والترتيب والاعتدال . وجرم المرارة كجرم المريخ الذى بشعاع روحانيته يظهر الهمم العالية والعزمات و بلوغ النهايات هكذا الصفرة يخرج منها الخلط الصفراوى و يجرى مع الدم فيلطف الأخلاط لتصل الى غاياتها ومنتهى نهاياتها . وهكذا المعدة كالزهرة . فالمعدة فيها القوة الشهوية المطالبة دائما بالغـذاء الذى هو مادة الجسد و به تـكون الحياة ولذة العيش وقوام البدن والزهرة لها روحانية تنبعث منها الى عوالم كثيرة و بها زينة الموجودات ومحاسن الـكائنات و بها الفرح واللذة والمسرة فى العوالم الروحانية والجسمانية والدماغ فيـه الشعور والحس والفـكر والروية والذهن . ومثـله عطارد فشعاعه الروحانى ينبعث منه الحسّ والشعور فى جيع العالم الانسى والجنى والملائـكة وهكذا الرئة كالقمر وذلك انه ينبث من جرمه مع شعاعه قوى روحانياته وتسرى فى عالم الأركان تارة وفى عالم الأفلاك تارة أخرى كما هو بين ظاهر . وذلك أن جرم القمر نصفه أبدا ممتلئ نورا ونصفه الآخر مظلم وهو تارة يقبـل بوجهه الممتلئ من النور نحو عالم الأركان من أول الشهر وتارة نحو عالم الأفلاك من آخر الشهر . و يعرف حقيقة ماقلناه وصحة مابيناه الباحثون فى علم الجسطى والهيئة . فهكذا ينبث من جرم الرئة قوة تجذب الهواء تارة من خارج الجسد وترسله الى القلب ومن القلب تنفذه فى العروق الضوارب الى سائر أطراف الجسد وهو الذى يسمى النبض و بها يكون حياة الجسد وتارة ترد من ذلك الهواء من داخل و بها يكون التنفس والأصوات والـكلام أجمع . فانتبه أيها الذكى من نوم الغفلة ورقدة الجهـلة وفقك الله وجيع المسلمين للسداد وهـداك الى سبيل الرشاد إنه رؤف بالعباد . انتهى

هذا ما أردته من « اخوان الصفاء » مع الحذف والزيادة والشرح والايضاح والتقديم والتأخير والايجاز تارة والاطناب أخرى ليشاكل ماذكر فيه أبحاث هذا الـكتاب ليناسب الأمم التى نعيش معها وأسلوبها . ولقد بدلت أسلوب الفلك القديم بالأسلوب الحديث ولـكنى عند الـكلام على موازنة الـكبد والطحال الخ بالـكواكب لم أجد له نظيرا فى علوم أهل زماننا فى العوالم فنقلته مختصرا على علاته التى تحيط بنا

وذلك لأن الطحال عند أطباء زماننا لم يجدوا له أوّلا وظيفة ثم قالوا انه تربى فيه الـكرات البيضاء المساعدة للـكرات الحمراء لتحارب الحيوانات الذرية المهاجة . وهكذا علم أحكام النجوم اليوم غير شائع وهو علم ظنى لايقينى . فأمثال هذا نـكتبه مع ماقبـله ليطلع أهل العلم فى بلاد الاسلام وغـيرها على مبلغ ماوصل اليه القدماء من الحـكمة والابداع . وكيف جعلوا الجسد الانسانى نموذجا للعالم كله من كوكب وفلك وبرج وعنصر ومعدن وحيوان ونبات وملك

فياليت شعرى كيف يفهـم المسلم قوله تعالى ـ يدبر الأمر من السماء الى الأرض ـ الى قوله ـ ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه ـ أو يفهم قوله تعالى ـ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهن ـ أوقوله ـ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ إلا بأمثال هـذه المباحث والعلوم العجيبة . أوقول المسلم فى الصلاة فى الرفع والاعتدال ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء مابينهما وملء ماشئت من شئ بعد ﴾ وقوله فى الركوع ﴿ خشع لك سمعى و بصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ﴾ وقوله فى السجود ﴿ اللهم لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوّره وشقّ

سمعه و بصره . تبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وقول المصلى فى صلاة الفجر ﴿ فلك الحمد على ماقضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ اهـ

اللهم إنى أعجب من هذا الثناء فى صلواتنا كيف كان هو ملخص علوم الحكمة وملخص رسالة « الانسان عالم صغير » فالسمع والبصر والمخ هى المذكورات فى الآية هنا وهو قوله تعالى ـ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ـ الخ فكأن المسلم وهو فى الرفع والاعتدال يشرح أطباق السموات والأرض اللاتى توازى طبقات جسمه التسع المتقدمة من العظم والدم وهكذا الى الظفر ، ومن الرأس والصدر والبطن وماتحت ذلك وهى الأربعة الموازية لطبقات الأرض والماء والهواء والأضواء وكأنه وهو فى ركوعه وسجوده يشير الى الحواس الموازيات الى السيارات ، ويزيد طبقات الجسم ايضاحا فيذكر العظم والعصب وهكذا وكأنه وهو فى قنوت الصبح يعبر عن ملخص معنى هذه الآية هنا إذ يقول الله تعالى ـ قليلا ماتشكرون ـ وهناك يقول ﴿ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت﴾

إن المصلى بوقوفه وركوعه وسجوده وجلوسه يوضح معنى كونه عالما صغيرا ، فانه لما كان ثناؤه على الله باللسان مشيرا الى قسمين من الأقسام الست فى ﴿رسالة الانسان عالم صغير﴾ وهما السموات مع كواكبها والى قسم ثالث وهو طبقات العالم السفلى أشار الى عالم الحيوان بالركوع لأن الحيوان كالراكع والى عالم النبات بالسجود لأن النبات رأسه كالساجد ، والى عالم المعادن الذى يقبل الكون والفساد كما يقبله الانسان بمجموع الحركات الدالة على ذلك التغير المستمر ، فصلاة المسلم نسخة مصغرة من العوالم تذكر المسلمين جميعا بدراسة أنفسهم حتى يسودوا فى الدنيا و يلحقوا بالعالم الأعلى وهم فى أعلى عليين

هذا ولابد قبل ختام هذا المقام من ذكر معجزة نبوية وحكمة اسلامية فى تفسير هذه الآية ـ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون ـ فقد جاء فى ﴿الرسالة الثالثة عشرة﴾ من ﴿اخوان الصفاء﴾ تحت العنوان التالى مانصه

﴿ كيفية نشوء الأنفس الجزئية فى الأجساد البشرية الطبيعية ﴾

اعلم أن من سنة الناموس والآداب الحسنة تناول الطعام الذى هو غذاء الجسد بثلاثة أصابع ، فهذه السنة كأنها اشارة من واضع الناموس للنفوس والتنبيه لها وحث على أنه واجب طلب العلوم من ﴿ ثلاث طرق ﴾ لأن العلم غذاء النفس كما أن الطعام غذاء الجسد وأحوال النفس مماثلة لأحوال الجسد لشدة اقتران مابينهما ☆ فأحد الطرق التى تنال بها النفس العلوم قوة الفكر الذى تدرك به النفس الموجودات المعقولات ومن هذه الطريق أخذت الأنبياء عليهم السلام الوحى من الملائكة ☆ والطريق الثانى السمع الذى به تقبل النفس معانى اللغات وما تدل عليه الأصوات من الأخبار الغائبة ☆ والطريق الثالث النظر الذى به تشاهد النفس الموجودات الحاضرة . فهذه الطرق الثلاث يجب أن يتناول العلوم بها كما بينا وكما نبهنا الله عز وجل إذ قال ـ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون ـ وذم من لاينتفع بالنعم فقال ـ لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ـ وقال أيضا ـ صم بكم عمى ـ فهم عمى عن الحقائق بكم عن الدقائق عمى عن المبصرات المعنوية العقلية بعين القلب . وليس يريد بهذا الذم من حيث انهم لايسمعون الأصوات ولايبصرون الألوان ولايعرفون ولايفقهون أمر المعاش بل انما ذمهم من حيث انهم لايعقلون أمر المعاد كما قال تعالى ـ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ـ

واعلم أن العلم قنية للنفس كما أن المال قنية للجسد لأن المال يراد لصلاح أمر الجسد والعلم يراد لصلاح

أمر النفس . فتى لم تنل النفس العلم من هذه الطرق الثلاثة وذلك تناولها بثلاثة أصابع إلا من طريقة واحدة أى بأصبع واحد فمثله كمثل المريض الذى ليس له حظ من ماله إلا الثلث لأن المريض واقف بين رجاء الحياة وخوف الممات وهذا مثل أهل التقليد الذين لايعرفون أمر الدين إلا من طريق السمع فهم موقوفون بين الشك واليقين ، والشك مرض النفوس واليقين صحتها ، فهؤلاء ليس لهم من العلم إلا الثلث من أجل مرض نفوسهم . انتهى

أقول ، هذا الكتاب ألف منذ نحو ألف سنة وفى أكثر هذه المدة كان المسلمون محصورة علومهم فى المذاهب التقليدية

فياليت شعرى هل تعاهدوا جميعا على نبذ الحقائق حتى أصبحنا عالة على أمم الأرض الآن ، نعم ظهر فيهم نابغون ولكنهم مقتوهم وكفروهم وحقروا آراءهم ، ولكن الآن أنا أبشركم أيها المسلمون أن ذاك زمان مضى وانقضى

بشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا ☆ وطالع السعد فى أفق العلا صعدا

والدليل على ذلك أنى أكتب الحكمة فى هذا التفسير ولا أتخذ التقية بالباسها لباس التصوّف بل الحكمة هنا واضحة والمسلمون قبلوها ، فبشرى ثم بشرى للمسلمين . انتهى صباح يوم السبت ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩

﴿ كشف واستبصار ﴾

(فى معنى — وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة — الخ)

(كتب قبيل فجر يوم الأحد ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٩)

كنت أصلى العشاء فى أواخر الليل وقرأت ﴿ سورة الملك ﴾ فلما وصلت الى آية — قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون — كررتها مرارا لأنها هى الآية التى وردت فى المقالة السابقة ولاتزال عالقة بالذهن . هنالك عجبت من تكرير القرآن لهذه الثلاثة فى القرآن ، وكيف يتبعها بقوله — قليلا ماتشكرون — أو بقوله — لعلكم تشكرون — ثم كيف قدّم السمع على البصر مع أننا بالبصر نرى الشمس والقمر وندرك كل ماعلى الأرض وتذكرت ما قاله (طيماوس الحكيم) فيما مضى من هذا التفسير « إن الله خلق البصر لندرك به الليل والنهار وتفتح لنا أبواب الفلسفة والحكمة ، وهذا وحده أجلّ نعمة فى هذه الأرض » إذن البصر مقدّم على السمع ، فلم قدّم الله السمع عليه فى هذه الآيات ؟ ولماذا يكرر هذه الحواس بلفظ واحد وترتيب واحد فى الآيات المتقدّمة ، والاجابة على هذا تستبين لك من ﴿ وجهين ☆ الوجه الأوّل ﴾ لم قدّم السمع على البصر والفؤاد ؟ مع أن البصر والفؤاد أهم من السمع ﴿ الوجه الثانى ﴾ لم تكرر هذه الآيات فى سور كثيرة على هذا النمط ؟

﴿ الوجه الأوّل . لم قدّم السمع على أخويه ؟ ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل جعل العلم لنا فى هذه الدنيا من ﴿ طرق ثلاث ﴾ كما تقدّم سابقا (١) طريق الألفاظ (٢) وطريق صور المعانى الواصلة من البصر (٣) وطريق البحث العقلى المستخرج للمعانى الكلية من الصور الذهنية ، وهذا واضح مما تقدّم . فالألفاظ أشبه بالنوّاب والوكلاء . فالمعانى فى النفس سواء أكانت من طريق البصر أو من طريق العقل يعبر عنها بالألفاظ . فالألفاظ إذن عالم قائم مقام عالم المبصرات والمشمومات والمذوقات والملموسات والمعقولات ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ العالم عالمان . عالم طبيعى . وعالم وضعى اصطلاحى . والعالم الطبيعى المبصر والمذوق والمشموم الخ والمعقول . والعالم الاصطلاحى هو عالم الألفاظ المعبر عن تلك المعلومات كلها . فالألفاظ فى الهواء عوالم قامت مقام العوالم كلها القائمات بأذهاننا فاذا كانت المخيلة والمفكرة والحافظة قد صوّرت

فيها جميع العوالم الحسية والمعنوية فهاهوذا اللسان عبرعنها كلها وقذفها فى الهواء وجرت فيه وحفظها بأمانته أى العلوم حتى وصلت الى الآذان . وهذه الألفاظ ماهى إلا اصطلاح اصطلح عليه الناس ، فلفظ شجرة وحجر ونور كلها أصوات اصطلحنا على دلالتها على المعانى القائمة بأذهاننا المصوّرة بصور تلك الثلاثة فهنا لفظ دل على صورة فى الذهن وهذه الصورة دلت على مانراه بأعيننا أوعقلناه بأدلتنا . هذه هى وظيفة السمع . فوظيفة السمع متعلقة بوظيفة اللسان والرسول بينهما الهواء وهوأمين ، والدلالة هنا وضعية لاطبيعية ، ولوأن السمع زال من الوجود ولم يخلق الله الأسماع لم تخلق إذن الألسنة ، لأن اللسان خلق لنسمع به ، فاذا فقد السمع فليفقد نطق اللسان وليخصص هذا اللسان بحاسة الذوق لاغير ، أما الأفهام والتعليم فلا ، فاذن يكون الناس جميعا صما بكما ولكنهم مبصرون واذن لانبى يرسل ولاعالم ولاحكيم ولاخطيب ولاكتاب يؤلف ، فاذن تكون الانسانية غيرالانسان بل تكون الى الحيوانية أقرب . إذن خلقت الآذان وخلق اللسان لنسمع هذه الأصوات الاصطلاحية ومتى سمعناها أخذنا ندرس هـذا الوجود بأبصارنا ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ان المسلم يسمع القرآن يذكرنا بالآداب والعبادات والمخلوقات . هنالك يفتح لنا ﴿ أمران ﴾ الابصار والبصائر . فبعـد أن كان المسلم يرى الأشياء ولايفكر فيها فبعد سماع الآيات يجتهد فى الابصار اجتهادا أشدّ و يستبصر و يفهم ماأبصره . فهذا وجه تقديم السمع على أخويه والله أعلم

﴿ الوجه الثانى ﴾

(فى تبيان حكمة تكرار هذه الثلاثة فى القرآن وأن شكرنا عليها قليل)

علم الله قبل خلق العالم وقبل انزال القرآن أن المسلمين سيعتريهم مااعترى الأمم السالفة من ظهور شيوخ فى العالم الاسلامى يقولون لتلاميذهم «كرروا هذه الأوراد صباحا ومساء . واياكم والعلم» فيعيش التلميذ على هذا و يموت . أو يقولون «متى قرأتم التوحيد والفقه فهذا كاف» أو يقولون «متى أخذتم شهادة العالمية فقد كفى فلتتصدّروا فى المجالس . وهذا هوالمقصد الأسمى من الحياة» أو يقولون «إن الكتب المصطلح عليها بين أهل البلاد فى الدين كافية وافية»

أقول علم الله ذلك بل هوالذى رتب هذه العقول على ماعلم ــ ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك ــ لذلك أنزل لهذا الداء العياء دواء وأخذ يذكرنا به فى مواضع كثيرة ــ فذكر إن نفعت الذكرى ــ انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر ــ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ــ

ولاجرم أن هذا الكتاب مؤلف للمؤمنين . فالتذكير بهذه النعم نافع لهم وأنا موقن بذلك . ذلك أن المسلمين متى قرؤا هذا القول هنا يقولون «لاتكفينا قراءة الأوراد وحدها فهى لم تجعل إلا لحبس النفوس الشريرة عن أذى الناس بالغيبة والنميمة والاضرار بالناس» وفرق بين حبس المجرم و بين تعليمه . فهل المسلم الذى جعله الله من ــ خير أمة أخرجت للناس ــ يحبس لنكتفى شره . انه وضع فى الأرض ليكون خيرا وأفضل من جاء الى الناس فيها لا انه شرير نحبسه فى قفص الأوراد صباحا ومساء . ونقول له لاتتعدّ الورد أوهذا الحزب وكرره صباحا ومساء . نعم الذى لايصلح لشئ فى الاسلام نأمره بذلك . فأما أكثر المسلمين فهم أقل مافيهم انهم كعباد الله فى الأرض خلقهم الله وخلق لهم الأسماع والأبصار والأفئدة . فلماذا يقصرعلى مجرد اللفظ بالورد وعلى مجرد سماعه و يحجب بصره عن النظر وعقله عن الفكر

فلما اطلع على هذا صـديق العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير قال حياك الله أما البيان فهو جميل ولكن عنـدى شبهة فقلت وماهى ؟ فقال الله يقول ــ كنتم خير أمة أخرجت للناس ــ ولكنك فى بيانك هذا قلت انهم قد حبسوا فى الألفاظ أوفى علوم ضئيلة وأكثر كلامك فى التفسير ينحو هذا المنحى فالحق والحق أقول ان هذه الشبهة أنت الذى أثرتها فى نفسى وفى نفوس كثيرين من القراء . أليس وعدالله حقا . وعدنا

الله أن نكون خير أمة أخرجت للناس ولكنك أبنت أننا لسنا خير أمة أخرجت للناس بل نحن قوم أعظم ماقينا اننا نسمع ولانعقل كما قال الله تعالى ــ لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بهاــ ثم شبههم بالأنعام فقال ــ أولئك كالأنعام بل هم أضل ــ غاية الأمر انك أبنت انهم يسمعون وحكمت بأن الأبصار والعقول غير مستيقظة . فقلت إن الخير فى الأمة من أيام النبوّة الى الآن ولكن كلامى منصبّ على الأكثر ومع هذا كله نحن ــ خير أمّة أخرجت للناس ــ فقال هذا هو التناقض بعينه ، وما أنت فى هــذا إلا مقلد والمقلد يعتقد المتناقضين . فقلت بل موقن . فقال ــ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ــ فقلت له حياك الله ، أليس الاسلام قد انتشر بالأمة العربية . قال نعم ولكن ذلك زمان مضى وانقضى . قلت اصبر قليلا ولاتعجل . اعلم أن الأمة أشبه بجسم واحد . فالأمة الاسلامية من العصور الأولى الى الآن جسم واحد . وهذه الأمة الآن فى سنتها الرابعة عشرة فالقرن فى حياة الأمة أشبه بسنة كما ستراه فى ﴿سورة سبأ﴾ عند الكلام على التقليد فى آية ــ ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ــ الخ فهى فى القرن الأوّل والثانى كانت فى الرضاع والرضاع حولان كاملان . والرضاع كان من نفس الأثداء العلمية الاسلامية والعلم عبر عنه باللبن فى حديث الاسراء لهذه النكتة فانه ﷺ اختار اللبن ونبذ الخر فى ذلك الحديث وأمته شربت هذا اللبن وابن الأم يغذى الطفل سنتين و بعدهما يتولاه المعلمون . فالأمة فى القرنين الأوّلين نشرت الدين الى قلب البلاد الفرنسية والى داخل بلاد الصين . ذلك لأنها قامت بنشر الدين . فلما انقضى القرنان وقفت الفتوحات وأخذت الأمة تقرأ العلوم وتترجم الكتب من اليونانية وغيرها الى العربية . هكذا الطفل بعد مدة الرضاع يتعاطى الطعام مما يحيط به على حسب البيئة التى هو فيها ولكن هذه الأمة يتيمة لأن نبيها ﷺ رفع الى السماء والأمم كلها تتحفز لها وتقاومها فقيض الله لها أئمة مجتهدين وحكماء وعلماء فصاروا يلقون اليها نبذا من العلوم كما يعطى الطفل أنواع الطعام بعد الفطام . ومعلوم أن اليتيم تتقاذفه الحوادث فحصلت هذه الأمراض فى جسم هذا الطفل ولكن أصله كريم . فأخذ يكبر وان كان جسمه هزيلا . ولكن حدثت حوادث رجت الارض رجا ؟ هى حوادث الحرب الكبرى فى زماننا فاستيقظ هذا الطفل المراهق من القلاقل والاذلال والمدافع والغازات الخانقة فرفع عينه الى خالقه فأجابه « أيها المراهق لا تخف إن وعدى حق . والآن وان كنت لم تبلغ بالسنّ فقد بلغت بالحلم » والبلوغ بالحلم يرجع فى الطفل لقوّة الجسم أما هنا فهو للقوّة العلمية العقلية التى حدثت فى مصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش و بلاد السودان والشام والفرس والعراق والهند و بلاد جاوه فان هذه الأمم كلها استيقظت مرة واحدة وأصبحت كلها تنطق بلسان واحد « العلوم العلوم . الفكر الفكر » والدليل الذى ألمسه أنا بيدى هو هذا التفسير ، فلقد قبله المسلمون جميعا مع أن القرآن فيه قد ابتلع العلوم التى فى الشرق والتى فى الغرب فحكمت حكما لا أشك فيه أن هذا المراهق بلغ الحلم وأن هذا المراهق كان ضعيفا مريضا لأنه يتيم واليتيم اذا بلغ الحلم زال عنه وصف اليتم . وأنا أرفع صوتى بهذا للمسلمين فأقول أيتها الأمة أنت قد ارتقيت فجأة وزال عنك الآن الوصمة السابقة والمرض والضعف فان هذا التفسير وأمثاله لم يصادفه ما صادف كتب الامام الغزالى رحمه الله تعالى إذ أحرقت أيام على بن تاشفين فى بلاد المغرب كما سأوضحه فى ﴿سورة سبأ﴾ ولا ماصادف كتب ابن رشد إذ ابتلى رحمه الله بالايذاء وانتقل علمه من بلاد الاسلام الى أوروبا فعاقبنا الله بجهلنا . أما الآن فهذه الأمة قد عقلت وفهمت . وانما فعل الله ذلك اتباعا لسنته وجريا على طريقته . فهو هكذا خلقنا من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة . وهذا الضعف فى الأمة الاسلامية بسبب الصغر قد انتهى اليوم . فنحن خير أمة أخرجت للناس غاية الأمر أنا كنا مرضى وصغارا جهالا فعوفينا وأدركنا و بلغنا . ولاجرم أن المريض اذا شفى يعتبر بما آذاه من المرض بالتجارب فيحترس عما وقع فيه . أفلاتتذكر أن الرجل الذى يأكل المادّة كل الدسمة ان عاش ولم يمرض مات فجأة لأن جسمه

لم

لم يقدر أن يستخرج منه الفضلات بطريق الجروح ونحوها وأن الرجل الذى يأكلها ثم مرض فان حياته تطول لأنه هوالقوى لأن من تخرج منه الفضلات خير ممن بقيت فى جسمه تنهك قواه فيموت ، فرض الأمة الاسلامية السابقة ثم رجوعها الى الصحة دليل على متانة تركيبها ، فهى إذن أشبه بخير الرجلين السابقين ، والأمة فى أوّل أمرها أتخمتها الغنائم وتفرّقت لتحكم الأمم شرقا وغربا ثم كانت هذه الحرب العالمية ، والأمة العربية على وجه الخصوص التى نزل القرآن بلسانها هى أوّل الأمم التى شرفها الله بأنها ـ خير أمّة أخرجت للناس ـ لأنها تفرّقت فى الأرض لنشر الدين ثم غلبت على أمرها فى زمن صغرها ، وهاهى ذه الآن أخذت ترجع كرة أخرى لمجدها وذلك بطريق السمع والابصار والأفئدة والشكر ولهذا كررت الآية فى سور كثيرة فقال تعالى مثلا فى (سورة الملك) ـ وهو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ـ وسيأتى لهذا المقام ايضاح فى ﴿ سورة سبأ ﴾ عند آية ـ ولو ترى إذ الظالمون ـ الخ كما قلت لك وفى ﴿سورة الزخرف﴾ فى أولها عند قوله تعالى ـ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ـ

فلما سمع صاحبى العالم ذلك قال لقد ثلج صدرى وانشرح لما ذكرته من أن الأمم الاسلامية اليوم قد أصبحت مشبهة لمن بلغ الحلم وانها أخذت تعقل واستدلت بما علمت من أحوالها ولكنى أقول ان هذا الدليل يعوزه دليل آخر ليكونا شاهدين على هذه القضية ، يقول الله تعالى ـ وأشهدوا ذوى عدل ـ وهذا شاهد واحد ، وخير الشواهد ما كان من التاريخ فى هذا المقام ، فلو أنك بحثت عن أمة ذات دين اعتراها ما اعترى أمتنا من هذا الضعف ثم أخذت تعقل فى القرن الرابع عشر بعد فراق نبيها لها بطريق أرقى من سابق أيامها كان ذلك شاهدا حسنا فى هذا الموضوع . فقلت لقد طلبت منى مرتقى صعبا وأمرا عسيرا فان ديانة البوذية قديمة العهد و بنو اسرائيل مشتتون فى الأرض مقطعون قطعا فلا نهتدى لبحث تاريخهم ولم شعثهم ، على أن دين موسى دين قومى لا عمومى لأنهم حصروه فى بنى اسرائيل فليس لدينا إلا دين المسيح الذى نسخ بعد نزوله بست قرون إذ نزل الدين الاسلامى ، فهؤلاء النصارى لما جاء الاسلام كان الباباوات يتحكمون فيهم وقد مرّ فى هذا التفسير ، وأن بابا (رومه) كان هو الذى يعزل و يولى ملوك أوروبا وأذلهم وقهرهم وقد ضرب (ملك جرمانيا) برجله وقد أوقفه ثلاثة أيام وهو يتذلل فلا يغفر له وكم عذب وكم قتل . كل هذا تقدّم فى ﴿ سورة التوبة ﴾ ولا زالوا فى هذا الذل حتى كانت الحروب الصليبية وحروب الاوروبيين مع أهل الأندلس الذين حقروا علم الحكمة وأهل أوروبا قد سئموا حكم رجال الدين فكان المسلمون أشبه بالطفل الذى بلغ سبع سنين أو ثمانيا وأهل أوروبا أشبه بطفل قد بلغ الرابعة عشرة فأخذوا علوم المسلمين وارتقوا بعد أن حقرها المسلمون كما يحقر الطفل كل ما لم يكن حلوى يأكلها وكما يحقر الديك الجوهرة و يلتقط الحبة لا غير . وعليه نقول إن أوروبا المسيحية حوالى القرن الرابع عشر من تاريخ دينها أخذت ترتقى فى حياتها والمسلمون اليوم أخذوا يقرؤن علومهم وهم فى قرنهم الرابع عشر كما فعل أولئك سابقا . فهذا هو دليلى . إذن المسلمون اليوم أخذوا فى الرقى لأنهم أشبه بمن بلغ الحلم فى سن (١٤) كما فعلت أوروبا من قبل . والمقام ليس مقام نسخ الدين وعدم نسخه وانما المقام فى أن التاريخ أخذ يعيد نفسه و يفعل المسلمون ما فعل المسيحيون من الرقى العظيم اهـ

ثم انه لما اطلع على المقال المتقدّم فى جسد الانسان وموازنته بالعالم السماوى والأرضى قال لقد ظهر بهذا من العلم ما كان مخبوأ عن الكثيرين من أمم الاسلام فان كون الانسان نموذجا للعالم يظنه من لا تحصيل عنده أمرا خياليا ـ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ـ ولكن ظهر الآن انه حقيقة ثابتة وأن الله عزّ وجل رحمة منه بعباده جعل أجسامهم وأرواحهم عنوانا ونموذجا للعوالم كلها حتى تحضر فى عقولهم بأقل نظرة فتكون العوالم كأنها حاضرة عند الانسان ، وهذا خير ما جاء فى هذا التفسير بل خير ما يعرفه الناس من العلوم ولكنى أريد منك درسا مختصرا الآن على هذا المقال بحيث نفهم به من جسم الانسان وروحه قبل

فوات الفرصة

(١) نظام علم التوحيد

(٢) ونظام الملوك والأمراء أورؤساء الجمهوريات مع ممالكهم وتصوّر امتحانهم لها

(٣) ونظام الحكماء مع أممهم أيضا وامتحانهم لها ودراستهم لنظمها

(٤) وهل هذا الجسم الانسانى يعطينا نموذجا لاحتلال الدول القوية بلاد الأمم الضعيفة ؟ وأىّ نموذج لذلك فى جسم الانسان ؟

هذه هى النظم الأربعة التى أردت أن أعرفها من نظام الجسم الانسانى حتى تكون العلوم بسبب النظام الأوّل حاضرة عند الانسان ، وسياسة الدول كذلك بالثانى ، وسياسة الحكماء وسياسة الأمم الغالبة مع المغلوبة بالثالث والرابع واذن نفهم قوله تعالى - والله غالب على أمره ولكنّ أكثرالناس لايعلمون -

﴿ النظام الأوّل ﴾

فقلت أما نظام علم التوحيد فهو يرجع الى جميع العلوم ، أما التوحيد الجدلى فهو للعامّة وصغار العلماء ، وقد مرّ كثيرمنه فى هذا التفسير بل هذا التفسيرأعان الله عليه لهذا وأمثاله ، ولكن أقول منه الآن قلا من كل إجابة على سؤالك

إن العاقل ينظرالى نفسه فيجد له روحا لم يرها وعقلا مدبرا وحافظة وذاكرة ومخيلة وحسا مشتركا ، كل هذه لم يرها ولكنها تتصرّف فى جميع أموره حياته ، فروحه وهى رئيسة هؤلاء وهو لم يرها ضربها الله مثلا (وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهوالعزيزالحكيم) لسلطانه فى العوالم ولم يره أحد ، وهذه القوى المتصرفة فى جسمه ضربها الله مثلا للملائكة الذين أوجب علينا أن نؤمن بهم ليفتح لنا بهذا الايمان هذه العلوم ، والحواس الخمس التى تشرف على العوالم الخارجة المسخرات للعقل ولجنوده الباطنة لكل حاسة منها مملكة لاتعرفها الحاسة الأخرى . فالبصر يجهل الحلو والمرّ والسمع يجهل الأخضر والأحمرالخ والذوق يجهل النور والصوت والنغمات وهكذا ، إذن هذه ممالك متجاورات لكل مملكة أعمال لايمكن حصرها كما مرّ شرحه فى موضوع الجسم العام وهى فى حسابها ونظامها ترجع الى الروح المدبرة التى لم نرها . والروح وحدها لها الأمر فهى تخاطب البصرالذى مقرّه العين ظاهرا بخطاب فى أمرالألوان كقوس قزح والأنوار الكوكبية بما لاتخاطب به الذوق الذى مقرّه اللسان بحسب الظاهر فى أمر الحلاوة والمرارة والحرافة والعذوبة والملوحة وأمثالها وبما لاتخاطب به السمع فى أمر صوت الرعد وأصوات الرياح والأمواج وتستفهم الروح من العين عن البرق ومن الأذن عن الرعد ومن الذوق عن العسل ومن اللمس عن الحرارة فى الجوّ أوالبرودة . فالحرارة وقوس قزح والرعد التى تظهر فى الجوّ آيات مفصلات على الآيات المبدعات فى الأجسام من قوّة اللمس فى اليد والبصر فى العين والسمع فى الأذن

هذه هى حال الروح مع عالمها وهذا هو ايضاح المثل الانسانى الذى ضربه الله لنظام عالمه . فهو يعلم نظام السمك فى البحر ونظام حيوان البرّ وكل منهما لايعلم شيأ عن الآخر إلاقليلا . ولقد خلق ممالك فى الأرض وكل منها ذات قوانين لاتسرى إلافى بلادها وهم بها راضون . وهكذا أرسل رسلا وكل له شرع وجميعهم يرجعون فى حسابهم الى ربهم على مقتضى شرائعهم التى لم تنسخ قبل خاتم الأنبياء ﷺ كما رجعت عوالم الابصار والاسماع والأذواق الى الروح والعقل وأدّت حسابها وأخذت الروح تنظم عوالمها على مقتضى النتائج الواصلة اليها . وهكذا خلق عالم الارض وعالم المريخ وعالم زحل وعالم الكواكب الثابتة وعالم السدم (جمع سديم) وعالم المجرات . وكل عالم يجهل ماعند الآخر . ولكنها كلها متجهة الى ربها كما اتجهت الحواس اللاتى وكلها العقل والروح بالعوالم الخارجة الى العقل والروح فأدّت حسابها وامتحانها . وانما قلنا ان كل عالم يجهل العالم الآخر لأن

ذلك

ذلك كأهل الأرض فانهم يبحثون عن عالم المريخ ويجدون فى الوصول لى مخاطبتهم ومع ذلك وجدوا الطريق وعرا فرجعوا بخفى حنين كما أن العين لو كانت مستقلة لقالت أنا أجهل علوم اللغات والأذن لو نطقت لقالت ويلى ما أعظم جهلى بعلوم المناظر والألوان . انتهى الكلام على نظام التوحيد والمثل الذى ضربه الله بأجسامنا لنظامه فى عوالمه

﴿ النظام الثانى ﴾

(وهو أن الله جعل الجسم الانسانى مثلا للأمراء والملوك ورؤساء الجمهوريات مع ممالكهم ورعاياهم)

انظر الى القوى الباطنة الانسانية والقوى الظاهرة والمعلومات الانسانية تجدها هى بنصها وفصها منطبقة على الممالك ، فكما أننا نجد الدولة فيها وزراء ومجالس نوّاب ورجال استشارة هكذا نجد بجانب العقل الحاكم فى الانسان قوى باطنية من حافظة ومتخيلة ومفكرة وذاكرة مطابقة لما نراه فى دواوين الحكومات من العقول الراجحة والنفوس المفكرة والدفاتر المسجلة والنظم الثابتة وأن كل دائرة من دوائر الحكومات تجهل ماعند الدائرة الأخرى ، ألاترى رعاك الله أن وزراء الزراعات ووزراء المالية ووزراء المعارف لايعلم كل ماعند الآخر إلاقليلا ، ولكن الملك أوالأمير أورئيس الجمهورية أومجالس نوّاب الأمة هؤلاء هم المحاسبون المطلعون على كل نظام على حدته وليس لأحد من أرباب تلك النظم أن يتعدّى حدّه ، فلايتدخل وزير الزراعة فى أعمال وزير المعارف لئلا يحصل الاختلال فى نظام الدولة كما لاتتدخل العين فى علم الموسيقى والألحان وفى علوم اللغات

﴿ الكلام على النظام الثالث وهو نظام حكماء الأمم معها ﴾

فكما رأيت نظام الأمراء مع الدول هكذا نرى نظام الحكماء مع الأمم ، فحكماء الأمم هم المشار اليهم بما روى « إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لهذه الأمّة أمر دينها » ولقد بعث الله فى الاسلام رجالا معروفين وعنهم ومن آثارهم تلقينا العلم ، فهؤلاء هم حكماء الأمة الذين يدرسون نظمها ويعطون لها تعاليم توافق عصرهم لأن كل عصر له مقام معلوم مع اتصال الأعصر كلها بالشريعة المرسومة والطريقة المعهودة فالحكيم الحقيقى لأمم الاسلام هو الذى يدرس جميع النظم بقدر امكانه ، ومتى ظهر أنه موافق للاصلاح ألقى الله حبه فى قلوب الناس فأخذوا برأيه وساروا على سبيله واتبعوا طريقته وفكروا بعقولهم فى آرائه ثم انتهجوا سبلا بحسب عقولهم واجتهادهم على مقتضى ما يرونه ، فاذا رأينا الأمم قبلت حكمة حكمائها ونصائح فضلائها وأعظمتهم كان ذلك دليلا على حياتها ، وان هى غمطت حقهم وأنكرت فضلهم وخاصمتهم وأهانتهم دلّ ذلك على أنهم آخذون فى الاضمحلال لأن الحكماء منزلتهم من الأمم بمنزلة الابصار من الجسد ، فاذا نبذت الحكماء فقد أصبحت عمياء والأعمى لايهتدى الى السبل فهو يحتاج الى الهداة ، وهذا بعينه مثل هذه الأمم الاسلامية المتأخرة لما غربت شمس حضارتها وولت أيام شبابها وأدبرت سنين سعادتها وأقبلت أيام هرمها ودنت من موتها بالمرض المزمن الذى شلّ أعضاءها وذلك أيام الدولة العباسية لماقتل بعض ملوك بنى العباس ابن السكيت مثلا ، وأيام دولة المرابطين إذ أحرق بعض (بنى تاشفين) فى المغرب كتب الغزالى وأذل بعض ملوك الموحدين العلامة ابن رشد وحبسه وحقره فى أعين الأمة وهكذا فعل ملوك بنى عثمان مع هذه الأمة كلها بعد ذلك فان السلطان سليم نقل الصناع المصريين الحاذقين فى صناعاتهم لما فتح مصر وأخذهم الى بلاده ولما توسطوا البحر غرقت المراكب بهم ففاتت الصناعات من مصر علما منه بما للصناعات من آثار فى قوة الأمم . وهكذا جمال الدين الأفغانى لما كان فى الاستانة أتاه مرض السرطان هو والكاتب المشهور (محمد نديم المصرى)

ولقد أشاع الناس أن ذلك بأمر الخليفة العثمانى ، والأمة متى ذهب بصرها ولم يبق إلااسمها عاشت عمياء لاتبصر ، وعليه تصبح وليس عندها من العلم إلا ثلثه لأن قوة التفكير ضائعة لأنها محصورة ، وقوة البصر لاوجود لها لأن الحكمة هى البصائر للناس وهى التى أنزل الله لها ﴿ سورة لقمان ﴾ وهو القائل — ومن

يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ومايذكر إلا أولوا الألباب ـ والحكماء اذا جهلتهم أمم الاسلام كما حصل فعلا فقدت بصرها فأصبحت تتخبط فى ديجور الظلام ، وانما الذى عندها من العلم هو القرآن يحفظه الأطفال و يعيشون أطفالا وهم كبار ، أما الأبصار وأما العقول فهى المختوم عليها ، وعليه نقول لننظر فى النظام الرابع

﴿ النظام الرابع . وهو نظام الأمم القوية المستعبدة للأمم الضعيفة ﴾

إن الأمم التى أصبحت عمياء بسبب احتقار حكمائها والمفكرين من أبنائها كالأمم الاسلامية فى القرون الأخيرة تصبح لاعلم عندها إلا ماسمعته والعقول محجوبة ، ولاجرم أن اللسان انما يعبر عما فى العقل والعقل جاهل فتكون كتبها غير معشقة للحكمة وخطباؤها لايؤثرون فى الشعوب إلا آثارا قليلة على مقدار بضاعتهم المزجاة ، وهذه الأمم إما مريضة أمراضا تشبه أمراض السل والجدرى والحصباء ، واما ميتة ، والمرضى يعوزهم أطباء يستفيدون منهم نقودا و يعطون لهم عقاقير وأدوية ، ولاجرم أن العقاقير والأدوية قد ثبت أن ضررها أكثر من نفعها اذا اعتمد الناس عليها وتمادوا فيها كما تقدم فى سور كثيرة كسورة (طه والشعراء والبقرة والأعراف) بشهادة أعظم أطباء ألمانيا والنمسا وغيرهم ، والأموات يعوزهم من يدفنونهم بعدموتهم إراحة للناس من رممهم الضارة بالهواء ، وقد اعتاد الناس أن يتخلصوا من رمم الموتى إما بأكل أجسامهم إن كانوا بوذيين أو بابقائها وتحنيطها إن كانوا من قدماء المصريين واما بدفنها فى الأرض ان كانوا مسلمين أومسيحيين أويهود ، والنتيجة لذلك كله انهم تخلصوا من رمم أحبائهم الذين لم يكونوا ليحبوا مفارقتهم فى هذه الحياة هكذا الأمم القوية متى رأت أمما ضعيفة فلامناص لها من ﴿ أحد أمرين ﴾ إما أن تحتل بلادها أن كانت مريضة وتدعى انها تداويها وهذا هو البلاء المبين . وذلك ككثير من الدول المستعمرات لبلاد الاسلام . واما أن تهلك حرثها ونسلها وهذا هو الحاصل الآن فى بلاد أمريكا فقد انقرض الشعب الأصلى وهم سكان الأرض الأوّلون . وهكذا أهل (استراليا) فهؤلاء وهؤلاء نعتبرهم ميتين أمام الفاتحين . و يقرب منهم أهل الأندلس الذين تفرّقوا عشرين دولة كما تقدم ايضاحه فى هذا التفسير عند آية ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ فى ﴿ سورة النمل ﴾ فهؤلاء كانوا كجسم تمزق عشرين قطعة فلابد من دفنه فبطشوا بهم بطش الجبارين

ان أكثر الأمم الاسلامية المستعبدة اليوم ليسوا بميتين وانما هم مرضى وأدواؤهم ﴿ أحد أمرين ﴾ إما عقاقير الفاتحين وأدويتهم وهذا يحدث فى أجسامهم أمراضا جديدة كما قرّره كبار الأطباء وشرحناه فى هذا التفسير واما بالأدوية الطبيعية التى تشابه الاستشفاء بالهواء النقى والماء والأغذية والرياضيات المختلفات وهذا هو الدواء الوحيد الناجع فى المرضى . وهذا هو الدواء الوحيد لأمم الاسلام المتأخرة . وماهو ذلك ؟ هو قراءة أمثال هذا التفسير من كل ما يرجع الأمة الى حال فطرتها والى النظام الذى كان فى عصر الصحابة والتابعين من دراسة هذه الدنيا والنظر فيها وفى القرآن . فهذا هو الدواء الذى جعله الله عزّوجل لهذه الأمة فى هذا الزمان ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ

ههنا سألنى قائلا . هل تسمح لى أن أذكرك بأمر هام فى هذا المقام . فقلت حبا وكرامة . فقال يؤخذ مما ذكرته فيما تقدّم قريبا أن الانسان لوح محفوظ . فذكر هذا فى التفسير يحمل فى النفوس انقباضا و يذكرها بهؤلاء الأقوام الذين يجلسون فى حلقات القوم و ينطقون بألفاظ لاهم يفهمون معناها ولاالسامعون . اللوح المحفوظ هو لوح الله لا لوح هذا الانسان الذى هو جهول ظلوم . وهل ترى أنت أن اللوح المحفوظ نزل من عند الله الى الأرض واختلط بهذا الطين وأصبح فى هذه الظلمة ؟ وأيضا اذا كان اللوح المحفوظ عند الله واحدا فكيف أنزله الى الأرض فصار آلاف آلاف الآلاف بعدد الناس ؟ واذا كانت هذه النفوس هى ألواح الله فأين البهجة والرواء والجمال والعظمة التى يتذكرها الانسان فى ذلك اللوح . اللوح المحفوظ فيه علم ما كان وما يكون فهل أنا وأنت نعرف ما كان وما يكون ؟ هذا القول بعد هذا البيان يلقى الى الجهلاء لا الى العلماء وهذا التفسير

يكتب للطبقة الراقية لا للعامّة والجهلاء . ثم سكت فقلت هل فى نفسك شئ ؟ فقال وهل ماسمعته لا يكفى فى الاعراب عما جاش بخاطرى . فقلت حياك الله و بياك . اعلم أن هذا الانسان أمره عجب . إن الناس يعيشون و يموتون وهم هم أنفسهم لايدركون أنهم نور و بهجة وكمال وحكمة . يخيل بنفسى أن هذه الأجسام الانسانية والأرواح الحالة فيها وكثرة عددها على الأرض أشبه بحبات اللقاح الكثيرة فى النبات فانها لافعل لها فى إلقاح الاناث إلا آحادا منها ، وهكذا الحيوانات المنوية فى ماء الرجل فانها تعدّ بالآلاف ولكن واحد منها وحده هو الذى يتحد بالخلية المنوية التى أقبلت من ماء الأنثى فيكون الحمل كما تقدّم فى ﴿ سورة طه ﴾

أعجب من هذا الانسان ، هو يأكل و يشرب و ينام و يتعلم و يعقل و يتذكر و ينسى ، وهو نفسه نموذج الجمال والحكمة ثم يموت وهو لايعلم من هذه الدنيا المحزنة إلا أنه قاسى الأهوال وأغرم بالأموال وعذب بالأبناء والبنين ودولته حاربت دولا أخرى ثم مات ، هذا هو الانسان

﴿ خطاب لنوع الانسان ﴾

أيها الناس . لوأن عقولا كبيرة خلصت من أجسامها ثم نظرت هذا الانسان يعيش و يأكل و يشرب و يكسب و يحارب و ينصب و يشتهى لرأت أمرا عجبا ، فماذا ترى ؟ ترى أن الأرض والكواكب وماعلى الأرض من المخلوقات إن هى إلا حركات فى الأثير ، وماهو الأثير ؟ هو موجود أدهش العلماء ، وأوّل من تخيله (اسحق نيوتن) وقد أجمع هو والعلماء بعده انه ليس مادّة ، ولكنه هو اضطر أن يقول « انه ذرات ضئيلة جدا » وقد جعل هذا مجازا فقط ، ولقد عبرعنه (هو يجنس) بقوله «موجات» وهذا من أقوال الفلاسفة فيه وآخرهم (انيشتين) العالم الألمانى فى زماننا فانه يقول « هو خيال من الفضاء ، والوقت يصعب على غير المتعمق فى الرياضيات فهمه »

هذه أقوال ثلاثة من تسعة أقوال يقولها العلماء فى الأثير الذى هو أصل للمادّة التى منها هذا الانسان . فآخرها انه خيال يفهمه المتعمقون فى العلوم الرياضية . إذن الأثير أمر موجود وليس بمادة والتعبير عنه بعيد عن العقول . وغاية الأمر أن العلماء وصفوه ﴿ بعشرة أوصاف ﴾ نذكرها هنا لتكون مبدأ منه نبحث فى الانسان وكيف صار لوحا محفوظا . وهذه العشرة هى

(١) انه شفاف
(٢) عديم الاحتكاك بالمواد
(٣) عظيم الكثافة
(٤) تام المرونة
(٥) عديم الحرارة
(٦) عديم الصوت
(٧) موصل جيد للجاذبية والنور والأمواج الكهربائية والمغناطيس
(٨) وهو وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها
(٩) وهو وسيط للألفة الكيمائية
(١٠) وهو يملأ كل فراغ

هذه هى الصفات العشرة التى يعرفها علماء زماننا للأثير الذى هو أصل للمادة التى خلق منها الانسان الذى يقال انه لوح محفوظ تتوقف معرفة لوحيته وحفظها على هذه المقدّمات فى زماننا . و يقول العلماء إن معنى كون الأثير عظيم الكثافة انه لو فرض وتحوّل الى مادّة نراها ونلمسها لكانت كثافتها فى المليمتر الواحد

المكعب بمقدار (ألف طن) ومعلوم أن الطن الواحد وزنه نحو (٢٢) قنطارا فيكون المليمتر المكعب وزنه (٢٢) ألف قنطار ، والمرونة المذكورة تساوى ضرب هذه الكثافة فى مربع سرعة النور ، هذا ما يقال فى الأثير ، فهذا الأثير عجب كيف يكون غير مادة ثم تكون هذه حاله فيكون المليمتر المكعب بمقدار هذا الوزن

أقول . انما قالوا هذا لأنهم رأوه يتحمل من الأثقال مالاحد له . فهذه جاذبية الشمس للأرض فهى تأتى بواسطته وهكذا النور والكهرباء والمغناطيس . وهذه لها أفعال هائلة قوية فأى موجود يتحمل هذه كلها أمد الدهر إلا اذا كان بهذه المقادير وهذه المقادير ليس يحسبها إلا أرباب الفن . فهم هم الذين لهم هذا الحساب المتقدم

هذا آخر ماعند العلماء فى الأثير فهو موجود قوى متين عظيم يحمل مالاتحمله المعادن التى نراها . فلننقل المبحث الآن الى المادة التى خلقت من هذا الأثير . انهم يقولون « ما المادة إلا حركات فى الأثير » أوهى كهرباء موجبة وسالبة يدور سالبها حول موجبها (انظره فى سورة النور عند آية ـ الله نور السموات والأرض ـ) وماهذا الذى نراه من جبل وشجر وشمس وقمر وماء وأرض إلا حركات قد اختلفت كمياتها وكيفياتها و باختلافها تنار لنا مناظر مختلفات . ولما كانت كذلك لم نر لها استقرارا فهى سريعة التغير . فالأرض والكواكب كلها متحركات لاتقف فى مكان لحظة واحدة والانسان والحيوان والنبات متحركات دائما اما فى نموّهن واما فى ذبولهن وذهابهن من الوجود . فهذه العوالم التى يعيش الناس فيها كلها متغيرات وتقدم قول أفلاطون أن المادة لاثبات لها فليست تستحق اسم الوجود وليست تصلح مناطا للعلم لأن العلم ثابت والمادة لاثبات لها فكيف يتعلق بها العلم ؟ فاذا كانت هذه الدنيا على هذا النمط ورأتها روح عالية وهى تنظرها من بعيد فانها ترى أن هذه الارض وماحولها أشبه بالنار بل ان باطن الأرض نار وسطحها نار قد بردت ولكن بأدنى عمل تتقد نارا فالأشجار والنبات والحيوان قابلة للاشتعال والحجارة تتقد نارا بالقدح لأنها جميعها نار تجمدت كباطن الارض وكقرص الشمس بحسب مايتجلى لنا منها والنار سريعة الحركة لاقرار لها وهذه الروح العظيمة ترى آثار النار فى أخلاق البهائم والحشرات والانسان . الناس فى حرب وضرب وعداوات وشهوات وفراق وحزن وموت وحسرات وخصومات . فكل هذه نيران محرقة بل نفس الحب والشوق نوع من الحرارة فهذه العوالم تحترق نارا إما ظاهرة واما باطنة غاية الأمر أن الذين يعيشون فيها لايعلمون انهم يعيشون فيما يشبه النار وقد غفلوا عنها كما يغفلون عن انهم يعيشون فى وسط جسم هو الهواء فلايفطن له إلا العلماء . وههنا وصلنا الى المقصود فلننظر فى هذا الانسان . هل امتاز عن هذه المخلوقات بشئ ؟

ننظر فنراه (وان كان متغيرا من صغره الى كبره) ثابتا ثبات رضوى . يأكل و يشرب و يفرح و يحزن و يغتم و يسر و يلد و يولد و يجهل و يعلم و يمرض و يصح و يفتقر و يغتنى و يجتمع و يفترق و يحب و يكره و يعزّ و يذل . ولكن هذه الحوادث كلها تخزن عنده فى خزانة لاهو يعرفها ولاأحد من الناس معه فانه بعد أن تمر (٨٠) سنة على حادثة رآها فى صغره يصفها وصفا دقيقا كأنه يشاهدها بل ان الكبير السن يكون أنبغ فى الوصف والذكرى حتى وصف فقيل فيه « انه كنتى » بضم الكاف وسكون النون أعنى انه يقول كنت وهذه النسبة شاذة لأنها نسبة للفعل مع الفاعل . فهذا الشيخ والهرم يقول كل منهما « كنت فعلت كذا وكذا فى زمان كذا » فمن أين أتى بهذه الأوصاف إلا اذا كانت هذه الروح العجيبة لها خزانة معنوية لايمكننا ادراكها قد رتبت فيها هذه الحوادث وكتبت وأخذ الانسان ينقل عنها . الأرض والسموات وماعلى الأرض كلها ألواح ولكنها ليست محفوظة . فالشجر والماء وظواهر الأرض كلها متغيرات لاثبات لها . أما هذا الانسان فانه لوح محفوظ هو مسجل . هو كتاب يسجل الله فيه الحوادث الأرضية والسماوية تسجيلا جزئيا لا كليا . فهذه ألواح صغيرة جعلت لهذه الاجسام الصغيرة وماهى إلا كسراج صغير من البترول والشحم وشمع العسل

والزيت

والزيت فى أرضنا فالمحفوظات والمعلومات المخزونات فيها لا تعدونها أشبه بالسراج الذى نوقده فى منازلنا بالزيت أو بالشمع . ولاجرم أن سرجنا نورها ضئيل كذلك المعلومات التى عندنا لأن علومنا غير نقية على حسب معدن هذه النفوس . وهل ضوء البترول كضوء الكواكب والشموس . أفلا نقول على سبيل القياس فى أمثال هذا المقام أن هناك نفوسا أرقى من نفوسنا عقولها وعلومها أشبه بضوء شمسنا مثلا بالنسبة لضوء مصباح البترول فى منازلنا ﴿و بعبارة أخرى﴾ إن علومنا بالنسبة لعلوم تلك الأرواح تكون قليلة مختلطة على وزان مصباح البترول الذى هو ليس شيأ إلا انه من الأرض والأرض من الشمس فتكون أرواحنا مشرقة عليها أرواح أكبر منها عندها علوم أوسع والله فوق الجميع لا يعلم علمه أحد ولوحه المحفوظ فوق هذه الألواح كلها فلا هو كلوحنا الضعيف ولا كلوح الأرواح العالية لأنها ضئيلة بالنسبة له تعالى . ثم إن الأرواح العالية المحيطة بعوالمنا لا نعرفها إلا بالقياس على أنفسنا قياسا مع الفارق . ثم نقول ﴿ اذا كان الأثير الذى هو أصل المادّة قوىّ متين الى هذا الحدّ أفليست أرواحنا والأرواح التى هى أعظم منها أمتن وأمتن من الأثير فالأثير عظيم القوّة مع انه لا ثبات له أفلا تكون أرواحنا التى هى ألواح محفوظة أمتن منه وهى باقية بعد الموت ولها محفوظاتها ؟ ﴾

أقول بعد هذا كله . اخوانى سكان هذه المعمورة من أبناء آدم . أليس لى الحق بعد هذا كله أن أقول اننا جميعا نعيش ونموت وكأننا ألواح يقرؤنا سوانا لا نحن ، فنحن مقرؤن لا قارئون . نعم نحن نقرأ ألواحا غير محفوظة وهى المخلوقات أمامنا فى كر الغداة ومرّ العشىّ . وهذه المخلوقات منع بقاءها تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى . فنحن نخزنها وبهذا الخزن نكون أرقى منها . فاذا خزنا هذه المحفوظات عندنا وعلمنا أن المخ والجسم يتغيران كل ثلاث سنين مرة حكمنا وجزمنا أن عندنا لوحا محفوظا حفظ العلوم عندنا والحوادث الجزئية وأن هذا الحفظ ليس يكون بلا علة والعلة فيه انه باق فى سطور النفس للانتفاع به إما فى الحياة واما بعد الموت . ثم اننا نلاحظ أن هذا الانسان كله مقلد لعظمائه سائر على خطواتهم فهو أبدا مقلد للنابغين فيه أولمن لهم السيطرة العملية . فالقانون أوالصناعة يبرزها واحد فتتبعه أجيال . أفلا نقول ان أكثر الناس تابعون لا متبوعون ونقول ماهو أليق بمقامنا . اذا كان أكثر الناس لا يعلمون فان قليلا منهم من تظهر لهم حقائق نفوسهم ويدركون المقصود منها ويعرفون نسبة نفوسهم الى العوالم وانها باقية لبقاء معلوماتها . وانما قلّ هؤلاء فى الانسان وقرؤا أنفسهم لأننا أسلفنا أن هذا الانسان يقلّ فيه النابغون فى الفنون فأجدر بالندرة من يدرك هذا السرّ المصون . إذن ثبت بالدليل الاقناعى أوالقياس التمثيلى أن النادر من نوع الانسان من يدرس نفسه ويعرف بعض سرها ويعقل أن الانسان عالم صغير هو ظل للعالم الكبير

وبهذا وحده يفهم الناس قوله تعالى فى هذه الآية ـ ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه ـ فاضافة الروح الى الله يفسرها ماذكرناه فى هذا المقام تفسيرا مقترا بمقدار قصور نفوسنا الأرضية ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ وأنّ الى ربك المنتهى ـ والحمد لله ربّ العالمين . كتب قبل وبعد فجر يوم الاثنين (١٦) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ الخ ﴾

ورد فى البخارى ومسلم عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة التى فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما كان أحد يجد مكانا لوضع جبهته فى غير الصلاة

وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلمون مافى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » اهـ

يقول بعض العلماء ـ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ نزلت فى انتظار صلاة العتمة . ويقال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الأوّابين . ويقول عطاء « لا ينام الانسان حتى يصلى العشاء الأخيرة والفجر

فى جماعة »

وفى حديث مسلم « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام نصف الليل »

هذه أقاويل ولكن أشهرها أن المراد بذلك صلاة الليل ولكل فضل . ألاترى الى حديث مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » والى حديث البخارى ومسلم عن عائشة قالت « كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه » فقلت لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر . قال أفلا أكون عبدا شكورا » اه

ومعنى هذا أن الانسان يجب أن تكون عبادته لله ليتقرب اليه أى تكون العبادة حبا لاخوفا والشاكر للنعمة صاحب مروءة وهذه هى المحبة فلامعنى لحياة تكون كلها خوفا فيكفى الانسان من الخوف ما أوجبه الايمان وليصعد الى العلوم بالمحبة وأن صلاة الليل تحدث شعورا نورانيا واشراقا خاصا به تستعد النفوس للعلم والعلم هو المقام الأعلى و به لقاء الله اه

وقال ﷺ « إن فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام » أخرجه الترمذى

وجاء تفسير قوله تعالى ـ فلاتعلم نفس ما أخفى لهم ـ الخ من رواية البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر . اقرؤا إن شئتم ـ فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ـ » اه

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى ـ أولم يهد لهم كم أهلكنا ـ الخ وقوله ـ أولم يروا أنا نسوق الماء ـ الخ)

ولقد تقدم فى أول السورة أن (ا ل م) تشير الى أمر مهم فى السورة وهو النظر فى آثار الأمم وآثار رحمة الله وعلى ذلك تصبح هذه السور المتلاصقة المبدوءة بهذه الحروف (الم) تدعو حثيثا الى علم الكائنات ونظام الأمم وهذا هو الأمر الذى نام عنه المسلمون وأضاعوا بلادهم وخربوا حصونهم . فياعجبا لأمة الاسلام الساهية النائمة . يوبخها الله على ترك النظر فى القرون الخالية وعلى ترك النظر فى الحقول والمزارع والأمة ساهية لاهية نائمة . اللهم إنى شرحت هذا المقام فى السور السابقة . فتبين فى هذا الكتاب نظام الحقول والزهر وعجائب الزرع ليفرح الشبان المسلمون وليحفظوا بلادهم وليرقوها وليتمتعوا بنعمة العلم والحكمة . وكذلك جاء فيه مايفيد النظر فى آثار الأمم السابقة ونظام المدن فى الشرق والغرب . فليعلموا أن أمريكا ذهب أهلها الأولون وأفناهم الاوروبيون لأنهم لم يقاوموا تيار المدنية بل المدنية أفنتهم وليس يبقى فى الأرض بعد الآن إلا أمم قوية تعمر أرض الله وتستخرج كنوزها فان لم يفعل المسلمون ذلك غضب عليهم غضبة فلايرضى عليهم بعدها وينقل هذا الدين لقوم آخرين

أيها المسلمون . كيف يتمتع أهل ألمانيا بجمال الطبيعة وأنتم محرومون ؟ وكيف علمهم الأساتذة فى كتبهم أن يخرجوا صيفا للغابات البعيدة ليكونوا فى الهواء الطلق أياما وأياما . وكيف يخرجون أيام الثلج المتراكم فى الشتاء الى الآكام والجبال والقفار المكسوة كسا غليظة من القطع الثلجية ويرون فى هذا سرورا وحبورا وجمالا . وذلك كله للرجال والنساء على حد سواء . أليس هذا قوله تعالى ـ قل سيروا فى الأرض ـ وقوله ـ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا ـ وقوله ـ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز ـ فهذا وأمثاله يشعر بانعاش النفوس واخراجها من حضيض النوم والكسل الى النشاط والجد والعمل . انتهت اللطيفة الرابعة

(بهجة

﴿ بهجة الحكمة فى قوله تعالى ـ وأما الذين فسقوا فأواهم النار .. الخ ﴾

اعلم أن هذه الأرض نارمتجمدة ، وكما أن جهنم فيها أماكن باردة وأخرى حارة هكذا أرضنا فكأنّ أرضنا جهنم مصغرة ، ولقد تبين لى أن الناس فى هذه الأرض معذّبون عذابا معجلا وهم لايعلمون انهم معذّبون ، وعذاب الناس فى الدنيا نموذج ومقدّمة لعذاب الآخرة ، ألا ترى أن أكثر آيات العذاب فى القرآن جاءت لإهلاك الأمم فى الدنيا بالصواعق والخسف تارة وبالاغراق بالماء وبالاهلاك بالحواصب تارة أخرى

نسمع الله يقول لنا ـ أغرقوا فأدخلوا نارا ـ لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ـ ويقول ـ سنعذّبهم مرّتين ثم يردّون الى عذاب عظيم ـ

إذن الأرض قطعة من النار متجمدة فعذابها مخفف ملطف ، فاذا مات الناس ظهرت لهم جهنم الحقيقية ألست ترى أن باطن الأرض ملتهب وماهى إلا كالبطيخة سواء بسواء ، فالقشرة التى نعيش عليها كانت نارا فأصبحت جامدة لملاقاتها للجوّ ، وهذا المقام مستوفى فى غير هذا المكان كسورة ﴿ آل عمران ﴾ وهذه القشرة تحتها نار متقدة . نعم ان علماء عصرنا قالوا ﴿ لكنها مع هذا متجمدة أيضا مع شدة التهابها لشدّة ضغط القشرة عليها ﴾ مخالفين فى ذلك علماءهم السابقين ، ولقد ذكرت لك هناك انها وصلت فى حرارتها بمقدار نار الدنيا نحو (٧٠) مرّة كما ورد فى الحديث وقلنا إن هذا من آيات النبوّة . ولما كان هذا شأن أرضنا ألفينا ماعليها يلتهب متى قرّبنا منه اللهب كالأشجار والنبات والفحم ، بل الطين نوقد عليه النار فيصير محرقا وتبقى الحرارة كامنة فيه تتقد شررا عند القدح ، وفى الأحجار شرر يستخرج بالقدح . والله يقول ـ إن الله سريع الحساب ـ ومن سرعة الحساب ماجاء فى قوله تعالى ـ سرابيلهم من قطران ـ وستقرأ فى أوّل ﴿ سورة سبأ ﴾ تفصيل الكلام على أن الفحم يستخرج منه القطران . وقد تقدّم ذلك أيضا . وهذا القطران قد استخرجت منه أمة الألمان مئات الألوان وهى التى نراها فى الملابس والأزياء وبها تنفق الأموال جزافا فى الأسواق شرقا وغربا للزينة . وهذه الزينة هى التى بها استنزفت الثروة . وبها وحدها استعبد الغربيون الشرقيين . أولئك الذين جنتهم كجنة المسيخ الدجال . ظاهرها جنة وباطنها نار . فترى الرجال والنساء يلبسون أنضر الثياب بألوان زاهية من قطران الفحم كما ستراه موضحا فى أوّل ﴿ سبأ ﴾ كما قلنا ثم يتماديان فى تبذير مالهما ومال الأمة والأفراد فتهلك وتذل بنفس هذه التجارة . وهذا هو سرّ حديث الدجال الذى نهينا فيه عن دخول جنته وأمرنا بدخول ناره وأن جنته نار وناره جنة . ألاترى أن هذا من سرعة الحساب . وترى أحدنا اذا أكثر من الكلام أو الأكل أو شهوة الفرج أحسّ بألم فى النفس وهو لايعلم أن ذلك عقاب سريع تفسيرا لقوله تعالى ـ إنّ ربك لسريع العقاب ـ وهذا العقاب السريع تذكرة بالعقاب الكبير وهو مخفف سبعين مرة . فلئن عذب الناس بهذا العذاب الخفيف فى الدنيا فهذا سينمو فيكون سبعين ضعفا أونحوها كما فى الحديث

وأذكرك بما نقلته عن نابغة الهند (غاندى) الزعيم الشهير فى آخر ﴿ آل عمران ﴾ وفى خلال ﴿ سورة النساء ﴾ من أن التجارة هى التى بها هلك أهل الشرق واستعبدوا وأن الاستقلال فى السياسة مع الاستعباد بالتجارة لاثبات له وفى استعباد التجارة الذل والهلاك . ألاترى أن هذه الآراء فى زماننا تفسير لقول الله تعالى ـ إن ربك سريع العقاب ـ ولقوله ـ ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ـ

ومما يخجلنى أن أمّتنا المصرية أكثر الأمم ولوجا لنار الفرنجة بالتغالى والتهافت على الزينة والترف وهاهم أولاء أخذوا يفكرون فى الخلاص من ذل التجارة وذل الاحتلال اللذين هما العقاب السريع الذى يعقبه عذاب أشدّ والله غفور رحيم

عجب أن تكون النار والماء عليهما حياتنا وسعادتنا . فلولا الحرارة فى أرضنا ولولا الماء فيها ماعشنا طرفة عين فبامتزاج الحرارة الشمسية والماء نموّ نحن وينمو نباتنا ولكن الماء اذا طغى علينا أهلكنا والنار اذا طغت

تحرقنا . فما به الحياة هو نفسه به الهلاك . اذا لم يكن ماء كان القحط واذا لم تكن حرارة معتدلة كان البرد المهلك فباعتدال الحرارة والماء نعيش وبالافراط والتفريط فيهما مهالك ، عذاب الأمم فى القرآن بالاغراق أو بالصواعق فهل من عجب اذا كانت أصباغ القطران وهى الألوان فى التجارة اليوم من أنواع العذاب المعجلة لما فيها من الافراط والاسراف الذى يزيد النفوس حسرة على مالاينالون من تلك الملابس فيبذرون أموالهم فيذلون ثم يستعبدون أفرادا وأمما . انتهى ليلة الخميس قبيل الفجر فى ٢١ نوفبر سنة ١٩٢٩ م

﴿ خاتمة السورة ﴾

(فى مناسبة السورة لما قبلها ، وفى أن مانكتبه فى هذا التفسير هو من مقصود القرآن و بعض أسراره التى ظهر بعضها ، وسيظهر أكثر من هذا بعد مفارقتنا هذه الدار على أيدى قوم أبرار)

اعلم أيها الذكى أن الله قد جعل سورة السجدة بعد لقمان تذكيرا لنا بأن سعادة الدنيا والآخرة لن تتم إلا بالعلم أولا والعمل ثانيا على ترتيب ﴿ سورة الفاتحة ﴾ فأولها ذكر العوالم وهو العلم وآخرها العبادة والهداية وهو العمل ، فلقمان كأول الفاتحة والسجدة كآخرها ، فالعلم أجله علم الحكمة ولقمان حكيم وقد شرحت مجمل الحكمة هناك ، فأما العمل فمن أهمه السجود الذى وردت فيه أحاديث كثيرة فانظر ماجاء فى ﴿ الاحياء ﴾ تحت عنوان ﴿ فضيلة السجود ﴾ قال رسول الله ﷺ « ماتقرب العبد من ربه الى الله بشئ أفضل من سجود خفى » وقال رسول الله ﷺ « مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة » وروى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال ﷺ أعنى بكثرة السجود * وقيل « أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا » وهو معنى قوله عز وجل — واسجد واقترب — وقال عز وجل — سيماهم فى وجوههم من أثر السجود — وهو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر * وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء * وقال ﷺ ﴿ اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلا أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة . وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار ﴾

ويروى عن على بن عبدالله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه « السجاد » ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لايسجد إلا على التراب * وكان يوسف بن أسباط يقول « يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى و بين ذلك » وقال سعيد بن جبير « ما آسى على شئ من الدنيا إلا على السجود » وقال عقبة بن مسلم « مامن خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عزوجل . ومامن ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا »

هذا نص ماجاء فى الإحياء . ومعلوم أن فى الاحياء أحاديث ضعيفة ولكن أجاز العلماء ايراد الضعيف فى فضائل الأعمال . انتهى والله أعلم

فلما اطلع على هذا صاحبى قال ياسبحان الله . نعم هذا حسن ولكنه حسن فى ذاته . أما هذا التطويل فى التفسير فليس تفسيرا بل هو علم وخير لك أن تقول هذا كتاب علوم لا كتاب لتفسير القرآن . فقلت بل هذا تفسير . فقال قل ماتشاء ولكنى على رأيى . فقلت انظر أيها الأخ الى نظام الطبيعة . أليس هذا النوع الانسانى كلما تعمق فيه أتى بفوائد جليلة . نحن كنا نكتفى بركوب الدواب فتعمقنا فى بحث المادة فاستخرجنا الكهرباء والمغناطيس فكانت أنفع كما ألفناه وهكذا اللاحق من المنافع الطبيعية أشرف وأرقى من السابق وأعم نفعا . فقال أريد بهذا أن تطويلك فى التفسير وادخالك عجائب الجسم الانسانى والروح فيه وانتظامها

ومشابهتها للكواكب وللمنازل وللعوالم الأربعة وهي الأرضية ومافوقها . ولما خلق فوق الأرض من معدن ونبات الخ . أتريد بهذا أن تقول ان هذا التطويل وشرح العوالم كلها وقياسها على جسم الانسان ثم العروج من ذلك كله الى معرفة عظمة الله فى ملكه التى شرحتها آنفا . أقول أتريد ان هذا العمل منك خير من الاقتصار على التفسير اللفظى للقرآن وفهم بلاغته وصرفه ونحوه وردّ الاعتراضات الواردة فى مصطلحات العلوم على الآيات ، ثم انك تجعل هذا كله تفسيرا لقوله تعالى ـ الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ماتشكرون ـ

فاذا كان هذا رأيك ، وأن مافعلته أنت أفضل من غيره مما ذكرته لك وأن نسبة هذا القول منك الى نظام التفسير اللفظى وما يحيط به فيما تقدم كنسبة نور الكهرباء ومنافع الآلات الحديثة الى آلاتنا القديمة وأدواتنا الموروثة . أقول اذا كان هذا رأيك فلتعلم أنى خالفتك وجميع المسلمين على خط مستقيم . ياعجبا لك وألف عجب . عندى على ردّ قولك ألف دليل ودليل . ألم تسمع ماقيل « وخير مافسرته بالوارد » . أين أنت من تفسير الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء المجتهدين . ألم تعلم أن التفسير بالرأى ممنوع . أنت مفسر بالرأى لاغير والله شهيد على ما أقول . فوالله اذا أنا كتمت هذا فلينطقنّ به كل الناطقين بالضاد ولتعلمنّ نبأه قريبا و بعد حين والله هو الولىّ الحميد

فقلت له ـ أولوجئتك بشئ مبين ـ فقال وأىّ بيان بعد هذا وأنى لك أن تدحض هذه الحجج الدامغة ولكن سأسمع ماتقول فان كانت لديك حجج ـ فائت بها إن كنت من الصادقين ـ فقلت سألخص لك ماجاء فى (الإحياء) فى « الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل » وان كان قد تقدم بعضه فى هذا التفسير . فقال لابأس بايراده . فقلت هذا نص ما قاله

« لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وماينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك * وقد قال ﷺ ﴿ من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار ﴾ وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوّف من المفسرين المنسوبين الى التصوّف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف مانقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صحّ ما قاله أهل التفسير فمامعنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ ﴿ من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار ﴾ فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرآن إلا ماترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب فى الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم برد الخلق كافة الى درجته التى هى حدّه ومحطه ، بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم * قال علىّ رضى الله عنه ﴿ الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن ﴾ فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فماذلك الفهم ؟ وقال ﷺ « إن للقرآن ظهرا و بطنا وحدا ومطلعا » ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع * وقال علىّ كرّم الله وجهه ﴿ لوشئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ﴾ فما معناه ؟ وتفسير ظاهرها فى غاية الاختصار * وقال أبو الدرداء ﴿ لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها ﴾ وقد قال بعض العلماء ﴿ لكل آية ستون ألف فهم ومابقى من فهمها أكثر ﴾ وقال آخرون ﴿ القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم إذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر و باطن وحدّ ومطلع ﴾ وترديد رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها والافترجمها وتفسيرها ظاهر لايحتاج مثله الى تكرير * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ من أراد علم الأوّلين والآخرين فليتدبر القرآن ﴾ وذلك لايحصل بمجرد تفسيره الظاهر

وبالجلة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عزّ وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لانهاية لها وفى القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرّد ظاهر التفسير لايشير الى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها ، فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ، ولذلك قال ﷺ ﴿ اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ﴾ وقال ﷺ فى حديث علىّ كرّم الله وجهه ﴿ والذى بعثنى بالحق نبيا لتفترقنّ أمتى عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار ، فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عزّ وجل فانّ فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عزّ وجل ، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله عزّ وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوّم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد ﴾ الحديث

وفى حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى ان أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك ، قال فأعدت عليه ذلك ثلاثا فقال ﷺ ثلاثا تعلم كتاب الله عزّ وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة ☼ وقال علىّ كرّم الله وجهه ﴿ من فهم القرآن فسر به جمل العلم ﴾ أشار به الى أن القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها ☼ وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ــ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ــ يعنى الفهم فى القرآن وقال عزّ وجل ــ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ــ سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم ، فهذه الامور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه ، فأما قوله ﷺ من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه ﷺ وقول أبى بكر رضى الله عنه « أىّ أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرآن برأيى » الى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى ، فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه لوجوه ﴿ أحدها ﴾ انه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله ﷺ ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن ، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم ﴿ والثانى ﴾ ان الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال ولو كان الواحد مسموعا لردّ الباقى ، فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور ﴿ سبعة أقاويل ﴾ مختلفة لا يمكن الجمع بينها ، فقيل إن (الر) هى حروف من الرحمن ، وقيل ان الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا ﴿ والثالث ﴾ انه ﷺ دعا لابن عباس رضى الله عنهما وقال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك ﴿ والرابع ﴾ انه قال عزّ وجل ــ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ــ فأثبت لأهل العلم استنباطا . ومعلوم انه وراء السماع . وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرآن يناقض هذا الخيال . فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحدّ عقله . وأما النهى فانه ينزل على أحد ﴿ وجهين * أحدهما ﴾ أن يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من

القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعيه وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه ، وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ، ويستدل عليه بما يعلم انه ما أريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ ﴿ تسحروا فان فى السحور بركة ﴾ ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل ، وكالذى يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل ـ اذهب الى فرعون انه طغى ـ ويشير الى قلبه ويومئ الى انه المراد بفرعون ، وهـذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا انها غير مرادة به ، فهذه الفنون ﴿ أحد وجهى المنع ﴾ من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى ﴿ والوجه الثانى ﴾ أن يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى ، فالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة » اهـ

فلما سمع صاحبى ذلك قال والله لقد أجبت بعلم وفهم . فقلت إذن أقول لك ما وقر فى نفسى منذ أيام الصبا ذلك انى رأيت هذه الأمم الاسلامية كثيرة الاختلاف ، وقد ظنوا أن هذا الخلاف يفصل بينهم فقلت فى نفسى إن التفسير على هذا النمط يكون أشبه بالقدر طبخت فيه جميع المذاهب ، فهل يقدر الشافعى أو الحنفى أو الحنبلى أو الشيعى أو الزيدى بل والبهائى والأحمدى . أقول هل يقدر أحد من هؤلاء أن يقول ان عجائب صنع الله عز وجل وجمال حكمته تناقض مذهبه . كلا ثم كلا . ألست توافقنى وأنا منشرح الصدر مبتهج النفس موقن بما أقول إن أمثال هـذا التفسير مما يكتبه العقلاء فى الاسلام اليوم أشبه بما جاء فى حديث حذيفة إذ يقول له ﷺ ﴿ تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك ﴾ ولما أعاد عليه ثلاثا الحديث أعاد اليه الجواب ثلاثا وذلك فى مقام المخرج من الاختلاف والفرقة . فاذا رأينا المسلمين اليوم مفترقين فانا نقول هذا الافتراق وهم . فها هو ذا القرآن فوق مذاهبكم . فالحق والحق أقول اننى واثق بما أقول موقن أن الله عز وجل أراد ارتقاء هذه الأمة ولم شعثها وستجتمع قلوب المسلمين على أمثال هذه المعانى فى أمثال هذا التفسير . فقال هذا البيان قد شرح صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير سورة السجدة

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الخامس عشر من كتاب « الجواهر » فى تفسير القرآن الكريم . ويليه الجزء السادس عشر * وأوله تفسير سورة الأحزاب)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاهوذا

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	٣٣	ذقلت	فقال
٧	٢٤	الشق	المسائل
٨	٤	وذويه	وذووه
١١	٤	ويصلحونهم	ويصلحوهم
		ويصلحون	ويصلحوا
١١	١١	ارسال	اذلال
١٦	١	العظم	والعظم
٢٢	٢	ضرائب	خرائب
٢٣	٢٠	بآثارها	باثارتها
٢٣	٢١	الذى	التى
٢٧	١٦	والذى	الذى
٣٠	٢٤	لترات	لترات (كذا)
٣٢	٨	الجر	الجرى
٣٨	٩	الاذان	اللذين
٤١	١٤	السلاح	السلاح نجت
٤٢	١٥	وارتقى	وارتعى
٤٧	٢٨	مستطيلين	مستطيلتين
٥٣	١٨	تلقف	تنقف
٥٨	٣٣	المذيين	المادين
٦٠	٣	وبما أن	وان
٦٠	١٤	لتسديدساعات	لتصديد ساعات
٦٦	١٦	لكنه	فى
٧٨	٣٥	عبثهم	عتبهم
٨٤	٤	هذا أو	هذا
٨٥	١٨	والأضلاع	الأضلاع
٨٦	٣٢	٤ من	٤ على
٨٧	٣٠	هو	
٨٩	٢٨	تساوى	ساوى
٩٢	٥	لايتحرك	يتحرك

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٩٣	١٤	خلق	خلق
٩٣	٢٩	بينما	وبيما
٩٥	٧	فى صفا	كل حين فى صفا
٩٥	٢٦	آمنوا بموسى	آمنوا بعيسى
٩٥	٢٦	بموسى وكفروا	بعيسى وكفروا
٩٦	١٦	* ففز بعلم الخ *	
٩٨	٢٥	التى	الذى
١٠١	٥	وفى	فى
١٠٨	١٠	لهم	لهن
١١٤	١	واما لم	ولم
١٣٠	١٩	أذينين وبطينين	أذين وبطين
١٣٠	٣٤	المتحمة	الملتحمة
١٤٦	٢٨	(٣٠٠ سنة)	(٣٠٠٠ سنة)
١٤٦	٣١	لاتسرف	لاتسرق
١٥٥	١١	الى الثانى	الثانى
١٦٠	٢٢	العدايات	العذاب
١٦٢	١٢	١٦	١٢
١٩٣	٥	فأخر	فاخر
١٩٥	٨	الكيمياء	الطبيعة (وهكذا يقال فيما بعده)
١٩٦	٦	والخارصين	والذهب
١٩٧	٢٩	والخارصين	والذهب
٢٠٨	١١	ومثاله	ثم انظر
٢١٤	٣	العظام	الطعام
٢١٤	٢٥	ولاينظروان	ولاينظرون
٢٢٦	١	التفسير	التفسير ثم أورانوس ونبتون
٢٢٩	٢١	كالجل	كالحل
٢٣٠	٢٤	فى العوالم الخ	فى العوالم التى تحيط بنا فنقلته مختصرا

(تمت)

فهرست

فهرست

(الجزء الخامس عشر)

(من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم)

صحيفة

صحيفة

فاقد الحيلة فهو كالحجر . إن لم يكن ألم بالحرق أو بالضرب أو الكسر لأسلم الحيوان جسمه الى النار والعطب وهلك ، ومتى عرف الناس أن الآلام رحمة سعدوا فى الدنيا لأنهم موقنون أنهم فى يد رحيم

١١ الكلام على احتلال أوروبا لشمال افريقيا وللشام ، فهذا من عدل الله لجهل المسلم والظلم من نفس تلك الأمم لأنهم يجب عليهم أن يعلموهم لاأن يسخروهم كالأنعام و بيان أن هذا الاحتلال زائل لأن المسلمين استيقظوا ، تم الكلام على البسملة وهو القسم الأول

﴿ القسم الثانى ﴾ فى تفسير ـ الم ـ و بيان ملخص ما جاء فى ﴿ سورة آل عمران ﴾ من معانى هذه الحروف وانها ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ فيها مايرجع للعبادة كرأى ابن عباس ، واما انها جاءت بتقدير محكم فى الوضع بحيث صارت صفاتها مقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ قسم فى الحروف فى أوّل السور وهى (١٤) وقسم لغيرها وهكذا

١٢ واما انها مناسبات لعجائب الكائنات مثل انها (١٤) فى أوائل السور و (١٤) ليست فيها كمفاصل اليدين ومنازل القمر وهكذا . هذا ما قاله المتقدّمون والمؤلف كان يعتقد انه لن يقدر أحد على غير ذلك ثم قال هوفى سورة آل عمران « ان ـ الم ـ تشير الى قصة اليهود ـ ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ـ الخ » وملخصها يرجع الى الاتكال على شفاعة الآباء ونحوها ، وهذا الغرور جعلهم يعصون فاحتلّ المسلمون بلادهم ، فهذا جعل مثلا للمسلمين المتأخرين الذين اتكلوا على الشيوخ والأمانى ففقدوا مجدهم وهذا ظاهر ، فعلى أمم الاسلام أن يرجعوا عن جهالتهم ونومهم

١٣ ولما فتح هذا الباب على المؤلف فكر فى جميع أوائل السور فظهرت له عجائبها وانها قد أشارت الى أهم العلوم فى سورها ، ومن عجب أن تلك العلوم هى التى يجهلها المسلمون اليوم . إذن هذه ذخيرة لأمم الاسلام . ومن عجب أن (الر) و (الم) ونحوها تختلف اشاراتها فى السور المختلفة ، فهى فى ﴿ سورة الروم ﴾ تشير الى آية ـ أولم يتفكروا فى أنفسهم ـ فانّ فيها (ا) و ـ أولم يسيروا ـ الخ وفى ﴿ سورة لقمان ﴾ ـ ألم تروا أنّ الله سخر لكم ـ الخ يراد بذلك علم الفلك ونظام السفن فى البحر وفى ﴿ سورة السجدة ﴾ يراد بذلك علم التاريخ ودراسة الأمم

١٤ اعتراض على المؤلف بتكرار الأقاويل فى التفسير والجواب عليه بأن قصص القرآن وكلام رجال السياسة وخطبهم وجرائدهم تكون فى الموضوع الواحد سنين وسنين وهكذا وأن الاختلاف فى ذلك بلاغة لاتكرار

١٥ بيان أن الرمز مقبول عند الأمم فكانت لفظة (اكثيث) وهى خمس حروف تشير الى جملة دينية عند المسيحيين وهى نفسها اسم للسمكة باليونانية وكل حرف منها أوّل كلمة دينية وقد جعلت السمكة رمزا مقدسا ، إذن لاعجب اذا رأينا فى القرآن هذه الرموز لأن هذا طبع هذه الأمم

١٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ من الأقسام الأربعة لهذه السورة من أوّلها الى ـ وهو العزيز الحكيم ـ وتفسيرها تفسيرا مجملا

١٧ لما غزت فارس الروم ببصرى وهى أقرب الأرض الى الروم من الفرس وغلبوهم فرح المشركون وقالوا « الفرس ونحن سيان فى اننا أمّيون وأنتم والنصارى أهل كتاب » فالأوّلون غلبوا الآخرين فنغلبكم فنزلت الآية . فقال الصديق سنغلبكم فى بضع سنين فراهن أبو بكر أبىّ بن خلف الى (٩) سنين على مائة قلوص وأخذ أبو بكر الخطر بعد موت أبىّ لما انتصرت الروم على فارس يوم الحديبية فى السنة السابعة من نزول الآية . ذكر ملخص هذا التاريخ

١٨ للآية قراءتان وكلاهما قد تمّ فعلا . و بيان معنى عدم اخلاف الله الوعد فى أن النبات والحيوان وجميع

العوالم

صحيفة

العوالم على وتيرة واحدة صادقة فى نتائجها

ذكر بقر لايشرب فى (جزرهاواى) لأن الكلأ يكفيها مئونة والصبير المملوء ماء

١٩ بيان – أولم يتفكروا فى أنفسهم – وذكر تاريخ (علم الأرواح) وأن ابنتى الدكتور (فوكس) قد كشفتا مبدأ تحضير الأرواح فى أمريكا وهكذا (أوليفرلودج) فى انكلترا ، وذكر أوّل حادثة له . و بيان كيفية محادثة الأرواح ، وفى فرنسا بمدينة (ليون) امرأة عجوز تحضر الأرواح وكتبت عنها الجرائد ولما زارها جمهور عظيم من قومها قدّمت له فواكه الشتاء وهم كانوا فى الصيف أتت بها من جنوب افريقيا الأرواح ، ولما كذّبوا ذلك استحضرت لهم الأرواح من هناك فاكهة على أغصانها وأكلوا منها . وذكر روح نبينا ﷺ لما طلب حضورها مسلم مصرى ، فقالت الوسيطة هذه روح عظيمة لا أقوى على احضارها والظاهر أنها روح نبىّ عربىّ مقرّب الى الله

٢١ تحضير الأرواح فى أمريكا أيضا وذكر (مسزتومسون) فى أمريكا وقد أحضرت روح والدة المسترجلاجر و بقى بعد عراك شديد فى فمه قطعة قماش حمراء لها رائحة طيبة ، وفى (مدينة بارمن) ماتت ابنة (فكتوركاشارل) فبعد ثلاثة أيام حضرت وسلمته خطابا وغابت حالا فوجده بنفس خطها ، وفيه الوصية بالصبر والسلوان ، إذن هنا ﴿ دليلان ﴾ دليل تعرفه العقول ، ودليل معرفة عواقب الأمم المكذبة

٢٢ تفسير – أولم يسيروا فى الأرض – تفسيرا لفظيا الى – وأما الذين كفروا وكذبوا – الخ

٢٣ التفسير اللفظى لقوله تعالى – فسبحان الله حين تمسون – الخ و بيان أن (١٧) ركعة هى الواجبة بالليل والنهار لأن الانسان يكون غالبا مستيقظا (١٧) ساعة

٢٤ تفسير بقية الآيات والبحث فى معنى عجائب قوله – وجعل بينكم مودّة ورحمة – وأن الزوجين يتعاشقان لمجرّد الشهوة أوّلا وهذا الحب مقدمة لحب أعلى منه بتربية الذرية والمشاركة فى نظام المنزل . إذن هذا دلالة على أن نفوسنا خلقت لامور شريفة . تذكير قراء التفسير بتذكير المسلمين لأنهم اليوم مساكين بين الأمم ، و بيان أن الأرواح العالية فى أهل الأرض لتذكيرهم قليلة

٢٦ تفسير لفظى لآية – ومن آياته خلق السموات والأرض – الى – وهو العزيز الحكيم –

٢٧ وهنا ﴿ خمس لطائف * اللطيفة الأولى ﴾ فى بيان ما أعلنه (سنتلانه) و (سبنسر) أن علماء أوروبا فى فلسفة النفس ومبدأ العالم عالة على علماء اليونان ، وذكر محادثة (طيماوس الحكيم) إذ ذكر خلق الماء والهواء الخ وأبان أن المادة متغيرة ، إذن فلا اعتبار لهذه الصور لعدم ثبوتها وهى لاصورة لها والصور موجودات أزلية ومانراه فى المادة على صورتها والمادة أوّل تركيبها أشكال مثلثة ومنها تتركب الأشكال الأخرى واحساسنا بتأثير تلك الأشكال فى أجسامنا والألم من تأثير مفرط فى قوّته مع الممانعة من جهة الآلة والتأثير مضاد لها ، أما الاحساس اذا كان بسهولة فانه يكون ملذا ، ثم ذكر تصوير الانسان على يد الملائكة وانهم تسلموا الأرواح من الله ليضعوها مع نفس مائتة ومركزها الصدر والغضب فى الصدر والشهوة فى البطن ، و يزعم أن الحيوانات كانوا آدميين أصبحوا كذلك بسبب شهواتهم

٢٩ موازنة (طيماوس وسقراط) مع ماورد فى الصلاة فى ديننا ، فتوجيه المسلم وجهه لله الذى فطر السموات والأرض وكون حمده ملء السموات والأرض الخ معناه درس هذه العوالم فيكون العلم بها فيكون الحب فيكون تسخير الجوارح لذلك يحمد ربه بعد ذلك والجاهل عنده شعور قليل يوجب عليه الحمد و بتكرار الأدعية يحصل حمد يشبه الحقيق . وهنا دهش المؤلف من قول طيماوس ﴿ ان حكمة العين انها خلقت تنظر الكواكب ثم الفلسفة ﴾ وهنا موازنات بين أدعية الصلاة و بين الفاتحة

صحيفة

٣٠ ﴿ الانسان آلة ميكانيكية عجيبة ﴾ القلب ينبض فى الدقيقة (٧٠) مرة الخ وفى كل مرة يقذف ٤٤ جراما من الدم الخ وذكر المسام فى الجلد وهى (١٢٠٠٠) فى كل سنتيمتر مربع وهى تفرز العرق ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ – ومن آياته خلق السموات والأرض – الخ

٣١ إن معرفة الجاهل بالألوان معرفة جاهلة . وذكر ملخص مامضى فى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ من أمر اختلاف الألوان مثل حشرة العصا والسوس والخنافس والفراش وهكذا ، كل ذلك فى آية – وما كنا عن الخلق غافلين –

٣٢ وهنا نذكر ماهو أعجب ، وذلك أن من الحيوان ماله سلاح يحفظه ، ومنه مايحفظ بالمشابهة بذلك الحيوان

٣٣ الكلام على أنواع ثلاثة من (حشرة أبى دقيق) قد أعطيت سلاحا يحفظها ، فالونها خفى لتحفظ به ولاهى سريعة الطيران بل هى جبلة الشكل واضحة اللون وسلاحها سائل لونه أصفر ذو رائحة خبيثة تسلطه على من يقربها ، وهذه الثلاثة فى أمريكا وأفريقيا وآسيا واستراليا فكان بينها معاهدة على هذه المقاومة وهذا السائل يكون فى دود الحشرة كما يكون فى نفس الحشرة ، وألوان هذه الحشرات (السواد والزرقة والصفرة والبياض) وهناك حشرات من غير هذه الأصناف لاسلاح لها وتعيش معها ملونة بلونها وهى فى مكانها فتنجو بهذه المشابهة

٣٤ رسم (شكل ١) وفيه حشرة لاسلاح لها وهى الوزير وحشرة لها سلاح هى الأمير وقد تشابها فنجا مالاسلاح له بمشابهته بما له سلاح عند (نهرتباجوس) ومثل ذلك ما تراه مرسوما فى (شكل ٢) فى أعلى نهر الأمزون

٣٥ وهكذا (شكل ٣) هذا ماعلم فى أمريكا

٣٦ ومثله (شكل ٤) فى افريقيا فالأعلى وزير والأسفل أمير وهكذا (شكل ٥) بقارة افريقيا أمير ووزير

٣٧ ثم (شكل ٦) بافريقيا الأمير والوزير

٣٨ (شكل ٧) الأعلى هو الذكر والأنثى أسفل ، وهما محميان بمشابهتهما للذكر والأنثى فى (شكل ٨)

٣٩ والجميع عيشهن فى (ملقا) وفى (بورنيو)

٤٠ (شكل ٩) الأعلى هو الذكر والأوسط أنثى والأسفل حشرة لها سلاح وقد أشبهتها الأنثى وحدها فصارت محمية بها

٤١ (شكل ١٠) ثعبان لاسم له أشبه ماله سم فصار محميا بالمشابهة

٤٢ (شكل ١١) الطير الأعلى وزير والأسفل أمير الخ

خطاب للمسلمين

٤٣ أربع أسئلة وجهت الى المؤلف . وأولها كيف نقلت هذا عن الفرنجة فأجاب بأن الله قد أباح لنا أموال الحربى وأعراضه مع انه حذرنا من الفتنة بالمال والشهوات فقبلنا هذه المباح المحذر منها . ثم ان العلوم التى عندهم قد نقلوها عن آبائنا . فاذا قبلنا الغنائم ولم نرجع علومنا فنحن قوم أرباب شهوات لاغير وبيان أن هذه العلوم واجبة على أنا وعلى جميع المغرمين بها وجوبا عينيا مستمدا من الوجوب الكفائى العام . وبيان قول بعض العلماء « ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين » والسؤال الثانى فيه الفرق بين مافى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ ومافى هذه السورة بأن هناك قد شاكل الحيوان ماحوله فنجا وما هنا الحيوان شاكل حيوانا آخر محميا فحمى بهذه المشاكلة . والسؤال الثالث فى فوائد تلك العلوم مثل انها تعرفنا التوحيد بهذا التفنن فى الابداع . هذه هى الفوائد العلمية والفوائد العملية تتبع العلمية

صحيفة

٤٤ إن نفوس أهـل الأرض تشـبه ضوء الشمس المختلط بمواد الأرض فهى بين شرف بأصلها وانحطاط بالطين الذى لابسها ، ولرحمة الله لم يزعجهم بالامور العظيمة فيحسون بآلام ، وهذه الآلام تبصرة لهم ، وعلى مقدار نقصهم وارادة كمالهم يكون ابتلاؤهم ، وحيوان هذه الأرض خلق على هذا النمط فقد ألقى الله بينها العداوة من آكلة ومأكولة وهكذا ، فالمزعجات للانسان خلقت فيه ليرتقى عن صفات الحيوان ولكن الانسان الذى عاش مع الحيوان لم يرتق عنه اليوم ، فالدول لا تعيش إلا بالنفاق والسياسة معناها الكذب والنفاق والخداع والجواسيس الذين يلبسون لكل حال لبوسها كما نرى فى الثعالب ونحوها ، واليابان لوّنوا مراكبهم بلون البحر فلم يهتد الروس اليها فهلكت المراكب لأن الانسان اليوم حيوان والمنهج الأعلى أن يرتقى أهل الأرض فيعمل الجيع للجميع وتستخرج منافع الأرض وماحولها ، ثم ان المسلمين اليوم آثمون اذا لم يفعلوا فعل هذه الأمم الحيوانية حولنا فجدير بهم أن يأخذوا حذرهم فأما زمن الاصلاح العام فلاعلم لنا به . فهم ألفاظ القرآن بدون تعمق لا يكفى الأمم الاسلامية . كما ان الأرض كلها مساجد لنا هكذا عجائب الخلقة كلها شعائرلنا لاشعائر الحج وحدها التى يعرفها الخاص والعام

٤٦ ﴿ بهجة العلم فى حشرة أبى دقيق ﴾ فى أن الطوائف الثلاث من (حشرة أبى دقيق) المتعاهدات على أن يحملن سلاحا واحدا فى قارات الأرض قدظهر بعضهن فى قريتنا وزرقت فى يد رجل منها حين أمسكها فانتشرخبرها بين الناس وسمعنا بها أيام طلب العلم وعجب الناس وانتهى الأمر ولم أعرف حكمتها إلا فى هذا الكتاب الافرنجى لأن القوم تعلموا ونحن غافلون

٤٨ درجات العقول و بيان فهمها فى هذه العجائب . انظرالى ﴿ المثلين المضروبين * أحدهما ﴾ فى الفاتحة بالرجل وابنه ودابته وانه ينظر الى الحقل من حيث نتائجه ودابته تنظر للبرسيم وهكذا ﴿ وثانيهما ﴾ فى (سورة المؤمنين) بالعميان الست الذين رأوا الفيل وكل حكم بحسب ما أحسّ به . وكما أن الرجل السليم البصر يكون نظره للفيل أرقى من هؤلاء العميان ولا يكذبهم بل يكون نظره كليا وأنظارهم صادقة من حيث انها جزئية . هكذا فى هذه الأرض كتاب (بتشديد التاء) أرقى من غيرهم ينظرون لمن دونهم نظر البصراء لهؤلاء العميان وهؤلاء هم أصحاب الأعراف فى الآخرة قد استعدّوا لتلك المرتبة فى الدنيا فانظرمراتب الكتاب فى الشرق اليوم . فانظرالى ما جاء فى ﴿ سورة الكهف ﴾ وأن الألوان لم تخلق سدى . والى ماجاء فى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ وانها خلقت لحماية الحيوان وليس ذلك تابعا للوسط وهكذا ما كتبناه هنا . فهؤلاء الذين نقلنا عنهم من أوروبا هم الطبقة العليا من الكتاب ودون هؤلاء فى المرتبة ماجاء فى كتاب ﴿ عجائب الخلق ﴾ للمرحوم (جورجى زيدان) فانه لم يعلل هذه الألوان لما كتب على الحشرات وذكر مايقتات بالذباب منها مثل الجندب المصلى بشكل زهرة (شكل ١٢) وهى تتلوّن بلون ماحولها وتتشكل بشكله لأجل الافتراس (انظرشكل ١٣) وهو رسم الجندب المصلى وفريسته فى قبضته

٤٩ وهذه المباحث اذا خلت من الاستنتاج كانت جسما بلاروح ﴿ المرتبة الثالثة ﴾ ماجاء فى مجلة «كل شئ» فقد ذكر الكاتب غشّ الطبيعة وخداعها ومكرها . فمن سمكة تعيش ولا لون لها فتلتهم فريستها . والاخطبوط يغتال فريسته بافرازحبره الاسود . و بعض الطيور تضع بيضها فى الرمل فلايميز فيه فينجو من الخطر ودعاميص بعض الحشرات تظهرلها قرون مزعجة أوتشبه الثعابين فتتحاماها الطيور (شكل ١٤)

٥٠ ومثله (شكل ١٥) فهناك حشرات على غصن تبدو كأنها غصون شائكة . وهناك فراش يظهر كالأزهار وهناك جنادب تغـدو وتروح أيام الحصاد لانستطيع تمييزها لأنها غـبراء كالأرض . والحرباء تتلوّن الخ وهكذا (شكل ١٦) فيه حشرتان بهيئة ورقتين

صحيفة

٥١ (شكل ١٧) حشرات تحاكى الزهر . فهذه المرتبة الثالثة من الكتاب لم يعرفوا آراء كبار علماء أوروبا التي ذكرناها هنا وينشرون آراءهم بين أهل الشرق ويقولون ان الطبيعة كالهاغش وخداع فيخدعون بذلك القراء في الشرق الأدنى فيظن من لا خبرة له منهم أن هذه آراء كبار علماء أوروبا وهذه إحدى نكبات الشرق لأن أكثر كتابه لا يصلحون لقيادة هذه الشعوب فعلموهم الغش الذى استنتجوه من الطبيعة بدل الحكمة العالية ، فالغربي يراها حباية وهؤلاء يرونها غشا

٥٢ ﴿ الذئب في عالم الحشرات ﴾ الدكتور (ستانلى) أستاذ علم الحشرات في جامعة كاليفورنيا قد قام بتفريخ ملايين الملايين من بيض بعض (الزنبار) الذى اذا وضع في وسط بيوض بعض الحشرات الضارة بالزرع وحصل الفقس أكل الأول الثانى فكان ذلك صلاحا للزرع ، وقد أرسل منها (١٠٠٠٠) الى انكلترا لذلك . والزنبار الحفار يهاجم حشرة أكبر منه عشر مرات ويقتل أعداء الفلاح في زرعه ، فهذا متى كان في مزرعة لايبقى فيها دودة واحدة ، وأتى هذا الحفار تقوم بأعمال عظيمة في الحفر ومقاتلة الديدان وتبدأ عملها في شهر يوليو . وهنا تعجب المؤلف من هذه الأساليب البديعة في أرضنا وماذا يريد الله بها ولماذا نراها ونحن نعجب ؟ ثم قال « أيها المسلمون . إما أن تتعلموا واما أن ترحلوا من أرض الله . يقول الله لكم . هل سلطت دودى على زرعكم . والأمراض على أجسامكم لأذلكم ؟ كلا . بل أنا رحيم أريد ارتقاءكم بالعمل والفهم»

٥٤ تنوع المادة التي لم تكن إلا علما ظاهريا من الأثير الذى لانراه فكان منه تلك النسب الهندسية والحسابية في الجدول السابق في ﴿ سورة العنكبوت ﴾

﴿ كشف علمى جديد ﴾ استخراج البترول من الفحم ، وكيف حول الفحم الى سائل (وهو البترول) بالضغط عليه ضغطا عظيما جدا وهذا عجب إذ تكون أوائل السور حروفا مقطعة وهذه العناصر حينما يرجع المركب اليها كما رجعت الكلمات الى الحروف حولناها كما نريد الى سائل هو البترول ، وهذا من عجائب التنزيل واشاراته وأن المسلمين يرتقون اذا عرفوا أسرار العناصر وتصرفوا فيها كالألمان

٥٦ ﴿ تحقيق شخصية المجرم ﴾ يعرف المجرمون اليوم بطابع أصابعهم ولو كشطوها بالنار وهكذا مسام الجلد يعتمدون عليها وهذان لايتفق اثنان في مشابهتهما ، ودم الانسان لايشابه إلا دم أعلى القردة فدم القتيل مهما هشمه القاتل يمكن معرفته ، وفي أمريكا طريقة يرجعون بها هيئة القتيل كما كانت وهكذا التزوير في الخطوط أمكن كشفه بنحو معرفة مقدار الضغط على القلم فهو بلاشك يختلف وفحص الحبر

٥٧ ﴿ الكلام على الحروف ﴾ بيان انه كما ان المادة العامة لها أقسام هكذا الحروف لها أقسام من أجناس وأنواع وهكذا ، فالانسان والحيوان والمعادن كلها أشبه بشجرة واحدة ذات فروع فهكذا اللسان مختلف فهو ﴿ قسمان ﴾ لفظى وخطى ، واللفظى ينقسم الى لغات مرتقية وأخرى غير مرتقية والثانية مثل الزنجية والأمريكية الأصلية وكالصينية ، وأما المرتقية فمنها غير المتصرفة وهي اللغات الطورانية كالتركية ومنها متصرفة وهي الآرية والسامية والآرية تفرعت منها لغات أغلب أوروبا كالجرمانية وفروعها والصقلابية وفروعها والأرمنية واليونانية واللاتينية وهكذا الهندية والفارسية ، وأما اللغة السامية فهى اللغة المصرية القديمة والبابلية والآشورية والحبشية والحيرية والسريانية أوالآرية والفينيقية والعربية . وذكر حكمتين في تقارب اللغات

٦٠ بيان أن المدنية الاسلامية قد صبغت بصبغة القرآن . فعلوم العربية لمعرفة غوامض القرآن وارصاد الفلك لأوقات الصلاة ونقل الفلسفة لأدلة التوحيد وهكذا وقد أثرت اللغة العربية في لغات أمم كالفارسية والهندية

صحيفة

والغة العربية الآن لاتعدّ ميتة بسبب القرآن كما عدّت اليونانية واللاتينية

٦١ نظام المدارس المفهوم من هذه الآية ، و بيان أن تقديم الألسنة على الألوان فتح باب لتقديم فهم اللغات وتحليلها على درس الطبيعة لأن اللغات أسهل فيكون ذلك مرانا حتى يمكن بذلك تحليل النبات ونحوه ولنا أسوة بأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه فى استنتاجه

٦٢ لطيفة فى قوله تعالى — ومن آياته منامكم بالليل — الخ و بيان أن الانسان فى حالى النوم واليقظة يرى عوالم لاحقيقة لها فى كل منهما ، وحال النوم تنسخ حال اليقظة و بالعكس ، إذن نحن نيام فى الحالين وهذه نظرية اينشتين ﴿ إن المادّة لاوجود لها ﴾ كما قاله غيره وهذا يعدّ معجزة متى أخذنا بظاهر الآية

٦٣ ﴿ الانتقال الفكرى ﴾ حلم (نومان) انه مع خطيبته فى بيتها وطوّق خصرها ، وقد كاتبها فى ذلك وكاتبته هى فكان الأمر حقا بحيث تعيين الوقت واليوم والساعة والمستر (مونتون) بعد مضى ستة أشهر على زواجه قامت امرأته من النوم قائلة « انها حلمت انها فى المدرسة مع نسوة وانها قالت لاحداهنّ دومى على صداقتنا يافلانة » و بعد ذلك جاء الخبر أن هذه المرأة قد صرخت فى نفس تلك اللحظة التى فيها الرؤيا واستيقظت فجأة وقالت « ان فلانة قالت لى دومى على صداقتنا » ثم سرى الخبر بين الجيران

٦٤ غلام كان ضابطا وأخته (ثيرا) غاب الغلام فى سفر وهو يكاتبها ، وفى ذات يوم هبت عواصف فانزعجت الفتاة على أخيها ، ثم صرخت وأغمى عليها ، ثم استيقظت فأخبرت بضباب وضياء وصخور قد تمدّد أخوها عليها والدم يجرى منه ، ثم ظهر هذا الخبر فى الجرائد وأن الباخرة غرقت فتوجه والده اليه فوجده حيا وانه لما غرقت المركب توجه بقلبه الى (ڤيرا) لكى تدعو له فحضرت وتبسمت له عيانا ، وقصّ ما قالته أخته تماما . وأن المسيو (ريلموت) لما هبت عاصفة فى سفره وهدأ البحر رأى عند الفجر أن امرأته دخلت عليه وقبلته ثم غابت فاستيقظ حالا فرأى صاحبه بجانبه يقول له انه رأى امرأة قبلته فرأى هذا عيانا مارآه صاحبه حلما . ولما اجتمع بامرأته أخبرته انها زارته فى تلك الليلة يقظة وقبلته و بينهما أكثر من ألف ميل وقصت نفس الخبر بعينه . وفى كتاب (فلاماريون) أن (والترسنو) الرحالة المشهور حلم فى منامه بالأصقاع المجهولة بالقطب الشمالى ونشرت فى الجرائد ثم هلك فى رحلته . و بعد سنين كشف الناس ذلك المكان بعينه بالصورة التى رآها

٦٥ ﴿ كشف جريمة بعد عشر سنين ﴾ مزارع ألمانى اختفى بعد نزاع بينه و بين زوجته وأولاده فقبض البوليس عليهم ثم أطلقهم لعدم الأدلة . وهناك نجار بحث عنه مدة عشر سنوات فجاءه فى النوم ثلاث مرات وأخبره بمكان جثته فحفر النجار ذلك المكان ليلا وعرّف الحكومة وقبضوا على المرأة وأولادها فاعترف أحدهم بالجناية

٦٦ تشتية الحيوانات وهل هى ممكنة للانسان . وقد وجد العمال فى أمريكا ضبا فى قلب حجر وهو حىّ وهذا البناء له (٣١) سنة . والضفادع والعلاجيم تبقى حية عدّة سنوات مع انها محبوسة تشتية كثير من الحيوانات أمر لاشك فيه فتى هجم البرد استكنت ونامت نحو (٦) أشهر وهكذا الثعابين تنام طول الشتاء ثم تستيقظ . هكذا (الدّب) فى القطب الشمالى والسنجاب والوطواط والغربان وهى عامة بين الزواحف والحشرات . والتنفس يقل جدا من (٢٠٠) فى الدقيقة الى مرة فى الدقيقتين ونحن نتام فى الشتاء أكثر من الصيف . والمغول الروس الذين يقربون من القطب الشمالى يقضون الشتاء نائمين ولا يستيقظون إلا للأكل قليلا . الحيوان يعيش سنين اذا أحيط بالبرد ونام

٦٧ (صورة الضب الأمريكى) سمك القطب الشمالى فى البرد الشديد ينام فى الثلج ويجمد فيه ثم يستيقظ بالحرارة وهكذا (سمكة الطين) فى النيل يجف عليها ومتى رجع الماء استيقظت . وهنا ذكر أن النحل

صحيفة

ينام فى الشتاء والجراد يموت فيه . ودود القز ينام أيام الشتاء . والزنابير السود والحمر والبيض تنام فى الشتاء كالنحل ثم تستيقظ . والبراغيث والبق فى الشتاء لاتنام بل تموت ، والشرنقة تنام كدود القز

النحل قام خطيبا وحمد الله ليعدد مناقب الحيوان وأن له جنودا ومنازل ونظاما وفى هذه الخطبة ملخص ماتقدم من النوم واليقظة وهكذا

٧٠ ﴿ هل يعيش الحى ١٠٠٠ سنة ﴾ نعم ان البقول والحبوب تتنفس فهى تأخذ الاكسوجين من الجو بطريقتها . إذن هى نائمة كما نام النحل ونحوه ومتى كسرت ماتت فلاتتنفس واذا زرعت لاتنبت وهكذا اذا أحرقت . وأهل الهند البراهمة ينامون هذا النوم عينه (ستة أشهر) كالحيوان تماما . ساعات النوم تختلف باختلاف السن . فقد يكون النوم من (١٠) الى (١٣) ساعة للصبى وقد يكون (٩) ساعات لمن سنه (٢٥) سنة . ويجب النوم مبكرا والاستيقاظ كذلك . وكثرة النوم مضرة . والنوم عقب تناول العشاء ضار فلايجوز قبل ساعتين . ولابد من مضى زمن بعد المذاكرة لينام الانسان هادئا والأحسن غسل الوجه واليدين والفم والأسنان والقدمين قبل النوم . وليغير الملابس . ولينم على جنبه الأيمن ليستيقظ نشطا . ولابد من دخول الشمس والهواء حجرة النوم ولوساعتين ولتترك نافذة مفتوحة طول نومك بعيدة عنك

٧٢ فراش النوم والناموسية ونظافتها وتجديد الهواء فى قاعات النوم وفتح نوافذ الغرفة واخراج الفرش وتعريضه للشمس ثم تقفل النوافذ إلا جزأ وقت الليل وغسل خشب السرير كل أسبوع وتعريضه للشمس الرياضة البدنية وفوائدها الست مثل صلابة العضلات وزيادة التنفس وقوة القلب وفعل الجلد وسرعة الهضم وتنشيط القوى العقلية . ولاتجوز الزيادة فى الرياضة

٧٣ (الرياضة داخل المنازل وخارجها) وفى الخارج أفضل إلا فى الشتاء . والأحسن فيه أن يمشى ساعة خارج المنزل ويلعب بعض الألعاب الرياضية داخله كأن يحمل الأثقال المعروفة . العوم والتجديف . ركوب الدراجات (البسكليت) المشى . الجباز والتمرينات الحربية . الصلاة

﴿ القسم الرابع ﴾ من السورة أوّله ـ ضرب لكم مثلا من أنفسكم ـ الى آخر السورة . التفسير اللفظى

٧٧ تفسير قوله تعالى ـ ظهر الفساد فى البر والبحر ـ الخ

٧٩ ﴿ جوهرة ﴾ فى قوله تعالى ـ فطرة الله ـ الخ وبيان محاورة (طيماوس الحكيم) مع (سقراط) وذكر ملخصها من أن الموجود ﴿ قسمان ﴾ دائم قديم وحادث لا وجود له إلا بالوهم ثم بحث فى حدوث العالم لأنه مرئى وملموس وله علته . وأن صانع العالم لا يمكن ادراكه والعالم كله كهيئة حيوان واحد وذكر العناصر . وأن العالم مركب من عقل ومادة وشئ مشترك بينهما والأيام والليالى لاتحكم إلا علينا لاعلى صانعها فهو لايتغير . ثم ذكر خطاب الله للملائكة وانه أمرهم أن يكون تكوين الحيوان بأمره على أيديهم وأن يأخذوا من عنده أصل الانسان ويضعوه مع ماهو ميت ويربوه فاذا رجع بعد الموت فليتلقوه وليضعوه فى مركزه الأعلى ان كان صالحا والأدنى ان كان فاسقا . ويقول ان الأرواح جاءت من كواكب ثم ترجع اليها ان كانت كاملة والاسقطت

٨١ تعجب المؤلف من أن محاورة (طيماوس الحكيم) هى ملخص هذه الآيات . إذن هى معجزة لأن القرآن ـ آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ

٨٢ موازنة كلام (طيماوس) بما يقوله علماء العصر الحاضر إذ يقولون ﴿ إن المادة نقط ضوئية والمشاهد لنا حركاتها لاغير وبينها خلاء عظيم كالخلاء بين الكواكب . العلوم الرياضية من الفطرة المذكورة فى الآية

صحيفة

ومن الفطرة القضايا الأوّلية فى الهندسة وهى (١٠) أوّلها الأشياء المساوية لشئ واحد متساوية وثامنها الكل أعظم من الجزء . وعاشرها النفى والاثبات لايجتمعان

٨٣ الفطرة ﴿قسمان﴾ جامدة قوية كاملة وهذه هى المستنتجة مثل هذه المسائل الأربع عشر وهى قياس محيط الدائرة والمربع والمستطيل والمتوازى الأضلاع والمثلث والأشكال المنتظمة والدائرة والقطاع والمضلع غير المنتظم والسطح الجانبى للاسطوانة والجانبى للمخروط ومسح الكرة وحجم المكعب ومتوازى المستطيلات والمنشور القائم والاسطوانة القائمة والاسطوانة المائلة وهكذا

٨٤ دراسة هذه العلوم تقرّب العبد من ربه من جهة العلم ومن جهة العمل ، وبيان النسبة التقريبية لمحيط الدائرة والقطر وهى (٣) و (١ على ٧) وهو حرف (ط) طول المحيط يساوى (٢ ط نق) ومساحة المربع تساوى مربع ضلعه والمستطيل يساوى ضرب القاعدة فى الارتفاع ومثله متوازى الأضلاع والمثلث يساوى القاعدة فى نصف الارتفاع والمسدّس يساوى نصف القطر فى نصف طول المحيط وهكذا جميع المضلعات المنتظمة ومساحة الدائرة تساوى (ط نق ٢) والقطاع يساوى نصف حاصل ضرب نصف القطر فى طول القوس ولمساحة المضلعة غير المنتظمة تقسم مثلثات والسطح الجانبى للاسطوانة ٢ ط نق فى ع وللمخروط (ط نق) فى الراسم وهكذا وآخرها حجم الكرة يساوى (١) على (٣) مساحة السطح فى نصف القطر أو (٤) على (٣) ط نق ٣

٨٦ ﴿بهجة العلم فى مساحات هذه الأشكال﴾ ذلك أن مساحة المحيط والدائرة وسطح الكرة والكرة كل هذه شئ واحد وهو نصف القطر بغير تربيع فى المحيط والدائرة وبتربيع فى سطح الكرة ومع التكعيب فى حجم الكرة . هذا هو صراط الله المستقيم فى المقادير أن يكون نصف القطر مضروبا فى أعداد أخرى وهو محور المساحة فى الأحوال الأربعة . العالم صور متحركة ولكنها باقية فى أذهاننا . إذن هذه المشاهدات ألواح غير محفوظة وعقولنا ألواح كأنها محفوظة . المادّة لا وجود لها وسعادة النفس بالشهوة أو بالغلبة سعادة خيالية كاذبة وانما سعادتنا بالعلم

٨٨ ﴿اللطيفة الثالثة . العلوم المنطقية﴾ فطرة الناس منحصرة فى أنماء الجسم والذرّية واسعاد الروح ومن الثانى الخوف من الشماتة والعار ومن هذين نشأت الصناعات والزراعات وجميع العلوم ، السمع له الأصوات والبصر له الألوان والأنوار وهكذا والمحسوس الخاص بحاسة تصدق فى حكمها عليه كالصوت بالسمع واللون بالبصر

٨٩ ﴿التفاحة واللبن﴾ ان العين لاتصدق فى الحكم عليهما لأن التفاحة قد تكون من كافور وقد لوّنت فلابد من الذوق واللمس واللبن لابد فيه من الذوق أيضا

٩٠ مقاييس العقول (خمسة) البرهان والجدل والخطابة والسفسطة والشعر والبرهان من مقدّماته (٩) أشياء الواحد نصف الاثنين والنفى والاثبات لايجتمعان . وهكذا الجدل والخطابة والسفسطة والشعر . وأن الأوّل كالذهب الذى فيه الغشّ قليلا والثانى فيه النحاس كثيرا والثالث كله نحاس والرابع يكون السامع عالما بكذبه كما هو مشهور معلوم . الأشخاص كزيد والشجرة لابرهان لها بل تحلل والأنواع كالانسان يكون لها التعريف وفى الأجناس كالحيوان لها البرهان وتمييز الكليات بعضها من بعض بالتقسيم

٩١ مرتبة الصبى فى الاستدلال . يرى الزوجين فيقول أين ولدكما وهذا يصدق ويكذب . ويرى الصبى فيقول أين والداك وهذا صادق لأنه حكم بالمعلول على وجود علته . ولكن المعلول لايقتضى حصول معلوله لجواز فقد بعض الشروط وهكذا احساسه بالجوع أوالشبع يجعله يظن أن غيره كذلك وهكذا صيف البلاد

صحيفة

وشناؤها يظنه عاما وليس كذلك . قد يكون للبرهان ثلاث مقدمات كدليل النفس يستدل على وجودها بأنها تتحرك بالاختيار والمحرك بالاختيار جوهر لاعرض

٩٢ شرح لهذا الموضوع كما ان الانسان يكون صبيا فيكبر هكذا المدنية تكون ضعيفة ثم تعظم ، واذا وجدنا الآساد أعظم من الطيور فى التركيب فهكذا الانسان المتمدين أرقى من المتوحش فهناك مراتب فى درجات أنواع الحيوانات كمراتب مدنيات الانسان

﴿يوم شم النسيم﴾ الفطرة تشهد أن تخلق جميع الألوان والمقادير وأن يملأ الجو والبحر واليابسة بالمخلوقات ففطرنا تحب العدل بذلك وهذا العالم خلق على مقتضى هذه الفطرة لأنها مخلوقة من العدل وهكذا فى النشوء والارتقاء يجب أن كل مرتبة من مراتب الحيوان والنبات تكون مخلوقة ، وهكذا درجات الأصوات . درجات الأحياء فى ارتقائها كدرجات حواسنا كل واحدة أرقى مما قبلها . نظرت الجاموس والبقر والغنم على الأرض والخطاطيف والهداهد والعصافير والقنابر وكلهن فرحات

٩٤ فهذه سطور الكائنات . سمعت قبح الأصوات وجمالها ورأيت صغر الأجسام وكبرها والفطرة تقتضى ذلك كله منظر جماعة النمل هنا وهناك . بيان أن الانسان طفغر لأن النمل له مدنية محدودة وليس عنده وسائلنا فلم يتمكن من اجتماع عام ، والانسان لم يزد على النمل مع أنه يقدر على النظام العام

٩٥ مررت على مزرعة نخيل والريح تعبث بالغصون الخ وبحث فى الرياح الهابة على النخيل وأن الريح تجارية وعكسية وقطبية ورياح البر والبحر والرياح الموسمية وسبب هذه الأنواع هى الحرارة و باختلاف طباع الماء والهواء تختلف الحال

تعصب أتباع الأديان على غيرهم مع انهم يقرؤن شعر شعراء غيرهم ، ذلك لأجل رؤسائهم الذين يريدون الرئاسة عليهم

٩٦ (جوهرة) فى قوله تعالى ـ ظهر الفساد فى البر والبحر ـ . من ذلك الفيران فانها تحدث فى انكلترا خسارة بمبلغ (٢٥٠٠٠٠٠٠٠) جنيه وأمريكا وانكلترا يطاردان الفيران والطب يقول ﴿ إن الفأر يحمل جراثيم الطاعون فيفنى أكثر مما أفنت الحرب والفيران تهلك ما لاتهلكه جميع الوحوش من الانسان ﴾

٩٧ والفأر والفأرة يكون نسلهما ونسل ذريتهما فى السنة الواحدة (عشرة آلاف) فأر ، وانكلترا تخسر (٧٠٠٠٠٠٠٠) جنيه كل سنة بسبب الفيران بتقدير آخر . ومن الفساد الأمراض المعدية (الجدرى . القرمزية الدفتيريا . الحمى التيفودية . والتيفوسية . وحمى النفاس . والحصبة . والسعال الديكى . والجديرى . والنكاف . والأرماد المعدية . والسل . والكوليرا)

﴿ الكلام على الجدرى وأدواره ﴾ وانه يبتدئ فى السقوط من اليوم الرابع عشر

﴿ القرمزية ﴾ علاماتها البرودة والحمى والقيء وطفح أحمر ، ويبتدئ التقشر من اليوم العاشر الى الرابع عشر

٩٨ ﴿الدفتريا﴾ تتكون فى الحلق والأنف وهى تظهر حالا بعد العدوى ويظهر أثرها بعد (٢٤) ساعة

﴿ الحمى التيفوسية ﴾ يساعدها ازدحام المساكن واهمال التهوية والنظافة

﴿ الحمى التيفودية ﴾ هى من الأمراض الخطرة ودور النقه يكون من (٥) الى (١٠)

﴿ حمى النفاس ﴾ النظافة والتعقيم يمنعانها

﴿ الحصبة ﴾ تظهر بعد العدوى بنحو (١٤) يوما

السعال

صحيفة

﴿ السعال الديكى ﴾ ويفرخ من (١٠) الى (١٤) يوما

٩٩ ﴿ الجديرى ﴾ ليس خطرا ولكنه معد ﴿ والنكاف ﴾ معد من غير خطر ﴿ والكولرا ﴾ يحتاط لها بأحد عشر احتياطا مثل إغلاء ماء الشرب وترك أكل الفواكه غير المطبوخة وهكذا

١٠٠ لله « كتابان » كتاب نسمعه وهو الوحى ، وكتاب نبصره وهو المخلوقات وهذا قد خفى علينا فلم نعقله فلذلك أفهمنا بالمسموع مالم نعقله بالابصار فقال ـ ظهر الفساد فى البرّ والبحر ـ والفساد منه ماذكرناه هنا من أنواع الأمراض والطاعون ، وقد تقدّم كيف تمسح الأشكال الهندسية فى الدنيا . فاذا فرضنا قطر الدائرة (٦) أمتار فتكون مساحة المحيط إذن (٣) أمتار مضروبة فى عدد (٢) مضروبا ذلك فى ثلاثة وسبع . وفى مساحة الدائرة نربع (٣) فيكون (٩) ثم نضربه وفى سطح الكرة نربعه . وفى حجم الكرة نكعبه . إذن أنت يالله على صراط مستقيم فى عملك وضربت لنا مثلا بالمساحة فى الأشكال التى اصطفيتها لنا من آلاف الأشكال التى لا نظام لها من هذه المادّة التى ماهى إلا حركات فى الأثير لا قرار لها فظهرت لحواسنا غازا وسائلا وجامدا وهكذا . وهذه المعانى يجهلها علماء الهندسة والميكانيكا وغيرهم مع نبوغهم فى نفس تلك العلوم . وهذه المناسبة فى المساحات الأربعة كالمناسبة والعلاقة بين النبات والحيوان والانسان بينها اشتراك فى الحسّ الذى يكون قليلا فى النبات ويزيد فى الحيوان ويكون عقلا فى الانسان . فاحساس الحيوان كأنه مربع وعقل الانسان كأنه مكعب يقابل مساحة الكرة . هذا هو العدل والنظام ولقد حاد عنه خلفاء الله فى الأرض وهم بنو آدم بالمعاداة والجهل بالتعاون العام فرأينا الأمم كلها على وتيرة واحدة . الرومان والعرب والترك وغيرهم . كل هؤلاء يتخذون القوّة والعظمة وسيلة لشهواتهم الجسمية لا للاشتراك مع الأمم فى ترقيتها كما تشارك النبات والحيوان والانسان فى الاحساس ، وكما اشتركت الخطوط والسطوح والمكعبات فى مساحات نصف القطر فأهلكتهم البطنة فهلكوا . لذلك رأينا نظام هذه الأرض على مقتضى هذه الطباع فامتلات بالمكروبات والطاعون والعداوات والحروب والخداع . وهذا هو آية ـ ظهر الفساد فى البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس ـ الخ . ذلك لأنهم لم يسيروا على فطرة الله التى فطر هذه العوالم عليها كما عملت فى العوالم الحية من حيث الاحساس المشترك وفى العوالم الجامدة من حيث المساحة المشتركة . فاذا عدل الناس عن ذلك وتعاونوا كلهم فى الأرض جميعا ظهر سرّ الحديث وهو أن المال يفيض فيضا لأن كل امرئ له عمل خاص والقوى كلها عاملة وجميع المنافع فى الأرض وما فوقها مستخرجة ويكون الناس أشبه بالطيور فى نيل الرزق

١٠٥ جدول فيه الأحرف العربية والبربائية والافرنجية القديم منها والحديث

١٠٦ ﴿ سورة لقمان ﴾ تقسيمها « أربعة أقسام ✲ القسم الأوّل » فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم التى فسرت فى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ وفى ﴿ سورة هود ﴾ وبيان رجوع أسماء الله الحسنى الى ذاته وصفاته والقرآن مفصل لمعانى الأسماء واختصاص الله الرحمن الرحيم بالقول فى هذا المقام . وذكر الأسماء التسعة والتسعين هنا

١٠٧ تقدّم أن اللغات سامية وطورانية وآرية وتشعبت هذه اللغات . ومن السامية كانت العربية . ومن العربية كانت أسماء الله الحسنى وهى فى الأصل موضوعة لأحوال الناس فلما عبر الناس بها عن صفات الله كان ذلك مجازا لأن الرحمة مثلا بمعنى رقة القلب نقص فى حق الله والله يرحم ولا انفعال عنده كانفعال المحسن بسبب حاجة الفقير فيدفع الغنى عن نفسه الألم بالاعطاء والقرآن نزل بلغة العرب فأسماء الله بالنسبة له مجاز لأن الله ليس كمثله شئ

صحيفة

١٠٩ خطاب المؤلف لله ، يقول « إنك أودعت فى قلوب الحيوانات العليا رأفة بالذرية وهى نوع من الألم وأنزلت رحمتك على ذرية أنواع السمك و بعض الحشرات فلم يربها سواك ولم تنصب الأم ولا الأب فى ذلك ، فهذه رحمة بلا ألم للأبوين وهذا منطق الطبيعة الفصيح ، إن رحمتك للعالم غير رحمتهم لبعضهم فتلك أعلى لترفعها عن النقص النفسى بالألم القلبي ، فرحمتك العامة مجرد افاضة للخير ، ورحمة الناس الناقصة انبعاث فى النفس لافاضة الخير بتأثير آلام الوجدان ، الرحمة لاحد لها ولاحجر عليها وحديث ﴿ أحلت لنا ميتتان ودمان ، السمك والجراد الخ ﴾ جمع مارحمته مع الألم ومارحمته لا ألم معها استيفاء لموضوعنا

١١٠ ومن أعجب الرحمة التى لا ألم فيها للحيوان ما كشفه علماء النبات بجامعة (كلفورنيا) بأمريكا فقد وجدوا سبع عناصر داخلات فى هيكل النبات مثل النتروجين والفوسفور وهكذا فجعلوها أقراصا ووضعوها فى الماء وجعلوا مقاديرها فى كل نبات بحسبه ورموها فى ماء يوضع فى أحواض عليها أغطية يوضع الشجر عليها مع امتداد عروقه من خلال خروق فى الغطاء الى الماء فيتغذى و يعيش فى أمن من الحشرات والآفات ، و يؤتى ثمره مضاعفا بنفقات قليلة ، وهذا به يمكن زراعة الجبال والوهاد لأن الماء من أى نوع متى وضع فى الحوض على هذه الطريقة وجهزت العناصر صارت الدنيا كلها كجنة بديعة فى السهل والوعر

١١٢ ﴿ فصل ﴾ فى بيان أن كمال العبد فى التخلق بأخلاق الله ، و بيان أن فهم أسماء الله وادراك معناها لا يكفى إلا العامة والأدباء ، فأما من هم أرقى منهم فتكشف لهم المعانى بممارسة العلوم حتى يدركوا آثار الصفات ادراكا يقينيا ، وهنالك يستعظمون ذلك ، ثم يسعون فى اكتساب الفضائل التى استعظموها وعلى مقدار المعرفة يكون الشوق الى اكتساب ما اشتاق له إن كان ممكنا وليس هناك عائق كالجوع مثلا البهائم لها قوة الشهوة والغضب والانسان شاركها والملائكة لها قوة العلم والانسان شاركهم فيها و بهذه يقرب من ربه . وهنا اعتراض « كيف يقرب العبد من ربه وهو ليس كمثله شئ ؟ » وهنا فى الاجابة جاءت مقدمة وهى أن علم المعانى والبيان والبديع هى علوم البلاغة والبيان فيه التشبيه وأخواه والتشبيه إما أن يرجع للذات واما للصفات . اذا صورنا للطفل لذة الوقاع قلنا هى كالسكر وهو يوما ما سيتصف بها وهناك يكون عارفا بها وألا يبقى على مجرد التشبيه . والانسان لن يكون يوما ما إلها ولامتصفا بصفاته إذن هو لا يعدو مثال السكر للجماع فالمماثلة من هذا القبيل غير محظورة فانا نقول السواد كالبياض فى أنه موجود والمنع انما هو فى المشابهة الذاتية أو فى الصفة . لاوصول لله إلا بمعرفة آثار صفته و بها وحدها تتفاوت أقدار الناس وهذا التفاوت أوسع من تفاوت الأغنياء فى المال . وكما أن الناس لا يعرفون حقيقة الموت أو الجنة إلا اذا ماتوا ودخلوها هكذا لاتعرف حقيقة الذات الإلهية الخ وانما تعرف بضرب الأمثال و بالآثار

١١٥ تلخيص المقام كله فى ثمان مسائل

١١٦ (الله) أعظم الأسماء لسببين وسائر الأسماء لها دلالة على بعض صفات الله وللعبد صفات يتصف بها تطلق عليها هذه الأسماء . الرحمن أخص من الرحيم فاختص بالله . وحظ العبد من الرحمن العطف والنصح وفهم معنى اسمه الملك . ثم ان الاسم يدل على الذات وعلى الذات مع السلب وعليها مع سلب واضافة على صفة وعلى العلم مع اضافة وعلى القدرة مع اضافة وعلى الارادة مع اضافة وعلى صفات الفعل وعلى الفعل مع زيادة . فهذه عشرة أقسام مثالها الله القدوس العلى الملك العليم الخبير القهار الرحيم الخالق المجيد

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(٢٨) يوما . ثم (هنرى الأمريكى) طاف حولها قريبا فى (١٣) يوما
١٦٤ (شكل ٢١) رسم جراف زبلن
١٦٥ أعجوبة البحار هى (زيبرجن) الألمانية . هذه السفينة سارت فى بحر الشمال بلا ربان ، ثم لما ضغط على زر فى سفينة أخرى تصاعد الدخان من مداخنها ثم رجعت الى الوراء ثم تقدمت الى الأمام وهكذا ثم دارت حول نفسها . الكلام على رحلة (المنطاد زبلن) الى القطب الشمالى
١٦٦ (قوى الطبيعة لاتنفد) ـــ الراديوم قوة ولم يحل لغزها الى الآن وهكذا الحرارة الأرضية هل علم الكيمياء سيحدث رجالا بعد (١٥٠٠) سنة ؟
١٦٧ قلة نفع المسلمين للانسانية اليوم
١٦٩ ﴿رسالة مرآة الفلسفة﴾ الباب الثانى منها وهو تقسيم العلوم
١٧٠ أقدم أمة عرفها التاريخ فى الفلسفة المصريون والسريانيون الخ
١٧١ خالد بن يزيد أحضر جماعة نقلوا الفلسفة ثم كان المنصور فبعث الى ملوك الروم فأرسل له (اقليدس) وكتبا أخرى
١٧٢ وفى الترك بعد فتح القسطنطينية (شمس الدين الفنارى) الخ ثم منعت العلوم بالفتوى تعريف الفلسفة وتفسير معناها وهى ﴿ثلاث درجات﴾ حب البحث ثم كمال العلم ثم العمل
١٧٣ أقسام العلوم الحكمية
١٧٤ (علم الفلك) فيه علم النجوم وصفة البروج وسير الكواكب وهكذا الجغرافيا وهو صورة الأرض الخ
١٧٥ المنطق وهو ﴿قسمان﴾ صورة القياس ومادّته . فأما مادة القياس فهى البرهان والجدل والخطابة والسفسطة والشعر لليقين والظنّ وافحام الخصم والمغالطة والتحسين والتقبيح
١٧٦ لقد تصرّف المتأخرون فى المنطق فجعلوا الحدود مع الكليات وتركوا علوم المادّة الحس والمنطق بغيرها شجر بلاثمر ﴿القسم الثالث﴾ العلوم الطبيعية من العلوم الفلسفية
١٧٧ أقسام العلوم الطبيعية
١٧٨ ﴿القسم الرابع﴾ العلم الإلهى أو الكلى وهو يبحث عن الموجودات عامة من حيث تكوينها و ينظر فيه مبادئ العلوم واثبات الإله والجواهر المجردة والنفس البشرية . وقد ذم قوم الفلسفة عموما بلا تمييز وهو خطأ كالخطأ فى اعتبار العلم الإلهى والتوحيد الاسلامى علما واحدا وما دخل التوحيد الفلسفة إلا لمجرّد الرد لا للاستدلال ، ولما كثر الاقبال على الدنيا ظهرت طائفة زهدوها وسموا متصوّفة ، وقد أقاموا فى الكشف وفى الوحدة وتبعهم ابن العربى وابن سبعين اللذين أشبها الاسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين بالحلول و بأن الأئمة آلهة لأن سلف الطائفتين اختلطوا فتدخل المذهبان والصوفية خلطوا كلام التوحيد بالالهى مع الوجدانيات الذوقية من غير دليل . إذن العلم الإلهى من العقل والتوحيد من الدين والتصوّف بالوجدان . فهذه علوم ثلاثة لاعلم واحد
١٨٠ ﴿تفسير سورة السجدة﴾ وهى ﴿قسمان ☆ القسم الأوّل﴾ فى تفسير البسملة
١٨٣ لما غربت الشمس رأيت الشفق جيلا وتفكرت فى أن هذا النور وهذه العوالم كلها من الأثير وماهو إلا حركات لاغير . ولما سرت فى شوارع القاهرة فى اليوم الثانى تفكرت فى أن الهواء مملوء من المفسدات له بسبب تكاثر الأنفاس
١٨٨ يقول الاستاذ (البرخت بنك) ، ان أبناءنا بعد (٢٠٠٠) سنة سيتضاعفون ويكثر رزقهم ولكن الجو

واخذ

صحيفة

والسرّة والسبيلين

٢٢٧ وفى مقابلة هداية الكواكب هذه السبع وهى الباصرة والسامعة والذائقة الخ

٢٢٨ اللسان فى تعبيره عن المعانى العقلية بثمانية وعشرين حرفا أشبه بالقمر فى جريه فى (٢٨) منزلة مستضيئا من الشمس

٢٢٩ صفات المعادن والنبات والحيوان كلها فى الانسان

٢٣١ كيفية نشوء الأنفس فى الأجساد البشرية الطبيعية ، إن الغذاء يكون بثلاثة أصابع هكذا غذاء العقل يكون بثلاثة وهى (السمع والبصر والفؤاد) ومن اقتصر على السمع فهو جاهل مقلد عنده الثلث لاغير والمريض ليس له إلا الثلث يتصرّف فيه

٢٣٢ تعجب المؤلف من أن « إخوان الصفاء » مؤلف منذ ألف سنة والمسلمون جميعا لم يعملوا به إلا قليل ﴿ كشف واستبصار ﴾ فى معنى — وجعل لكم السمع والأبصار — الخ ولم قدّم السمع على أخويه مع انهما أفضل

٢٣٣ انما قدّم السمع على البصر والفؤاد فى الآية مع انهما أشرف منه لأن السمع لو لم يكن لم يخلق اللسان وعليه يصبح الناس صما بكما ، فاذن لارسول ولارسالة ولا كتاب ولاتأليف فكيف يرسل الأنبياء ؟ إذن الرسل يخاطبون والناس يسمعون وهناك يفهمون مايبصرون و يعقلونه

﴿حكمة﴾ فى تبيان تكرارهذه الثلاثة فى القرآن وأن شكرنا عليها قليل

٢٣٤ اعتراض على المؤلف فقيل له « اذا كنا — خير أمة أخرجت للناس — فكيف تقول اننا حبسنا فى الألفاظ ؟ » والاجابة عليه « ان هذا ليس عاما » وأيضا نحن — خير أمّة أخرجت للناس — ولكن اعترانا مرض ، فقد رضع آباؤنا فى القرنين الأوّلين (وهما أشبه بعامين فى حياة الأمة) اللبن العلمى لقربهم من زمن الرسالة فوصلوا الى بلاد الصين شرقا و بلاد (فرنسا) غربا ، وهناك وقفت الفتوحات وأخذوا يقرؤن العلوم ، فأصبحوا كالطفل بعدعامين وهو يتيم وصارت هذه الأمة بين أيدى النابغين منها يربونها حتى كانت الحروب الصليبية ، فكان الفرنجة أشبه بمراهق فى السنة الرابعة عشرة وذلك (١٤) قرنا ، والمسلمون فى سن السابعة أوالثامنة ، فنبذ المسلمون العلوم وأخذها الفرنجة عن تلامذة (ابن رشد) كما يترك الطفل الجوهرة للعقلاء ويكتفى بالحلوى ، والمسلمون اليوم بعد الحرب الكبرى بلغوا السنة الرابعة عشرة كالفرنجة أيام خراب الأندلس وتبدّد دول الاسلام

٢٣٦ كيفية استنتاج نظام علم التوحيد ، ونظام الملوك والممالك . ونظام الحكماء مع أممهم . واحتلال القوى أرض الضعيف . كل ذلك من نظام جسم الانسان

٢٣٧ وهكذا نظام الوزارات فى الحكومات . وهكذا حكماء الأمم ينظرون فى علومها وأخلاقها

٢٣٨ الأمم القوية تبتلع الضعيفة قياسا على جسم الانسان اذا خلصت منه الروح فان الناس إما أن يحرقوه أو يحنطوه أو يأكلوه اذا كانوا متوحشين أو يدفنوه تخلصا منه . هكذا الأمة الضعيفة لاتترك لئلا تضر الانسانية كما يستضرّ الناس بتعفن الأجسام

٢٣٩ ﴿ خطاب لنوع الانسان ﴾ بأنه خلق فى مادّة ليست إلا حركات فى الأثير وهذا الأثير أمر حير العقول بعد الاجماع على أنه ليس مادّة . وآخر الأقوال انه لايعقله إلا رجال تعمقوا فى الرياضة . ومع ذلك قد وصفوه بأنه ذوعشرة أوصاف مثل انه شفاف عظيم الكثافة الخ ومنه خلقت المادة التى لاثبات لها . فالأرض نارقد تكثف ظاهرها . إذن لاثبات لهذه العوالم ولكن هذه النفوس الانسانية نراها

صحيفة

(تمت)

(خطأ استدركناه)

(بيانه مايأتى)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٤١	٩	قوىّ متين	قويا متينا
٢٤٢	٣	نصف الليل	الليل كله
٢٤٢	١٩	ياو يلاأمره	ياو يلاه أمر
٢٤٧	١	بدعيه	بدعته

